الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية ـ قسنطينة ـ كلية أصول الدين

الرقم التسلسلي:..... قسم العقيدة ومقارنة الأديان

رقم التسجيل:..... تخصص: الأديان السماوية والعلم

الإساءة للمقدّسات الدينية وموقف الأديان السماوية منها

ـ الإساءة للأنبياء نموذجا ـ

أطروحة مقدّمة لنيل شهادة الدكتوراه علوم في العلوم الإسلامية

تخصص الأديان السماوية والعلم

إعداد الطالب: إشراف الدكتور:

سفيان شتيوي يوسف العايب

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم واللّقب	الدرجة العلمية	الصفة	الجامعة الأصلية
د/ يوسف العايب	أستاذ محاضر أ	مشرفا مقرّرا	جامعة الأمير عبد القادر ـ قسنطينة

السّنة الجامعيّة: 1439 ـ 1440هـ / 2018 ـ 2019م

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الإهـــــــداء

إلى من ربّتني وأنارت دربي وأعانتني بالصّلوات والدّعوات، إلى أغلى إنسان في هذا الوجود .. أمّي الحبيبة حماها الله

إلى من عمل بكدّ في سبيلي وعلّمني معنى الكفاح وأوصلني إلى ما أنا عليه .. أبي الكريم أدامه الله لي

إلى من تحمّلت معي صعاب ومشاق هذا البحث إلى شريكة حياتي وأم أولادي .. زوجتي حفظها الله

إلى شيخي ومعلّمي.. زاوي الطيب رحمه الله

إلى جميع إخوتي وأخواتي

إلى كلّ من عرفت فأحببت

إلى هؤلاء ...وهؤلاء ...أهدي باكورة علمي وثمرة جهدي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

شكر وتقدير

" من لم يشكر الناس لم يشكر الله "

"رواه أحمد"

الحمد لله حمدا يوافي نعمته، ويدفع نقمته، ويكافئ مزيده، أحمده تعالى وأشكره أن وفّقني لإتمام وإكمال هذه الأطروحة.

كما وأتقدم بالشكر الجزيل، والتقدير الوفير لفضيلة الدكتور "يوسف العايب" الذي أشرف على إعداد هذه الأطروحة ونفعني بتوجيهاته

كما أتقدّم بشكري وامتناني لفضيلة الأستاذ "عبد المالك حيرش" وفضيلة المستشار "صابر ربيعي" اللذان حفّزاني لإكمال الدراسات العليا

سائلا المولى تبارك وتعالى أن يجزيهما عني خير الجزاء

وأسأل الله تعالى أن يهيئ لنا من أمرنا رشدا

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مقدّمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء وأشرف المرسلين سيدنا محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلوات وأزكى التسليم، وبعد:

خلق الله سبحانه وتعالى البشر وجعل الاختلاف بينهم في الألوان والأجناس والأعراق والألسن والمعتقدات سنة من السنن الكونية المطّردة، قال تعالى ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ﴾ [سورة الروم:22]

والبشرية التي خلقها الله من نفس واحدة تنوعت إلى شعوب وقبائل وأمم، قال تعالى

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [سورة النساء:01]

وتبعا لاختلاف الناس في ألوانهم وأعراقهم وألسنتهم وطبائعهم كان طبيعيا أن يختلفوا في آرائهم وتفكيرهم ... وهذا لربما من ثمرات التعدد والتنوع الذي يفتح باب الحرية التي هي من أبرز حقوق الإنسان، فلا قيمة لحياة الإنسان من دون حرية، ذلك أن المرء إذا فقد حرّيته كان كمن مات داخليا وإن كان ظاهره غير ذلك.

هذه الحرية تتجاوز كونها حقا من حقوق الإنسان، إلى حيث هي فطرة فطر الله الناس عليها، فجعلها مطبوعة في ضمائرهم. لكن هذه الحرّية التي فطر عليها الإنسان لا يجوز أن تكون سببا في إهانة مشاعر الآخرين، ولا ينبغي أن تكون أداة لتأجيج العداوة والحقد بين بني البشر، وزعزعة السلم المجتمعي، والتفريق بين أبناء الوطن الواحد، وإنما ينبغي أن تكون أداة للتعارف والتلاقي على القيم والمصالح المشتركة، قال تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [سورة الحجرات:13]

وتعتبر المقدسات الدينية من الأمور بالغة الحساسية في المجتمعات البشرية، نظير ارتباطها بالدّين وتعلّقها به، ونحن نعلم الموقع الذي يحتلّه الدين في حياة الإنسان، من حيث كونه ضرورة من ضرورات الحياة، كالطعام والشراب، ونحو ذلك، وهذا ما يفسّر عدم تقبّل أتباع الأديان ـ خاصة السماوية منها ـ المساس بالمقدّسات الدينية، أو الاعتداء على رموزها، لأن أي مساس بها يعدّ مساسا بالإنسان سواء بسواء.

وفي الآونة الأخيرة كثر النقاش في أروقة الفكر والثقافة عن المقدسات الدينية وضرورة احترامها، وبين حرية التعبير وفضاءات حدودها، بل وأخذت حيّزا كبيرا من الاهتمام وشغلت مساحة واسعة من التداول الإعلامي، في محاولة لفهم طبيعة الجدل القائم عن علاقة المقدّس الديني بالحرية.

وسبب هذا الاهتمام الكبير هو عودة الإساءة للمقدسات الدينية (خاصة ما تعلق منها بالأنبياء) حيث تعددت صورها وأشكالها، وأخذت في تزايد مستمر بعد تواطؤ سبعة عشر صحيفة دانماركية على إعادة نشر الرسوم الكاريكاتورية المسيئة للنبي (صلى الله عليه وسلم) والتي ظن كثيرون أن صفحتها قد طويت إلى غير رجعة، لتجدد مع نشر الفيلم الهولندي "فتنة" من إعداد النائب الهولندي "جيرت فيلدرز" الذي ينال من القرآن الكريم ويقارنه بكتاب "كفاحي" للزعيم الألماني "هتلر" بل ويطالب بمنعه، إلى أن وصلت إلى حادثة "شارلي ايبدو" الأخيرة ... مما ينبئ بعودة مقولات "صراع الحضارات" و "الصراع بين الأديان" إلى الواجهة، وينسف بذلك الخطوات العملاقة والمجهودات الجبارة التي بذلت في إطار ما يسمى "حوار الأديان"، الذي يهدف إلى تحقيق التعارف والتواصل، ومن ثمّ التعايش بين الأسرة البشرية.

1 ـ إشكالية البحث:

تبيّن ممّا سبق أنه وبعد عودة الإساءة للمقدسات الدينية، واتّساع صورها وأشكالها، ازدادت حدة التوتّر بين أتباع الأديان (خاصة بين المسلمين والغرب) الأمر الذي أصبح يهدد الأمن والسلم

العالميين، مما أدّى بالكثيرين إلى المطالبة بسن تشريعات أممية تجرّم المساس بالمقدّسات الدينية، لما لها من مكانة عالية، ومنزلة رفيعة في نفوس أتباع الأديان.

فإلى أي مدى يمكن اعتبار المساس بمقام الأنبياء إساءة لمقدس ديني؟

وقد تفرّع عن هذه الإشكالية الرئيسية عدة إشكاليات فرعية منها:

ـ ما هي حدود العلاقة بين المقدّس الديني والحرية؟ وبعبارة أخرى: هل المساس بالمقدسات الدينية يندرج ضمن حرية الرأي والتعبير باعتبارها قيمة مطلقة تعلو على غيرها من القيم؟ أم أن حرية الرأي والتعبير ينبغي أن تتقيّد بحرمة المقدسات الدينية؟

ـ ما الفرق بين الإساءة والنقد ومرادفاته؟

ـ ما هي جذور ودوافع الإساءة للأنبياء؟

ـ ما مكانة الأنبياء في منظومة المقدّسات للأديان السماوية؟

ـ كيف نظرت الشرائع السماوية لمسألة الإساءة لمقام الأنبياء؟ وما حكم الإساءة فيها؟

2 ـــ عنوان البحث:

لما كان موضوع التطاول على الأنبياء محل مطالبة البعض بسن تشريعات وقوانين أممية تجرّم ذلك، للحدّ من ظاهرة الإساءة للمقدّسات الدينية، كان لزاما على الباحثين ـ وأحسب أنني منهم ـ دراسة هذا الموضوع من الناحية الدينية من خلال بيان رؤية كلّ ديانة للإساءة للأنبياء انطلاقا من المصادر الرئيسية فيها. فكان العنوان الأنسب لموضوع بحثي هو: "الإساءة للمقدسات الدينية وموقف الأديان السماوية منها ـ الإساءة للأنبياء نموذجا".

3 ـــ أهمية البحث:

تكمن أهمية هذه الدراسة أنها تأتي في وقت تتزايد فيه الإساءة للمقدسات الدينية (خاصة الإسلامية منها) تحت مسمى "حرية الرأي والتعبير"، هذه الأخيرة (أي حرّية الرأي والتعبير) التي استغلّت من طرف البعض، وأصبحت مطيّة للمساس بمقدّسات الآخرين، الأمر الذي ساهم في تأجيج الصراع بين أتباع الأديان، إلى أن وصل إلى حدّ قتل الأبرياء وترهيبهم وترويعهم... فانتقلت بذلك حرية الرأي والتعبير من أداة لبناء المجتمعات، من خلال النقد الموضوعي البنّاء، إلى أداة للهدم، من خلال المساس بمعتقدات الآخرين، وإهانة مشاعرهم، وقطع جسور التواصل بين أفراد العائلة البشرية.

ويكتسي هذا الموضوع أهمية خاصة في الفكر الديني، ذلك أنه يسلّط الضوء على الموقع الذي يحتلّه الأنبياء في منظومة المقدّسات للأديان السماوية، وهذا من خلال بيان موقف اليهودية والمسيحية والإسلام من الإساءة إليهم.

كما تأتي هذه الدراسة للتأكيد على ضرورة احترام المقدسات الدينية، دون أن يعني ذلك مصادرة الحريات، أو غلق باب حرية إبداء الرأي والتعبير.

4 ـ المنهج المتّبع:

من أجل الوصول إلى إجابات شافية لما طرح في الإشكالية، اتّبعت في بحثي هذا المناهج الآتية:

أ ـ المنهج التاريخي: حيث وظّفته في تتبّع جذور الإساءة للأنبياء.

ب ـ المنهج التحليلي: وقد استثمرته في تتبّع النصوص الدينية، وتحليلها، وبيان الأحكام الشرعية المتعلقة بالأنبياء والإساءة إليهم، مع استعمال النقد في استخلاص النتائج.

ج ـ المنهج الاستقرائي: وهو الذي استثمرته في تتبّع التطوّر الدلالي لمصطلح "النبوة" في كلّ من اليهودية والمسيحية.

5 ـ أسباب اختيار البحث:

❖ ميل الباحث للدراسات الدينية المقارنة، خاصة بين الأديان السماوية، وذلك في إطار ما يسمى "حوار الأديان" الذي يهدف إلى التعارف والتعايش ومن ثمّ التواصل بين بني البشر.

❖ ما أثاره موضوع " الإساءة للمقدسات الدينية" من لغط كبير أدى إلى توتر العلاقة بين المسلمين والغرب، بين من يعتبره يندرج ضمن حرية الرأي والتعبير، ومن يعتبره استفزازا لمشاعر الآخرين.

❖ ما يحاك ضد الإسلام ومقدساته(خاصة ما تعلق منها بشخص النبي صلى الله عليه وسلم) من إهانة واعتداء متكرّر ومتجدد في وسائل الإعلام الغربية تحت مسمى "حرية الرأي والتعبير".

❖ ما تمارسه بعض الجماعات المحسوبة على الإسلام - زورا - من قتل وترويع للآخرين باسم الدفاع عن مقدسات المسلمين، حتى أضحت صورة الإسلام مهتزة لدى الرأي العام الغربي، وإن كانت هذه الأفعال من قبيل "ردود الأفعال" على هجمات الغرب لمقدسات المسلمين، إلا أنه لا يمكن تبرير هذه الأفعال بأي حال من الأحوال.

❖ انعدام الدراسات الدينية المقارنة التي تتحدث عن موقف الشرائع السماوية من مسألة الإساءة للمقدسات الدينية عموما، والأنبياء على وجه الخصوص.

6 ـ أهداف البحث:

يمكن إجمال أهداف الدراسة في هدفين رئيسين:

➢ الهدف الأول: وهو هدف علمي يتمثّل في:

✓ إبراز النظرة اليهودية والمسيحية والإسلامية للإساءة للأنبياء، وهذا للوقوف على مدى قيمة الأنبياء في الشرائع السماوية، ذلك أن موقف كلّ دين من الإساءة لأنبيائه يعبّر عن قيمة الأنبياء، ويكشف عن الموقع الذي يحتلّونه في تلك الديانة.

✓ الكشف عن دور العقيدة الدينية في الحفاظ على السلم والأمن العالميين من خلال حثّ أتباعها على احترام مقدّسات الآخرين.

✓ بيان العلاقة بين المقدّس الديني وحرية الرأي والتعبير، ومحاولة رسم الحدود الفاصلة بينهما.

➢ الهدف الثاني: وهو هدف عملي، يتمثّل في:

✓ المساهمة في إثراء مكتبة مقارنة الأديان ولو بجهد متواضع، لعلّه يكون لبنة في بناء صرح هذا العلم الجليل.

✓ حث الباحثين من أهل الاختصاص على إبراز رؤية الأديان السماوية لموضوع "الإساءة للمقدسات الدينية" كقاعدة لسن وتشريع قوانين أممية تجرّم الإساءة للأديان ومقدساتها ورموزها.

7 ــ الدراسات السابقة:

في حدود ما توصّلت إليه واطّلعت عليه لم أجد دراسة علمية تحمل نفس عنوان هذه الأطروحة، بل وجدت العديد من الدراسات التي تطرّقت لموضوع الأنبياء في الأديان السماوية تتناول جانبا من الجوانب، أو مبحثا من المباحث التي تتعلّق بصفات الأنبياء ووظائفهم، لكن دون التطرّق لمسألة الإساءة إليهم.

ومن هذه الدراسات التي لها علاقة بموضوع دراستي:

أ/ في الديانة اليهودية:

- "تاريخ النبوة الإسرائيلية": لصاحبه (محمد خليفة حسن أحمد)، وهي دراسة تتناول مفهوم النبوّة في الديانة اليهودية ووظائفها المتعدّدة والمختلفة.

وقد استفدت من هذه الدراسة في المبحث المتعلّق بوظائف الأنبياء في اليهودية.

- "حول تاريخ الأنبياء عند بني إسرائيل": لمؤلفه اليهودي (م.ص. سيجال)، بترجمة (حسن ظاظا)، وهذا الكتاب عبارة عن دراسة تتناول مفهوم النبوة عند بني إسرائيل وتداخلها مع ظاهرة الكهانة والعرافة.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

واستفدت من هذه الدراسة القيّمة في المبحث الخاص بمفهوم النبوة في اليهودية.

ب/ في الديانة المسيحية:

- "المعتقدات الدينية لدى الغرب": لصاحبه (عبد الراضي عبد المحسن)، وهذه الدراسة في أصلها رسالة علمية "منشورة" نال بها صاحبها درجة (الدكتوراة)، وقد تناولت مسألة النبوة وتطوّرها، ومراتبها، وما يتعلّق بها من وحي ومعجزات في اليهودية والمسيحية وموقف الإسلام منها.

واستفدت من هذه الدراسة في المبحث المتعلّق بمفهوم النبوة في المسيحية.

- "تقديس الأشخاص عند النصارى وآثاره": لصاحبه (موسى الشيخي)، وهي دراسة تتناول الشخصيات المقدّسة في الديانة المسيحية وأثرها في الفكر المسيحي.

واستفدت من هذه الدراسة في المبحث المتعلّق بصفات الأنبياء (الرسل) في المسيحية.

ج/ في الإسلام:

- "النبوة من علم العقائد إلى فلسفة التاريخ": لصاحبه (علي مبروك)، وهي دراسة "عميقة" تتناول مفهوم النبوة عند الأمم القديمة وفي الإسلام، انطلاقا من تحديد مجالها الدلالي ودلالاتها الأجنبية.

واستفدت من هذه الدراسة في المبحث الخاص بمفهوم النبوة في الإسلام.

- "الاستهزاء بالدين أحكامه وآثاره": لصاحبه (أحمد القرشي)، وقد تناولت هذه الدراسة حكم الإسلام من الاستهزاء (بمختلف صوره وأشكاله) من الله ورسله والصحابة.

واستفدت من هذه الدراسة في المبحث المتعلّق بموقف الإسلام من الإساءة للأنبياء.

8 ـــ عمل الباحث:

قسّمت بحثي هذا إلى بابين:

ـ الباب الأول: والذي جعلته في فصلين، تناولت في الفصل الأول منه مفهوم الإساءة للمقدّسات الدينية في اليهودية والمسيحية والإسلام، وهذا من أجل ضبط مفهوم الإساءة، وبيان مرادفاته، وكذا تحديد مفهوم المقدّس في كلّ دين، ومعرفة المقدّسات فيها.

أما الفصل الثاني فقد تناولت فيه جذور الإساءة للأنبياء ودوافعها (باعتبارهم محلّ دراستي)، وهذا من أجل بيان طبيعة الإساءة التي تعرّض لها الأنبياء عبر التاريخ، والكشف عن صورها وأشكالها، ورصد دوافعها وأسبابها.

ـ الباب الثاني: والذي جاء في ثلاثة فصول، حيث تحدّثت في كلّ فصل منه عن نظرة كلّ ديانة من الإساءة للأنبياء، وهذا انطلاقا من تحديد مفهوم النبوة وصفاتها ووظائفها، وصولا إلى بيان حكم الإساءة فيها، وهذا من أجل الوقوف على مكانة الأنبياء في كلّ دين من خلال التشريعات التي جاء بها للحدّ من ظاهرة الإساءة.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الباب الأول

الفصل الأول ـ مفهوم الإساءة للمقدّسات الدينية

المبحث الأول

مفهوم الإساءة

انطلاقا من المقولة الأصوليَّة الشهيرة التي تقرر بأنَّ "الحكم على الشيء فرع عن تصوره"، واعتدادًا بأهميَّة ضبط المفاهيم، وتحرير المعاني المرادة من المصطلحات، سأستهلّ هذا المبحث بوقفة هادئة مع مصطلح "الإساءة" بدءا من بيان معناه في معاجم وقواميس اللغة، إلى تحرير معانيه الاصطلاحية.

المطلب الأول ـ الإساءة لغة:

مصدر قولهم: أساء يسيء، وهو مأخوذ من مادة (س و أ) التي تدلّ على القبح والفساد، يقال: "ساء الشيء يسوء سوْءا، فهو سيّء إذا قبح، ورجل أسوأ: قبيح، والأنثى سوآء: قبيحة... وأساء الشيء: أفسده ولم يحسن عمله"[1].

وتطلق الإساءة في مقابل الإحسان، يقال " أساء الرجل إساءة، خلاف أحسن، وأساء إليه: نقيض أحسن إليه"[2].

ويقول صاحب الصحاح "ساءه يسوءه سوءا، بالفتح، ومساءة ومسائية نقيض سرّه...والسوأة: العورة والفاحشة، والسوأة السوآء: الخلّة القبيحة"[3].

وجاء في معجم اللغة العربية " أساء إليه: ألحق به أذى أو ضررا أو إهانة، سبّب له عدم الرضا، خدش مشاعره"[4].

والسوء الذي هو الاسم منه يطلق على كل آفة ومرض، أي هو اسم جامع للآفات والأمراض[1].

([1]) ـ ابن منظور: لسان العرب، تحقيق: نخبة من العلماء، دار المعارف ـ القاهرة، ج24، ص2138، 2139.

([2]) ـ المصدر نفسه، ج24، ص 2139.

([3]) ـ الجوهري: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين ـ بيروت، ط3: 1984، ج1، ص 55 ـ 56.

([4]) ـ أحمد مختار عمر: معجم اللغة العربية، دار عالم الكتب ـ القاهرة، ط1: 2008، ج2، ص1128.

ويصحّ أن يقال :"أساء به، وأساء إليه، وأساء عليه، وأساء له (ضدّ أحسن)، معنى واستعمالا، قال تعالى (وقد أحسن بي)، وقال عزّ من قائل (إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها)، وقال (ومن أساء فعليها) وقال عزّ وجلّ (وأحسن كما أحسن الله إليك)"[2].

وهكذا نرى أن الإساءة في معناها اللغوي تدور حول المعاني المذمومة التي يبغضها الإنسان ويكرهها كالإهانة والضرر والفحشاء والفساد...ونحو ذلك.

المطلب الثاني ـ الإساءة اصطلاحا:

الفرع الأول ـ في الموسوعات الكتابية(اليهودية والمسيحية): إن الناظر والمتأمل لنصوص الكتاب المقدس يجد أن مصطلح "الإساءة" قد ورد في مواضع عدة، وبمعان لا تخرج عن المعنى اللغوي للكلمة[3]، ومن ذلك:

ما جاء في سفر الخروج في الحوار الذي دار بين الرّب وموسى " **فرجع موسى إلى الرّب وقال: يا رب لماذا أسأت إلى شعبك لماذا أرسلتني؟**"[4].

وجاء في سفر العدد ما نصّه "...**وأن آباءنا نزلوا إلى مصر حيث أقمنا أياما كثيرة، فأساء المصريون إلينا وإلى آبائنا**"[5].

كما ورد لفظ "الإساءة" في إنجيل متى في وصايا يسوع لتلاميذه "...**أما أنا فأقول لكم: لا تقاوموا من يسيء إليكم**..."[6].

([1]) ـ الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، طبعة الكويت، ج1، ص 271.
([2]) ـ المصدر نفسه، ج1، ص 274.
([3]) ـ ينظر: نخبة من اللاهوتيين: دائرة المعارف الكتابية، دار الثقافة، ج2، ص 513.
([4]) ـ سفر الخروج: 22/5
([5]) ـ سفر العدد:15/20
([6]) ـ سفر متى: 39/5.

الفصل الأول ـ مفهوم الإساءة للمقدّسات الدينية

وهكذا نرى أن لفظ " الإساءة " قد ورد في سياق هذه النصوص بمعان تتفق والمعنى اللغوي كالاضطهاد والضرر والأذى...ونحو ذلك، سواء كان من الرب أم من غيره[1].

وتذهب دائرة المعارف الكتابية إلى أن المصطلح الأكثر شيوعا في الكتاب المقدّس الذي يعبّر به عن الإساءة "للمقدسات الدينية" هو مصطلح "التجديف"، وقد ورد هذا المصطلح في مواضع عدة، وبمعان متقاربة، ومن هذه المعاني[2]:

أ/ الطعن: جاء في سفر اللاويين ما نصّه "...**وجدّف على اسم الرّب ولعنه، فقادوه إلى موسى...**"[3].

ب/ الازدراء: جاء في سفر العدد ما نصّه "**وأي أصيل أو دخيل خطأ عمدا يكون جدّف على الرّب فيقطع من بين شعبه، لأنه استهان بكلام الرّب ونقض وصيّته**"[4].

ج/ القذف: جاء في سفر اشعيا ما نصّه "**فلما سمع اشعيا ما نقله إليه رجال الملك حزقيا، قال لهم: قولوا لسيدكم: يوصيك الرّب إلهنا: لا تخف مما سمعته من تجديف عليّ من صعاليك ملك أشور**"[5].

د/ الاحتقار: جاء في سفر أعمال الرسل ما نصّه "**جئتم بهذين الرجلين، ولا أحد منهما انتهك حرمة أرطاميس إلهتنا أو جدّف عليها**"[6].

([1]) ـ ينظر: نخبة من اللاهوتيين: التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، شركة ماستر ميديا ـ القاهرة، ص 1886، 2086.

([2]) ـ نخبة من اللاهوتيين: دائرة المعارف الكتابية، مرجع سابق، ج2، ص 514.

([3]) ـ سفر اللاويين: 11/24.

([4]) ـ سفر العدد:15/ 30 ـ31.

([5]) ـ سفر اشعيا: 5/37 ـ6.

([6]) ـ سفر أعمال الرسل: 37/19.

ومن خلال هذه الدلالات والمعاني يتبيّن أن مصطلح "الإساءة" يقصد به إلحاق الضرر أو الأذى بشخص أو مجموعة من الأشخاص، وقد يصدر هذا الضرر من الرّب إلى الشعب، إلا أن إساءة الشعب إلى الرّب يعبّر عنها بمصطلح "التجديف"، وقد تكون هذه الإساءة قولية، كما قد تكون فعلية[1].

الفرع الثاني ـ في الموسوعات الإسلامية: جاء في موسوعة نضرة النعيم في تعريف الإساءة من الناحية الاصطلاحية بأنّها "هي فعل أمر قبيح جاري مجرى الشّر يترتّب عليه غمٌّ لإنسان في أمور دينه ودنياه، سواء أكان ذلك في بدنه أو نفسه أو فيما يحيط به من مال أو ولد أو قنية"[2].

والمتأمّل للقرآن الكريم لا يجد للفظة (الإساءة) ذكرا، فكلّ ما ذكر يتعلّق بمادة (س و أ)، والتي ذكرت بمختلف اشتقاقاتها، كما وردت لفظة (المسيء) مرّة واحدة، في مقابل أهل الإيمان والعمل الصالح، وذلك في قوله تعالى ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ ۚ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ﴾ [سورة غافر:58]

ورغم عدم ورود لفظة (الإساءة) على هذا الوزن، إلا أنه ورد العديد من الألفاظ التي تعبّر عنها وتقوم مقامها، ومن ذلك:

1 ـ الإيذاء: ويطلق في اللغة على الضرر اليسير والعيب أيضا[3]، ويعرّف اصطلاحا بأنه الإصابة بما يكدر مفعوله ويسيء من قول أو فعل[4].

وقد وردت لفظ (الإيذاء) في القرآن الكريم بمختلف اشتقاقاته (24) مرّة،[5] جلّها تتعلّق بالإساءة الموجّهة للأنبياء.

([1]) ـ دائرة المعارف الكتابية: 2/ 514.

([2]) ـ مجموعة من المختصين: موسوعة نضرة النعيم في أخلاق الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، دار الوسيلة ـ مكة المكرمة، ط1: 1998، ج9، ص 3838.

([3]) ـ مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية ـ القاهرة، ط4: 2004، ج1، ص 12.

([4]) ـ ابن عاشور: التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر ـ تونس، 1984، ج22، ص 86.

([5]) ـ فؤاد عبد الباقي: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الفكر ـ بيروت، ط2: 1981، ص 26.

2 ـ الاستهزاء: ويطلق في اللغة على السخرية واللعب وارتياد الهزء[1]. ويعرّف اصطلاحا بأنه الإساءة بارتياد، أو طلب الهزء في المقال أو الفعال، دون أن يسبق من المهزوء منه فعل يقتضي ذلك[2].

وقد ورد لفظ (الاستهزاء) بمختلف اشتقاقاته في القرآن الكريم (34) مرّة[3]، وكلّها بمعاني الإساءة الموجّهة للأنبياء.

3 ـ السبّ: وأصله في اللغة القطع، ثمّ استخدم في الطعن والشتم الوجيع[4]. ويعني اصطلاحا رمي الغير بما يعاب عليه، أو يستقبح في حقّه بقصد الانتقاص والاستخفاف، أو وصف الغير بما فيه تنقّص وازدراء[5].

وقد ورد لفظ (السبّ) في القرآن الكريم مرّتين، وذلك في قوله تعالى ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [سورة الأنعام:108]

4 ـ السخرية: وتطلق في اللغة على الاحتقار والاستذلال، كما تطلق على الهزء والتذليل[6]، وقد وردت في القرآن الكريم على هذا النحو في قوله تعالى ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [سورة الأنعام:10]

ونلاحظ أن كلمة (السخرية) هنا وردت في نفس سياق الاستهزاء والاستخفاف، مما يدلّ على أنهما مترادفتان، ومن هنا كانت السخرية هي رمي الغير بما يعدّ منقصة أو عيبا، بغرض الاستهانة به، والتحقير له، على الوجه الذي ينمّي إحساس الغير بالدونية له.

([1]) ـ ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر ـ بيروت، 1979، ج6، ص56.

([2]) ـ الزركشي: البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية ـ بيروت، ط1: 1957، ج3، ص 381.

([3]) ـ فؤاد عبد الباقي: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ص736 ـ 737.

([4]) ـ الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة ـ بيروت، ص 220.

([5]) ـ علي الجرجاني: التعريفات، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي ـ بيروت، ط1: 1405هـ، ص 165.

([6]) ـ ابن فارس: معجم مقاييس اللغة: 244/3. الجوهري: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية:679/2 ـ 680.

الفصل الأول ـ مفهوم الإساءة للمقدّسات الدينية

وقد وردت كلمة (السخرية) في القرآن الكريم بمختلف اشتقاقاتها (5) مرّات،[1] وكلّها تتعلّق بالإساءة إلى الأنبياء وأتباعهم.

5 ـ اللمز: وهو في اللغة العيب في الوجه[2]. وفي الاصطلاح ذكر ما يعدّه الذاكر عيبا لأحد مواجهة، فهو المباشرة بالمكروه. فإن كان بحقّ فهو وقاحة واعتداء، وإن كان باطلا فهو وقاحة وكذب[3].

وقد وردت لفظة (ل م ز) في القرآن الكريم بمختلف صيغها (4) مرّات[4]، وكلّها بمعاني الإساءة، وفي سياق النهي عنها.

6 ـ الهمز: وهو مثل اللمز، إلا أنه أخصّ منه، حيث لا يكون إلا باللسان[5]. وهو في الاصطلاح ذكر ما يعدّه الذاكر عيبا لأحد غيبة[6].

وقد وردت لفظة (الهمز) في القرآن الكريم بمختلف صيغها (3) مرّات، وكلّها في سياق النهي عنها، لأنها من ألفاظ الإساءة.

وهكذا نرى أن الدلالة الاصطلاحية لكلمة "الإساءة" لا تختلف عن الدلالة اللغوية، حيث تدور حول الضرر الذي يصدر من شخص إلى شخص آخر، وقد يكون هذا الضرر حسّيا ، كما قد يكون معنويا، وتأخذ هذه الإساءة أشكالا عديدة وصورا متنوعة كالرسوم الكاريكاتورية، الأفلام السينمائية، العروض المسرحية، الحرق، التمزيق...وتكون بالقول كما تكون بالفعل، ويعبّر عنها بعدة مصطلحات تحمل نفس الدلالة: كالازدراء، الاستخفاف، القذف، السبّ، التطاول، التهكم، السخرية، ونحو ذلك.

([1]) ـ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ص 347.

([2]) ـ الخليل الفراهيدي: كتاب العين مرتّبا على حروف المعجم، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية ـ بيروت، ط1: 2003، ج4، ص 100.

([3]) ـ التحرير والتنوير:248/26.

([4]) ـ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ص 653.

([5]) ـ الخليل الفراهيدي: كتاب العين مرتّبا على حروف المعجم:322/4.

([6]) ـ أحمد الثعلبي:الكشف والبيان، تحقيق: علي بن عاشور، نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، ط1: 2002،ج9، ص81 .

الفصل الأول ـ مفهوم الإساءة للمقدّسات الدينية

ومعرفة الإساءة من غيرها يرجع فيه إلى العرف، فما عدّه أهل العرف إساءة فهو من الإساءة، وإلا فلا[1]، يقول ابن تيمية في ذلك: "وإن جماع ذلك أن ما يعرف الناس أنه سبّ فهو سبّ، وقد يختلف ذلك باختلاف الأحوال والاصطلاحات، والعادات وكيفية الكلام، ونحو ذلك، وما اشتبه فيه الأمر ألحق بنظيره وشبهه"[2].

وإذا كانت الإساءة مقصورة في إيقاع الضرر بالآخر (سواء كان فردا أو جماعة) كما يفهم من الدلالات اللغوية والاصطلاحية، فإن حجم هذا الضرر وتقديره محل جدل واسع في الأوساط الفكرية والدينية والحقوقية العالمية نتيجة التداخل بينه وبين حرّية التعبير. فبينما ذهب فريق إلى أن حرّية التعبير أمر مقدّس يعلو على غيره من المقدّسات، وقيمة مطلقة تعلو على غيرها من القيم، ذهب فريق آخر إلى أن حرّية التعبير ينبغي أن تتقيّد بحرمة المقدّسات الدينية، ذلك أن حرّية المعتقد هي حقّ من حقوق الإنسان مثل غيره من الحقوق كحق العمل، الملكية الفردية، التعليم...الخ

وهكذا نجد أن من يهين مشاعر الآخرين من خلال المساس بمعتقداتهم ومقدّساتهم ورموزهم يحتجّ بحرية التعبير عن الرأي، ومن يقصي الآخر، أو يضيّق عليه، أو يقيّد حرّية التعبير عن رأيه يحتجّ بحماية المقدّسات الدينية، وتطويق مشاعر الكراهية بين الأمم والحضارات...وهذا ما يجعل الحاجة ملحّة للحديث عن مفهوم حرّية التعبير عن الرأي وعلاقتها بالإساءة من أجل الخلوص إلى رسم الحدود الفاصلة بين حريّة التعبير والمساس بالمقدّسات الدينية. فمتى ينتهي حق الإنسان في التعبير عن رأيه بحرّية ليدخل في فعل التحريض على الكراهية، والإساءة للآخرين من خلال المساس بمشاعرهم الدينية؟

([1]) ـ وعلى هذا فالكلام الذي يقال لغير الأنبياء مثلا، ويوجب تعزيرا أو حدّا بوجه من الوجوه، يعدّ من باب الإساءة للأنبياء.

([2]) ـ ابن تيمية: الصارم المسلول على شاتم الرسول(صلى الله عليه وسلم)، تحقيق: محمد الحلواني، محمد شودري، دار رمادي ـ السعودية، ط1: 1997، ص 542.

المطلب الثالث ـ الفرق بين الإساءة وحرّية التعبير:

الفرع الأول ـ مفهوم حرّية التعبير عن الرأي: تعتبّر حرّية الرأي والتعبير أحد الحقوق الفردية شديدة الالتصاق بالإنسان وبطبيعته، ذلك أن الإنسان مفطور على حبّ التعبير عما يجول في ذهنه من أفكار ونظريات... ونحو ذلك، وهذا حتى تكون له بصمة في نموّ مجتمعه وتقدمه وتطوره، فتنمية المجتمع مرهونة بمدى إطلاق الحرّيات لأفراده من أجل تشجيع البحث والفكر وتنمية الثقافات داخل المجتمع، والنقد الذي يعرّي الفساد في التسيير، ويكشف عن العجز في الأداء.

ومن هنا فإن محاولة سلب الإنسان هذا الحق، أو محاولة التضييق عليه بشكل أو بآخر، أو الحدّ منه يؤدي إلى حدوث تشوهات داخل البنية النفسية للفرد، على اعتبار أن هذا الحق هو حقّ فطري، إضافة إلى أنه يولّد على الصعيد الاجتماعي "ردّات فعل قد تتمثل في السلبية المطلقة، والخروج من دائرة الزمن نحو الجمود واللافاعلية، فمن لا يحقّ له أن يتكلم لا يحقّ له أن يفعل، وهذا حال الكثير من الشعوب التي ترزح تحت وطأة الاستبداد السياسي الذي هو أحدّ تجلّيات الاستبداد الفكري"[1].

وهكذا نرى أن حرية التعبير لا ترتبط بالفرد فقط، بقدر ارتباطها بالمجتمع بأسره، لتدخل فيما يسمى "المحدّدات الناظمة" لتطور المجتمعات، وبمعنى آخر هي ليست مجرّد حق فردي معزول، وإنّما ترتبط بالنظام العام، فالمدخل التنموي شديد الارتباط بممارسة هذا الحق ومدى فاعليته وحركيّته داخل المجتمع.

والمقصود بحريّة التعبير، أو حريّة التعبير عن الرأي "أن يكون الإنسان حرّا في تكوين رأيه، فلا يكون تبعا لغيره، وأن يكون حرّا في إبداء هذا الرأي وإعلانه بالطريقة التي يراها"[2].

([1]) ـ رضوان زيادة: الأديان وحرّية التعبير، مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان، سلسلة مناظرات حقوق الإنسان (10)، ص 17.

([2]) ـ عبد الحكيم العيلي: الحريات العامة،دار الفكر العربي ـ بيروت، 1983، ص 466.

وعرّفت أيضا بأنها " إمكانية كل فرد في التعبير عن آرائه وأفكاره ومعتقداته الدينية بكافة الوسائل المشروعة، سواء كان ذلك بالقول أو بالرسائل أو بوسائل الإعلام المختلفة"[1].

ومن خلال هذين التعريفين نجد أن حرية التعبير تشتمل على بعدين:

الأول: حرية الإنسان في بلورة وتكوين رأيه (حرية الرأي)

الثاني: حرية الإنسان في الإعلان عن الرأي الذي توصل إليه(حرية التعبير، أو حرية التعبير عن الرأي)

أي أن هناك فرقا واضحا بين حرّية الرأي التي تعني الحالة التي يكون فيها الرأي خاصا بصاحبه وباقيا في دائرته الخاصة، وهذه الحالة شاملة للآراء من حين تشكلها إلى حين اكتمالها ونضجها لديه، وبين حرّية التعبير التي تكون فيها الآراء متجاوزة لدائرة صاحبها، بحيث يقوم بالمجاهرة بها ونشرها بين الآخرين، أو الدعوة إليها والإقناع بها بشتى الطرق والوسائل[2].

الفرع الثاني ـ السند القانوني لحرّية التعبير: أولت منظمة الأمم المتحدة منذ نشأتها بميثاقها عام 1945، مرورا بالإعلان العالمي لحقوق الإنسان، وصولا إلى المواثيق سواء العامة أو الخاصة أو الإقليمية والإعلانات الدولية اهتماما بالغا بحقوق الإنسان ومصالحه المادية والمعنوية وعلاقته بالمجتمع الذي يعيش فيه، وقد أخذت حرية التعبير عن الرأي حيّزا واسعا من هذه المواثيق والعهود، وهذا ما نلمسه من خلال منظمة الأمم المتحدة، وكذا العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية، فضلا عن المواثيق الإقليمية[3].

([1]) ـ أحمد الرفاعي: المسؤولية الجنائية الولية للمساس بالمعتقدات والمقدسات الدينية، دار النهضة العربية ـ القاهرة، 2007، ص 37.

([2]) ـ سلطان العميري: فضاءات الحرية، المركز العربي للدراسات الإنسانية، 2013، ص 423.

([3]) ـ كما شغلت مسألة حرية التعبير اهتمام الكثير من الدول التي سنّت وشرّعت مواثيق خاصة بذلك في إطار حقوق الإنسان من قبيل: الميثاق الاجتماعي الأوروبي الخاص (1961)، والاتفاقية الأمريكية لحقوق الإنسان (1969)، والميثاق الإفريقي لحقوق الإنسان (1981)، والميثاق العربي لحقوق الإنسان (1997،2004) وغيرها من المواثيق والاتفاقيات المتضمنة لحرية التعبير.

الفصل الأول ـ مفهوم الإساءة للمقدّسات الدينية

أولا ـ منظمة الأمم المتحدة: كان الدافع لتأسيس منظمة الأمم المتحدة هي الآثار الكارثية للحربين العالميتين، وقد توصلت الدول المؤسسة لهذه المنظمة على ضرورة وضع ميثاق يضم كافة الدول[1]، من أجل إنقاذ الأجيال اللاحقة من ويلات الحرب، ووضع حدّ للقتل والتعذيب والإهانة التي يتعرض لها الإنسان بشتى صورها وأشكالها، وحماية حقوق الإنسان وحرّياته الأساسية، وهذا ما جاء في ديباجة هذا الميثاق[2]:

"نحن شعوب الأمم المتحدة وقد آلينا على أنفسنا:

- أن ننقذ الأجيال المقبلة من ويلات الحرب التي في خلال جيل واحد جلبت على الإنسانية مرتين أحزاناً يعجز عنها الوصف،
- وأن نؤكد من جديد إيماننا بالحقوق الأساسية للإنسان وبكرامة الفرد وقدره وبما للرجال والنساء والأمم كبيرها وصغيرها من حقوق متساوية،
- وأن نبيّن الأحوال التي يمكن في ظلها تحقيق العدالة واحترام الالتزامات الناشئة عن المعاهدات وغيرها من مصادر القانون الدولي،
- وأن ندفع بالرقي الاجتماعي قدماً، وأن نرفع مستوى الحياة في جو من الحرية أفسح".

هذا وقد أكّد ميثاق الأمم المتحدة على ضرورة حماية حقوق الإنسان وحرياته الأساسية معتبرا ذلك أمرا في غاية الأهمية، كما وضعت على عاتق أجهزتها تعزيز احترام حقوق الإنسان واعتبرتها التزاما دوليا تحترمه كل دولة على مستواها سواء بالنسبة لمواطنيها أو غيرهم من الأجانب المقيمين فيها.

---

(1) ـ صدر الميثاق بمدينة سان فراسيسكو في 26 يونيو 1945 في ختام مؤتمر الأمم المتحدة بنظام الهيئة الدولية وأصبح نافذا في 24 أكتوبر 1945.

(2) ـ ينظر ديباجة ميثاق الأمم المتحدة.

وقد تمخّض عن هذا الاهتمام الكبير بحقوق الإنسان الذي أولاه ميثاق الأمم المتحدة ولادة لجنة دولية لحماية حقوق الإنسان، وقد آلت هذه اللجنة على نفسها حماية حقوق الإنسان، وقامت بعد نشأتها بوضع إعلان عالمي لحقوق الإنسان وأحالته على الجمعية العامة للأمم المتحدة التي اعتمدته يوم 10 ديسمبر 1948.

وقد نصّ الإعلان العالمي لحقوق الإنسان على حرّية التعبير عن الرأي بشكل صريح في المادتين (18) و(19)[1].

ففي المادة (18) جاء ما نصّه: "لكل شخص الحق في حرية التفكير والدين والضمير، ويشمل هذا الحق حرية تغيير ديانته أو عقيدته، وحرية الإعراب عنهما بالتعليم والممارسة وإقامة الشعائر، ومراعاتها، سواء أكان ذلك سرًّا أم جهرًا، منفردًا أم مع الجماعة".

وهذه المادة تتحدث عن حرّية التعبير عن الرأي سواء كان دينيا أو سياسيا أو فكريا.

ونجد المادة (19) أكثر صراحة في التأكيد على حرّية التعبير عن الرأي، فقد جاء فيها " لكل شخص الحق في حرية الرأي والتعبير، ويشمل هذا الحق حرية اعتناق الآراء دون أي تدخل، واستقاء وتلقي وإذاعة الأنباء والأفكار دون تقيد بالحدود الجغرافية وبأية وسيلة كانت".

وهذه المادة تتحدث عن حرّية التعبير عن الرأي بشتى الطرق والوسائل المتاحة، دون اعتداد بالحدود الجغرافية.

ثانيا ـ العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية : لم يكن الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الوحيد في الساحة الدولية الذي يهتم بحقوق الإنسان وحرياته الأساسية وإنما تبعه في ذلك عدة عهود ومواثيق أهمها وأبرزها العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية الذي جاء لتدارك ما وجّه من انتقادات للإعلان العالمي لحقوق الإنسان، حيث رأت فيه الكثير من الدول أنه لم يلب

[1] ـ ينظر: الإعلان العالمي لحقوق الإنسان المادتين (18) و (19).

الطموح المنوط به، وهذا لافتقاره على الصفة الإلزامية، فجاء العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية لسدّ هذه الثغرات، حيث اعتمد وعرض للتوقيع والتصديق والانضمام بموجب قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة 2200 ألف (د-21) المؤرخ في 16 ديسمبر1966[1]. وقد بلغ عدد الدول التي وافقت على هذا العهد ذلك العام 127 دولة، من بينها 13 دولة عربية.

ويتضمن هذا العهد ديباجة لا تختلف عن ديباجة ميثاق الأمم المتحدة والإعلان العالمي لحقوق الإنسان من حيث التأكيد على حقوق الإنسان وحرياته الأساسية ووجوب تعزيزها وترسيخها.

وتعتبر المادة (19) في العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية الإطار الدولي الأساسي الذي يقنّن حق حرية التعبير، والتي تنصّ على ما يلي[2]:

1. لكل إنسان حق في اعتناق آراء دون مضايقة؛

2. لكل إنسان حق في حرية التعبير. ويشمل هذا الحق حريته في التماس مختلف ضروب المعلومات والأفكار وتلقيها ونقلها إلى آخرين دونما اعتبار للحدود، سواء على شكل مكتوب أو مطبوع أو في قالب فني أو بأية وسيلة أخرى يختارها.

وهكذا نرى أن العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية قد أكّد على ضرورة حماية حق حرية التعبير عن الرأي باعتبارها حقا من حقوق الإنسان الأساسية التي تنبثق من كرامة الإنسان المتأصلة فيه.

ثالثا ـ الاتفاقية الأوروبية لحقوق الإنسان: تعتبر هذه الاتفاقية من الاتفاقيات الإقليمية التي اهتمت بحقوق الإنسان وحرّياته الأساسية، وقد تمّ التوقيع عليها من قبل دول أعضاء مجلس أوروبا في الرابع من نوفمبر من سنة 1950 في مدينة روما، ودخلت حيز التنفيذ في الرابع من سبتمبر 1953 بعد أن وقّعته 16 دولة.

([1])-محمد عطا الله شعبان: حرية الإعلام في القانون الدولي، مركز الإسكندرية للكتاب،الإسكندرية: 2007، ص57 .

([2]) ـ ينظر: المادة (19) من العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية.

وقد كان الدافع لهذه الفكرة هي المرحلة المظلمة التي مرّت بها القارة الأوروبية، والتي ميّزتها الحروب والدمار وعانى فيها الإنسان الأوروبي معاناة شديدة، فخرجت هذه الفكرة تحت ضغط الواقع المثخن بالدماء والدموع، وتعهدت الدول الموقّعة على هذه الاتفاقية على ضرورة الاتحاد خدمة لشعوبها التي عاشت فترات مظلمة[1].

وتنص المادة(10) من الاتفاقية الأوروبية لحقوق الإنسان على ما يلي:

"لكل شخص الحق في حرية التعبير،يشمل هذا الحق حرية الرأي، وحرية تلقي المعلومات أو الأفكار وإذاعتها من دون تدخل السلطات العامة ومن دون التقيد بالحدود الجغرافية".

وهذه المادة صريحة في التأكيد على حق الإنسان في التعبير عن آرائه دون تضييق ودون اعتبار للحدود الجغرافية.

وهكذا نرى أن حرية التعبير عن الرأي اكتست بعدا عالميا، وأصبحت متضمّنة في دساتير الدول، بل وأصبحت معيارا من المعايير التي تقاس بها الديمقراطية، فالدولة لا تكون ديمقراطية إذا كان التعبير عن الرأي فيها مكبّلا بالقيود والضوابط المفروضة، والعكس صحيح، أي أن الدولة التي لا تفرض قيودا على حرّية التعبير تكون أكثر ديمقراطية. وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على الحيّز الكبير والمساحة الشاسعة التي تحتلها حرية التعبير عن الرأي ـ باعتبارها أحد الدعائم الجوهرية ـ في حياة الدول والشعوب.

وإذا كان هذا هو موقع حرية التعبير في العهود والمواثيق الغربية...فما هو موقعها في الشريعة الإسلامية؟ وما موقف الإسلام من حرّية التعبير عن الرأي؟

([1]) ـ جابر إبراهيم الراوي: حقوق الإنسان والحريات الأساسية في القانون الدولي والشريعة الإسلامية، دار وائل ـ عمان، 1999، ص 118.

الفرع الثالث ـ موقف الإسلام من حرّية التعبير عن الرأي: إن الناظر والمتأمل للنصوص الشرعية لا يجد صعوبة في الوصول إلى أن الإسلام أعلى من شأن حرية التعبير عن الرأي التي ترتبط ارتباطا وثيقا بجملة من الحقوق الأخرى كالحق في التفكير والاعتقاد والنصح ...وغير ذلك، وهذا ما يدلّ على أنها ليست مجرّد حرية فقط، وإنما هي داخلة في دائرة التكليف والإلزام الإلهي ـ في بعض مجالاتها كما سنرى ذلك في المستوى الثاني ـ التي تستوجب الغضب الإلهي حال التقصير في ممارستها. وموقف الإسلام من حرية التعبير عن الرأي يمكن أن نلمسه من خلال مستويين:

أولا ـ المستوى النظري: ونقصد بالمستوى النظري الجذور التي تستمدّ منها حرية التعبير عن الرأي شرعيتها، وتعتبر حرّية التعبير عن الرأي في الإسلام إحدى فروع حرية التفكير، وهي نتيجة منطقية لحرية الفكر والاعتقاد الذي جاء الإسلام لإرسائها وترسيخها، فالإنسان في نظر الإسلام مسؤول مسؤولية عينية عمّا حمّله إياه من أمانة التكليف، ولما كان الإنسان كذلك فإن "ميزان العدل الإلهي اقتضى أن يكون حرّا في اعتقاد ما ينتهي إليه فكره الذي يختار به الطريق الذي يمضي فيه، وأن يكون بالتالي حرا في اعتقاد ما ينتهي إليه فكره من المعتقدات، إذ كيف لا يكون حرّا في اختيار طريقه، ولا حرا في اعتقاد ما ينتهي إليه ذلك الطريق، ثم هو يسأل عمّا لم يكن حرّا في اختياره، ويجازى عليه بالثواب والعقاب؟ إنها نتيجة لا تستقيم مع العدل الذي هو من صفات الكمال في حق الله سبحانه وتعالى"[1].

ومن هنا جاءت تشريعات الإسلام لتحرير فكر الإنسان من المكبّلات التي تعيق حركته عن التعامل الموضوعي مع موضوع البحث، وتوجّهه إلى نتائج مرسومة مسبقا لتكون له معتقدا.

ومن هذه التشريعات المحّررة للتفكير من العوائق الخارجية والداخلية الحائلة دون حرّيته في الحركة:

([1]) ـ عبد المجيد النجار: حرية التفكير والاعتقاد في المجتمع المسلم (الأبعاد والحدود)، مجلة إسلامية المعرفة، السنة الثامنة، عدد(31،32)،2002ـ2003، ص 23.

1 ـ النهي عن الخضوع للعادات والتقاليد المنحدرة من جهة الآباء والأجداد: والخضوع للعادات والتقاليد الآبائية من العوائق الخارجية التي تكبّل حرّية الإنسان وتصادر فكره، وتجعل العقل منساقا لمقتضياتها دونما أي محاولة لمعرفة الحسن من القبيح، والخير من الشرّ[1]، ومن هنا نجد الإسلام يذمّ هذا المسلك الذميم، قال تعالى ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ﴾ [سورة البقرة: 170]، وهذه الآية وردت في سياق التوبيخ والإنكار، وذمّ التقليد[2].

2 ـ النهي عن الخضوع للهوى: والخضوع للهوى سواء بميل لشهوات النفس، أو التعصب الأعمى لفكرة أو لنحلة أو لعرق... من العوائق الداخلية التي تكبّل حركة الفكر في عملية البحث عن الحقيقة، والتي جاء الإسلام للتحذير منها، والنهي عنها، وفي ذلك يقول تعالى ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ ﴾ [سورة ص:26]

وكما جاءت تشريعات الإسلام محرّرة لفكر الإنسان من المكبّلات الخارجية والداخلية، فإنها في مقابل ذلك حثّت الإنسان على النظر ودعته إلى التدبّر والتفكر في الآيات الكونية والتكوينية والقرآنية، وجعلت التفكير ليس مجرّد حق من الحقوق فحسب، وإنما هو واجب من الواجبات وعبادة

(1) ـ عبد المجيد النجار: حرية التفكير والاعتقاد في المجتمع المسلم (الأبعاد والحدود)، مرجع سابق، ص28.
(2) ـ ينظر: محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج2، ص 107.

الفصل الأول ـ مفهوم الإساءة للمقدّسات الدينية

من العبادات، بل هو فريضة شرعية[1]. فالوصول إلى الاعتقاد السليم، يمرّ عبر تحريك وظائف العقل من نظر وتدبر وتفكر وتأمل في الآيات الكونية والتكوينية والقرآنية. ومن هنا فلا كرامة للعقل المعطّل عن التفكير، وقد شبّه الله أولئك الذين امتنعوا عن التفكير بالأنعام في الضلال، قال تعالى

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴾ [سورة الأعراف: 179]

وفي سبيل إطلاق العقل للتفكير في أوسع نطاق عالم الشهادة نجد القرآن الكريم يوجهه للعمل في عدة مجالات، يمكن إجمالها في ثلاثة مجالات أساسية كبرى:

الأول: توجيه العقل إلى تدبر آيات الله في الكون آفاقا وأنفسا، وذلك لتحقيق غايتين[2]:

أولهما: الإيمان وترقيته بالتعرّف على الحق سبحانه، وفي ذلك يقول المولى تبارك وتعالى:

﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [سورة آل عمران: 190]

وقال سبحانه ﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْـَٔايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ [سورة يونس:101]

وقال أيضا﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [سورة النحل: 12]

([1]) ـ وقد ألف في ذلك "عباس محمود العقاد "كتابه الشهير (التفكير فريضة إسلامية).

([2]) ـ صالح نعمان: منهج البحث في علم العقيدة في ضوء التطور العلمي المعاصر، أطروحة دكتوراة (غير منشورة)، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية ـ قسنطينة، 2003، ص109.

وثاني الغايتين: تتمثل في معرفة أسرار الكون وكشف السنن التي تحكمه وتسيره، قصد تسخيره والانتفاع بما فيه لعمارة الأرض، ذلك أن الله سبحانه وتعالى سخرّ هذا الكون للإنسان تسخيرا معرفيا وماديا ودعاه إلى إعمال عقله في استثمار ما منحه إيّاه، فقال تعالى:

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ [سورة إبراهيم: 32 ـ 34]

وقال عزّ من قائل﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [سورة الجاثية: 13]

الثاني: توجيه العقل إلى تدبرّ نصوص الشريعة وفهم معانيها، وإدراك الحكم والأسرار والمقاصد التي تضمنتها، ثم الاجتهاد في هذه النصوص لاستنباط الأحكام الشرعية منها[1].

ومن الآيات التي تدعو إلى تدبر حكمة التشريع ومقاصده، قوله تعالى:

﴿ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾

[سورة البقرة: 179]

(1) ـ توفيق عز الدين: دليل الأنفس بين القرآن الكريم والعلم الحديث ، دار السلام ـ القاهرة، ط3: 2004، ص29.

﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ ۚ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [سورة البقرة: 184]

وقال جلّ وعلا﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[سورة التوبة: 103]

الثالث: توجيه العقل إلى التدبّر في السنن الإلهية التي تحكم المجتمعات الإنسانية بما في ذلك ما يطرأ عليها من رُقيّ وانحطاط، ونجاح وفشل، وسعادة وشقاء على مرّ التاريخ وهي سنن ثابتة ﴿ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾

[سورة الأحزاب: 62] ما على العقل إلاّ تدبرها من أجل الاعتبار ثمّ الانتفاع بها، ومن ثمّ إقامة المجتمع الإنساني الصالح[1].

ومن الآيات التي توجّه عقل الإنسان إلى النظر والتفكر في تاريخ الأمم السابقة:

قوله تعالى﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾

[سورة الأنعام:11]

وقوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ۚ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ [سورة النحل: 36]

(1) ـ ينظر: محمد قطب: منهج التربية الإسلامية، دار الشروق ـ بيروت، ط10: 1987، ج1، ص113.

وقال أيضا ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُواْ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾[سورة الروم:9]

وبهذه المجالات الثلاثة يُوجّه القرآن الكريم العقل الإنساني ويُسددّه حتى يكون قادرا على إدراك مصالحه الدنيوية والأخروية ويحميه من الظلال والتيه والزيغ. وفي ذلك دلالة على مكانة العقل وحرية الفكر والتفكير في الإسلام، وأن التفكير الحر السليم هو السبيل للوصول إلى الاعتقاد السليم، ومن ثم جعل الإسلام الاقتناع أساس الإيمان، ذلك أن الإكراه أو الإجبار يثمر نفاقا ولا يثمر إيمانا، قال تعالى ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ۖ ﴾ [سورة البقرة:256]، وقال أيضا ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [سورة يونس: 99]

وهكذا نرى أن حرية التعبير عن الرأي في الإسلام تستمدّ شرعيتها من حرّية التفكير التي أعلى الإسلام من شأنها حين جعلها ليست مجرّد حق من الحقوق فحسب، وإنما هي إحدى الفرائض الإسلامية. ولا يمكن للإسلام الذي أطلق العنان للعقل للعمل في أوسع نطاق عالم الشهادة أن يمنعه من التعبير عمّا يجول في ذهنه، وعما وصل إليه فكره من آراء سياسية أو دينية أو علمية...[1].

كما لا يمكن للإسلام الذي اعترف بوجود بالآخرين، وجعل الاختلاف بين البشر سنة كونية

(1) ـ وهذا لايعني البتة إطلاق حرية التعبير عن الرأي دون ضوابط وقيود، والتي سنتحدث عنها في حينها.

الفصل الأول ـ مفهوم الإساءة للمقدّسات الدينية

﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ ﴾[1] [سورة هود: 118 ـ 119]،

وأقرّ بالحرية الدينية ﴿ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ ﴾[سورة الكهف: 29]، واعترف بمعتقد الآخرين ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ [سورة الكافرون:6]، أن يمنع أحدا من ممارسة حقّه في العبادة، وإظهار شعائر دينه[2].

وهذا هو المستوى الأول الذي يوضّح موقف الإسلام من حرّية التعبير عن الرأي.

ثانيا ـ المستوى العملي: ونقصد بالمستوى العملي لحرّية التعبير عن الرأي القنوات والمجالات التي قرّرها الإسلام لممارسة الحقّ في التعبير عن الرأي، والتي تبيّن بجلاء ووضوح موقفه من ذلك، ويمكن إجمالها في أربعة مجالات:

1 ـ التعبير عن الرأي في المسائل الاجتهادية: فقد أقرّ الإسلام الاختلاف في المسائل الاجتهادية، وجعله داخلا ضمن منظومته التشريعية، ومن الأدلة على ذلك[3]:

([1]) ـ ومعنى قوله تعالى ﴿ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ ﴾ أي: وللاختلاف خلقهم، وهذا هو تفسير ابن عباس والحسن البصري، وغيرهما من السلف، وهو اختيار ابن جرير الطبري. ينظر: الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: عبد الله التركي، دار هجر ـ القاهرة، ط1: 2000، ج12، ص 637 ـ 641.

([2]) ـ وممارسة الشعائر الدينية تعدّ مظهرا من مظاهر التعبير عن الرأي(المعتقد) الذي هو نتاج تفكير عقلي ثم تصديق قلبي، والتي أقرها الإسلام بإقراره لحرّية المعتقد. وإقرار الإسلام بذلك (حرية المعتقد وممارسة الشعائر) هو موقف مبدئي، على اعتبار أن عوامل عدة تتحكم في ذلك تضييقا وتوسعة من قبيل التوظيف السياسي الغربي للأقليات الدينية في المجتمعات المسلمة، والتي تحتّم على حكومات الدول المسلمة ضبط وتقييد ـ لا إلغاء ـ هذا الحق حتى لا يستغل ولا يكون أداة للتدخل الخارجي التي تفضي إلى تفتيت الدول المسلمة.

([3]) ـ الشريف حاتم العوني: اختلاف المفتين، دار الصميعي ـ الرياض، ط1: 2008، ص 11 وما بعدها.

أ ـ تجويز الاجتهاد: فعن عمرو بن العاص(رضي الله عنه) أنه سمع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول:"**إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب، فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر**"[1]. وتجويز الاجتهاد يعني بالضرورة تجويز الاختلاف.

ب ـ تجويز الاختلاف بصورة مباشرة: فعن عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما) قال:"نادى فينا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يوم انصرف عن الأحزاب (**أن لا يصلّين أحد الظهر إلا في بني قريظة**)، فتخوّف ناس فوت الوقت فصلّوا دون بني قريظة، وقال آخرون: لا نصلي إلا حيث أمرنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وإن فاتنا الوقت، قال: فما عنّف واحدا من الفريقين"[2].

فإقراره (صلى الله عليه وسلم) لكلا الطائفتين، وعدم تعنيفه لأحدهما فيه دليل على جواز الاختلاف في مسائل الاجتهاد.

ج ـ الإجماع على جواز الاختلاف: ويشهد التاريخ الفقهي على اختلاف فقهاء وعلماء الأمة في المسائل الاجتهادية منذ عصر الصحابة إلى يوم الناس هذا، حيث جاءت كتب الفقه والعقيدة مليئة بأقوال وآراء العلماء الفقهية والعقدية التي تبيّن اختلافهم في المسائل الفرعية، وهذا ما يدلّ على جوازه، وقد نقل الإمام النووي[3] الإجماع على ذلك حين قال" أما الاختلاف في استنباط فروع الدين منه ومناظرة أهل العلم في ذلك على سبيل الفائدة وإظهار الحق واختلافهم في ذلك فليس

([1]) ـ صحيح البخاري: كتاب (الاعتصام بالكتاب والسنّة)، باب (إذا اجتهد الحاكم فأصاب أو أخطأ)، رقم (7352). صحيح مسلم: (كتاب الأقضية) باب (بيان أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ)، رقم (1716).

([2]) ـ أخرجه مسلم: كتاب (الجهاد والسير)، باب (من لزمه أمر فدخل عليه آخر)، رقم (1770).

([3]) ـ الإمام النووي(631هـ ـ 676هـ): هو أبو زكريا، محيي الدين، يَحْيَى بن شَرَف بن مُرِي بن حسن بن حسين بن محمد بن جمعة بن حِزام، النووي، ثم الدمشقي، من كبار محقّقي المذهب الشافعي، له الكثير من التصانيف في علوم مختلفة من فقه وحديث ولغة... من أشهرها: "منهاج الطالبين وعمدة المتقين"، "التبيان في آداب حملة القرآن"، "تهذيب الأسماء واللغات"، وغيرها. ينظر: ابن العطار: تحفة الطالبين في ترجمة الإمام محي الدين، الدار الأثرية ـ الأردن، ط1: 2007، ص 40 ـ 44.

منهيا عنه، بل هو مأمور به وفضيلة ظاهرة وقد أجمع المسلمون على هذا من عهد الصحابة إلى الآن"[1].

وهكذا نرى أن تجويز الإسلام للاختلاف في المسائل الاجتهادية يعدّ مظهرا من مظاهر إقراره بحرّية التعبير عن الرأي، وأن اختلاف علماء الإسلام في فروع الدين يعدّ مجالا من مجالات التعبير عن الرأي في المجتمع المسلم.

2 ـ التعبير عن الرأي في الجدال بالحسنى[2]: يعتبر الجدل بالحسنى مظهرا من المظاهر التي تجسّد حرّية التعبير عن الرأي في الإسلام، وغاية الجدل بالحسنى إظهار الحق، وقد كان ذلك منهج الأنبياء في دعوة أقوامهم، حيث أعلنوا جميعا أن﴿ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ﴾ [سورة الأعراف:65]

ويعتبر القرآن الكريم الجدل بالحسنى هو المنهج الأسلم والأمثل والأحكم لعرض عقيدة الإسلام، لذلك جاء الأمر الإلهي بالالتزام به، قال تعالى ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾ [سورة النحل:125]

وقال أيضا ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾[سورة العنكبوت: 46]

([1]) ـ النووي: شرح صحيح مسلم، دار إحياء التراث ـ بيروت، ط3: 1984، ج16، ص217.

([2]) ـ تعتبر "عائشة بنت الشاطئ" في كتاب (القرآن وقضايا الإنسان) أن حرية التعبير عن الرأي تبرز بشكل أكبر من خلال الجدل في أمر الدين، وما يتصل به من أحكام.

الفصل الأول ـ مفهوم الإساءة للمقدّسات الدينية

وفي القرآن الكريم نماذج للجدل بالحسنى تظهر شكلا آخر من أشكال التعبير عن الرأي في الإسلام، فهذه خولة بنت ثعلبة[1] تحاور رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وتجادله في أمر زوجها، حتى سمع الله قولها في الملأ الأعلى[2] ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾ [سورة المجادلة: 01]

ومثل هذا الحوار نجده بين الله ورسله، فقد حاور إبراهيم (عليه السلام) ربه تبارك وتعالى في الحقّ حتى اطمئن قلبه إلى الإيمان ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [سورة البقرة: 260]

وهكذا نرى أن الجدل بالحسنى في مجال الدين وشؤون الدنيا ضرورة لازمة وحجة قائمة، وحجبها لا محالة يفضي إلى الانحراف والاستبداد بالرأي، ذلك أن الجدل طبيعة بشرية وفطرة إنسانية[3]، قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴾[سورة الكهف: 54]

([1]) ـ خولة بنت ثعلبة: هي خولة بنت ثعلبة بن أصرم بن فهد بن ثعلبة بن غنم بن عوف من ربات الفصاحة والبلاغة والجمال وصاحبة النسب الرفيع، زوجها هو أوس بن الصامت أخو عبادة بن الصامت، وهو ممن شهد بدراً وأحداً، وأغلب الغزوات مع رسول الله(صلى الله عليه وسلم) وأنجبت منه زوجته خولة ولدها الربيع بن أوس. وهي المرأة التي نزلت فيها الآيات الأولى من سورة المجادلة. حيث نادت ربها: " اللهم إني أشكو إليك ما نزل فيّ"، فأنزل الله تعالى قوله في سورة المجادلة. ينظر: ابن حجر العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عادل عبد الموجود، علي معوّض، دار الكتب العلمية ـ بيروت، ط1: 1995، ج8، ص 118 ـ 1193.

([2]) ـ ينظر: القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: عبد الله عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة ـ بيروت، ط1: 2006، ج20، ص280.

([3]) ـ إبراهيم شوقار: منهج القرآن في تقرير حرية الرأي، دار الفكر المعاصر ـ بيروت، ط1: 2002، ص51.

3 ـ التعبير عن الرأي في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: يعتبر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر القناة الثالثة لممارسة حرّية التعبير عن الرأي في المجتمع الإسلامي، ويشير القرآن الكريم إلى أن الأمة المحمدية تميّزت بخاصية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،نقرأ هذا في قوله تعالى﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ ﴾[سورة آل عمران:110]

ومن هنا اعتبر الإسلام التعبير عن الرأي في مواجهة المنكرات السائدة في المجتمع لا مجرّد فضيلة فحسب، وإنما هي داخلة ضمن دائرة الواجبات، قال تعالى ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [سورة آل عمران:104]

وقال (صلى الله عليه وسلم) :"**من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان**"[1].

ويذهب الإسلام إلى أبعد من ذلك في ترسيخه ل"ثقافة" التعبير عن الرأي في مواجهة المنكرات السائدة[2]، حين بيّن أن الإخلال بهذا الواجب أو التقصير في أدائه يعرّض الأمة للعقاب الإلهي، قال تعالى ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾
[سورة المائدة: 78 ـ 79]

([1]) ـ أخرجه مسلم، كتاب (الإيمان)، باب (بَاب بَيَانِ كَوْنِ النَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ من الإيمان...)، رقم (78).

([2]) ـ والتعبير عن الرأي يكون ـ طبعا ـ بضوابطه وشروطه الشرعية، حتى لا يتحول التعبير عن الرأي في حد ذاته منكرا ينبغي إصلاحه وتقويمه.

وقال تعالى ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾[سورة الأنفال:25]

وهكذا نرى أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أهم صور التعبير عن الرأي وأضخم أشكاله في الإسلام، وهو يتجاوز ـ كما رأينا ـ كونه فضيلة من الفضائل إلى حيث هو واجب من الواجبات يشمل الفرد كما يشمل الأمة.

4ـ **التعبير عن الرأي في الشورى**: تعتبّر الشورى من القنوات الرئيسية لتداول الرأي في المجتمع الإسلامي، والتي تعبّر بوضوح وجلاء عن الصلة الوثيقة بينها وبين حرية التعبير، ذلك أن الشورى هي تبادل للآراء داخل نطاق الجماعة الواحدة، حيث يسود فيها الرأي والرأي الآخر.

وقد أشار القرآن الكريم إلى أن الشورى هي من خصائص المجتمع المسلم، قال تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴾[سورة الشورى:38]، وورود الشورى مع الإيمان وإقامة الصلاة يدلّ على جلالة قدرها وموقعها في الإسلام[1].

وفي سبيل ترسيخ هذا المبدأ ـ الذي يعدّ مظهرا من مظاهر حرية التعبير عن الرأي ـ في المجتمع المسلم يجيء الخطاب الإلهي موجها للنبي (صلى الله عليه وسلم) بضرورة استشارة صحابته الكرام (عليهم الرضوان)، قال تعالى ﴿ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ ﴾ [سورة آل عمران:159]، وهذه الآية تأمر النبي (صلى الله عليه وسلم) بالاستعانة برأي صحابته في شؤون الأمة وقضاياها[2].

وقد جاءت سيرته (صلى الله عليه وسلم) العطرة مؤكّدة على هذا المبدأ القرآني، وحافلة بالكثير من المواقف التي استشار فيها (صلى الله عليه وسلم) صحابته الكرام، ومن ذلك استشارته (صلى الله

([1]) ـ ينظر: الجصاص: أحكام القرآن، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، 1992، ج5، ص 263.

([2]) ـ والشورى التي أمر بها النبي (صلى الله عليه وسلم) تكون في غير أمر التشريع، لأن الأمور التشريعية تستند إلى الوحي ولا دخل للشورى فيها. ينظر تفصيل ذلك: ابن العربي: أحكام القرآن، دار الكتب العلمية ـ بيروت، ج1، ص389. التحرير والتنوير:147/4 وما بعدها..

عليه وسلم) لصحابته الكرام في شأن خوض واقعة بدر"[1]، ثم استشارته بعد ذلك في شأن أسارى بدر[2]، وغيرها من الحالات التي ساد فيها الرأي والرأي الآخر من أجل الخروج بموقف يخدم الدعوة الإسلامية.

وهكذا نرى أن حرية التعبير عن الآراء هذه التي ربّى عليها النبي (صلى الله عليه وسلم) صحابته الكرام "مكّنت مجتمعهم من الاستفادة من عقول جميع أهل الرأي السديد والمنطق الرشيد، فالقائد فيهم ينجح نجاحا باهرا وإن كان حديث السن، لأنه لم يكن يفكّر برأيه المجرّد أو آراء عصبة مهيمنة عليه قد تنظر لمصالحها الخاصة قبل أن تنظر لمصلحة المسلمين العامة، وإنما يفكّر بآراء جميع أفراد جنده، وقد يحصل له الرأي السديد من أقلهم سمعة وأبعدهم منزلة من ذلك القائد، لأنه ليس هناك ما يحول بين أي فرد منهم والوصول برأيه إلى قائد جيشه"[3].

ومن هنا كانت الشورى ـ إضافة إلى ما ذكرنا ـ إحدى القنوات التي تعكس بوضوح وجلاء موقع حرية التعبير عن الرأي في الإسلام، ومدى احترام الإسلام للرأي والرأي الآخر في سبيل خدمة المجتمع وقضايا الأمة، كما بيّنت هذه المجالات من أن حرّية التعبير عن الرأي في الإسلام ليست مجرّد كلمة تقال ولا شعار يرفع في ظل إكراهات اللحظة الراهنة، وإنما تجسّدت عمليا في المسائل الاجتهادية، والجدل بالحسنى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والشورى، وكل هذه المجالات تعبّر عن المستوى العملي لحرّية التعبير في الإسلام.

وبعد هذه الجولة التي تحدثنا فيها عن موقع حرية التعبير عن الرأي في العهود والمواثيق الدولية وكذا في الشريعة الإسلامية، نرى بأن العهود والمواثيق الدولية اهتمت بحرية التعبير عن الرأي اهتماما بالغا، ولا أدلّ على ذلك من جعلها إحدى المؤشرات الرئيسية لتقدم الدول وتخلفها، وكذلك الحال بالنسبة للشريعة الإسلامية التي بيّنت أن تماسك المجتمع وتقدم الأمة وتطورها مرهون بمدى فتح قنوات التعبير عن الرأي فيها، فلا ارتقاء لأمة كبتت أنفاس أفرادها في إبداء الرأي، أو منعت أفرادها من التفوه بالحق.

([1]) ـ صحيح مسلم كتاب (الجهاد والسير)، باب (غزوة بدر)، رقم (1779).

([2]) ـ ينظر: ابن كثير: البداية والنهاية، مكتبة المعارف ـ بيروت، 1990، ج2، 297.

([3]) ـ عبد العزيز الحميدي: التاريخ الإسلامي مواقف وعبر، دار الدعوة ـ الاسكندرية، ط1: 1997، ج4، ص 110.

ولما كانت حرّية التعبير عن الرأي تتجاوز الفرد وتمتدّ آثارها إلى المجتمع، كان ضروريا الحديث عن حدود حرّية التعبير عن الرأي وضوابطها سواء في العهود والمواثيق الدولية أو في الشريعة الإسلامية، وهذا حتى لا تستغلّ للإساءة لمشاعر الآخرين من خلال المساس بمقدّساتهم بشكل أو بآخر. ولعلّ الحديث عن هذه الضوابط من الصعوبة بمكان، فبين حرية التعبير عن الرأي والإساءة إلى الآخرين خيط دقيق نتيجة التداخل الحاصل بينهما، فما هي الضوابط التي حرصت كلا من العهود والمواثيق الدولية والشريعة الإسلامية على سنّها للحدّ من الاستغلال السيئ لحرية التعبير يا ترى؟؟؟

الفرع الرابع ـ ضوابط حرية التعبير عن الرأي في العهود والمواثيق الدولية والشريعة الإسلامية:

أولا ـ في العهود والمواثيق الدولية: حرصت اتفاقيات حقوق الإنسان على وضع تشريعات قانونية وتنظيمية تحدّ من حرية التعبير غير المنضبطة، وهذا نتيجة التجاوزات الخطيرة التي تشهدها الساحة الإعلامية على وجه الخصوص والتي تستغل هذا الحق قصد المساس بالآخرين قذفا وسبّا وسخرية...ونحو ذلك، مما جعل حرية التعبير تتحوّل إلى أداة لبث الفرقة وزرع العنصرية وتأجيج الصراع بين أفراد العائلة البشرية، عوض أن تكون أداة للبناء تساهم في ترسيخ العملية الديمقراطية من خلال مراقبة الشعب للمسؤولين، والوصول إلى الحقيقة، وكشف الباطل...لذا كان لابد من "خلق توازن بين ممارسة ذلك الحق والدخول في دائرة المحظور، كما وجب تحديد الواجبات تجاه ممارسة هذا الحق، عبر تحديد القيود الجائز فرضها لحماية المجتمع من مثل تلك الأفكار الهدامة، أو التي تمسّ الأمن القومي، أو الآداب العامة، ويجب التأكيد هنا على أن الأصل في ممارسة الحقوق هو السماح، والاستثناء هو التقييد، أي أن التقييد يجب أن يكون في أضيق نطاق، وأن تفرضه الضرورة بما لا يمّس حقوق وحرّيات الأفراد، فالقيود التي يمكن فرضها يجب أن يحدّدها القانون"[1].

ومن هنا نصّت مواد القانون بشكل عام، والمواد المقرّرة لحرّية التعبير عن الرأي بشكل خاص على بعض الضوابط والقيود التي يجب أخذها بعين الاعتبار عند ممارسة هذا الحق، دون أن يعني ذلك قمعه أو إبطال مفعوله، ومن هذه القوانين:

ـ ما جاء في المادة (12) من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان في 10 ديسمبر 1948:

([1]) ـ محمد الحارثي: الحدود بين حرية التعبير والإساءة إلى الآخر، منشورات مركز السلطان قابوس العالي للثقافة والعلوم ـ مسقط، 2014، ص 95 ـ 96.

الفصل الأول ـ مفهوم الإساءة للمقدّسات الدينية

"لا يعرض أحد لتدخل تعسفي في حياته الخاصة أو أسرته أو مسكنه أو مراسلاته أو لحملات على شرفه وسمعته، ولكل شخص الحق في حماية القانون من مثل هذا التدخل أو تلك الحملات"[1].

ـ ما جاء في المادة (20) من العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية في 16 ديسمبر 1966:

أ ـ "تحظر بالقانون أية دعاية للحرب".

ب ـ " تحظر بالقانون أية دعوة إلى الكراهية القومية أو العنصرية أو الدينية تشكل تحريضا على التمييز أو العداوة أو العنف"[2].

ـ ما جاء في المادة (10) من الاتفاقية الأوروبية لحقوق الإنسان في 4 نوفمبر 1950:

أ ـ " لكل إنسان الحق في حرية التعبير. هذا الحق يشمل حرية اعتناق الآراء وتلقى وتقديم المعلومات والأفكار دون تدخل من السلطة العامة، وبصرف النظر عن الحدود الدولية، وذلك دون إخلال بحق الدولة في تطلب الترخيص بنشاط مؤسسات الإذاعة والتلفزيون والسينما".

ب ـ " هذه الحريات تتضمن واجبات ومسؤوليات. لذا يجوز إخضاعها لشكليات إجرائية، وشروط، وقيود، وعقوبات محددة في القانون حسبما تقتضيه الضرورة في مجتمع ديمقراطي، لصالح الأمن القومي، وسلامة الأراضي، وأمن الجماهير وحفظ النظام ومنع الجريمة، وحماية الصحة والآداب، واحترام حقوق الآخرين، ومنع إفشاء الأسرار، أو تدعيم السلطة وحياد القضاء"[3].

وفي تأكيدها على ضرورة احترام الأديان على وجه الخصوص، أصدرت الأمم المتحدة سنة 1981 قرارا تحت رقم (36/55) يقضي بأن "إهانة واحتقار الأديان يعتبر خرقا لميثاق الأمم المتحدة"[4].

وهكذا نجد الاتفاقيات الدولية والإقليمية الغربية قيّدت حرية التعبير عن الرأي ببعض القيود التي تدخل في إطار الحفاظ على حقوق الآخرين وسمعتهم، والحفاظ على الأمن العام، والنظام العام، وبالصحة العامة، والأخلاق، مع ملاحظة عدم وجود نصوص واضحة وصريحة تجرّم الإساءة

([1]) ـ ينظر: المادة (12) من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان.

([2]) ـ ينظر المادة (20) من العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية.

([3]) ـ ينظر: المادة (10) من الاتفاقية الأوروبية لحقوق الإنسان.

([4]) ـ ينظر: قرار (55/36)للجمعية العامة للأمم المتحدة لسنة 1981.

للمقدسات الدينية، وأن تكون لها خصوصية الاحترام، وهذا مرده إلى الخلفية الليبرالية لهذه التشريعات[1]، هذه الخلفية التي أقصت الدين وأخرجته من دائرة المقدّس، وجعلت من حرية التعبير حقا مطلقا، وهو أسمى ما وصلت إليه النظم الديمقراطية الحديثة، فهو من الحقوق المقدّسة التي تعلو ولا يعلى عليها، كما اعتبرت الدين من الأمور الثانوية في حياة الإنسان وليس من الأمور الضرورية، فهو شأن شخصي خالص، وبالتالي لا يمكن أن يكون هذا الأمر الثانوي قيدا لما هو مقدّس (حرية التعبير عن الرأي)، لأن ذلك يهدم الأسس القاعدية للنظام الديمقراطي!!!

وإذا كان هذا هو موقع الدين في الفكر الغربي ذو الخلفية الليبرالية، فإن الإساءة للمقدّسات الدينية ـ بناء على هذا الفكر ـ تدخل في إطار حرية التعبير، ولا يمكن أن تكون لها خصوصية الاحترام، ذلك أن الاحترام يكون للأشخاص لا للمعتقدات، أي أنهم يميّزون بين "الشخص" الذي لا يجوز الإساءة إليه، وبين "الفكرة" أو "العقيدة" التي يحملها ويعتنقها، والتي لا يوجد مانع من الإساءة إليها، لأنها لا تحظى بالاتفاق بين جميع البشر، وهذا ما يفسّر الإساءات الغربية المتكرّرة والمتعمّدة والمتصاعدة في حق المقدسات الدينية عموما، والمقدّسات الإسلامية على وجه الخصوص[2].

ثانيا ـ ضوابط حرّية التعبير عن الرأي في التشريع الإسلامي: نظرا لأهمية التعبير عن الرأي وخطورة الكلمة، وعمق تأثيرها في المجتمع، فقد سعى الإسلام إلى ضبطها بضوابط أخلاقية لا تعني على الإطلاق الحدّ منها أو إبطال مفعولها، وإنما من أجل حماية المجتمع من تداعياتها اللامسؤولة التي أثبت التاريخ وكذا الواقع أن الحرية المطلقة مفسدة مطلقة، وأن عدم تقييدها أفضى إلى تأجيج نار العنصرية والفوضى، وزرع الكراهية بين الأمم والشعوب، مما جعل السلم والأمن الدوليين على صفيح ساخن، وما هذه الصورة النمطية السلبية التي يحملها الكثير من المسلمين عن الغرب إلا نتاج المساس

(1) ـ إن هذه الخلفية الليبرالية أو الحداثة الغربية هي نتاج ثورة العلماء والمفكرين الغربيين على الكنسية، هذه الثورة التي أفرزت واقعا جديدا أطلق فيه العنان للعقل، ونعت المقدس الديني بأقذع النعوت وأعنف الأقوال، وحفلت الأدبيات الغربية بالعديد من الكتابات المضادة للألوهية والدين والمقدس. ينظر: فهمي جدعان: المقدس والحرية، دار فارس ـ بيروت، ط1: 2009، ص 21.

(2) ـ المرجع نفسه، ص 29 وما بعدها.

بالمقدسات الدينية تحت مسمى حرية التعبير[1]، فأصبحت بذلك حرّية التعبير أداة لزرع الكراهية بين الأمم والشعوب، وسببا رئيسيا في ازدياد حالات العنف والقتل والترويع...ومن هنا نجد تشريعات الإسلام جاءت لضبط هذا الحق، وتقييده بجملة من الضوابط حماية للمجتمع من التعصب والكراهية، وحفاظا على الأمن والسلم الدوليين اللذين إذا فقدا فقد معهما كل شيء، فلا قيمة لأي حرّية في ظل التعصب والكراهية التي تفضي في نهاية المطاف إلى دماء ودموع وقتل وترويع... ويمكن إبراز احتياطات الإسلام في التعبير عن الرأي من خلال مسلكين:

المسلك الأول ـ اعتبار الكلمة أمانة: تنطلق الرؤية الإسلامية في تقييدها لحرية التعبير من خلال اعتبار الكلمة أمانة يتحمل قائلها مسؤولية ما يقول، قال تعالى ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ [سورة الإسراء:36]

وقال أيضا ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [سورة ق:18]

وقال في سورة أخرى ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ كِرَامًا كَٰتِبِينَ﴾ [سورة الانفطار:10 ـ 11]

وهذه النصوص ـ وغيرها كثير ـ تضع الإنسان أمام مسؤولية ما يصدر عنه من قول أو فعل، فهو مكتوب له أو عليه.

وفي سبيل إبراز خطورة الكلمة وأنها أمانة جاء التنبيه النبوي إلى أن أكثر ما يسبّب العذاب يوم القيامة هو التعبير باللسان، حيث قال (صلى الله عليه وسلم) لمعاذ بن جبل (رضي الله عنه) :"**ثكلتك أمّك، وهل يكبّ الناس على مناخرهم في جهنّم إلا حصائد ألسنتهم**"[2].

وقال (صلى الله عليه وسلم):"**إن العبد ليتكلّم بالكلمة من سخط ما يتبيّن فيها، يزلّ بها في**

([1]) ـ ذلك أن أحد الأسباب الرئيسية لتكوّن وتشكّل هذه الصورة السلبية عن الغرب هي الإساءات الغربية المتعمّدة للمقدسات الإسلامية مع سبق الإصرار، تحت ذريعة حرية التعبير عن الرأي.

([2]) ـ أخرجه أحمد، رقم (22063). وصحّحه الألباني: السلسلة الصحيحة، مكتبة المعارف ـ الرياض، ط1: 2002، ج7، ص 845.

النار أبعد مما بين المشرق"[1].

وكل هذه النصوص ـ وغيرها كثير ـ جاءت لضبط لسان الإنسان حتى يتحقق من كلامه ويراعي مآلاته التي قد تضرّ بالآخرين في عرضهم أو شرفهم أو كرامتهم، ذلك أن الإنسان قد يتأذى بالكلمة أكثر مما يتأذى بالاعتداء الجسدي، فالكلمة وقعها شديد على النفس، وهذا ما يفسّر حساسية الإسلام من الكلمة وتحذيره الشديد مما يتفوّه به الإنسان.

المسلك الثاني ـ تحريم المساس بالآخرين: وهذا المسلك يعدّ الجانب العملي لضبط التعبير عن الرأي في التشريع الإسلامي، حيث اعتبر الإسلام أن المساس بسمعة الناس أو كرامتهم أو شرفهم وحتى مشاعرهم وبأي وسيلة كانت، من كبائر الذنوب، لما له من أضرار اجتماعية وأخلاقية جسيمة، فنجده يحرّم الغيبة، قال تعالى ﴿ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾ [سورة الحجرات:12]

وحرّم السخرية من الناس لأن فيها إيذاء لكرامتهم، قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ ۖ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [سورة الحجرات:11]

كما حرّم تتبع عورات الناس وكشف عيوبهم والتشهير بهم بأي طريقة كانت، قال تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [سورة النور:19]

([1]) ـ صحيح مسلم، كتاب (الزهد والرقائق)، باب (التكلم بالكلمة يهوي بها في النار)، رقم (2988).

الفصل الأول ـ مفهوم الإساءة للمقدّسات الدينية

وحرّم سبّ غير المسلم (والذي يعدّ مظهرا من مظاهر الإساءة)، قال تعالى ﴿ وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرۡجِعُهُمۡ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ [سورة الأنعام:108]

ونجد الإسلام في تأكيده على ضرورة ضبط حرية التعبير عن الرأي بالضوابط الأخلاقية يحرّم تكفير المسلم[1] لما فيه من إساءة نفسية بالغة له، قال (صلى الله عليه وسلم):" **إذا قال الرجل لأخيه يا كافر، فقد باء به أحدهما**"[2].

ومن الضوابط التي شرعها الإسلام لضبط التعبير عن الرأي حرمة المساس بالمقدسات الدينية سبّا أو سخرية أو تهكّما...فلا يجوز أن تستغل حرية التعبير عن الرأي إلى الاستخفاف بالدين وشعائره، والنيل من الإسلام ومقدساته، وذلك لما فيها من إهانة لمشاعر الجماعة المسلمة، وزعزعة الأمن الفكري والسلم الاجتماعي لها، وإحداث شروخ في نسيج المجتمع[3]، قال تعالى في سياق النهي عن الاستخفاف بالمقدسات الدينية ﴿ وَمِنۡهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٞۚ قُلۡ أُذُنُ خَيۡرٖ لَّكُمۡ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤۡمِنُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ وَرَحۡمَةٞ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡۚ وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾ [سورة التوبة:61]

وهذه الآية تحكي عن المنافقين الذين كانوا يؤذون رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بالقول عن طريق السخرية والاستهزاء، فيقولون بأنه أذن، أي يتهمونه بأنه كان يصغي ويسمع كل ما يقال له فيصدقه، ولا يفرّق بين الحق والباطل، وجعلوها مادة للسخرية والاستهزاء، فتوعدهم الله بالعذاب الأليم على ما قاموا به من استخفاف بشخص رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وطعن في رسالته[4].

---

(1) ـ وهذا حتى لا يشهر سيف التكفير بمجرد الاختلاف في الرأي.

(2) ـ أخرجه البخاري، كتاب (الأدب)، باب (من أكفر أخاه بغير تأويل فهو كما قال)، رقم (6104).

(3) ـ وهنا ينبغي التفريق بين احترام المقدسات الدينية، وضرورة التصديق بمضمونها، فالإسلام يطالب بضرورة احترام المقدسات الدينية وعدم الإساءة إليها، دون أن يعني ذلك اعتناقها والإيمان بها تحت الإكراه.

(4) ـ تفسير الفخر الرازي: الرازي، دار الفكر ـ بيروت، ط1: 1981، ج16، ص 119.

الفرع الخامس ـ الحدود الفاصلة بين حرّية التعبير والمساس بالآخرين: بعد الحديث عن ضوابط حرية التعبير عن الرأي في التشريع الدولي وكذا التشريع الإسلامي نخلص إلى أن حرية التعبير عن الرأي تنتهي عند المساس بمشاعر الآخرين الذين لهم حق احترام وجدانهم الجمعي من خلال عدم التعرض لمقدّساتهم، ذلك أن المقدّس "يدخل في البنية النفسية والعضوية للاعتقاد والمعتقد، أي في العقل المعرفي وفي العقل الوجداني أو الشخصية الوجدانية للمعتقد. فجملة المشاعر العاطفية والانفعالية والوجودية التي تقترن في (شخص) المؤمن لا تنفصل إطلاقا عن ذات المعتقد نفسه، حين تقول لمؤمن إن محمدا منحرف (عاشق أطفال) أو (بيدوفيل)، فإنك تصيب مقتلا في نفسه وفي حساسيته الوجدانية، أي أنك تلحق به (إساءة نفسية)، أو عنفا نفسيا"[1].

وعليه فلا يمكن على الإطلاق أن تنتظر من هذا الشخص الذي أسيء إليه في مقدّساته أن يسكت عن هذه الإهانة، وهذا ما حدث ل"محمد بويري"[2] الذي انتقم من "ثيو فان غوغ"[3] وأرداه قتيلا في أحد شوارع أمستردام بسبب إخراجه فيلما يسيء فيه للإسلام. فأصبحت بذلك الإساءة لمشاعر الآخرين من خلال المساس بمقدّساتهم تهدّد السلم الاجتماعي وتعرّضه للخطر.

والقول بأن حرية التعبير ينبغي أن تتقيّد بحرمة المساس بالمقدّسات الدينية لما للإساءة للمقدسات من تداعيات خطيرة على السلم الاجتماعي، لا يعني البتة غلق باب النقد، وجعل كل اختلاف في الرأي أو الفكر أو الاعتقاد ذريعة لملاحقة المخالفين ورميهم بالكفر والزندقة بحجة الإساءة للمقدسات الدينية، لأن من شأن ذلك أن يفتح الباب واسعا للتضييق على حرية التعبير عن الرأي، وهنا ينبغي التفريق بين نقد المقدّسات والإساءة لها، فالنقد جائز ومشروع، وهو آلية من آليات حرية التعبير عن الرأي، لما فيه من بيان لحقيقة المقدّسات قصد إظهار ما فيها من حق أو باطل، ليتّخذ السامع منها موقف، بناء على ما يظهر له من ذلك الحق والباطل، فساحة التدافع في هذه الحال هي الحجة العقلية، أما السخرية والاستهزاء والتهكم وما في معناه فهي من الأمور المحرّمة والمجرّمة، لما فيها من

---

(1) ـ فهمي جدعان: المقدس والحرية، مرجع سابق، ص 30 ـ 31.

(2) ـ وهو شاب مسلم هولندي من أصول مغربية.

(3) ـ وهو مخرج وممثل ومنتج أفلام مثير للجدل في هولندا.

إيذاء ونكاية وجرح للمشاعر الدينية في نفوس أصحابها، ولا علاقة لها على الإطلاق بساحة الاحتجاج العقلي والنقد الموضوعي، وإنما هي باب واسع للاضطراب الاجتماعي[1].

وفي القرآن العظيم نجد تأصيلا لهذا التفريق بين نقد المقدّسات الدينية التي تدخل قي إطار التعبير عن الرأي، والإساءة لها، والتي تدخل في إطار إيذاء المشاعر الدينية في نفوس أصحابها، ومن الآيات الدالة على ذلك:

قوله تعالى ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [سورة التوبة:30 ـ 31]

ومن الآيات التي تؤصّل للفرق بين النقد والإساءة، قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴾ [سورة الأعراف: 194 ـ 195]

فهذه الآيات ـ وغيرها كثير ـ التي وردت في مقام نقد ونقض معتقدات اليهود والنصارى والوثنيين جاءت لكي توضّح الحدود الفاصلة بين حريّة التعبير عن الرأي والإساءة إلى الآخر، فللإنسان أن ينقد وينقض معتقدات غيره بالحجة، وبأسلوب علمي رصين، بعيدا عن السباب والشتيمة والانتقاص التي تؤدي إلى التهارج، وتفتح باب الاضطراب الاجتماعي، وهذا ما أوضحه صاحب

(1) ـ عبد المجيد النجار: حرية التفكير والاعتقاد في المجتمع المسلم، مرجع سابق، ص 44 ـ 45.

التحرير والتنوير في قوله :" وليس من السب (المنهي عنه) إبطال ما يخالف الإسلام من عقائدهم (أي غير المسلمين) في مقام المجادلة، ولكن السبّ أن نباشرهم في غير مقام المناظرة بذلك"[1].

وإذا تأملنا في ضوابط حرية التعبير عن الرأي في التشريع الإسلامي لوجدنا أن الإسلام قيّد التعبير عن الرأي بكل ما من شأنه أن يلحق الأذى الحسّي أو المعنوي أو الوجداني بالإنسان في دينه (معتقده) أو نفسه أو ماله أو عرضه أو عقله، تحت أي مسمّى كان، وبأي وسيلة كانت، وتحت أي ظرف من الظروف، ذلك أن الإنسان مخلوق مكرّم[2]، قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ [سورة الإسراء:70]

وهذا بخلاف التشريعات الغربية التي قيّدت حرّية التعبير عن الرأي بكل ما من شأنه أن يهدد حياة الآخرين أو يهضم حقوقهم، أو يسيء إلى سمعتهم، أو يهدّد الأمن العام... دون الإشارة إلى الدين الذي ـ كما رأينا ـ أخرجته من دائرة المقدّس، وجعلت الإساءة إليه تندرج ضمن حرّية التعبير عن الرأي، وهذا مردّه إلى اختلاف دائرة المقدّس بين التشريعات الغربية والتشريعات الإسلامية، بناء على مرجعية كل طرف وتصوره عن الكون والإنسان والحياة، فما يكون مقدّسا في الإسلام ليس بالضرورة أن يكون مقدّسا عند الغرب، وهذا ما يفسّر الإساءات الغربية المتكرّرة للمقدسات الدينية عموما وللمقدسات الإسلامية على وجه الخصوص.

وهكذا نرى أن كل مجتمع لديه من الدوائر المقدّسة ما يناسب مرجعيته ، فحين كان الأمن معظّما لدى كل الشعوب وجدنا التشريعات والقوانين التي تجرّم الدعوات التي تدعو إلى الاضطراب والفوضى، وحين كانت الأموال شيئا مهما في حياة الناس جاءت التشريعات والقوانين التي تجرّم السرقة وتحث عليها[3]، وفي المجتمعات الغربية نجد بعض قوانين الدول الأوروبية تمنع وتحرّم الدعوة إلى المذهب الشيوعي في بلدانها بأي وسيلة كانت[4].

([1]) ـ ابن عاشور: التحرير والتنوير:430/7 ـ 431.

([2]) ـ وهذا بخلاف التشريعات الدولية والغربية التي ميّزت بين الشخص والمعتقد، فجرّمت الإساءة للشخص وأباحت الإساءة للمعتقد!!!

([3]) ـ سلطان العميري: فضاءات الحرية، مرجع سابق، ص 465.

([4]) ـ محمد عصفور: أزمة الحريات في المعسكرين الشرقي والغربي، مطبعة لجنة البيان العربي ـ القاهرة، 1961، ص 73.

وفي بريطانيا ـ مثلا ـ قامت هيئة الرقابة على المصنفات الفنّية برفض عرض فيلم وثائقي على شاشات التلفاز عن إحدى الراهبات، بحجة أنه يمكن تأويله على أنه إهانة للدين النصراني[1].

وفي ألمانيا يحظر شراء أو بيع أو طباعة كتاب (كفاحي) للزعيم النازي "هتلر"، كما يحظر طباعة أو توزيع أي مقال أو كتاب يؤيد النازية[2].

وفي فرنسا اتهم القضاء المفكّر "روجيه غارودي" سنة 1998 بتهمة معاداة السامية، بسبب كتابه (الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية)"[3].

والشاهد من كل هذه النماذج أن لكلّ مجتمع دوائر مقدّسة لا يقبل بأي حال من الأحوال التعرّض لها، بل ويحارب من خلال المنظومة القانونية كل دعوة تسعى إلى المساس بها بأي شكل من الأشكال.

والتشريع الإسلامي لم يخرج عن هذه القاعدة المجتمعية الفطرية التي تقتضي تجريم كل ما يمسّ المقدسات، ولكنه اختلف عن غيره من التشريعات في دوائر المقدّس وحجمه، فإذا كان الفكر الغربي يخرج الدين من دائرة المقدّس، ويعتبره أمرا ثانويا في حياة الإنسان، فإن التصور الإسلامي يعتبره أمرا عظيما، وهو أقدس قيمة لدى المسلمين[4]، فلا فرق في التصور الإسلامي بين الاعتداء على أموال الناس وحقوقهم، وبين الاعتداء على عقائدهم ومقدّساتهم، بل إن الاعتداء على مقدّساتهم أشدّ ضررا، وأسوأ نتيجة، فالإنسان قد يتساهل في ماله وحقّه، ولكنه لا يتساهل في عقيدته ومقدّساته، لما للمقدسات في النفوس من حرمة لا تدانيها حرمة.

وبهذا نجد الإسلام أكثر دقّة وواقعية في ضبط حرّية التعبير عن الرأي من التشريعات الدولية والغربية، بما يحمي المجتمع من الفوضى والكراهية والتعصّب للدين أو العرق أو اللغة، وهو ما يؤكّد أهلية تشريعاته، خاصة في ظل تحدّيات اللحظة الراهنة، وما تعيشه البشرية من اضطرابات وصراعات وحروب.

([1]) ـ أحمد الدغشي: حرية التعبير عن الرأي في الغرب الحقيقة والوهم، مجلة البيان، العدد (222)، صفر 1427هـ/مارس 2006م، ص 62.

([2]) ـ المرجع نفسه، ص 62.

([3]) ـ شريف عبد العظيم: حرية التعبير في الغرب من سلمان رشدي إلى روجيه غارودي، دار نهضة مصر ـ القاهرة، ط1: 1991، ص 03.

([4]) ـ سلطان العميري: فضاءات الحرية، مرجع سابق، ص 466.

المبحث الثاني
ماهية المقدسات الدينية

قبل الحديث عن ماهية المقدّسات الدينية في اليهودية والمسيحية والإسلام، كان لزاما علينا تعريف المقدّس الديني باعتباره مركّبا إضافيا، من خلال تعريف المقدّس لغة واصطلاحا، ثم تعريف الدين لغة واصطلاحا، ومن ثمّ الخلوص إلى تعريف جامع للمقدس الديني الذي يتيح لنا معرفة المقدّسات الدينية في الأديان السماوية الثلاثة.

المطلب الأول ـ تعريف المقدس:

الفرع الأول ـ المقدّس لغة: ورد في لسان العرب «التقديس تنزيه الله عزّ وجلّ. ويقال: القدّوس فعّول من القدس، وهو الطهارة. والتقديس: التطهير والتبريك. وتقدّس: أي تطهّر. وفي التنزيل : ﴿ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ [سورة البقرة:30]، ومعنى نقدّس لك: أي نطهّر أنفسنا لك. ومن هذا بيت المقدس: أي البيت المطهّر أي المكان الذي يتطهّر به من الذنوب. وقدس: هو جبل معروف، وقيل: هو الموضع المرتفع الذي يصلح للزراعة. والمقدّس: الحبر. والمقدّس: المبارك»[1].

وإلى مثل هذه المعاني أشار صاحب "مختار الصحاح" « القُدْس والقُدُس: الطهر، اسم ومصدر، والتقديس: التطهير، وتقدّس: أي تطهّر، والأرض المقدّسة: المطهّرة»[2].

ولا يبتعد صاحب "تاج العروس" عن هذا المنحى، فيقول « القدس: البيت المقدّس، لأنه يتطهّر فيه من الذنوب، أو للبركة التي فيه»[3].

وهكذا نرى أن فعل (قدس) الذي اشتق منه لفظ (مقدّس) يتحدّد مجاله في المعاني الآتية: الطهر، البركة، التنزيه، العلو والخصوبة.

ورغم اختلاف معاني هذه الكلمة، إلا أنه لا تعارض بينها، فهي تدفع في اتّجاه واحد، فالطهر أو الطهارة تعني النقاء، وهو صفة ملازمة للتنزيه، أي التنزيه من العيوب والشوائب، والبركة قرينة الطهر، وكذلك الحال بالنسبة للعلو والارتفاع الذي هو حركة موازية لمعنى الطهر والبركة[1].

([1]) ـ ابن منظور: لسان العرب:3549/40.

([2]) ـ الجوهري: الصحاح: 960/3 ـ 961.

([3]) ـ الزبيدي: تاج العروس:355/16.

أما في المعاجم غير العربية فنجد أن كلمة مقدّس في الفرنسية sacré المشتقة من الكلمة اللاتينية sacer، تعني: الذي ينتمي إلى نطاق معزول، وممنوع، ولا مخترق، والذي يكون موضع احترام، أو الذي يستدعي احتراما مطلقا، والذي هو ضد محلل (profane). كما أن كلمة sacré لا تبتعد كثيرا عمّا يشاكلها في نفس اللغة، أي كلمة sancire بمعنى المحدود والمحمي[2].

وبهذا تكون بنية المقدّس في اللغة الفرنسية مركّبة من: معزول ممنوع، وهو موضع احترام في آن واحد. وهذه الازدواجية الدلالية لكلمة مقدّس (sacré) والتي يعتبرها "جون جاك فونبرجي" (J.J.Wuneburger) المجال الذي تتجلى فيه القداسة ليست خاصة أو حكرا على استعماله في الفرنسية، ولا على جذره اللاتيني فحسب، ولكنها سمة شابته حتى في اللغات السامية[3]، فالفعل العبري كدش Qadash، يعني الطاهر والمعزول عن الأشياء الأخرى، والذي يكون خاصا ببعض الأشياء كبعض الأماكن والأيام والطقوس والأشخاص... [4].

وهكذا نرى بأن المقدّس في اللغة ذو دلالات متعدّدة ومختلفة، فهو يجمع بين الطهارة والبركة والسموّ من جهة، ويجمع بين العزلة والمنع والحرمة، وما يعنيه ذلك من احترام وتبجيل من جهة أخرى.

الفرع الثاني ـ المقدّس اصطلاحا:

أولا ـ في الكتب السماوية:

1 ـ في العهد القديم: وردت كلمة المقدّس ومشتقاتها في نصوص العهد القديم في ثمانمائة وثلاثين (830) موضعا[5]، وقد وردت بصيغ متعددة، وهي لا تخرج عن معنى الطهارة والبركة والتحريم، والتي تخصّ بعض الأماكن والشعائر والأشخاص... كما ذكرنا قبل قليل، ومن ذلك:

ـ ما جاء في سفر العدد "**وعندما انتهى موسى من نصب المسكن ومسحه وتقديسه مع سائر أوانيه والمذبح مع أمتعته كلّها التي مسحها وقدّسها**"[6]، أي خصّها[1].

([1]) ـ ينظر: عبد العلي الدكالي: المقدّس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ـ جامعة ابن زهر ـ أغادير، ط1: 2016، ص 13.

([2]) ـ Dictionnaire Hachette, sacré

([3]) ـ J.J.Wuneburger, le sacré, Que sais-je éd puf,1990, p5

([4]) ـ ينظر: نخبة من اللاهوتيين: قاموس الكتاب المقدّس، مصدر سابق، ص 718. ينظر أيضا: نخبة من اللاهوتيين: دائرة المعارف الكتابية: 185/6.

([5]) ـ نخبة من اللاهوتيين: دائرة المعارف الكتابية: 185/6.

([6]) ـ سفر العدد: 1/7.

ـ وجاء في سفر اللاويين ما نصّه " **لتميّزوا بين المقدّس والمحلّل، النجس والطاهر**"[2]، فالمقدّس هنا ورد بمعنى المحرّم، وقد جاء في سياق التمييز والفرز بينه وبين غيره، فهو خاص بشيء دون آخر[3].

ـ كما جاء في نفس السفر ما نصّه "**وقال الرّب لموسى :أوص بني إسرائيل: إذا حملت امرأة وولدت ذكرا، تظل الأم في حالة نجاسة سبعة أيام، كما في أيام فترة الحيض، وفي اليوم الثامن يجرى ختان الطفل، وعلى المرأة أن تبقى ثلاثة وثلاثين يوما أخرى إلى أن تطهر من نزيفها، فلا تمسّ أي شيء مقدّس**"[4]. وقد جاء لفظ المقدّس في هذا الموضع بمعنى الطاهر الذي هو من جملة الأمور التي خصّها الرب بالحرمة[5].

ـ وجاء في سفر الخروج ما نصّه " **فمن مثلك يا رب بين كل الآلهة؟ من مثلك جليلا في القداسة**"[6]. أي: من مثلك جديرا بالطهارة؟[7]، وهي التي يختصّ بها الرّب ويتميّز بها دون سائر الآلهة الأخرى.

هذا وقد استخدم العهد القديم عدة كلمات للدلالة على معنى المقدّس، ومن ذلك[8]:

أ ـ حرّم: جاء في سفر العدد ما نصّه "**فاستجاب الرّب لهم وأظفرهم بالكنعانيين، فحرّموهم ومدنهم، فدعي اسم المكان حرمة**"[9]. أي فقدّسوهم ومدنهم، ومن ثمّ أصبح هذا المكان مقدّسا[10].

---

(1) ـ نخبة من اللاهوتيين: التفسير التطبيقي للكتاب المقدّس، شركة ماستر ميديا ـ القاهرة، ص236.

(2) ـ سفر اللاويين:10/10.

(3) ـ نخبة من اللاهوتيين: دائرة المعارف الكتابية: 185/6.

(4) ـ سفر اللاويين:1/12ـ4.

(5) ـ نخبة من اللاهوتيين: التفسير التطبيقي للكتاب المقدّس، مصدر سابق، ص284

(6) ـ سفر الخروج:11/15.

(7) ـــ نخبة من اللاهوتيين: قاموس الكتاب المقدّس، مصدر سابق، ص 718.

(8) ـ نخبة من اللاهوتيين: دائرة المعارف الكتابية: 185/6.

(9) ـ سفر العدد 3/21.

(10) ـ ينظر:نخبة من اللاهوتيين: قاموس الكتاب المقدّس، ص 299.

ب ـ نذر: جاء في سفر العدد ما نصّه "**ويكون كلّ أيام نذره مقدّسا للرّب**"[1]. فأيام النذر هي أيام مقدّسة، ينعزل فيها اليهودي ويكرّس نفسه لخدمة الرّب، من خلال طقوس خاصة تجمع بين المحظورات والواجبات [2].

ج ـ كرّس: جاء في سفر اللاويين ما نصّه "**ولا تفارقوا مدخل خيمة الاجتماع سبعة أيام إلى يوم اكتمال تكريسكم، لأن الرّب يكرّسكم سبعة أيام**"[3].فكلمة التكريس استخدمت للدلالة على التخصيص والتقديس[4].

وهكذا نرى أن مصطلح المقدّس في نصوص العهد القديم يعني الطاهر المبارك السامي، الذي له خصوصية الاحترام والتبجيل، ولا يجوز تدنيسه والإساءة إليه بأي شكل من الأشكال.

2 ـ في العهد الجديد: تستخدم كلمة مقدّس ومشتقاتها لترجمة الكلمة اليونانية (أجيازو) ومشتقاتها، وقد وردت كلمة المقدّس ومشتقّاتها في العهد الجديد حوالي 320 مرة[5]، وتدور حول معاني الطهارة والكمال[6]، ومن النصوص الدالة على هذه المعاني:

أ/ ما جاء في الرسالة إلى العبرانيين " **اجعلوا هدفكم أن تسالموا جميع الناس، وتعيشوا حياة مقدّسة. فبغير قداسة لا يقدر أحد أن يرى الرّب**"[7]. أي بغير طهارة لا يمكن أن تؤدى أي عبادة[8].

ب/ وجاء في سفر متى ما نصّه "**فعندما ترون رجاسة الخراب، التي قيل عنها بلسان دانيال النبي قائمة في المكان المقدّس...**"[9].

---

(1) ـ سفر العدد: 8/6.

(2) ـ ينظر:نخبة من اللاهوتيين: دائرة المعارف الكتابية: 51/8.

(3) ـ سفر اللاويين: 33/8.

(4) ـ نخبة من اللاهوتيين: دائرة المعارف الكتابية: 335/7.

(5) ـ المصدر نفسه:191/7.

(6) ـ إرسالية كنيسة الله: إيمان الكنيسة الأولى، مطبعة رعمسيس ـ مصر، ص 24.

(7) ـ الرسالة إلى العبرانيين:14/12.

(8) ـ نخبة من اللاهوتيين: التفسير التطبيقي للكتاب المقدّس، ص2668.

(9) ـ سفر متى:15/24.

ج/ كما جاء في الرسالة الأولى إلى مؤمني كورنثوس ما نصّه "**وإن كان لامرأة زوج غير مؤمن ويرتضي أن يساكنها فلا تتركه، ذلك أن الزوج غير المؤمن قد تقدّس في زوجته، والزوجة غير المؤمنة قد تقدّست في زوجها، وإلا كان الأولاد في مثل هذا الزواج نجسين، والحال أنهم مقدّسون**"[1].

وهكذا نرى أن مصطلح المقدّس في العهد الجديد ورد بنفس المعاني التي وردت في العهد القديم، كالطهارة والخلاص من الخطيئة، والانفصال عن كلّ نجاسة حسّية كانت أم معنوية، والذي يستلزم الاحترام والتبجيل[2].

3 ـ في القرآن الكريم: ورد مصطلح المقدّس ومشتقاته في القرآن الكريم في عشرة (10) مواضع[3]، في سياق الحديث عن المقدّسات (تمظهرات المقدّس)، وهي:

المظهر الأول ـ الموجود الأول: أو واجب الوجود، وهو الله جلّ جلاله، مصدر القداسة في الإسلام ، وهو وحده من يملك سلطة التقديس، ولذلك أخبر تعالى أن من أسمائه "القدّوس"، كما في قوله سبحانه ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [سورة الحشر: 23]

وقوله سبحانه ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴾[سورة الجمعة:1]

فلفظ القدّوس الوارد في الآيتين الكريمتين هو اسم من أسماء الله الحسنى، ومعناه: المبارك، وقيل الطاهر من كلّ ما ينسبه إليه المشركون[4].

([1]) ـ 1كو:14/7.

([2]) ـ ينظر: هنري أيرنسايد: القداسة الوهمية والحقيقية، ترجمة: رشدي فيلبس، مكتبة الإخوة شبرا ـ مصر، ط2: 1998، ص 43. صموئيل برنجل: الطريق إلى القداسة، ترجمة: بشاي مسعد، لجنة خلاص النفوس للنشر ـ مصر، ط2: 1999، ص20.

([3]) ـ محمد فؤاد عبد الباقي: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الفكر ـ بيروت، ط2: 1981، ص 538.

([4]) ـ تفسير الطبري: 551/22، 625.

وأخبر تعالى بأن الملائكة تقدّس له كما جاء في سورة البقرة﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [سورة القرة: 30]

ومعنى نقدّس لك :"أي ننسبك إلى ما هو من صفاتك من الطهارة من الأدناس، وما أضاف إليك أهل الكفر لك"[1]. فالتقديس هو التطهير والتعظيم والتمجيد.

المظهر الثاني ـ الموجود الوسيط: ونقصد بالموجودات الوسيطة (الملائكة والأنبياء) الذين نقلوا عن الموجود الأول (الله) الوحي للبشر، حيث وصف ملك الوحي جبريل (عليه السلام) بأنه روح القدس، وقد ورد ذلك في أربعة مواضع من القرآن، وهي كما يلي:

قوله تعالى ﴿ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ﴾ [سورة البقرة: 87]

وقوله ﴿ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ [سورة البقرة: 253]

وقوله سبحانه ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ [سورة المائدة: 110]

وقوله تعالى ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [سورة النحل:102]

وروح القدس الوارد في هذه الآيات الكريمات هو جبريل (عليه السلام)، حيث سمّي روحا، وأضيف إلى القدس الذي هو اسم الله الأعظم[2].

([1]) ـ تفسير الطبري:1/ 505.

([2]) ـ تفسير القرطبي:2/244 ـ245.

المظهر الثالث ـ الأمكنة: حيث وصفت بعض الأماكن بأنها مقدّسة، مثل الوادي المقدّس، والأرض المقدّسة.

أما عن الوادي المقدّس فقد ذكر في موضعين، وهي:

قوله تعالى ﴿ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَۖ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ﴾ [سورة طه:12]

وقوله سبحانه﴿ إِذۡ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ﴾ [سورة النازعات:16]

وقد وصف الله عزّ وجلّ الوادي الذي كلّم فيه نبيّه موسى (عليه السلام) بالمقدّس، أي الطاهر المبارك، ولما كان كذلك، أمره الله تعالى بخلع نعليه تعظيما لهذا المكان الطاهر[1].

وأما عن الأرض المقدّسة فقد ذكرت في موضع واحد، في قوله تعالى على لسان نبيّه موسى(عليه السلام) الذي أمر قومه بدخولها ﴿ يَٰقَوۡمِ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴾ [سورة المائدة:21]

ومعنى الأرض المقدّسة: أي المباركة، وقد ذكر ابن جرير الطبري اختلاف المفسّرين في تعيين هذه الأرض على أقوال منها: أنها الطور وما حوله، وقيل الشام، وقيل أريحا، وقيل دمشق وفلسطين وبعض الأردن، ثم قال:"وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: هي الأرض المقدّسة، كما قال نبيّ الله موسى(عليه السلام)، لأن القول في ذلك بأنها أرض دون أرض لا تدرك حقيقة صحّته إلا بالخبر، ولا خبر بذلك يجوز قطع الشهادة به، غير أنها لن تخرج من أن تكون من الأرض التي ما بين الفرات وعريش مصر، لإجماع جميع أهل التأويل والسير والعلماء بالإخبار على ذلك"[2].

وهكذا نرى بأن مصطلح المقدّس في القرآن الكريم ورد في سياق التجلّيات، حيث جاء كوصف واسم للذات الإلهية، واسم لملك الوحي جبريل (عليه السلام)، واسم لبعض الأماكن، ولم يخرج عن

([1]) ـ ينظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، تحقيق: مجموعة من العلماء، مؤسسة قرطبة ـ مصر، ط1: 2000، ج9، ص317. ابن الجوزي: زاد المسير في علم التفسير، المكتب الإسلامي ـ بيروت، ط3: 1983، ج5، ص273. الألوسي: روح المعاني، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، ج16، ص169.

([2]) ـ تفسير الطبري:284/8ـ286.

الفصل الأول ـ مفهوم الإساءة للمقدّسات الدينية

المعاني سالفة الذكر، سواء المعاني اللغوية، أو المعاني التي وردت في نصوص الكتاب المقدّس بعهديه القديم والجديد، والتي تدور في معظمها حول الطاهر، المبارك، المعظّم.

هذا وقد جاءت في القرآن الكريم كلمتان تحملان معنى المقدّس، وهما:

أ ـ الشعائر: وذلك في قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ ﴾ [سورة المائدة:2]، فالشعائر هي أحكام الله تعالى التي يحرم انتهاكها، وحدوده التي لا يجوز تجاوزها، لأنها واجبة الاحترام والتبجيل[1].

ب ـ الحرمات: وذلك في قوله تعالى ﴿ذَٰلِكَ ۖ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ﴾ [سورة الحج:30]، فالحرمات هي ما لا يحل هتكها، والتي لها واجب التبجيل والاحترام والتعظيم من الأوامر والنواهي الإلهية[2].

ومن هنا نجد تسمية "البلد الحرام"، و "المسجد الحرام"، و "الشهر الحرام"... وهي ألفاظ تحمل معنى الحرمة والاحترام، على أساس أن الحرام شيء يمنع على المكلّف فعله، لذا وجب عليه احترامه واجتنابه. كما أن الأماكن التي تحمل هذه الصفة لها حرمتها وقداستها باعتبارها محارم محترمة، يمنع على الإنسان انتهاكها بفعل من الأفعال المحرّمة[3].

وبهذا يكون معنى الحرام ما وجب احترامه (من جهة)، واتّقاؤه (من جهة أخرى)، أي أنه الممنوع والمحترم، أي المقدّس.

([1]) ـ ينظر: تفسير القرطبي:254/7 . الجصاص: أحكام القرآن، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، 1991، ج3، ص291.

([2]) ـ ينظر: الزمخشري: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق: عادل عبد الموجود، علي معوض، مكتبة العبيكان ـ السعودية، ط1: 1998، ج4، ص191. البغوي: معالم التنزيل، تحقيق: محمد النمر وآخرون، دار طيبة ـ الرياض، ج17، ص383. الألوسي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، ج17، ص147.

([3]) ـ أحمد بودهان: الحرام والمحرّمات في الإسلام، مجلة دعوة الحق، عدد2، 1993، ص76.

وإذا كان مصطلح المقدّس في الكتب السماوية قد ورد بالمعاني سالفة الذكر، فإن مجالاته متعددة، وهي تختلف من دين لآخر[1]، فهناك الذات الإلهية المقدّسة، وهناك الملائكة المقدّسون، وهناك الكتب المقدّسة، وهناك البشر المقدّسون، وهناك الأماكن المقدّسة، وهناك الأوقات المقدّسة، وهناك الطقوس والشعائر المقدّسة[2].

ثانيا ـ في الموسوعات والقواميس:

1 ـ قاموس اللغة الفلسفية: جاء في قاموس اللغة الفلسفية أن المقدّس هو "ما لا يمكن مسّه، دون أن يَدنَس، أو يُدنَّس، ومن هنا جاءت ازدواجية دلالته: مقدّس أو محرّم...وهو صفة لما يحمل خاصية قوة عجيبة تارة، أو مهيبة تارة أخرى، وغالبا ما يدلّ على الصفتين في نفس الآن، أي فهو مرعب ومثير في نفس الوقت"[3]. فالمقدّس في هذا التعريف هو المحرّم الذي تجب له المهابة والاحترام، وما يعني ذلك من حرمة المساس به.

2 ـ معجم الأديان: حيث عرّف المقدس فيه بأنه "قيمة تتجاوز الإنسان، وتحضّه على الاحترام والخوف التبجيلي الورع"[4]. أي أن المقدّس هو الذي يدفع الإنسان إلى احترامه وتبجيله.

3 ـ موسوعة لالاند الفلسفية: عرّفت هذه الموسوعة المقدّس بأنه "كل ما يتعيّن عليه أن يكون موضوع احترام ديني من قبل جماعة المؤمنين"[5]. وهذا التعريف يجعل من المقدّس أحد موضوعات الدين التي تستوجب الاحترام من قبل جماعة المؤمنين.

ثالثا ـ في اصطلاحات المفكّرين والفلاسفة: نعني بالمقدّس في اصطلاحات المفكّرين والعلماء، المقدّس كما تناوله المفكّرون والعلماء، تبعا لتخصصاتهم العلمية، ومشاربهم الفكرية، وبيئتهم الدينية، فهناك من تناوله من زاوية الفلسفة، وهناك من تناوله من زاوية علم الأدب، وهناك من تناوله

([1]) ـ إن اختلاف تجلّيات المقدّس من مجتمع لآخر مردّه إلى اختلاف الاعتقاد، أي إلى طبيعة الدين، فالإسلام مثلا الذي هو وضع إلهي حتما ستكون مجالات المقدّس فيه مختلفة عن مجالات المقدّس في اليهودية والنصرانية (اللّذين طالهما التحريف والتبديل)، وفي غيرهما من الأديان الأخرى من باب أولى.

([2]) ـ هذه هي المقّدسات الدينية التي سنتحدّث عنها لاحقا بحول الله تعالى.

([3]) ـ Dictionnaire de la langue philosophique;éd puf 1962: Sacré

([4]) ـ M.M.Thiollier,Dic des religions.Larousse 3éd 1980. P 262

([5]) ـ أندريه لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، تعريب:خليل أحمد خليل، منشورات عويدات ـ بيروت، ط2: 2001، مج3، ص 1229.

الفصل الأول ـ مفهوم الإساءة للمقدّسات الدينية

من زاوية علم التاريخ، وهناك من تناوله من زاوية علم الاجتماع... ويأتي على رأس هؤلاء: ثلاثة مفكّرين، وهم: إيميل دوركهايم، ومرسيا إيلياد، وفهمي جدعان[1]، حيث خاضوا في مفهوم المقدّس، وقلّبوا وجوه القداسة والمقدّس، وهذا ما نستشفّه من خلال دراساتهم وبحوثهم ذات الصلة بالموضوع. وحتى لا يتشعّب الحديث عن موضوع المقدّس، وندخل في تفاصيل بعيدة عن موضوع البحث، سأركّز مباشرة على المفهوم الإجرائي للمقدّس كما ورد عند هؤلاء العلماء.

1 ـ تعريف دوركهايم[2]: يعتبر دوركهايم من الذّين جادوا وسادوا في موضوع المقدّس، حيث خصّص له دراسة واسعة في كتابه: "Les formes élémentaires de la vie religieuse "، من خلال جملته الشهيرة "الأشياء المقدّسة هي التي تحميها المحرّمات وتعزلها، أي أن المقدّس هو المعزول والممنوع، يعني المحمي بالمحرّمات"[3]. وهذا المفهوم للمقدّس الذي يركّز على خاصية النهي هو مرادف ل(Tabou)أو المحرّم، وهو ما يمكن تسميته ب:المقدّس المحرّم(Le sacré tabouéَ)[4]، الذي يرى دوركهايم بأنه موضوع احترام، إلا أنه احترام ليس بمعنى الحبّ، والرغبة في الاقتراب، بل بمعنى البقاء على مسافة فاصلة، أي هو احترام خوف لا احترام حب، "فالمقدّس إذا لم يوح لنا بالخوف، فعلى الأقل فهو يوحي بالاحترام الذي يبعدنا عنه، ويبقينا على مسافة منه، وإن كان في نفس الوقت موضوع حبّ ورغبة"[5].

---

(1) ـ اقتصارنا على هذه الأسماء دون غيرها لم يكن اعتباطيا، وإنما لكونها أشهر الأسماء التي قلّبت وجوه المقدّس، وخاضت وبحثت فيه من جهة ماهيته ووظيفته وأغراضه...والتي لا يمكن لأي باحث في هذا الموضوع أن يستغني عن دراساتها وأبحاثها، هذا من جهة، إضافة إلى أن هذه الأسماء مزجت بين مفهوم المقدّس في الأديان السماوية الثلاث من جهة أخرى.

(2) ـ إميل دوركايم (1858 ـ 1917): فيلسوف وعالم اجتماع فرنسي، أحد مؤسسي علم الاجتماع الحديث، وقد وضع لهذا العلم منهجية مستقلة تقوم على النظرية والتجريب في آن معا. من أبرز آثاره : " تقسيم العمل الاجتماعي"، "قواعد المنهج الاجتماعي"، "الأشكال الأولى للحياة الدينية". ينظر: مجموعة من العلماء: الموسوعة الفلسفية، ترجمة: سمير كرم، دار الطليعة ـ بيروت، ط5: 1983، ج1، ص 183.

(3) ـ Emile Durkheim:Les formes élémentaires de la vie religieuse, 2éd.Paris1925, p453

(4) ـ عبد العلي الدكالي: المقدّس، مرجع سابق، ص19.

(5) ـ Emile Durkheim:Sociologie et philosophie;P 68

وفي موضع آخر يوضّح هذا المعنى عند قوله "كل مقدّس فهو موضوع احترام، وكلّ شعور احترام يترجم لدى من يستشعره بالنهي"[1].

وهكذا نرى بأن المقدّس عند دوركهايم هو المعزول بسياج المحرّمات (المحظورات، الممنوعات) التي هي عبارة عن نواهي يجب احترامها وتبجيلها، وإلا فقد المقدّس معناه وخاصيته المركزية.

2 ـ تعريف مرسيا إلياد[2]: يعدّ مرسيا إلياد أحد الباحثين المتخصصين في مجال الدين المقارن، حيث تحظى أبحاثه باهتمام كبير لدى الدارسين، وما يهمّنا من هذه الأبحاث تلك التي لها علاقة بموضوع بحثنا الذي نحن بصدده، ألا وهو المقدّس، حيث تناول هذا الموضوع في كتابه الشهير (Le sacré et le profane)

ويعتبر مرسيا إلياد بأن ضبط مفهوم المقدّس يمرّ عبر حصر الأشياء المقدّسة(المقدّسات)، أي من خلال ضبط مظاهر المقدّس، وصوره وأشكاله، مع اعترافه بصعوبة ذلك، نتيجة تنوع وتعدّد هذه المظاهر واختلافها في نفس الوقت.

وعليه فإن محاولة البحث عن مفهوم محدّد للمقدّس عند مرسيا إلياد من خلال تمظهراته ستكون من الصعوبة بمكان، إضافة إلى الغموض الذي يكتنف هذه العملية البحثية.

ومن هنا ارتأيت أن أتحدّث عن مفهوم المقدّس عند مرسيا إلياد من خلال خصائصه التي تحدّث عنها، وأولى وأهم هذه الخصائص هي مقابلته للمحلّل (Le profane)، وهي المقابلة التي يشدّد عليها كثيرا، لأن المقدّس لا يعرف إلا من خلالها، يقول عن ذلك:"والمقدّس يقابل (Le profane)، لأنه حقيقة لا ينتمي لعالمنا الذي هو عالم محلّل (profane) "[3].

---

(1) ـ Emile Durkheim:Les formes élémentaires de la vie religieuse,Loc.Cit.

(2) ـ مرسيا إلياد(1907 ـ 1986): كاتب ومؤرخ أديان وفيلسوف وروائي روماني، شغل كرسي أستاذ تاريخ الأديان في جامعة شيكاغو، وله مؤلفات في أدب الخيال وأدب الرحلات والسير الذاتية، وتاريخ الأديان وفلسفة الأديان، سخّر مرسيا إلياد كلّ حياته لدراسة الدّيانات والمجتمعات البدائيّة، وظاهرتي الدّين والمقدّس. من أشهر مؤلفاته: "المقدس والمدنس"، "تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية"، "المقدس والعادي". ينظر: http://data.bnf.fr/ark:/12148/cb119016520

(3) ـ M..Eliade: Le sacré et le profane, Gallimard 1965, P15

وبهذه المقابلة بين المقدّس والمحلّل وصل مرسيا إلياد إلى نتيجة مفادها بأن المقدّس هو "الفضاء الواقعي، أو الوحيد الذي يجسّد الواقعي حقيقة"[1]، أي أنه حقيقي بامتياز، في حين أن غيره (المحلّل) لاحقيقي، أو حقيقي كاذب[2].

3 ـ تعريف فهمي جدعان[3]: يأتي فهمي جدعان على رأس المفكّرين الذين اشتغلوا على موضوع المقدّس في الثقافة العربية الإسلامية من خلال كتابه (المقدّس والحرّية).

وينطلق جدعان في تعريفه للمقدّس من خلال الدلالة اللغوية له فيقول:" المقصود بالمقدّس في هذا القول هو ابتداء ما يحيل إلى الموجود المفارق، المتعالي أو العلّي، السامي، الطاهر، المبارك"[4].

ولما كان المقدّس بهذه المعاني، فإنه يجب له التعظيم، وينبغي أن يحظى بالاحترام والتبجيل المطلق، وفي نفس الوقت لا يجوز تدنيسه وهتكه والاعتداء عليه وخرق حدوده وأحكامه.

ويذهب فهمي جدعان في بيانه "المبتسر" لمفهوم المقدّس في الإسلام، بأنه يعرف أيضا من خلال نقيضه الذي هو غير المقدّس، أو الدنس، أو النجس، أو غير الطاهر...وكل ما هو محايث، أرضي، دنيائي... ليصل في نهاية المطاف إلى أن المقدّس هو جوهر الدّين، وعمود من أعمدته الأساسية الذي يستوجب على الإنسان المؤمن أن يخضع له "على وجه التبجيل والاحترام والمحبة والخوف والرهبة والطاعة والتسليم"[5].

ومن خلال هذه التعريفات الاصطلاحية للمقدّس، نرى ضبابية المقدّس وغموضه، وهذا ما نستشفّه من خلال تعدّد وتباين تعريفاته، مما يوحي بأن للمقدّس مفهوما زئبقيا لا يمكن الاتّفاق على مفهوم جامع له. ولعلّ السبب في ذلك يعود ابتداء إلى الدلالة اللغوية ـ كما رأينا ـ المتعددة، والتي ألقت بظلالها على الدلالة الاصطلاحية، إلا أن القاسم المشترك لكلّ هذه التعريفات هو كون المقدّس

---

(1) ـ M.Eliade: Le sacré et le profane, Gallimard 1965, P15

(2) ـ عبد العلي الدكالي: المقدّس، مرجع سابق، ص 28.

(3) ـ فهمي جدعان: مفكر أردني من أصول فلسطينية، من مواليد سنة 1940م، في بلدة عين غزال الفلسطينية، درس الفلسفة في جامعة السوربون وحصل منها على شهادة الدكتوراه في الفلسفة الإسلامية وعلم الكلام سنة 1968م، حاصل على جوائز عديدة، كما تم اختياره لعنوان الشخصية الفكرية لعام 2013 من قبل بعض المؤسسات الثقافية في بلده. من أهم أعماله: "المقدّس والحرّية"، " أسس التقدم عند مفكري الإسلام في العالم العربي الحديث"، "المحنة – بحث في جدلية الديني والسياسي في الإسلام".

(4) ـ فهمي جدعان: المقدّس والحرية، مرجع سابق، ص 22.

(5) ـ المرجع نفسه، ص22 ـ23 .

يحظى بالاحترام والتبجيل لدى جماعة المؤمنين، وهو ما يمكن اعتباره الضابط الأساسي لمعرفة المقدّسات في الأديان السماوية الثلاث.

المطلب الثاني ـ تعريف الدين:

الفرع الأول ـ الدين لغة: للدين معان شتى ذكرها اللغويون. قال صاحب لسان العرب " الديّان: من أسماء الله عزّ وجلّ، معناه الحكم القاضي. والديّان: القهار، ومنه قول ذي الإصبع العدواني:

لاه ابن عمّك لا أفضلت في حسب فينا ولا أنت ديّاني فتخزوني

أي: لست بقاهر لي فتسوس أمري. والدين العادة والشأن، تقول العرب: ما زال ذلك ديني وديدني، أي: عادتي. قال ابن الأعرابي: دان الرجل إذا عزّ، ودان إذا ذلّ، ودان إذا أطاع، ودان إذا عصى، ودان إذا اعتاد خيرا أو شرّا، ودان إذا أصابه الدين، ودنت الرجل خدمته، وأحسنت إليه، والدين الذّلّ، والمدين العبد. ودنته أدينه دينا: سسته، ودنته ملكته، والدّين: الحال، ومنه قول النضر بن شميل: سألت أعرابيا عن شيء فقال: لو لقيتني على دين غير هذا لأخبرتك"[1].

وجاء في معجم مقاييس اللغة :"الدال والياء والنون أصل واحد إليه يرجع مرجوعه كلها، وهو جنس من الانقياد والذّلّ، فالدين الطاعة، يقال: دان له يدين دينا: إذا أصحب وانقاد وطاع، وقوم دين أي مطيعون[2].

وهكذا نرى أن كلمة "دين" واسعة الدلالات اللغوية، فهي من أعمق الكلمات وأثراها بالمعاني المتعددة التي تشمل جوانب الحياة من قبيل: الحكم والقهر، والطاعة والمعصية، والعزّة والذّل، والحساب والسلطان، والملك والعادة، والملّة والورع، والحال والقضاء، والجزاء والانقياد، والقرض والسياسة...وغيرها من المعاني.

وبتصفّح هذه المعاني الجمّة يبدو لنا أن بعضها يحمل علاقة تضاد مع البعض الآخر، وقد بيّن محمد

([1]) ـ ابن منظور: لسان العرب: 1467/17 وما بعدها.

([2]) ـ ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر ـ بيروت، 1979، ج2، ص 319.

الفصل الأول ـ مفهوم الإساءة للمقدّسات الدينية

عبد الله دراز[1] إلى أن هذه الكلمة ترد إلى ثلاثة استعمالات بحسب الاشتقاق ووجوه التصريف للمعاني جميعها على النحو الآتي[2]:

أولا : إذا كانت الكلمة من فعل متعدّ بنفسه كأن نقول "دانه يدينه دينا" فتأخذ معاني: الحكم والتصرّف والمجازاة والملك والمحاسبة...

ثانيا: إذا كانت الكلمة من فعل متعدّ باللام "دان له" فالدين هنا هو الخضوع والطاعة والعبادة...

ثالثا: إذا كانت الكلمة من فعل متعد بالباء "دان به" فالدين هنا هو المذهب والطريقة والمعتقد والعادة والسيرة.

أما في القواميس غير العربية فنجد أن كلمة الدين غير بعيدة عن الدلالات العربية، فهي مشتقة من أصلين:Relegere، بمعنى قطف وشابه وزرع وفكر. و Religare، بمعنى الارتباط والتقيد بالآلهة[3]. إلا أنه في الاستعمال تم التركيز على المعنى الثاني الذي جاءت منه كلمة Roligion، وهو ما أكده قاموس اللغة الفلسفية حينما بيّن بأن الدين هو التزام (ارتباط) مضبوط نحو الآلهة.

أما على المستوى النفسي فهو اعتراف داخلي يعبّر عنه بالعبادة والخضوع والحب نحو الإله، وأما على المستوى العميق فهو الولاء للإله أي للمطلق. أما على المستوى العام :فهو عبادة وخضوع[4].

---

(1) ـ عبد الله دراز (1894 ـ 1958): هو العلامة محمد عبد الله حسين دراز ،عاشق القرآن بل فيلسوف القرآن الكريم وابن الأزهر، جمع بين الثقافة الإسلامية والثقافة الغربية، ولد بمحافظة كفر الشيخ بمصر، درس بالمعهد وانتسب إلى معهد الإسكندرية الدّيني سنة 1905م، حصل على الشّهادة الثانوية الأزهرية في عام 1912م، وكان أولَ الناجحين فيها، حاز على "شهادة العالمية " سنة 1916م وكان ترتيبُه الأول، اختير للتدريب بالقسم العالي بالأزهر عام 1928م، اختير للسَّفر إلى "فرنسا "في بعثة علمية عام 1946، حصل على شهادة الدكتوراه برتبة الشرف العليا من "السوربون "عام 1947م، اشتغل بالتدريس في "جامعة القاهرة "وفي "دار العلوم "وفي كلية "اللغة العربية "بعد عودته، نال عضوية كبار العلماء عام 1949م. له العديد من المؤلفات، أشهرها: "دستور الأخلاق في القرآن" (بالفرنسية– مترجم إلى العربية)،" الدين ـ دراسة تمهيدية لتاريخ الإسلام"، "النبأ العظيم"، وغيرها من المؤلفات.

(2) ـ عبد الله دراز: الدين، دار القلم ـ الكويت، 1980، ص 26 وما بعدها.

(3) ـ Dictionnaire Hachette , Op.Cit: Religion

(4) ـ Dictionnaire de la langue philosophique, Op.Cit, p629

وفي موسوعة Quillet نجد الدين بأنه مجموعة المذاهب والعبادات التي تشكّل علاقات الإنسان مع القوة الإلهية[1].

الفرع الثاني ـ الدين اصطلاحا: ألقت الدلالات اللغوية المتعددة والمتنوعة والمختلفة لكلمة "الدين" بظلالها على الدلالة الاصطلاحية، وهذا ما نستشفّه من خلال تعدّد وتنوع تعريفات هذه الكلمة، ومردّ ذلك إلى البيئة الفكرية والمشرب الفكري الذي تصدر منه هذه التعريفات، بين الفكر الغربي والفكر الإسلامي.

أولا ـ في الفكر الغربي: تعددت وتباينت تعريفات الفلاسفة والمفكرين الغربيين للدين، ومن أشهرها[2]:

1 ـ تعريف سيسرون[3]: حيث يقول "الدين هو الرباط الذي يصل الإنسان بالله".

2 ـ تعريف دوركايم: حيث عرّفه بقوله " الدين مجموعة متساندة من الاعتقادات والأعمال المتعلقة بالأشياء المقدّسة (أي المعزولة المحرّمة)، اعتقادات وأعمال تضمّ أتباعها في وحدة معنوية تسمّى الملّة".

3 ـ تعريف ميشيل مايير[4]: حيث عرّف الدين بقوله " الدين هو جملة العقائد والوصايا التي يجب أن توجهنا في سلوكنا مع الله، ومع الناس، وفي حقّ أنفسنا".

---

(1) ـ Encyclopedique Quillet , Religion

(2) ـ ينظر تفصيل ذلك: محمد عبد الله دراز: الدين، مرجع سابق، ص 34 وما بعدها.

(3) ـ ماركوس تيلوس شيشرون: الكاتب الروماني وخطيب روما المميز، ولد سنة 106ق.م، صاحب إنتاج ضخم يعتبر نموذجا مرجعيا للتعبير اللاتيني الكلاسيكي، اشتهر بكتاباته السياسية والقانونية في أول حياته، ثم انتقل إلى ميدان الفلسفة التي انغمس فيها. له العديد من الخطابات في مجال السياسة والفلسفة. ينظر: إليزابيث راوسن: شيشرون (صورة شخصية)، مطبعة كريستول للكلاسيكيات، 1994، ص 357.

(4) ـ ميشيل مايير(1921 ـ 2000): فيلسوف من جنسية بلجيكية، أستاذ كرسي بجامعة بروكسل الحرّة. أخذ تعليمه الأولي طابعا اقتصاديا محضا، ثمّ انتقل إلى مجال الفلسفة، حيث تحصّل على شهادة الدكتوراة في الفلسفة سنة 1979.

ثانيا ـ في الفكر الإسلامي: تناول علماء الإسلام مصطلح الدين بالبحث والتعريف، وقد انطلقت معظم هذه التعريفات من وجهة نظر إسلامية، فجاء تعريف الدين مقتصرا على الإسلام (باعتباره الدين الصحيح)، كما هو الشأن عند صاحب كتاب (كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم) حينما قال: "الدين وضع إلهي سائق لذوي العقول باختيارهم إياه إلى الصلاح في الحال والفلاح في المآل، وهذا يشتمل العقائد والأعمال"[1].

وقريبا من هذا المعنى جاء تعريف "الجرجاني"[2] للدين حينما عرّفه بقوله "الدين وضع إلهي يدعو أصحاب العقول إلى قبول ما هو عند رسول الله (صلى الله عليه وسلم)"[3].

وقد أورد "محمد عبد الله دراز" في كتابه (الدين) تعريفا جامعا للدين، بعدما عرض وحلّل تعريفات الإسلاميين والغربيين للدين، فقال: " الدين هو الاعتقاد بوجود ذات ـ أو ذوات ـ غيبية ـ علوية، لها شعور واختيار، ولها تصرّف وتدبير للشؤون التي تعني الإنسان، اعتقاد من شأنه أن يبعث على مناجاة تلك الذات السامية في رغبة ورهبة، وفي خضوع وتمجيد. وبعبارة موجزة: هو الإيمان بذات إلهية جديرة بالطاعة والعبادة. هذا إذا نظرنا إلى الدين من حيث هو حالة نفسية eta subjectif، بمعنى التدّين. أما إذا نظرنا إليه من حيث هو حقيقة خارجة fait objectif فنقول: هو جملة النواميس النظرية التي تحدّد صفات تلك القوة الإلهية، وجملة القواعد العملية التي ترسم طريق عبادتها"[4].

المطلب الثالث ـ المقدّسات في الأديان السماوية: بعد الوقوف على دلالات المقدّس والدين اللغوية والاصطلاحية، وفي نصوص الكتب السماوية، نرى بأن المقدّس والدين ينسجان علاقة

([1]) ـ التهانوي: كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق: علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون ـ بيروت، ط1: 1996، ج1، ص 814.

([2]) ـ الجرجاني(471 – 400هـ، 1010 – 1078م): أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار، الشافعي المذهب، وُلِدَ وتوفي في جرجان. يعدّ من شيوخ العربية ومؤسسا لعلم البلاغة.من أشهر مؤلفاته: "إعجاز القرآن"، "مختصر شرح الإيضاح"، "المفتاح"...وغيرها من المؤلفات. ينظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة ـ بيروت، 2002، ج18، ص 432.

([3]) ـ الجرجاني: التعريفات، دار الكتب العلمية ـ بيروت، ط3: 1981، ص 107.

([4]) ـ محمد عبد الله دراز: الدين، مرجع سابق، ص 52.

الفصل الأول ـ مفهوم الإساءة للمقدّسات الدينية

تداخل وتماثل على نحو علاقة الإطار بالصورة التي بداخله، وهو ما حدا بالكثير من الباحثين والدارسين لاعتبارهما مترادفين[1]، ذلك أن المقدّس هو جوهر الدين، والدين هو المسؤول عن تصنيف الأشياء إلى مقدّسة وغير مقدّسة (أي هو الضابط في معرفة المقدّس)، وبعبارة أخرى هو المانح لصفة القداسة، ولا مجال للعقل في ذلك.

إن القول بأن الدين هو إطار المقدّس وفضاؤه، وبأن المقدّس هو تمظهره وتجلّيه يتيح لنا معرفة ماهية المقدّسات الدينية التي يمكن أن نعرّفها فنقول: هي جملة الأمور (سواء كانت دينية صرفة كالمعتقدات والطقوس، أو دنيوية كالعادات والأخلاق) التي تبعث في النفس احتراسا ورهبة تستوجب عدم انتهاكها، لأنها تستمدّ قوّتها من الدين.

وتختلف دائرة المقدّسات من دين لآخر تبعا لاختلاف طبيعة الأديان (بين ما هو سماوي، وما هو وضعي)، وسأتحدث في هذا المطلب عن مجالات المقدّس في كلّ دين، مع إعطاء مثال في كل مجال، لأن الغرض ليس جرد المقدّسات في كلّ دين، فهذا ليس من شأن بحثنا، وإنّما الغرض من ذلك الوقوف على نماذج للمقدّسات في كلّ دين، حتى يتّضح معنى المقدّس في الأديان السماوية أكثر.

الفرع الأول ـ مجالات المقدّس في اليهودية: ارتبطت فكرة التقديس والقداسة في الديانة اليهودية بنصوص مصادرها (التوراة والتلمود) التي حفلت بالكثير من المقدّسات المتعلّقة بعادات وتقاليد الشعب اليهودي عبر تاريخه، والتي يمكن إجمالها في ستة مجالات، وهي:

أولا ـ الذات الإلهية: تطلق اليهودية عدة أسماء على الإله، ويعد "يهوه" (بمعنى الرّب في العربية)[2] من أكثر هذه الأسماء شيوعا وقداسة عند اليهود[3]، وقد نصّت التوراة على قدسية الرّب باعتباره صاحب القداسة ومانحها في عدّة مواضع، منها ما جاء في سفر الخروج " **فمن مثلك يا رب بين كل الآلهة؟ من مثلك جليلا في القداسة**"[4].

---

(1) ـ عبد العلي الدكالي: المقدس، ص69.

(2) ـ منيس عبد النور: أسماء الله في الكتاب المقدّس، دار الثقافة المسيحية ـ القاهرة، ص 13.

(3) ـ قدّس اليهود إلههم الذي عرف باسم "يهوه" وغالوا في تقديسه إلى حدّ التحرّج من النطق باسمه، وتخصيص حبر وريشة عند كتابته. ينظر تفصيل ذلك: عماد حسين: الإسلام واليهودية، دار الكتب العلمية ـ بيروت، ط1: 2004، ص 99. عبد الوهاب المسيري: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، دار الشروق ـ القاهرة، 1999، ج2، ص2412.

(4) ـ سفر الخروج:11/15.

وجاء في سفر اللاويين ما نصّه " **فاحفظوا وصاياي واعملوا بها. أنا الرّب. ولا تدنّسوا اسمي القدّوس، فأبقى مقدّسا فيما بين بني إسرائيل. أنا الرّب الذي كرّسكم وأخرجكم من أرض مصر ليكون لكم إلها. أنا الرّب**"[1].

وكذلك جاء الحديث عن قدسية الرّب في سفر العدد " **فقال الرّب لموسى وهارون مؤنّبا: بما أنّكما لم تؤمنا بي إيمانا يظهر قداستي على مرأى بني إسرائيل...**"[2].

وبما أن الرّب في الديانة اليهودية هو رمز القداسة، فقد نصّت التوراة على عقوبة من ينتهك هذه القدسية بالقول أو بالفعل، جاء في سفر يشوع ما نصّه "**فقال يشوع للشعب: لا تقدرون أن تعبدوا الرّب لأنّه إله قدّوس، إله غيور، لا يصبر على ذنوبكم وخطاياكم.فأنتم إذا تركتموه وعبدتم آلهة غريبة يرتدّ عنكم ويسيء إليكم ويفنيكم بعدما كان باركّكم**"[3].

وعديدة هي النصوص التي جاءت محذّرة من انتهاك قدسية الرّب باعتباره رمز القداسة، كما هو الحال في أسفار (اللاويين:10/24 ـ 14، العدد:1/25 ـ5، التثنية: 6/13 ـ 18، الخروج: 31/ 12 ـ 17)

وهذه النصوص وغيرها التي تتحدّث عن قدسية الإله، وعن عقوبة من ينتهك هذه القدسية، إن دلّت على شيء فإنّما تدلّ على مقام الإله ومركزيته، وأنه في أعلى درجات القداسة في الديانة اليهودية، باعتباره صاحب القداسة ومصدرها، وبالتالي فإن غيره من المقدّسات اكتسب منه هذه الصفة[4].

ثانيا ـ المخلوقات: حفلت نصوص التوراة بالكثير من المخلوقات السماوية منها والأرضية التي حازت صفة القداسة، ومنها على سبيل المثال لا الحصر:

1 ـ الملائكة: وهي خلائق سماوية خلقها الله، تسمى في العهد القديم ب "الملاك"، ومعناها الرسول، لها رتب مختلفة ومهام متنوعة أهمّها وأبرزها تبليغ رسالة الله للبشر[5]، وهي المهمّة التي أكسبتهم

([1]) ـ سفر اللاويين:31/22 ـ 33.

([2]) ـ سفر العدد:12/20.

([3]) ـ سفر يشوع: 24/ 19 ـ 20.

([4]) ـ ينظر: نخبة من اللاهوتيين: دائرة المعارف الكتابية، ج6، ص 188.

([5]) ـ نخبة من اللاهوتيين: دائرة المعارف الكتابية، ج7، ص 210 ـ 211.

القداسة باعتبارهم مبعوثي الرّب، جاء في سفر دانيال ما نصّه "**وبينما كنت أرى هذا الحلم وأنا نائم في فراشي إذا بملاك قدّيس نزل من السماء**"[1].

2 ـ الكهنة: وهم أشخاص يتولّون تقديم القرابين في المعابد ويهتمّون بشؤونها، ولهم العديد من المهام والوظائف في المجتمع اليهودي[2].

وفي نصوص التوراة نجد للكهنة حضورا أكثر من الأنبياء، بل كان الأنبياء تبعا لهم، وملحقين بهم[3]، لذلك كانوا أكثر قدسية منهم، ومن النصوص التي تتحدّث عن قدسيتهم ما جاء في سفر اللاويين في خطاب الرّب للشعب بضرورة تقديس الكهنة، حيث جاء ما نصّه " **لا يتزوّج الكاهن، لأن الكاهن مكرّس لإلهه، يكون مكرّسا عندكم، لأنّه يقرّب طعام إلهكم. أنا الرّب قدوّس وأقدّسكم**"[4].

وإذا كانت نصوص التوراة حريصة على ضرورة تقديس الشعب اليهودي للكهنة، فإن التلمود أكّد على ذلك من خلال تحذيره من الإساءة إليهم بالقول أو الفعل، ووعيده الشديد في حقّ من يحتقرهم، حيث جاء ما نصّه "إن أقوال الحاخامات (الكهنة) المتناقضة منزّلة من السماء، ومن يحتقرها فمأواه جهنّم وبئس المصير"[5].

3 ـ الأنبياء: وهم الذين كلّفوا بتبليغ رسالة الله تعالى إلى الناس، وقد اكتسبوا قدسيتهم من قدسية الرّب الذي يوحي إليهم، لأنهم كانوا وسطاء بينه وبين الناس[6].

([1]) ـ سفر دانيال: 10/4.

([2]) ـ ينظر تفصيل ذلك: عماد حسين: الإسلام واليهودية، مرجع سابق، ص 197وما بعدها.

([3]) ـ نجد في نصوص التلمود تفضيلا للكهنة على الأنبياء وصل إلى حد المبالغة، ومن ذلك قولهم :"اعلم أن أقوال الحاخامات(الكهنة) أفضل من أقوال الأنبياء، وفضلا عن ذلك يلزمك اعتبار أقوال الحاخامات كالشريعة، لأن أقوالهم هي قول الله الحي، فإذا قال لك الحاخام: إن يدك اليمنى هي اليسرى وبالعكس فصدّق قوله ولا تجادله، فما بالك إذا قال لك: إن يدك اليمنى هي اليمنى واليسرى هي اليسرى". وفي هذا النص دلالة على مدى تقديسهم للكهنة، وعلى المكانة التي يحظى بها الكهنة في الديانة اليهودية. ينظر: روهلنج: الكنز المرصود في قواعد التلمود، ترجمة: يوسف نصر الله، مطبعة المعارف ـ مصر، ص 52.

([4]) ـ سفر اللاويين:8/21.

([5]) ـ روهلنج: الكنز المرصود في قواعد التلمود، ص 52.

([6]) ـ حسن ظاظا: أبحاث في الفكر اليهودي، دار القلم ـ دمشق، ط1: 1987، ص 71.

ومن النصوص التي تتحدّث عن ذلك ما جاء في سفر التثنية " **فقال لي الرّب: أحسنوا فيما قالوا. سأقيم لهم نبيّا من بين إخوتهم مثلك وألقي كلامي في فمه، فينقل إليهم جميع ما أكلّمه به**"[1].

وجاء في سفر حزقيال ما نصّه "**فقال لي: يا ابن البشر قف على قدميك فأتكلّم معك، ولماّ كلّمني دخل فيّ الروح وأقامني على قدميّ، وسمعت صوته، وقال لي: يا ابن البشر سأرسلك إلى بني إسرائيل...**"[2].

ولما كان الأنبياء متكلّمين باسم الرّب، جاءت وصاياه بضرورة احترامهم وتبجيلهم، وعدم التعرّض لهم، جاء في سفر التثنية ما نصّه" **يقيم لكم الرّب إلهكم نبيّا من بينكم، من إخوتكم بني قومكم مثلي، فاسمعوا له**"[3].

كما جاء في سفر أخبار الأيام الأول ما نصّه" **قال: لا تمسّوا الذين اخترتهم، ولا تسيئوا إلى أنبيائي**"[4].

وعلى الرغم من المكانة السامية، والمنزلة المقدّسة التي حظي بها الأنبياء في المجتمع اليهودي كما دلّت على ذلك نصوص التوراة نتيجة الوظائف المقدّسة التي يقومون بها، والمتعلّقة أساسا بتبليغ رسالة الله للناس، إلا أن هناك نصوصا أخرى عديدة جاءت تقدح وتطعن في مكانتهم المقدّسة، من خلال تصويرهم بصور غير أخلاقية، وهذا ما سنتحدّث عنه بشيء من التفصيل في الباب الثاني من هذه الدراسة بحول الله تعالى.

4 ـ الشعب اليهودي:جاءت نصوص التوراة صريحة للدلالة على قدسية الشعب اليهودي باعتباره شعب الله الخاص، جاء في سفر التثنية ما نصّه "**فأنتم شعب مقدّس للرّب إلهكم الذي اختاركم له من بين جميع الشعوب التي على وجه الأرض**"[5].

([1]) ـ سفر التثنية: 17/18.

([2]) ـ سفر حزقيال: 2/ 1 ـ 3.

([3]) ـ سفر التثنية: 15/18.

([4]) ـ سفر أخبار الأيام الأول: 22/16.

([5]) ـ سفر التثنية: 6/7.

الفصل الأول ـ مفهوم الإساءة للمقدّسات الدينية

كما بيّنت التوراة أن هذه القدسية التي حظي بها الشعب اليهودي دون غيره مستمدّة من طبيعة الرّب المقدّسة، جاء في سفر اللاويين ما نصّه "**وكلّم الرّب موسى فقال: قل لجماعة بني إسرائيل كلّهم: كونوا قدّيسين لأنّي أنا الرّب إلهكم قدّوس**"[1]. وهذا النص يتحدّث عن تقرير واقع (باعتبار مركزهم كشعب الله) ولا يتحدّث عن أمر أو وصية[2].

وترجع أسباب هذا الاصطفاء والاختيار الإلهي لبني إسرائيل دون غيرهم والذي منحهم هذه القداسة ـ حسب الرؤية التوراتية ـ إلى عدة أسباب أهمها[3]:

ـ أن الله اختار واصطفى الشعب اليهودي دون سائر الشعوب لأنه من نسل إبراهيم(عليه السلام) كما عبّر عن ذلك سفر التكوين" **ولما بلغ أبرام التاسعة والتسعين تراءى له الرب وقال: أنا الله القدير، أسلك أمامي وكن كاملا فأجعل عهدي بيني وبينك وأكثر نسلك جدا، فوقع أبرام على وجهه ساجدا وقال له الله: هذا هو عهدي معك: تكون أبا لأمم كثيرة، ولا تسمى أبرام بعد اليوم بل تسمى إبراهيم، لأني جعلتك أبا لأمم كثيرة، سأنميك كثيرا جدا، وأجعلك أمما، وملوك من نسلك يخرجون، وأقيم عهدا أبديا بيني وبينك وبين نسلك من بعدك جيلا بعد جيل، فأكون لك إلها ولنسلك من بعدك**"[4].

ـ أن الله اختار الشعب اليهودي لكثرة أنبيائه ورسله منهم.

ـ أن الله اختار الشعب اليهودي لأنه أول الشعوب إيمانا بالله الواحد، كما أنه أول الشعوب التزاما بالتوراة، جاء في سفر يشوع ما نصه" **فقال الشعب ليشوع: كلا بل الرب وحده نعبد، فأجابهم يشوع: أنتم شهود على أنفسكم أنكم اخترتم الرب لتعبدوه، فقالوا نحن شهود**"[5].

([1]) ـ سفر اللاويين: 2/19.

([2]) ـ نخبة من اللاهوتيين: دائرة المعارف الكتابية، ج6، ص 189.

([3]) ـ أحمد الزغيبي: العنصرية اليهودية وآثارها في المجتمع الإسلامي والموقف منها، مكتبة العبيكان ـ الرياض، ط1: 1998، ج1، ص 140. محمد يونس هاشم: الدين والسياسة والنبوءة بين الأساطير الصهيونية والشرائع السماوية، دار الكتاب العربي ـ القاهرة، ط1: 2010، ص 69.

([4]) ـ سفر التكوين: 17/ 1 . 7.

([5]) ـ سفر يشوع: 21/24 . 22.

الفصل الأول ـ مفهوم الإساءة للمقدّسات الدينية

وجاء في التلمود" **لماذا اختار الواحد القدوس تبارك اسمه بني إسرائيل؟ لأن بني إسرائيل اختاروا الواحد القدوس تبارك اسمه وتوراته**"[1].

وبهذه الأسباب الثلاثة حاز اليهود "الرضا الإلهي" الذّي منحهم القداسة وميّزهم عن سائر الأمم والشعوب[2].

ثالثا ـ الأماكن: وهي من دوائر المقدّس في اليهودية، وتتعلّق أساسا بالأماكن التي ظهر فيها الإله، أو أماكن عبادته[3]، ومنها على سبيل المثال لا الحصر:

1 ـ القدس: وتسمى (أورشليم)[1]، وهي من أهم الأماكن المقدّسة عند اليهود بنصّ التوراة، جاء في سفر نحميا ما نصّه "**وسكن زعماء الشعب في أورشليم، أما سائر الشعب فألقوا القرعة لاختيار واحد من عشرة ليسكن في أورشليم، المدينة المقدّسة**"[2].

([1]) ـ أحمد الزغبي: العنصرية اليهودية، مرجع سابق، ص 141.

([3]) ـ إن المتأمّل لهذه الأسباب التي تجعل من اليهود شعبا مختارا عن بقية الشعوب، لا يجد أنها تعبّر عن حقيقة الاختيار الإلهي لهم بقدر ما هي تحريف للنصوص وتلفيق للأسباب من طرف اليهود، ذلك أن العهد الذي قطعه الرّب مع إبراهيم (عليه السلام) لا يقتصر على إسحاق فقط (الذي ينحدر منه اليهود)، وإنما هو عهد له ولنسله (إسماعيل وإسحاق عليهما السلام) والنصّ واضح أشدّ الوضوح في ذلك " **وأقيم عهدا أبديا بيني وبينك وبين نسلك من بعدك جيلا بعد جيل، فأكون لك إلها ولنسلك من بعدك**"(سفر التكوين:7/17). وهدف اليهود من قصر العهد على ذرية إسحاق (عليه السلام) هو إخراج العرب (الذين ينحدرون من إسماعيل عليه السلام) من مزايا هذا العهد. كما أن السبب الثاني الذي يجعل من كثرة الأنبياء من بني إسرائيل لا علاقة له بالاصطفاء، بل بالعكس من ذلك، حيث أن كثرة الأنبياء تدلّ على شخصيتهم المريضة، ذلك أن المريض هو من يجتمع عليه مجموعة من الأطباء لاستعصاء شفاءه على أحدهم. أما الأمر الثالث الذي يرى فيه اليهود سببا من أسباب اختيارهم واصطفاءهم (وهو أسبقيتهم في التوحيد) فإنه عار من الصحّة بدلالة التوراة نفسها، فقد جاءت بعض نصوصها واصفة اليهود بأنهم وقعوا في الكفر والشرك والخروج عن شريعة الرّب، ومن هذه النصوص ما جاء في سفر القضاة"**ففعل بنو إسرائيل الشر في عيني الرب وعبدوا البعل، وتركوا الرب إله آبائهم الذين أخرجهم من أرض مصر وتبعوا آلهة أخرى من آلهة الشعوب الذين حولهم وسجدوا لها وأغاظوا الرب**" (سفر القضاة:11/2 ـ 12). ولما وجد اليهود أن فكرة أسبقية التوحيد كسبب للاختيار الإلهي تتناقض مع نصوص التوراة عادوا إلى فكرة عهد "يهوه" مع إبراهيم (عليه السلا) وأنه عهد أبدي لا يمكن الرجوع فيه. ينظر تفصيل ذلك: حسين النجار: أرض الميعاد (دراسة علمية للوعد الإلهي لبني إسرائيل بأرض الميعاد في الكتب السماوية)، دار المعارف . القاهرة، ص 60. صلاح عبد الفتاح الخالدي: الشخصية اليهودية من خلال القرآن الكريم، دار القلم ـ دمشق، ط1: 1998، ص 117. محمد يونس هاشم: الدين والسياسة والنبوءة بين الأساطير الصهيونية والشرائع السماوية، مرجع سابق، ص 72.

([3]) ـ نخبة من اللاهوتيين: دائرة المعارف الكتابية، ج6، ص 190.

الفصل الأول ـ مفهوم الإساءة للمقدّسات الدينية

وقد وظّف اليهود هذه النصوص التوراتية في بيان أحقّيتهم الدينية لفلسطين والقدس، ويرون أن قدسيتها مستمدّة من أمرين:

أ ـ أنها أرض الميعاد: يرتكز اليهود في تقديسهم لفلسطين عموما وللقدس على وجه الخصوص بنصوص توراتية تتحدّث عن الوعد الإلهي للشعب اليهودي بامتلاك الأرض المقدّسة، حيث جاء في سفر التكوين ما نصّه "**فلما وصلوا إلى أرض كنعان اجتاز أبرام في الأرض إلى بلوطة مورة[3] في شكيم عندما كان الكنعانيون في الأرض وتراءى الرب لأبرام وقال: لنسلك أهب هذه الأرض**"[4].

وجاء في نفس السفر في خطاب الرّب لإبراهيم (عليه السلام) ما نصّه ":" **وأقيم عهدي بيني وبينك وبين نسلك من بعدك في أجيالهم عهدا أبديا لأكون لهم إلها ولنسلك من بعدك وأعطي لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك كل أرض كنعان[5] ملكا أبديا وأكون إلههم**"[6].

وهكذا نرى أن قداسة أرض فلسطين ارتكزت على هذه الوعود الإلهية لإبراهيم (عليه السلام) وذرّيته من بعده[7].

([1]) ـ أورشليم: مدينة كنعانية اسمها القديم (يبوس) تقع على زهاء 24كم غرب البحر الميّت، أسماها العهد القديم (أرئيل)، والعرب (القدس)، عرفت بهذا الإسم في القرن 19 ق.م . ينظر: ياسين حلواني: الموسوعة العربية الميسرة والموسعة، مؤسسة التاريخ العربي ـ بيروت، ط1: 2001، ج1، ص654.

([2]) ـ سفر نحميا:1/11.

([3]) ـ بلوطة مورة: اسم كنعاني معناه (بلوطة المعلم)، وهو موضع قرب شكيم (نابلس). ينظر: نخبة من اللاهوتيين: قاموس الكتاب المقدس، ص 930.

([4]) ـ سفر التكوين: 12 /6 ـ7.

([5]) ـ أرض كنعان: وهي الأرض التي سكنها ذرية كنعان (وهو أحد أبناء نوح عليه السلام)، وأطلق عليها العبرانيون بعد دخولهم إليها اسم "أرض إسرائيل"، و"الأرض المقدسة"، و"أرض الميعاد،" و"أرض العبرانيين". ينظر:نخبة من اللاهوتيين: قاموس الكتاب المقدس، ص 345.

([6]) ـ سفر التكوين: 8/17 ـ 9.

([7]) ـ يستند اليهود في بيان أحقيّتهم لفلسطين بالوعود الإلهية سالفة الذكر، وهذه مغالطة كبيرة، لأن هذه الوعود كانت لنبيّ الله إبراهيم (عليه السلام) وذريّته من بعده، وسيّدنا إبراهيم (عليه السلام) لم يكن جدا لليهود فحسب، وإنما هو جد للعرب أيضا، لذا فإن محاولة اليهود الاستئثار بسيّدنا إبراهيم (عليه السلام) مغالطة تاريخية كبيرة يحاول صانعوها ومروّجوها قصر الوعد الإلهي على

ب ـ أن بها هيكل سليمان: ومن المرتكزات التي ارتكز عليها اليهود في تقديسهم لفلسطين وبيت المقدس ارتباطها بالهيكل الذي شيّده نبي الله سليمان (عليه السلام) في أورشليم (القدس)، وهو الذي كان رمزا لجمع الشتات اليهودي قبل أن يهدم مرتين: المرة الأولى على يد "نبوخذ نصر"[1] سنة 500 ق.م إبان السبي البابلي، ثم في المرة الثانية من طرف الرومان سنة 70 م[2] .

وقد ورد ذكر هذا الهيكل في الكثير من نصوص التوراة التي تحدّثت بتفصيل مملّ عن كيفية بنائه[3]، كما هو الحال في أسفار (أخبار الأيام الأول:2/22 ـ 5، صموئيل الثاني:1/7 ـ 13، الملوك الأول: 7/5).

هذه بعض معالم قدسية فلسطين وبيت المقدس عند اليهود، والتي ارتكزت على الوعد الإلهي بأرض الميعاد، وكذا على هيكل سليمان (عليه السلام).

اليهود دون غيرهم. أضف إلى ذلك أن الوعد (الثاني) كان لذرّية إبراهيم (عليه السلام) من بعده وهما: إسماعيل وإسحاق (عليهما السلام)، ولما رأى اليهود أن الوعد سيشمل العرب أيضا لأنهم ينحدرون من إسماعيل (عليه السلام)، قالوا بأن الوعد لا يكون إلا لمن ولد من زوجة لا من جارية، ومعلوم ـ كما دلّت على ذلك نصوص التوراة ـ أن إسماعيل(عليه السلام) ولد من جارية، بخلاف إسحاق(عليه السلام) المولود من زوجة. وهذا من أكبر التحريفات التي مارسها اليهود في حق نصوص التوراة، وهدفهم من ذلك هو إخراج العرب من هذا الوعد، وهذا ما يفسّر تعنّت اليهود اليوم وعدم مساومة العرب في أي شبر من أرض فلسطين التي احتلوها عام 1948، لأنهم يريدون أن يجعلوها دولة للشعب اليهودي، وبالتالي يكون اليهود في حلّ دينيا إذا ساوموا في هذه الأرض التي يزعمون امتلاكها. ينظر: منصور عبد الوهاب: فتاوى الحاخامات، الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ مصر، ص 231.

([1]) ـ نبوخذ نصر: هو اسم بابلي معناه "نبو حامي الحدود"، ويسمى أيضا "بختنصر" كان ملك الإمبراطورية البابلية الجديدة، من: 605 ق.م – 562 ق.م. حسب الكتاب المقدس، قام بغزو مملكة يهوذا والقدس، وأرسل اليهود إلى المنفى، وهنا كانت نهاية مملكة اليهود. عاصر نبوخذ نصر عدد من أنبياء اليهود ومنهم ارميا، حزقيال، دانيال، يهوياقيم، ويهويا كين. اشتهر كذلك بتدميره الهيكل الأول وأنشئت في عهده حدائق بابل المعلقة التي يقال أنه بناها بعد زواجه من أميديا، التي كانت من الطبقة الوسطى في البلاد وأتت من المناطق الجبلية إلى أرض بابل، وكانت أميديا تشتاق إلى رؤية الجبال والحدائق وطنها ميديا .ورد اسمه في سفر دانيال وفي أسفار أخرى من الكتاب المقدس. ينظر: سيرة حياة الملك البابلي نبوخذ نصر(نسخة محفوظة 01 أغسطس 2017) على موقع واي باك مشين.

([2]) ـ ينظر تفصيل ذلك: زكي شنوده: المجتمع اليهودي، مكتبة الخانجي ـ القاهرة، ص 172 وما بعدها.

([3]) ـ يذهب علماء الآثار إلى أنه لا دليل على وجود الهيكل المزعوم تحت المسجد الأقصى. وإذا سلّمنا بوجوده فإنه لا علاقة للهيكل بتقديس فلسطين والقدس، ذلك أن مكان بناء الهيكل هو اختيار بشري (من اختيار نبي الله سليمان) وليس اختيارا إلهيا، ولا وجود لنص توراتي يقر بأن مكان بناء الهيكل كان من اختيار الرّب، أي أنه لا سند لتقديسه وتقديس فلسطين من خلاله. ينظر: حسن الباش: القدس بين رؤيتين، دار ابن قتيبة ـ دمشق، ص 56.

2 ـ المعابد: من الأماكن المقدّسة في الديانة اليهودية: المعابد، وهي الأماكن التي يجتمع فيها اليهود برتّهم لعبادته، حيث كانت تؤدّى فيها الطقوس، وتقدّم فيها الذبائح والقرابين[1].

واستمدّت هذه المعابد قدسيتها من قدسية الشعائر والطقوس التي تقام فيها للرّب[2]، وكان البعض منها يسمّى "بيت الرّب"[3]. وقد بنيّت هذه المعابد بناءا على وصايا الرّب الذي أمرهم بذلك[4].

رابعا ـ الأيام والمناسبات: وهي الأعياد أو المواسم التي يعظّمها اليهود ويحتفلون بها. وعديدة هي المواسم التي يقدّسها اليهود، منها ما يتّصل بالأحداث التاريخية، ومنها ما يتّصل بمواسم الزراعة والحصاد، ومنها ما يتّصل بالتوبة والتكفير عن الذنوب[5]. وقد وردت هذه الأوقات المقدّسة في أسفار العهد القديم[6]، ومنها على سبيل المثال لا الحصر:

1 ـ يوم السبت: وهو اليوم السابع من الأسبوع الذي استراح فيه الرّب ـ كما تزعم التوراة ـ بعد أن خلق العالم في ستة أيام، جاء في سفر التكوين ما نصّه " **فتمّ خلق السماوات والأرض وجميع ما فيها. وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل، واستراح في اليوم السابع من جميع ما عمله**"[7].

ولما كان كذلك نصّت التوراة على ضرورة تقديسه، والامتناع عن العمل فيه، وتخصيصه للعبادة وتقديم القرابين فيه للرّب، جاء في سفر التكوين ما نصّه " **وبارك الله اليوم السابع وقدّسه**"[8].

وممّا يدلّ على مدى تقديس يوم السبت في اليهودية، ما جاء في سفر الخروج من عقوبة الموت لمن يعمل فيه، حيث جاء ما نصّه "**كل من عمل عملا في يوم السبت يقتل قتلا**"[9].

---

(1) ـ زكي شنوده، المجتمع اليهودي، مرجع سابق، ص 164.

(2) ـ نخبة من اللاهوتيين: دائرة المعارف الكتابية، ج6، ص190.

(3) ـ كما هو الحال بالنسبة لخيمة الاجتماع، جاء في سفر يشوع (24/6) ما نصّه "**وأحرقوا المدينة وجميع ما فيها بالنار إلا الذهب والفضّة وآنية النحاس والحديد، إذ وضعوها في خزانة بيت الرّب**".

(4) ـ المرجع نفسه، ص 163 وما بعدها.

(5) ـ أحمد شلبي: اليهودية، مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة، ط8: 1988، ص 302.

(6) ـ ينظر: نخبة من اللاهوتيين، دائرة المعارف الكتابية، ج6، ص190.

(7) ـ سفر التكوين: 1/2 ـ 2.

(8) ـ سفر التكوين: 3/2.

(9) ـ سفر الخروج: 15/31.

2 ـ عيد الفصح: وهو أول الأعياد السنوية عند اليهود الذي يذكّرهم بخروج موسى ببني إسرائيل من مصر، ونجاتهم من بطش فرعون، ويحتفل اليهود بهذا العيد لمدة سبعة أيام من الرابع عشر من شهر أبيب (نيسان، أبريل) إلى غاية اليوم الحادي والعشرين منه، يبدؤون في أول أيامه بمحفل مقدّس يمتنعون فيه عن العمل، ويختتمونه بمحفل مقدّس يمتنعون فيه عن العمل كذلك، جاء في سفر اللاويين ما نصّه "**سبعة أيّام يكون لكم حفل مقدّس، عملا ما من الشغل لا تعملوا، وسبعة أيام تقرّبون وقودا للرّب**"[1].

ومن مظاهر تقديس هذا اليوم، اهتمام الشريعة اليهودية بطقوسه، وشرحها شرحا مفصّلا[2].

خامسا ـ الكتب: ونعني بها المصادر التي يعظّمها اليهود ويبجّلونها، وتحظى بقداسة كبيرة، لما فيها من وصايا الرّب لهم، وما فيها من عقائد وتشريعات ونظم وأخلاق...وهذه الكتب هي:

1 ـ التوراة: مصطلح عبري معناه: الشريعة المكتوبة مقابل التوراة الشفوية وهي التلمود، وتسمى التوراة أيضا: العهد القديم، وهي تسمية أطلقها المسيحيون للإشارة إلى كتاب اليهود المقدس في مقابل العهد الجديد والذي هو الإنجيل، جاء في مقدّمة الكتاب المقدّس ما نصّه" الكتاب المقدّس يتميّز عن سائر الكتب. إنه كلمة الله وقاعدة الإيمان والحياة العملية لجميع البشر"[3].

والتوراة إشارة إلى الشرائع التي تلقاها موسى مكتوبة، وعددها تسعة وثلاثون (39) سفرا وهي: أسفار موسى الخمسة (التكوين، الخروج، اللاويين، العدد، التثنية)، والأسفار النبوية (يشوع، قضاة، راعوث، صموئيل الأول، صموئيل الثاني، الملوك الأول، الملوك الثاني، أخبار الأيام الأول، أخبار الأيام الثاني، عزرا، نحميا، أستير) وكتب الحكمة والأمثال(أيوب، مزامير، الأمثال، الجامعة، نشيد الإنشاد)، وكتب الأنبياء (إشعيا، إرميا، مراثي إرميا، حزقيال، دانيال، هوشع، يوئيل، عاموس، عوبديا، يونان، ميخا، ناحوم، حبقوق، صفنيا، حجاي، زكريا، ملاخي)[4].

ب ـ التلمود: هو المصدر الثاني ـ بعد التوراة ـ في اليهودية، وهو عبارة عن مجموعة من الفتاوى والأحكام وضعت لشرح أسفار العهد القديم وتناقلها حاخامات اليهود شفهيا على مدى قرون

([1]) ـ سفر اللاويين:6/23 ـ 8.

([2]) ـ ينظر: سفر الخروج:12/ 1 ـ 47، 13/ 3 ـ 10. سفر التثنية:16/ 1 ـ 6.

([3]) ـ مقدّمة الكتاب المقدّس، دار الكتاب المقدّس في الشرق الأوسط ـ لبنان.

([4]) ـ المسيري: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، دار الشروق ـ القاهرة،1999، ج5، ص 2361.

طويلة، ثم جمعت ودونت في القرن الثاني الميلادي، وينقسم التلمود إلى قسمين: المشنة (وهو الموضوع)، والجمارة (وهي التفسير)[1].

سادسا ـ الطقوس والشعائر: تعدّ دائرة الطقوس والشعائر أكبر دوائر المقدّس في اليهودية، فهي حجر الأساس في هذه الديانة، وهذا راجع لطبيعة الديانة التي يطغى عليها الجانب التشريعي.

وحفلت نصوص التوراة بالكثير من الطقوس والشعائر التي أضفت عليها طابع القداسة، لأنها صادرة عن الرّب. ومن هذه الطقوس والشعائر المقدّسة[2]:

1 ـ التطهير: كان لموضوع الطهارة والنجاسة شأنا كبيرا في الديانة اليهودية، على أساس أن طبيعة القداسة التي يتّصف بها الرّب ترفض وتنبذ كل ما هو غير قدّوس (غير طاهر) أو نجس، ومن هنا جاء أمر الرّب بضرورة الطهارة، جاء في سفر اللاويين ما نصّه " **أنا الرّب إلهكم فتقدّسوا وكونوا قدّيسين لأنّي أنا قدّوس. ولا تنجّسوا أنفسكم...**"[3].وهذا النص يبيّن مدى قدسية الطهارة لارتباطها بطبيعة الرّب المقدّسة، وتشمل هذه الطهارة جانبين:

أ ـ طهارة الجسد: وهي التي جعلها الرّب شرطا لدخول أماكن العبادة (لأنّها مقدّسة)، بل ورتّب عليها عقوبة الموت لمن أهملها، وفي هذا دلالة على مدى قدسيتها، جاء في سفر الخروج ما نصّه "**وقال الرّب لموسى: تصنع مغسلة تكون هي وقاعدتها من نحاس، وتقيمها بين خيمة الاجتماع والمذبح، وتصنع فيها ماء. فيغسل هارون وبنوه أيديهم وأرجلهم. إذا دخلوا خيمة الاجتماع، أو تقدّموا إلى المذبح ليخدموا ويحرقوا ذبيحة للرّب. يغسلون أيديهم وأرجلهم لئلا يموتوا. يكون ذلك فريضة أبدية له ولنسله مدى أجيالهم**"[4].

ب ـ طهارة الروح: والمقصود بها الامتثال لأوامر الشريعة، وبالتالي فإن عدم الامتثال لها يعد انتهاكا لحرمة مقدّس من المقدّسات، ووقوعا في النجاسة، جاء في سفر اللاويين بعد الإشارة إلى مجموعة من المعاصي "**لا تتنجّسوا بشيء من هذا فبمثلها تنجّست الأمم الذين أطردهم من أمامكم**"[5].

([1]) ـ المسيري: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، مرجع سابق، ج5، ص2631.

([2]) ـ ينظر تفصيل ذلك: زكي شنوده: المجتمع اليهودي، مرجع سابق، ص 185 وما بعدها.

([3]) ـ سفر اللاويين: 44/11.

([4]) ـ سفر الخروج: 30/ 17 ـ 21.

([5]) ـ سفر اللاويين: 24/18.

2 ـ الزواج: وهو من الشعائر المقدّسة الذي يجمع بين رجل وامرأة في علاقة شرعية[1]، ومصدر قداسته مستمدّ من الأمر الإلهي الذي فرضه وأوجبه، جاء في سفر التكوين ما نصّه " **أنموا وأكثروا واملأوا الأرض**"[2].

هذه هي مجالات ودوائر المقدّس في الديانة اليهودية، والتي كان ـ كما رأينا ـ تستمدّ قدسيتها من قدسية الرّب الذي منحها هذه الصفة، وهو ما يمكننا أن نقول بأن المقدّسات في اليهودية تعكس تجلّيات الدين ومظاهره، ومن هنا كانت لها هذه المكانة "المقدّسة" في اليهودية نظير ارتباطها بالدين.

الفرع الثاني ـ مجالات المقدّس في المسيحية: يحتل موضوع القداسة حيّزا كبيرا في الديانة المسيحية، ويعدّ مصطلح التقديس ومشتقّاته من أكثر المصطلحات شيوعا وتداولا في الكتاب المقدّس (بعهديه القديم والجديد)، بل هو الفكرة الرئيسية فيه. ومن هنا اتّسعت دائرة المقدّسات في المسيحية، والتي يمكن إجمالها في ستة مجالات:

أولا ـ الذات الإلهية: يؤمن المسيحيون بإله واحد مؤلّف من ثلاثة أقانيم[3]: الآب والابن والروح القدس، وقد جاء تقديس هذه الأقانيم الثلاثة في نصوص العهد الجديد:

1 ـ الله الآب: حيث وصف بالقداسة في الكثير من النصوص، ومن ذلك ما جاء في رسالة بطرس الأولى " **بل كونوا قدّيسين في كل ما تعملون، لأن الله الذي دعاكم قدّوس. فالكتاب يقول: كونوا قدّسين لأني أنا قدّوس**"[4].

وجاء في إنجيل يوحنا في صلاة يسوع " **لن أبقى في العالم أما هم فباقون في العالم، وأنا ذاهب إليك. أيها الآب القدّوس**"[5].

2 ـ الله الابن: وقد جاءت نصوص العهد الجديد تتحدّث عن وصف الرّب ليسوع المسيح بالقدّوس، والذي حاز هذه القدسية لكونه ـ في تصوّر المسيحيين ـ ابن الله (القدّوس)، جاء في

---

(1) ـ روفائيل البرموسي: الحياة اليهودية بحسب التلمود، دار نوبار ـ مصر، ط2: 2004، ص62.

(2) ـ سفر التكوين: 28/1.

(3) ـ الأقانيم: جمع أقنوم، وهي كلة سريانية تعني من له تميّز عن سواه بغير انفصال. ينظر: زكريا استاورو: أساسيات مسيحية، الخدمة العربية للكرازة بالإنجيل، ص21.

(4) ـ رسالة بطرس الأولى: 15/1 ـ 16.

(5) ـ إنجيل يوحنا: 11/17.

الفصل الأول ـ مفهوم الإساءة للمقدّسات الدينية

إنجيل لوقا في حوار الملاك مع مريم العذراء ما نصّه " **فأجابها الملاك: الروح القدس يحلّ عليك، وقدرة العليّ تظلّلك، لذلك فالقدّوس الذي يولد منك يدعى ابن الله**"[1].

3 ـ الله الروح القدس: وقد استمدّ قداسته من قداسة الله الآب، لذلك سمّي بالروح القدس[2]، جاء في إنجيل متى ما نصّه "**وأما التجديف على الروح القدس فلن يغفر لهم**"[3].

وهكذا نرى أن القداسة في النسق المسيحي هي وصف مشترك بين الآب، والابن، والروح القدس، ومن هنا كان الإله ذو الأقانيم الثلاثة[4] أولى المقدّسات وأعظمها، باعتباره مصدر القداسة ومانحها.

ثانيا ـ المخلوقات: إذا كانت القداسة ـ كما قلنا قبل قليل ـ احتلت حيّزا كبيرا في المسيحية فإن تقديس المخلوقات (البشرية منها وغير البشرية) احتلّ الحيّز الأكبر منها، حيث نجد أن تقديس الأشخاص نال حظا كبيرا بين ألفاظ التقديس[5]. وهذه المخلوقات المقدّسة على نوعين:

1 ـ المقدّسون في السماء: والمقصود بهم الملائكة، وهي مخلوقات روحية غير مرئية مرسلة من عند الله[6]، استمدّت قدسيتها من وظيفتها الأساسية ألا وهي تنفيذ إرادة الله[7]، جاء في إنجيل لوقا ما نصّه "**من استحى بي وبكلامي يستحي به ابن الإنسان متى جاء في مجده ومجد الآب والملائكة الأطهار**"[8].

([1]) ـ إنجيل لوقا:35/1.

([2]) ـ نخبة من اللاهوتيين: دائرة المعارف الكتابية، ج6، ص192.

([3]) ـ إنجيل متى: 31/12.

([4]) ـ إن الناظر والمتأمل لنصوص الكتاب المقدس الذي يؤمن به المسيحيون (بعهديه القديم والجديد) لا يجد نصّا صريحا لهذه العقيدة (الأقانيم الثلاثة)، وإنّما هي من جملة العقائد التي استحدثت في المجامع، حيث تمّ وضعها في مجمع نيقية سنة 325م فيما اصطلح عليه ب"قانون الإيمان المسيحي". وعليه فإن المؤمن في المسيحية لا يكون كذلك إلا إذا آمن بالإله المؤلف من الأقانيم الثلاثة.

([5]) ـ موسى الشيخي: تقديس الأشخاص عند النصارى وآثاره، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة أم القرى ـ السعودية، 1429، ص 86.

([6]) ـ ينظر: ميخائيل مينا: موسوعة علم اللاهوت، مطبعة الأمانة ـ القاهرة، ط4: 1948، ج1، ص137. موريس تاوضاروس: عالم الملائكة، دار الجيل للطباعة ـ القاهرة، ط2: 1995، ص 7.

([7]) ـ جيمس أنس: علم اللاهوت النظامي، الكنيسة الإنجيلية ـ القاهرة، ص 362.

([8]) ـ إنجيل لوقا: 26/9.

2 ـ المقدّسون من البشر: ورد تقديس البشر في نصوص العهد الجديد (كما هو الحال أيضا في نصوص العهد القديم) مرّتين: مرة بصيغة العموم، وهي القداسة التي تعمّ جميع المؤمنين بالمسيح، حيث وصفوا بأنهم "قدّيسون" و"مقدّسون"[1]، جاء في رسالة رومة ما نصّها "**إلى الذين قدّسهم الله في المسيح يسوع ودعاهم ليكونوا قدّيسين مع جميع الذين يدعون في كلّ مكان باسم ربّنا يسوع ربّهم وربّنا**"[2].

كما وردت القداسة بصيغة الخصوص، وهي التي تخصّ أشخاصا بعينهم حازوا صفة القداسة، ومن أبرزهم وأشهرهم[3]:

أ ـ المسيح عيسى (عليه السلام): مع اعتراف المسيحية ببشرية المسيح عيسى ابن مريم، وبأنه ولد من رحم مريم العذراء، إلا أن تقديسهم له وصل إلى رفعه لمقام الألوهية، فهو ابن الله (عندهم)، وهو الأقنوم الثاني من أقانيم الثالوث الأقدس[4].

ومن النصوص التي تتحدّث عن ألوهية عيسى ابن مريم (عليه السلام)[5]، ما جاء في إنجيل لوقا في حوار الملاك مع مريم العذراء " **فأجابها الملاك: الروح القدس يحلّ عليك، وقدرة العليّ تظلّلك، لذلك فالقدّوس الذي يولد منك يدعى ابن الله**"[6]. ومن ذلك ما جاء في رسالة رومة "**إلى جميع أحبّاء الله في رومة، المدعوّين ليكونوا قدّيسين: عليكم النعمة والسّلام من الله أبينا ومن ربّنا يسوع المسيح**"[7].

([1]) ـ نخبة من اللاهوتيين: دائرة المعارف الكتابية، ج6، ص194.

([2]) ـ رسالة كورنثوس الأولى: 2/1.

([3]) ـ عديدة وكثيرة هي الشخصيات التي نالت صفة القداسة في المسيحية، فبالإضافة إلى ما ذكرنا هناك أنبياء العهد القديم، وهناك رسل المسيح (عليه السلام)...وغيرهم ممّن نال القدسية بالاسم أو الصفة، وقد عرضنا نماذج لهذه الشخصيات التي حظيت بالتقديس، لأنه لا يمكن عرضها جميعا في هذه الدراسة، لأن المقام مقام إيضاح لمفهوم المقدّسات وليس مقام جرد وسرد لها.

([4]) ـ يرى المسيحيون بأن عزو عيسى لوالدته مريم العذراء لا يتنافى مع عزوه لأبيه (الله)!!! فهو ابن مريم من جهة الأم، وابن الله من جهة الأب!!! ينظر تفصيل ذلك: جيمس أنس: علم اللاهوت النظامي، مرجع سابق، ص 212 وما بعدها.

([5]) ـ ومع وجود النصوص التي تتحدّث عن ألوهية المسيح عيسى ابن مريم(عليه السلام) في العهد الجديد، إلا أن هناك نصوصا أخرى أيضا تتحدّث عن بشريّته، وعن عجزه وحاجته إلى إلهه!!! وهذا من التناقضات التي حفلت بها نصوص الكتاب المقدّس. ينظر: موسى الشيخي: تقديس الأشخاص عند النصارى، مرجع سابق، ص 162 وما بعدها.

([6]) ـ إنجيل لوقا: 35/1.

([7]) ـ رسالة رومة: 7/1.

ب ـ مريم (عليها السلام): يرتبط تقديس المسيحيين لمريم (عليها السلام) بتقديسهم للمسيح عيسى(عليه السلام)، باعتبارها والدة الإله!!![1].

ومن النصوص التي يستدلّ بها المسيحيون في تقديسهم لمريم العذراء ما يسمّى ب "دليل البشارة"، وهو الذي جاء في إنجيل لوقا، حيث ورد ما نصّه " **فأجابها الملاك: الروح القدس يحلّ عليك، وقدرة العليّ تظلّلك، لذلك فالقدّوس الذي يولد منك يدعى ابن الله**"[2].

ج ـ الرسل: وهم تلاميذ المسيح الاثني عشر، والذين يقابلهم الأنبياء في اليهودية والإسلام، الذين اختارهم المسيح ليعاينوا حوادث حياته على الأرض، ويروه بعد قيامته، ويشهدوا له أمام العالم بعد حلول الروح القدس عليهم، وقد ورد في سفر متى ما يدلّ على إطلاق وصف الرسول على هؤلاء "**ودعا يسوع تلاميذه الاثني عشر وأعطاهم سلطانا يطردون به الأرواح النجسة، ويشفون الناس من كلّ داء ومرض...** "[3].

وهؤلاء الرسل هم: سمعان(بطرس)، أندراوس، يعقوب بن زبدي، يوحنا، فيلبس، برتلماوس، توما، متى، يعقوب بن حلفي، تدّاوس، سمعان الغيور، يهوذا الأسخريوطي[4].

ونال هؤلاء صفة القداسة من ناحية اختيار المسيح لهم، وإفرادهم دون غيرهم بمهمّة التبشير، وإعطاءهم للسلطان المؤيّد لرسالتهم[5].

د ـ البابا: وهو لقب معناه "أبو الآباء"، وأول من أُطلق عليه هذا اللقب "ياراكلاس" البطريرك الثالث عشر من بطاركة الإسكندرية الذي اعتلى العرش الإسكندري بين عامي (230 ـ 246م)،

([1]) ـ وقد تمّ إقرار هذا اللقب الذي أصبح من العقائد المقدّسة في المجمّع المسكوني الثالث (431م). ينظر: تادرس يعقوب ملطي: القديسة مريم في المفهوم الأرثوذكسي، كنيسة مار جرجس، ص 28.

([2]) ـ إنجيل لوقا:35/1.

([3]) ـ سفر متى:1/10 ـ 40.

([4]) ـ ورد ذكر هذه الأسماء في عدّة مواضع من العهد الجديد، منها: سفر متى:1/10 ـ 8. 27/19 ـ 28. سفر مرقس:28/10 ـ 31. سفر لوقا:28/18 ـ 30. كما نجد رؤيا يوحنا يشير (تلميحا) إلى عدد هؤلاء الرسل، حيث جاء فيه (14/21) ما نصّه "**وكان سور المدينة قائما على اثني عشر أساسا، على كلّ واحد منها اسم من أسماء رسل الحمل الاثني عشر**".

([5]) ـ وسنتحدّث عن هيئة الرسل وصفاتها ووظائفها بشيء من التفصيل في الباب الثاني من هذه الأطروحة، لأنها محلّ الدراسة.

وقد نال هذا اللقب لشدّة محبّة النصارى له[1]. ثم انتقل هذا اللقب إلى رومة من أجل أنه كرسي بطرس رأس الحواريين، فصار بطريرك رومة يقال له "البابا"، واستمر على ذلك إلى زماننا هذا[2].

ويطلق هذا اللقب في عصرنا الحاضر على رئيس الكنيسة الكاثوليكية الرومانية الذي يتّخذ من الفاتيكان مقرّا له.

وترى المسيحية أن البابا استمدّ قدسيته من وظيفته كنائب للرّب، وما يعنيه ذلك من وراثته لسلطانه ورئاسته للكنيسة[3]، على اعتبار أن البابا هو خليفة بطرس الرسول، هذا الأخير الذي كان نائبا للرّب المسيح، ووارثا لسلطانه، ورئيسا للكنيسة من بعده، فاستمدّ الباباوات قدسيتهم ـ التي أصبحت باقية إلى أبد الدهر ـ من خلافتهم لبطرس الرسول[4].

ويستدلّون على هذه القدسية التي حظي بها باباوات روما بما جاء في إنجيل متى "**وها أنا معكم طوال الأيام إلى انقضاء الدهر**"[5]. ومعنى بقاء المسيح مع تلاميذه أبد الدهر: بقاء خلفائه مع المسيحيين أبد الدهر[6].

وقد أدى تقديس البابا في المسيحية إلى القول بعصمته، فله السلطة المطلقة في أن يقول ما يشاء، ويفعل ما يشاء، ويحكم بما يشاء، ويكون ذلك دينا ملزما[7].

هـ ـ رجال الدين: وهم الذين انقطعوا للخدمة في الكنيسة، ويطلق عليهم "موظفو الكنيسة" و "الإكليروس" أو "الإكليريكيون"[1]. وتتألف طبقة رجال الدين من ثلاث مراتب أساسية: الأساقفة (وهي أعلى المراتب)، ثم القساوسة، ثم الشمامسة، وهذه الرتب عند جميع الطوائف المسيحية.

---

(1) ـ أثناسيوس: معجم المصطلحات الكنسية، دار نوبار ـ مصر، ط1: 2004، ج1، ص 151 ـ 152.

(2) ـ يوسابيوس القيصري: تاريخ الكنيسة، ترجمة: مرقص داوود، مكتبة المحبة ـ القاهرة، ط3: 1998، ص89. المقريزي: تاريخ الأقباط، تحقيق: عبد المجيد دياب، دار الفضيلة ـ القاهرة، ص 43 ـ 44.

(3) ـ وهو الأصل الذي قام عليه تقديس البابا عند المسيحيين، وبه تسلّط البابا عليهم.

(4) ـ خليل أده اليسوعي: الكنيسة أو مملكة المسيح، المطبعة الكاثوليكية ـ بيروت، ص 100.

(5) ـ إنجيل متى:20/28.

(6) ـ متى هنري: التفسير الكامل للكتاب المقدّس، مطبعة إيجلز ـ القاهرة، ط1: 2002، ج2، ص 549.

(7) ـ لقد كان من آثار عقيدة قدسية البابا وعصمته أن فتحت الباب واسعا لسلطة التشريع التي أصبحت خاضعة لشهوات الباباوات وأمزجتهم تحليلا وتحريما، والتي طالت حتى العقائد، فأصبح بذلك الباباوات ورجال الدين (رجال الكنيسة) في حدّ ذاتهم مصدرا من مصادر القداسة في المسيحية!!! ينظر: موسى الشيخي: تقديس الأشخاص عند النصارى، مرجع سابق، ص 264 وما بعدها.

وترى المسيحية أن رجال الدين نالوا القداسة من خلال وراثتهم لسلطان الرّب مثلهم مثل البابا تماما، فالرّب منح سلطانه للكنيسة والكنيسة ليست إلا الباباوات ورجال الدين[2].

وقد غالى المسيحيون في تقديسهم لرجال الدين فرفعوهم إلى مرتبة فوق مرتبة الملائكة فأعطوهم سلطة الحل والعقد، وما يعنيه من فك للخطايا ومغفرتها، كما جعلوا من الرّب في السماء تابعا لهم، وهو ما جعلهم يحكمون قبضتهم على أتباعهم[3].

ثالثا ـ الأماكن: تحظى الأماكن المقدّسة في المسيحية برمزية كبيرة، وهذا لارتباطها بشخصية المسيح (عليه السلام) باعتباره الشخصية المحورية والمركزية في الديانة المسيحية، سواء ما تعلّق منها بالأماكن التي ولد فيها، أو الأماكن التي تردّد عليها، أو أماكن تنزّلاته وظهوراته...وهذه هي معايير تقديس الأماكن في المسيحية[4]. وعديدة وكثيرة هي الأماكن التي تحظى بالقدسية في الديانة المسيحية، ومن أشهرها:

1 ـ دور العبادة: إن لدور العبادة في كل الأديان مكانة رفيعة، فهي الأماكن التي تمارس فيها المعتقدات ممارسة عملية من خلال الطقوس والشعائر، ومن هنا استمدّت قدسيتها. وتعتبر الكنيسة أهم دور العبادة في المسيحية باعتبارها مكان اجتماع المؤمنين للعبادة والصلاة[5].

وتعتبر المسيحية أن قداسة الكنيسة في العهد الجديد تعادل قداسة شعب الله في العهد القديم[1]، وهذا نتيجة السلطان الروحي الذي مارسته على أتباعها الذي كان من آثاره اعتقادهم بوساطتها بينهم وبين الله[2].

([1]) ـ مجموعة من المؤلفين: التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية، الكنيسة الكلدانية ـ لندن، 2012، ج2، ص42.

([2]) ـ تقديس الأشخاص عند النصارى، ص 264 وما بعدها.

([3]) ـ إلياس كويتر المخلصي: خطيب الكنيسة الأعظم القديس يوحنا الذهبي الفم، منشورات المكتبة البولسية ـ بيروت، ط2: 2002، ص 186.

([4]) ـ ينظر: نخبة من علماء اللاهوت: معجم اللاهوت الكتابي، دار الثقافة ـ القاهرة، ص 258. منير المقدسي: كنيستي عبر العصور، دار القدس ـ القاهرة، ط2: 1935، ص 172.

([5]) ـ الكنيسة: اسم سرياني معناه "مجمع"، وهي تدلّ على مجمع المؤمنين حينما كانوا يجتمعون للتشريع أو أي أمور أخرى، وقيل أنها للدلالة على مجمع المؤمنين حينما كانوا يجتمعون لأداء الشعائر...ثم أصبحت في وقت متأخر تطلق للدلالة على المبنى القائم على مجلس إدارة مكوّن من تنظيم هرمي من رجال الدين، وهو المبنى الذي يجتمع فيه المسيحيون للعبادة تبعا لمذاهبهم الأرثوذكسي والكاثوليكي والبروتستانتي. ينظر: نخبة من اللاهوتيين: قاموس الكتاب المقدّس، ص 535. يوحنا سلامة: اللآلئ النفيسة في شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة، مطبعة قاصد خير ـ مصر، ط3: 1965، ج1، ص93.

2 ـ القدس: تحظى فلسطين عموما ومدينة القدس على وجه الخصوص بمكانة مميّزة بين كل الأماكن المقدّسة في المسيحية باعتبارها مدينة المسيح (عليه السلام)، ففيها ولد، وفيها نشأ، وفيها صلب، وفيها دفن، ومنها قام من بين الأموات، ولا يزال قبره المقدّس اليوم موضع إكرام في القدس في الكنيسة المعروفة بكنيسة القيامة، وفي القدس تراءى السيد المسيح أولا لتلاميذه من بعد قيامته من بين الأموات، ومنها ارتفع إلى السماوات[3]...فحظيت فلسطين والقدس بتعظيم كبير وتقديس شديد في الضمير المسيحي للاعتبارات سالفة الذكر، يقول القدّيس[4] جيروم[5] " إن من الدّين التعبّد في الموضع الذي وطأته قدما المسيح"[6].

رابعا ـ المناسبات والمواسم: تحظى الكثير من الأيام والأعياد في المسيحية بهالة من التقديس والقداسة، وهذا ما تؤكّده الاحتفالات الضخمة التي ترافق هذه المناسبات، حيث تستمدّ قدسيتها من خلال ارتباطها بشخص المسيح، أو لارتباطها بأحد القدّيسين، وتتعدّد هذه المناسبات المقدّسة بتعدّد المذاهب والكنائس المسيحية، ومن أشهرها وأهمّها:

1 ـ عيد القيامة: يعرف "بباسكا" أو أحد القيامة أو يوم القيامة، كما يعرف بعيد الفصح، ويعتبر أهم الأعياد الدينية في المسيحية وأكبرها، ويكون بين أواخر مارس وأواخر أبريل (أوائل أبريل إلى

([1]) ـ نخبة من اللاهوتيين: دائرة المعارف الكتابية، ج6، ص193.

([2]) ـ من المفارقات العجيبة في المسيحية أن لفظ الكنيسة بمعناها الحالي والتي تحظى بهذه الهالة من القداسة لا وجود لها في نصوص الكتاب المقدّس، وإنّما هي فكرة دخيلة على المسيحية استحدثت في القرن الرابع للميلاد نتيجة انتقال المسيحية للعالمية، وافتراق النصارى، وهذا كغيرها من الأفكار والمعتقدات التي استحدثت وفرضت في أزمة تالية ثم أخذت بعد ذلك طابع القداسة!!! ينظر: شارل جنيبير: المسيحية، ترجمة: عبد الحليم محمود، المكتبة العصرية ـ بيروت، ص 130وما بعدها. عادل درويش: الكنيسة أسرارها وطقوسها، دار ابن حزم ـ القاهرة، ط1: 2012، ص 27.

([3]) ـ كيرلس سليم بسترس: القدس في الفكر المسيحي، المؤتمر الدولي الثاني"حماية المقدسات الإسلامية والمسيحية في فلسطين"، الأردن: 23 ـ 25 نوفمبر 2004.

([4]) ـ القدّيس: شخص تقي يصبح بطلا دينيا ومثلا يقتدى به في التمسّك بفضيلة أو فضائل يحثّ عليها دينه، وهو لقب شائع في النصرانية. ينظر: مجموعة من العلماء: الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة ـ السعودية، ط2: 1999، ج18، ص 93.

([5]) ـ جيروم: وهو أحد لاهوتي الكنيسة النصرانية في عهودها الأولى، هاجم رجال الدّين فاضطروا إلى الهجرة من روما إلى فلسطين، حيث أنشأ ديرا في بيت لحم. من أبرز أعماله ترجمة التوراة إلى اللاتينية. ينظر: الموسوعة العربية الميسرة والموسعة، المكتبة العصرية ـ بيروت، ط1: 2010، مج 3، ص 1446.

([6]) ـ ستيفن رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة: الباز العريني، دار الثقافة ـ بيروت، ط1: 1967، ج1، ص 63.

أوائل مايو عند المسيحيين الشرقيين). ويرى المسيحيون أن عيد القيامة حظي بهذه القداسة نتيجة ارتباطه بقيامة المسيح، الذي قام من بين الأموات بعد ثلاثة أيام من صلبه وموته كما هو مسطور في العهد الجديد[1].

2 ـ عيد الميلاد: أو يوم الميلاد أو الكريسماس هو يوم عطلة للاحتفال بميلاد المسيح، الذي هو محور الديانة المسيحية، ويُعتبر ثاني أهم الأعياد المسيحية المقدّسة على الإطلاق بعد عيد القيامة، ويُمثل تذكار ميلاد يسوع المسيح وذلك في شهر ديسمبر أو جانفي على اختلاف بين الكنائس في يومه (بين ليلة 24ديسمبر ونهار 25ديسمبر في تقويم، وبين عشية 6يناير ونهار 7يناير في تقويم آخر)[2].

ورغم أن الكتاب المقدس لا يذكر تاريخ أو موعد ميلاد يسوع فإن آباء الكنيسة قد حددوا ومنذ مجمع نيقية عام 325م الموعد بهذا التاريخ. كذلك فقد درج التقليد الكنسي على اعتباره في منتصف الليل[3]. ويترافق عيد الميلاد باحتفالات دينية وصلوات خاصة للمناسبة، واجتماعات عائلية واحتفالات اجتماعية أبرزها وضع شجرة الميلاد، وتبادل الهدايا وتناول عشاء الميلاد...وترى المسيحية أن أصل هذا العيد مستمدّ من نصوص العهد الجديد في بشارة ملاك الرّب للشعب، حيث جاء في إنجيل لوقا ما نصّه " **فقال لهم الملاك: لا تخافوا ها أنا أبشّركم بخبر عظيم يفرح له جميع الشعب، ولد لكم اليوم في مدينة داود مخلّص هو المسيح الرّب**"[4].

خامسا ـ الكتب: تعتبر الكتب حجر الزاوية في كل الأديان، لما تحتويه من تشريعات وتعاليم الإله من جهة، ولمكانتها لدى الأتباع كمصدر ومرجع من جهة أخرى. والديانة المسيحية كغيرها من الديانات لها كتب مقدّسة استمدّت قدسيتها ممّا حوته من كلام الإله (باعتباره صاحب القداسة ومصدرها)، ويؤمن المسيحيون بقدسية الكتاب المقدّس بعهديه القديم (التوراة)[5]، والجديد

([1]) ـ الأنبا تكلا: الأعياد السيدية "عيد الفصح"، 3 مايو 2013.

([2]) ـ الأنبا تكلا: عيد الميلاد 25 ديسمبر أم 07 يناير، 26 ديسمبر 2011. *https://st-takla.org/*

([3]) ـ المرجع نفسه.

([4]) ـ إنجيل لوقا: 10/2 ـ 11.

([5]) ـ تحدثنا عن تعريف التوراة ومحتواها عند حديثنا عن الكتب المقدّسة عند اليهود فليراجع.

(الإنجيل)[1] الذي ترتكز عليه تعاليم الديانة المسيحية، وقد سمي الكتاب المقدّس بذلك لارتباطه بالإله، فهو "كلمة الله، وقاعدة الإيمان والحياة العملية لجميع البشر"[2]. ومن هنا كانت التوراة والإنجيل بمثابة إطار المقدّس في الديانة المسيحية.

سادسا ـ الشعائر والرموز: حفلت الديانة المسيحية بالعديد من الشعائر والرموز وأضفت عليها طابع القداسة باعتبارها صادرة عن الرّب أو الكنيسة ورجالها[3]، ومن أهمّها وأشهرها:

1 ـ أسرار الكنيسة: تحظى الكنيسة ـ كما رأينا ـ بمكانة كبيرة في الضمير المسيحي نتيجة السلطات التي منحتها لنفسها، والتي كان من آثارها أن أصبحت مصدرا من مصادر التشريع والقداسة، فأخذت قراراتها طابع القدسية، ومن بين الطقوس التي أقرّتها الكنيسة واستقرّت في المخيال المسيحي

(1) ـ إنجيل: مأخوذ من الكلمة اليونانية "أناجيليون" ومعناها "بشارة" أو "خبر طيب" وتستخدم الكلمة أحيانا للدلالة على حياة الرّب يسوع المسيح (مرقس:1/1) وتعاليمه (أعمال:24/20)، ثم أطلقت بعد ذلك على الكتاب الذي يتضمن هذه البشرى، ويطلق عليه المسيحيون بالعهد الجديد في مقابل العهد القديم (التوراة)، ويتضمّن العهد الجديد 27 سفرا: البشائر الأربع وأعمال الرسل(متى، مرقس، لوقا، يوحنا، أعمال الرسل)، ورسائل الرسول بولس الثلاثة عشر (رومة، كورنثوس الأولى، كورنثوس الثانية، غلاطية، أفسس، فيليبي، كولوسي، تسالونيكي الأولى، تسالونيكي الثانية، تيموثاوس الأولى، تيموثاوس الثانية، تيطس، فيلمون)، والرسالة إلى العبرانيين، والرسائل العامة السبع، ثم سفر الرؤيا. ينظر: نخبة من اللاهوتيين: قاموس الكتاب المقدس، ص 87.

(2) ـ مقدمة الكتاب المقدّس، دار الكتاب المقدّس في الشرق الأوسط ـ بيروت.

(3) ـ وهذا على أساس أن الكنيسة ورجالها (رجال الدين عموما والباباوات خصوصا) أصبحوا في حدّ ذاتهم مصدرا من مصادر القداسة جنبا إلى جنب مع نصوص الكتاب المقدّس، وهذا نتيجة القداسة التي يحظون بها من جهة، والسلطات التي منحوها لأنفسهم من جهة أخرى، فحظيت قراراتهم (التي شملت الجانب التشريعي والعقائدي) بهالة من القداسة، واستقرت كواحدة من المسلّمات والمقدّسات في نفوس وأذهان المسيحيين، بالرغم من انعدام صلتها بالكتاب المقدّس، فأصبح مصدر القداسة ومانحها في المسيحية لا يقتصر على نصوص الكتاب المقدّس فحسب، وإنما تعدّاه إلى قرارات رجال الدين فيما أطلق عليه ب "المجامع المسكونية"، أو القرارات الكنسية فيما بعد!!!

كواحدة من المقدّسات ما يسمى ب"أسرار الكنيسة"[1] والتي هي مجموعة من الطقوس الغاية منها نيل نعمة غير منظورة بواسطة مادة منظورة[2]. وهذه الأسرار هي[3]:

أ ـ التعميد: وهو طقس أو شعيرة دينية تجرى للمؤمن بتغطيسه في الماء أو بالرّش، فيعلن بذلك إيمانه وتوبته عن الخطايا والتزامه لعمل إرادة الله، ولها عدة أسماء، من أهمّها: الولادة الثانية، المسحة ، الخلاص....

ب ـ سر مسحة الزيت: وهو السرّ الذي ينال به المعتمد مواهب الروح القدس لتثبيت إيمانه وتقويته، وبدونه تكون المعمدية ناقصة وغير قانونية.

ج ـ العشاء الرباني: ويطلق عليه أيضا "التناول" و"الأفخارستيا"، ويرمز إلى عشاء عيسى الأخير مع تلاميذه وحوارييه، إذ اقتسم معهم الخبز والنبيذ، فالخبز يرمز إلى جسد المسيح الذي كسر لنجاة البشرية، أما الخمر فيرمز إلى دمه الذي سفك لهذا الغرض أيضا.

د ـ سر التوبة والاعتراف: وهو من الأسرار المقدّسة، بحيث يعترف الإنسان للكاهن بذنوبه وخطاياه، اعترافا مصحوبا بالندامة والعزم على ترك الخطيئة وعدم الرجوع إليها، والذي يمكّنه من الحصول على غفران الخطايا من طرف الكاهن.

هـ ـ سر مسحة المرضى: وهو سرّ مقدّس، حيث يمسح الكاهن بمقتضاه المريض بزيت مقدّس، ويستمدّ له الشفاء روحيا وجسديّا.

([1]) ـ تعد أسرار الكنيسة (على اختلاف في عددها بين السريّن والسبعة) أشهر الطقوس لدى المسيحيين التي تتمتّع بقداسة كبيرة لديهم بالرغم من عدم صلتها ـ كغيرها من التشريعات التي شرّعتها الكنيسة ـ بالكتاب المقدّس، فهي من الطقوس المستحدثة، ولم تعرف إلا في القرن الثاني عشر للميلاد. ينظر: جاد المنفلوطي: المسيحية في العصور الوسطى، دار الجيل ـ بيروت، 1973، ص 104.

([2]) ـ أفلاطون مطران موسكو: الخلاصة الشهية في أخص العقائد والتعاليم الأرثوذكسية، ترجمة: يوحنا خربون منشورات النور ـ بيروت، ص 122.

([3]) ـ يختلف المسيحيون في عدد هذه الأسرار تبعا لاختلاف مذاهبهم بين من يحصرها في سرّين اثنين، وبين من يجعلها سبعة أسرار، وهذه الأخيرة هي الأشهر. ينظر: حبيب جرجس: أسرار الكنيسة السبعة، مكتبة المحبة ـ مصر، ط6: 1979، ص 19. رولاند بينتون: مواقف من تاريخ الكنيسة، ترجمة: عبد النور ميخائيل، ط2: 1978، ص 110.

و ـ سر الزواج: وهو سر مقدّس من عند الله يرتبط فيه رجل واحد بامرأة واحدة مدى الحياة، فيكون كلّ واحد منهما مساويا ومكمّلا للآخر، ويكون هذا الارتباط بعقد يجريه أحد الكهنة.

ي ـ سر الكهنوت: وهو السر الذي يختار به رجال الدين، ويعيّنون في مناصبهم الكهنوتية في الكنيسة وهو ما يؤهّلهم لأداء رسالة المسيح.

هذه هي الأسرار الكنسية السبعة التي ترى فيها المسيحية أنها أحد فرائض الكنيسة التي لا يجوز التفريط فيها.

2 ـ حمل الصليب: يعتبر النصارى أن الصليب هو رمز الإيمان، حيث يعظّمونه أشدّ التعظيم ويفتخرون به أشدّ الافتخار، ويعدّ حمله أو لبسه كقلادة، ونحو ذلك علامة على انتماء الإنسان للمسيحية، كما أن في ذلك تذكير لصاحبه بموت المسيح مصلوبا فداء للبشرية، ويستند المسيحيون في تقديسهم للصليب إلى عدّة نصوص، منها ما جاء في إنجيل لوقا في إعلام يسوع بموته وقيامته لتلاميذه "**وقال للجموع كلهم: من أراد أن يتبعني فلينكر نفسه، وليحمل صليبه كل يوم ويتبعني**"[1].

ومن خلال هذا العرض لتجلّيات المقدّس ودوائره في المسيحية نرى بأن المقدّسات فيها لا تختلف عنها في اليهودية من حيث ارتباطها بالدين الذي منح لها صفة القداسة، وهذا إذا تجاوزنا مسألة مصدرية التقديس في المسيحية التي لا تنحصر في الدّين فحسب، فسلطة التقديس امتدّت إلى رجال الدّين (كما هو الحال في المجامع المسكونية والكنيسة فيما بعد) الذين أضحوا يملكون هذه السلطة جنبا إلى جنب مع نصوص الكتاب المقدّس، وهو ما يجعلنا نقول بأن مصدرية التقديس في المسيحية، أو بعبارة أخرى مانح القداسة فيها هو الدين ورجاله.

الفرع الثالث ـ مجالات المقدّس في الإسلام: إن مصدر القداسة في الإسلام هو الله جلّ جلاله، فهو وحده لا شريك له من يملك سلطة التقديس، فلا تقديس إلا ما قدّسه الشارع الحكيم

(1) ـ إنجيل لوقا: 23/9.

من خلال كتابه المبين، أو ما جاء في صحيح سنّة نبيّه الكريم (عليه أفضل الصلاة وأتمّ التسليم)، لذلك كان من أسمائه الحسنى "القدّوس".

وجعل سلطة التقديس بيد الله تعالى وحده بلا شريك، من شأنه أن يزيل الكثير من الاستفهامات، ويجيب عن الكثير من التساؤلات، سواء فيما يتعلّق بماهية المقدّسات في الإسلام ، أو فيما يتعلّق بثباتها وتغيّرها (هل هي ثابتة أم متغيّرة).

إن القول بأن سلطة التقديس بيد الله تعالى وحده يجعل من المقدّسات في الإسلام واضحة لا مبهمة، كما يجعل منها ثابتة لا متغيّرة تتغيّر بتغيّر الزمان والمكان، أو خاضعة لسلطة البشر الذين يحدّدونها (تضييقا وتوسعة) وفق الأمزجة والأهواء[1].

ومن هنا فإن السبيل لمعرفة المقدّسات في الإسلام هي مصادره (القرآن والسنة)، أي أنه لا يمكننا اختلاق مقدّسات لم تذكر في هذه المصادر، أو لم يدل السياق على قدسيتها. وهذه المقدّسات متعدّدة بتعدد المجالات.

أولاـ الذات الإلهية: إن أولى وأعظم المقدّسات في الإسلام هو الله جلّ جلاله وتقدّست أسماؤه صاحب القداسة ومصدرها ومانحها، القدّوس الطاهر، المستحقّ للتعظيم والاحترام والتبجيل... قال تعالى ﴿مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [سورة الحج:74]

ولما كان الله تبارك وتعالى بهذه القدسية والمكانة والعظمة، نجده سبحانه في كتابه المبين في الكثير من المواضع والآيات القرآنية يتوعد من ينتهك هذه الحرمة والقدسية بأي شكل من الأشكال، قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ [سورة الأحزاب:57]

ثانيا ـ المخلوقات: ونقصد بالمخلوقات المقدّسة الموجودات التي خلقها وأوجدها واجب الوجود (الله جلّ جلاله)، ودلّت النصوص على قدسيتها وقداستها، وهي على نوعين:

1 ـ مخلوقات سماوية: ونقصد بهم الملائكة الكرام، وهي مخلوقات نورانية غير مرئية من غير عالم الإنس والجن، أرسلهم الله تعالى لأداء وظائف ومهام محددة، والتي تختلف من صنف لآخر. وقد

(1) ـ كما هو الحال بالنسبة للمسيحية كما رأينا قبل قليل.

الفصل الأول ـ مفهوم الإساءة للمقدّسات الدينية

استمدّوا قدسيتهم بحكم أنهم رسل الله، قال تعالى ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [سورة فاطر:1]، فكان الإيمان بهم ركنا من أركان الإيمان، فلا يقبل إيمان الإنسان دون الإيمان بهم، كما جاء في حديث جبريل(عليه السلام) حينما سأل (أي جبريل) النبي (صلى الله عليه وسلم) عن الإيمان، فقال عليه الصلاة والسلام :" **الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وبلقائه ورسله وتؤمن بالبعث**"[1].

2 ـ مخلوقات أرضية: والمقصود بهم صنف من البشر دلّت النصوص على المنزلة المقدّسة التي يحظون بها في دين الإسلام، وهذا الصنف من البشر هم "الأنبياء"، الذين أرسلهم الله، وأوحى إليهم لتبليغ رسالته للبشر، فنالوا هذه المكانة المقدّسة لهذا الاعتبار، قال تعالى ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ [سورة الحديد:25]. ولما كانوا بهذه المكانة جعل الإسلام الإيمان بهم ركنا من أركان الإيمان[2].

إلا أن هذه المكانة المقدّسة التي يحظى بها الأنبياء(عليهم السلام) في الإسلام لا تعني البتة تأليههم كما ألّه النصارى المسيح عيسى (عليه السلام) حينما دفعهم تقديسه إلى تأليهه، وجعله أقنوما من أقانيم الإله، بل تعني الإيمان بهم جميعا دون تفرقة، واحترامهم وتبجيلهم، وعدم الإساءة إليهم، أو التطاول عليهم بشكل أو بآخر، لأنهم رسل الله للبشر[3].

([1]) ـ صحيح: أخرجه البخاري، كتاب (الإيمان)، باب (سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة...)، رقم(50).

([2]) ـ كما جاء في حديث جبريل(عليه السلام) سالف الذكر.

([3]) ـ وسيأتي الحديث عن مفهوم النبوة وصفاتها ووظائفها في الإسلام في الباب الثاني من هذه الدراسة.

ثالثا ـ الأماكن: حظي المكان برفعة وقداسة في دين الإسلام، ولا أدلّ على ذلك من جعل بعض الأمكنة مقصدا تشدّ إليها الرحال، وعديدة هي الأماكن التي حظيت بالقداسة في الإسلام، منها على سبيل المثال لا الحصر:

1 ـ مكة المكرّمة: ورد اسم مكة مرّة واحدة في القرآن الكريم في قوله تعالى ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾ [سورة الفتح:24]، وقد ذكرت في مواضع أخرى بأسماء وألقاب مختلفة[1]. ووجه القداسة لهذه البقعة المكانية هو وجود بيت الله الحرام (الكعبة المشرّفة) فيها، قال تعالى ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [سورة آل عمران:96] وقد تناولنا في حديثنا عن دلالات المقدّس في نصوص القرآن والسنة أن لفظ "المحرّم" هو من بين الألفاظ التي وردت بمعنى المقدّس، والمحرّم هو الذي له واجب الاحترام والتعظيم، والذي لا يجوز انتهاكه، لذلك توعّد الله كل من ينتهك حرمة بيته الحرام، قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [سورة الحج:25]

(1) ـ مثل أم القرى، والبلد الأمين، وبكة، والحرم....

وكذلك نالت مكة المكرّمة هذه المكانة المقدّسة باعتبار المسجد الحرام الذي هو بيت الله باختيار الله، والذي هو أحد المساجد الثلاثة المقدّسة في الإسلام، والتي ميّزها الله عن بقية المساجد الأخرى بشدّ الرحال إليها، قال (صلى الله عليه وسلم):" **لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجد الرسول (صلى الله عليه وسلم)، ومسجد الأقصى**"[1].

وفي هذا الحديث إشارة صريحة إلى "فضيلة هذه المساجد ومزيتها على غيرها لكونها مساجد الأنبياء ولأن الأول قبلة الناس وإليه حجهم، والثاني كان قبلة الأمم السالفة، والثالث أسس على التقوى" [2].

2 ـ المدينة المنوّرة: وهي مدينة نبي الإسلام (صلى الله عليه وسلم)، ففيها عاش، وفيها أسّس أركان دولة الإسلام، وفيها مات ودفن، ومن هنا اكتسبت هذه الرمزية المقدّسة لارتباطها بنبي الإسلام (صلى الله عليه وسلم)، إضافة إلى وجود المسجد النبوي (الحرم النبوي) فيها، والذي ميّزه الله تعالى عن بقية المساجد بشدّ الرحال إليه[3].

3 ـ فلسطين: وهي من الأماكن المقدّسة عند المسلمين، ومن أبرز معالم قدسيتها، أنها:

أ ـ أرض الإسراء والمعراج: ارتبطت قدسية فلسطين في نفوس المسلمين بكونها الأرض التي أسري فيها برسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وعرج منها إلى السماوات العلى في رحلة الإسراء والمعراج، وقد أشار إلى ذلك القرآن الكريم في قوله تعالى ﴿ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾ [سورة الإسراء:1]

ب ـ القبلة الأولى للمسلمين: إن من أسس قدسية فلسطين في نفوس المسلمين ارتباطها بركن الصلاة، حيث كان المسجد الأقصى ببيت المقدس في فلسطين قبلة المسلمين الأولى[4]، إلى أن جاء

([1]) ـ صحيح: أخرجه البخاري، كتاب (فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة)، باب (فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة)، رقم (1189).

([2]) ـ ابن حجر العسقلاني: فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق: نخبة من العلماء، دار الريان ـ مصر، ط1: 1986، ج3، ص78.

([3]) ـ كما في الحديث سالف الذكر.

([4]) ـ أخرج البخاري في صحيحه (كتاب الإيمان، باب الصلاة من الإيمان) من حديث البراء بن عازب" أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ أَوَّلَ مَا قَدِمَ المَدِينَةَ نَزَلَ عَلَى أَجْدَادِهِ ، أَوْ قَالَ أَخْوَالِهِ مِنَ الأَنْصَارِ ، وَأَنَّهُ صَلَّى قِبَلَ بَيْتِ المَقْدِسِ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا ، أَوْ

الفصل الأول ـ مفهوم الإساءة للمقدّسات الدينية

الأمر الإلهي بتحويل القبلة صوب المسجد الحرام بمكة المكرمة، قال تعالى ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ [سورة البقرة:144]

ج ـ أرض المسجد الأقصى: وهي من مرتكزات قدسية فلسطين عموما وبيت المقدس خصوصا عند المسلمين، فالمسجد الأقصى إضافة إلى كونه أولى القبلتين ـ كما ذكرنا ـ هو ثالث الحرمين الشريفين، وأحد المساجد الثلاثة التي لا تشدّ الرحال إلا إليها.

ونتيجة لهذه الفضائل والخصائص التي تميّزت بها فلسطين عموما وبيت المقدس خصوصا كان المسلمون يقصدون بيت المقدس في ذهابهم لأداء ركن الإسلام الأعظم ألا وهو الحج، وفي عودتهم منه، حتى أضحت مدينة القدس مزارا يتبرّك به المسلمون تبرّكهم بالكعبة المشرّفة[1]. وفي ذلك دلالة بالغة على مدى قدسية القدس وفلسطين ومكانتها "المقدّسة" في نفوس المسلمين، كما يدلّ أيضا على مدى ارتباط المسلمين بفلسطين وأن هذه الارتباط ليس مجرّد ارتباط أرض وطين، وإنّما هو ارتباط عقيدة ودين.

رابعا ـ المناسبات الأيام: ونقصد بها الأيام والشهور التي تميّزت عن غيرها بجملة من الفضائل والخصائص في نصوص القرآن والسنة، والتي أكسبتها صفة القداسة، ومن هذه المواسم:

1 ـ الأشهر الحرم: وهي أشهر ذو القعدة وذو الحجة ومحرم ورجب، كما في الحديث الشريف "**إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض، السنة اثنا عشر شهرا، منها أربعة**

سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا ، وَكَانَ يُعْجِبُهُ أَنْ تَكُونَ قِبْلَتُهُ قِبَلَ البَيْتِ ، وَأَنَّهُ صَلَّى أَوَّلَ صَلاَةٍ صَلَّاهَا صَلاَةَ العَصْرِ، وَصَلَّى مَعَهُ قَوْمٌ ، فَخَرَجَ رَجُلٌ مِمَّنْ صَلَّى مَعَهُ ، فَمَرَّ عَلَى أَهْلِ مَسْجِدٍ وَهُمْ رَاكِعُونَ ، فَقَالَ: أَشْهَدُ بِاللَّهِ لَقَدْ صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قِبَلَ مَكَّةَ ، فَدَارُوا كَمَا هُمْ قِبَلَ البَيْتِ ، وَكَانَتِ اليَهُودُ قَدْ أَعْجَبَهُمْ إِذْ كَانَ يُصَلِّي قِبَلَ بَيْتِ المَقْدِسِ ، وَأَهْلُ الكِتَابِ، فَلَمَّا وَلَّى وَجْهَهُ قِبَلَ البَيْتِ ، أَنْكَرُوا ذَلِكَ".

([1]) ـ معين محمود: تاريخ مدينة القدس، دار الأندلس ـ بيروت، 1979، ص 164.

حرم، ثلاث متواليات: ذو القعدة وذو الحجة والمحرّم، ورجب شهر مضر الذي بين جمادى وشعبان"[1].

وسمّيت الأشهر الحرم بذلك لزيادة حرمتها عن غيرها بتعظيم الثواب والعقاب فيها، فلا يجوز انتهاك هذه الحرمة، قال تعالى ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ۚ ﴾ [سورة التوبة:36]، يقول القرطبي[2] في تفسيره لقوله تعالى (**فلا تظلموا فيهن أنفسكم**)، أي "بارتكاب الذنوب لأن الله سبحانه إذا عظم شيئاً من جهة واحدة صارت له حرمة واحدة، وإذا عظمه من جهتين أو جهات صارت حرمته متعددة فيضاعف فيه العقاب بالعمل السيء، كما يضاعف الثواب بالعمل الصالح، فإن من أطاع الله في الشهر الحرام في البلد الحرام ليس ثوابه ثواب من أطاعه في الشهر الحلال في البلد الحرام، ومن أطاعه في الشهر الحلال في البلد الحرام ليس ثوابه ثواب من أطاعه في شهر حلال في بلد حلال، وقد أشار الله إلى هذا بقوله ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴾ [سورة الأحزاب:30]"[3].

2 ـ يوم الجمعة: وهو اليوم الذي حظي بجملة من الفضائل والخصائص، جعلته يتميّز عن بقية أيام الأسبوع، وأكسبته صفة القداسة عند المسلمين، ومن هذه الفضائل:

أ ـ أنه أفضل الأيام عند الله: ففي الحديث الذي رواه أبو هريرة (رضي الله عنه) أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال:" **لا تطلع الشمس ولا تغرب على يوم أفضل من يوم الجمعة**"[4].

([1]) ـ أخرجه البخاري، كتاب (تفسير القرآن: تفسير براءة)، باب (إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السماوات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيّم فلا تظلموا فيهن أنفسكم)، رقم (4662).

([2]) ـ القرطبي (ت 671هـ/1273م): محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي الأندلسي، القرطبي، من كبار المفسّرين، من أهل قرطبة، رحل إلى أسيوط (مصر) وتوفي بها. من كتبه: "الجامع لأحكام القرآن"، "الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى"، "التذكرة بأحوال الموتى وأحوال الآخرة". ينظر: الزركلي: الأعلام دار العلم للملايين ـ بيروت، ط15 : 2002: ج5، ص 323.

([3]) ـ تفسير القرطبي:198/10 ـ 199.

([4]) ـ أخرجه ابن حبان، كتاب (الصلاة)، باب (صلاة الجمعة)، رقم (2770).

ب ـ أنه العيد الأسبوعي للمسلمين: فعن أنس (رضي الله عنه) أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: "**أتاني جبريل بمثل المرآة البيضاء، فيها نكتة سوداء، قلت: يا جبريل، ما هذه؟ قال: هذه الجمعة، جعلها الله عيدا لك ولأمّتك...**"[1].

ج ـ ارتباطه بأمور عظيمة: فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال :"**خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها، وفيه تيب عليه، وفيه مات، وفيه تقوم الساعة، وما من دابة إلا وهي يوم الجمعة مصيخة**[2]**، حتى تطلع الشمس شفقا من الساعة، إلا ابن آدم، وفيه ساعة لا يصادفها مؤمن وهو قائم يصلي فيسأل الله فيها شيئا إلا أعطاه إياه**"[3].

هذه بعض الفضائل التي جعلت يوم الجمعة يوما مميّزا عن بقية أيام الأسبوع، وهي التي أهّلته بأن يكون يوما مباركا معظّما (مقدّسا) لدى المسلمين، لكن هذه القدسية التي اكتسبها لا تعني على الإطلاق أن الإسلام قد جعله يوما للراحة، أو يوما يُحرم فيه العمل، كما فعلت اليهودية مع يوم السبت حينما حرّمت فيه العمل وجعلته يوما للراحة، وإنّما هو يوم مبارك نال هذه البركة للأحاديث سالفة الذكر.

خامسا ـ الكتب: من دوائر المقدّس ومجالاته في الإسلام دائرة الكتب والمصادر التي تعتبر مصدر المقدّسات الأخرى، لأنها تحوي كلام الله تعالى لفظا أو معنى، وهي:

1 ـ القرآن الكريم: وهو كلام الله تعالى المعجز المنزل على سيّدنا محمد (صلى الله عليه وسلم)، المكتوب في المصاحف، المنقول بالتواتر، المتعبّد بتلاوته[4].

ونال القرآن الكريم هذه القدسية باعتبار مصدره السماوي الإلهي، فهو من عند الله تعالى القدّوس صاحب القداسة ومصدرها ومانحها، قال تعالى ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [سورة ص:29]

([1]) ـ أخرجه أبو يعلى، رقم (4228).

([2]) ـ أي مصغية مستمعة، ينظر: ابن بلبان: صحيح ابن حبّان، تحقيق وتخريج: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة ـ بيروت، ط2: 1993، ج7، ص7.

([3]) ـ صحيح ابن حبان: كتاب (الصلاة)، باب (صلاة الجمعة)، رقم (2772).

([4]) ـ محمد الزرقاني: مناهل العرفان في علوم القرآن، تحقيق: أحمد المعصراوي، دار السلام ـ مصر، ط4: 2015، ج1، ص17.

2 ـ السنّة النبوية: وهي أقوال النبي (صلى الله عليه وسلم) وأفعاله وتقريراته التي دوّنها علماء الحديث في مصنّفاتهم[1].

ونالت السنّة النبوية صفة القداسة باعتبارها أحد قسمي الوحي الإلهي، فالقسم الأول هو القرآن الكريم، وهي تمثّل القسم الثاني منه، وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم ، قال سبحانه ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [سورة النجم:4]، وكذلك حظيت السنة بهذه المنزلة المقدّسة في الإسلام باعتبارها شارحة ومبيّنة لمراد الله تعالى، قال سبحانه ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[سورة النحل:44]

سادسا ـ الشعائر والرموز: وعديدة هي الشعائر والرموز المقدّسة في الإسلام، ومن ذلك:

1 ـ الصلاة: وهي من الواجبات والتكاليف الشرعية التي أوجبها الله على المسلمين، بل واعتبرها ركنا من أركان الإسلام، كما جاء ذلك في الحديث الشريف " **بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان**"[2].

فأخذت شعيرة الصلاة قدسيتها باعتبار مكانتها في الإسلام، فهي عماد الدين وعموده، كما أنها من الواجبات الشرعية التي أوجبها الله على عباده المؤمنين، قال تعالى ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾[سورة البقرة:43]

2 ـ الحجاب: حيث يعتبر من الرموز التي حظيت بالقداسة في الإسلام، فهو من الواجبات والتكاليف الشرعية التي فرضها الله تعالى على المرأة المسلمة، قال تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[سورة الأحزاب:59]

هذه هي دوائر المقدّس وتجلّياته في الأديان السماوية، وقد كان الغرض من عرضنا نماذج من المقدّسات في كلّ دائرة من دوائر المقدّس بيان ماهية المقدّسات في كلّ دين، وهذا بعد أن تحدّثنا عن

([1]) ـ محمد زهو: الحديث والمحدّثون، شركة الطباعة العربية ـ الرياض، ط2: 1984، ص10.

([2]) ـ صحيح البخاري: كتاب (الإيمان)، باب(دعاؤكم إيمانكم)، رقم (8).

الفصل الأول ـ مفهوم الإساءة للمقدّسات الدينية

دلالات المقدّس اللغوية والاصطلاحية، وعلاقة المقدّس بالدين، وأن الأخير هو المسؤول عن تصنيف الأشياء إلى مقدّسة وغير مقدّسة... وقد رأينا كيف استمدّت المقدّسات في اليهودية والمسيحية والإسلام قدسيتها من صاحب القداسة ومانحها ومصدرها، وهو الله جلّ جلاله الذي له سلطة التقديس، وهذا هو القاسم المشترك للمقدّسات في الأديان السماوية، إلا أن المسيحية أضافت ـ كما رأينا ـ مصدرا آخر للقداسة يتمثّل في رجال الدين الذين استمدّوا قدسيتهم من الإله، فاستغلّوا هذه المنزلة "المقدّسة" بمنح أنفسهم سلطة التقديس، فحازت الكثير من الأشياء صفة القداسة من جهة رجال الدين. وبهذا نرى بأن مصدر المقدّسات في الإسلام واليهودية يختلف عنه في المسيحية، فالإسلام يعتبر الله جلّ ثناؤه وتقدّست أسماؤه مصدر جميع المقدّسات، وهو وحده بلا شريك من يحمل ويملك سلطة التقديس، فكانت بذلك المقدّسات في الإسلام ثابتة لا متغيّرة تتغيّر بتغيّر الزمان والمكان والحال، وكذلك الحال بالنسبة لليهودية، أمّا المسيحية فقد جعلت سلطة التقديس مشتركة بين الله ورجال الدين، فكانت بذلك المقدّسات فيها متغيّرة تتغيّر بتغيّر الزمان والمكان والحال، لأنها مرتبطة بأمزجة وأهواء رجال الدين الذين منحوا لأنفسهم الحق في تحديدها تضييقا وتوسعة.

الفصل الأول ـ مفهوم الإساءة للمقدّسات الدينية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثاني ـ جذور ودوافع الإساءة للأنبياء (عليهم السلام)

المبحث الأول

مظاهر الإساءة للأنبياء (عليهم السلام)

يعتبر القرآن الكريم الإساءة التي تعرّض لها أنبياء الله ورسله تدخل ضمن الصراع بين الحقّ والباطل، أو ما يعرف ب "سنّة التدافع"، أو "سنّة المدافعة"، قال تعالى ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [سورة البقرة:251]

فجميع أنبياء الله ـ دون استثناء ـ تعرّضوا لأنواع شتى من الإساءة والازدراء والتطاول، وهذا ما أشارت إليه الآيات القرآنية ـ في غير موضع ـ ومن ذلك:

قوله تعالى﴿ يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ ۚ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ [سورة يس:30]

وقال في موضع آخر ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا۟ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ [سورة الذاريات:52]

بل ووصل الأمر إلى حدّ الاعتداء الجسدي والتصفية الجسدية، قال تعالى ﴿ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ [سورة المائدة:70]

وهذه الآيات تشير إلى الإساءات التي اعترضت مسيرة الأنبياء الدعوية من طرف أقوامهم، حيث تنوّعت بين الإساءة القولية والفعلية، وهذا ما سنتحدّث عنه في هذا المبحث، على أن نخصّص المبحث الثاني للحديث عن مظاهر الإساءة التي تعرّض لها خاتم الأنبياء والمرسلين (صلى الله عليه وسلم)، أما المبحث الثالث فسيكون للحديث عن أسباب ودوافع هذه الإساءة.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثاني ـ جذور ودوافع الإساءة للأنبياء (عليهم السلام)

المطلب الأول ـ الإساءة القولية: تعدّدت وتنوّعت أساليب الإساءة القولية التي تعرّض لها الأنبياء من طرف أقوامهم في سبيل أداء مهامهم، ومن ذلك:

أولا ـ أسلوب الإرهاب والتخويف: ونقصد به بثّ الرعب والخوف في نفس العدوّ[1]. وقد تحدّث القرآن الكريم عن هذا الأسلوب الذي أُستعمل ضد الأنبياء من طرف أقوامهم، في سبيل شلّ حركتهم الدعوية، قال تعالى في معرض حديثه عن ترويع سحرة فرعون لموسى (عليه السلام) ومن معه ﴿قَالَ أَلْقُوا ۖ فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾ [سورة الأعراف:116]

ونلاحظ أن كلمة "استرهبوهم" جاءت للدلالة على الأسلوب الذي استعمله سحرة فرعون في سبيل تخويف موسى (عليه السلام) ومن معه، وقد كان السحر هو أداة التخويف والترويع[2].

هذا وقد أخذ الإرهاب والترويع عدّة أشكال، منها:

1 ـ التهديد بالإخراج من الديار: وهو من أساليب الضغط النفسية التي مورست على الأنبياء، من أجل ثنيهم عن دعوتهم، وهذا لما للموطن ومسقط الرأس خصوصا من منزلة في القلب.

ويحكي القرآن الكريم عن هذا الشكل من الإرهاب الذي مورس على الأنبياء، فقال تعالى ﴿وَإِن كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾ [سورة الإسراء:76 ـ 77]

وكان هذا الأسلوب عادة الكفار مع أنبياء الله ورسله، يقول القرطبي في تفسيره لهذه الآية: "خيّر الكفار الرسل بين أن يعودوا في ملّتهم، أو يخرجوهم من أرضهم، وهذه سيرة الله تعالى في رسله وعباده"[3].

---

(1) ـ ومنه قوله تعالى ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [سورة الأنفال:60]

(2) ـ التحرير والتنوير:48/9.

(3) ـ تفسير القرطبي:348/9. تفسير ابن كثير:50/9.

فهذا نبيّ الله لوط (عليه السلام) يُهدَّد من طرف قومه بإخراجه وأهله من موطنه ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخۡرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٖ مِّن قَرۡيَتِكُمۡۖ إِنَّهُمۡ أُنَاسٞ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [سورة النمل:56]

وكذلك الحال بالنسبة لنبي الله شعيب (عليه السلام) الذي هدّده قومه بالإخراج من دياره﴿قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ لَنُخۡرِجَنَّكَ يَٰشُعَيۡبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرۡيَتِنَآ أَوۡ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۚ قَالَ أَوَلَوۡ كُنَّا كَٰرِهِينَ﴾ [سورة الأعراف:88]

وهكذا نرى كيف كان أسلوب "التهديد بالطرد من الديار" سنّة مطّردة مع جميع الأنبياء، الذين استعمل أقوامهم معهم هذا الأسلوب في سبيل ثنيهم عن أداء وظيفتهم الدعوية، قال تعالى ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمۡ لَنُخۡرِجَنَّكُم مِّنۡ أَرۡضِنَآ أَوۡ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۖ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ رَبُّهُمۡ لَنُهۡلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [سورة إبراهيم:13]

2 ـ التهديد بالرجم: وهو شكل آخر من أشكال الإرهاب والتخويف التي مارسها أعداء الأنبياء ضدّهم، فبالإضافة إلى التهديد بالإخراج من الديار، كان التهديد بالرجم[1] أسلوبا من الأساليب التي استعملت ضدّ غير واحد من الأنبياء. فهذا نبيّ الله نوح (عليه السلام) يهدّد من طرف قومه بالرجم﴿قَالُواْ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمَرۡجُومِينَ﴾ [سورة الشعراء:116]

وكذلك الحال مع نبيّ الله شعيب (عليه السلام) الذي هدّده قومه بالرجم فقالوا ﴿يَٰشُعَيۡبُ مَا نَفۡقَهُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفٗاۖ وَلَوۡلَا رَهۡطُكَ لَرَجَمۡنَٰكَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡنَا بِعَزِيزٖ﴾ [سورة هود:91]

(1) ـ والرجم هو الرمي بالحجارة حتى الموت. ينظر: ابن فارس: مقاييس اللغة:494/2.

3 ـ التهديد بالسجن: ونجد هذا الأسلوب الذي يعدّ شكلا من أشكال التخويف والترويع مع نبيّ الله موسى (عليه السلام) الذي هُدِّد من طرف فرعون، قال تعالى حكاية عن هذا الفرعون ﴿قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ﴾ [سورة الشعراء:29]

ثانيا ـ أسلوب تشويه الصورة: وهذا الأسلوب يعدّ لونا آخر من ألوان الإساءة القولية للأنبياء، وقد أخذ هو الآخر أشكالا متنوّعة، وصورا متعدّدة، ومن ذلك:

1ـ التطيّر: والتطيّر في معناه اللغوي هو التشاؤم بالشيء[1]، وقد كانت الأمم تتشاءم بأنبيائها وبأتباعهم كوسيلة من وسائل تشويه صورتهم أمام الناس، ومن ذلك تشاؤم آل فرعون بنبيّ الله موسى (عليه السلام) ومن معه، قال تعالى ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّن ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة الأعراف:130 ـ 131]

ونلاحظ كيف كان آل فرعون يعزون ما يحلّ بهم من مصائب إلى موسى ومن معه[2]، حيث كانوا يرونهم سبب ذلك، وهذا من أجل تشويه صورتهم أمام الناس[3].

ونجد هذا الأسلوب يمارس ضدّ نبي الله صالح (عليه السلام)، قال تعالى ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ ۖ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ۚ قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ ۖ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾ [سورة النمل:45 ـ 47]

---

(1) ـ محمود الزمخشري: الفائق في غريب الحديث، تحقيق: علي البجاوي وزميله، دار الفكر ـ بيروت، 1993، ج2، ص 371.

(2) ـ تفسير ابن كثير:367/6. التحرير والتنوير:65/9 ـ 67.

(3) ـ وقد كانت الأمم تنسب ما يحلّ بها من خير لأنفسها، في مقابل نسبة المصائب للأنبياء وأتباعهم.

وكذلك الحال مع قوم ياسين لرسلهم ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهُواْ لَنَرۡجُمَنَّكُمۡ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [سورة يس:18]

وهكذا نرى كيف أن تشابه الأمم في الكفر والجحود والعناد أنتج أساليب متشابهة في الإساءة لأنبيائهم ورسلهم.

2 ـ الاتّهامات: رأى أعداء الأنبياء أن أفضل السبل لإيقاف مسيرة الأنبياء وشلّ حركتهم، وتنفير الناس عنهم، تتمثّل في رميهم باتّهامات زائفة، لا أساس لها من الصحّة. وعديدة هي الاتّهامات التي رمى بها الأقوام أنبياءهم، ومن ذلك:

أ/ الاتّهام بالجنون: حيث نجد هذه التهمة الزائفة مع قوم نوح حينما اتّهموا نبيّهم (عليه السلام) بالجنون، قال تعالى ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ٢٣ فَقَالَ ٱلۡمَلَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيۡكُمۡۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةٗ مَّا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلۡأَوَّلِينَ إِنۡ هُوَ إِلَّا رَجُلُۢ بِهِۦ جِنَّةٞ فَتَرَبَّصُواْ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٖ﴾ [سورة المؤمنون:23 ـ 25]

كما نجد فرعون يتّهم موسى (عليه السلام) بالجنون ﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِيٓ أُرۡسِلَ إِلَيۡكُمۡ لَمَجۡنُونٞ﴾ [سورة الشعراء:27]

ب/ الاتّهام بالسحر: وهذه التهمة لصيقة بتهمة الجنون، حيث نجدهما في الكثير من الآيات القرآنية مرتبطتان ببعضهما البعض.

ويحكي القرآن الكريم كيف كانت الأمم تتّهم الأنبياء تارة بممارسة السحر، كما في قوله تعالى ﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ﴾ [سورة ص:4]

وتارة أخرى بأنهم تحت تأثير السحر، أي أنهم (مسحورون)، كما في الحكاية عن فرعون في اتّهامه لموسى بذلك ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ تِسۡعَ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖۖ فَسۡـَٔلۡ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِذۡ جَآءَهُمۡ فَقَالَ لَهُۥ

﴿فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَىٰ مَسْحُورًا﴾ [سورة الإسراء:101]، كلّ ذلك من أجل إبعاد الناس عنهم.

وهكذا نرى كيف كانت الاتّهامات وسيلة من وسائل الأمم في إساءتها إلى أنبيائها، وقد بيّن سبحانه أن هذه الوسيلة هي سمة مشتركة بين الأمم ، قال تعالى ﴿كَذَٰلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ [سورة الذاريات:52]، أي أنه لم يخل قوم من الأقوام، أو أمّة من الأمم إلا واتّهمت أنبياءها بالسحر والجنون[1].

هذه بعض صور ومظاهر الإساءة القولية للأنبياء (عليهم السلام) من طرف أممهم وأقوامهم، حيث تنوّعت بين الترويع وتشويه صورتهم في الأوساط المجتمعية، كلّ ذلك من أجل إيقاف دعواتهم، وشلّ حركتهم، وتنفير الناس عنهم.

المطلب الثاني ـ الإساءة الفعلية: ونقصد بالإساءة الفعلية تلك التي تجاوزت حدّ القول إلى ميدان الفعل، وهي المتعلّقة بالبدن والجسد، ومن ذلك:

أولا ـ القتل: يحكي القرآن الكريم أن أسلوب القتل كان من بين الأساليب التي استعملها بنو إسرائيل ضدّ أنبيائهم، حتى عدّ صفة لازمة لهم، وسمة لاصقة بهم، قال تعالى ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِن بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ ۖ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [سورة البقرة:87]

وهذه الآية تتحدّث عن فعل من أفعال الإساءة (وهو القتل) المتأصّل في بني إسرائيل، وقد عبّر سبحانه عن ذلك بقوله ﴿أَفَكُلَّمَا﴾، وهي كلمة تدلّ على أن هذا الفعل كان من طبائعهم الملتصقة بهم، في جميع الأزمنة، ومع جميع الأنبياء والرسل[2].

وفي آية أخرى نقرأ هذا النوع من الإساءة الذي مارسته بنو إسرائيل ضدّ أنبيائها، قال تعالى

([1]) ـ التحرير والتنوير:21/27.

([2]) ـ المرجع نفسه:598/1.

﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَاءُو بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [سورة آل عمران:112]

فالله سبحانه وتعالى في هذه الآية يتحدّث عن العقاب الذي ألحقه ببني إسرائيل، والمتمثّل في جعل الذلّة والمسكنة صفتان لازمتان لهم، واستحقاقهم الغضب الإلهي، والذي كان بسبب الكفر بآيات الله التي جاءهم بها الأنبياء، وقتلهم إياهم[1].

كما استعمل أسلوب القتل هذا قوم إبراهيم ضدّه (عليه السلام)، وقد حكى تعالى محاولة قتله بإحراقه في النار، قال سبحانه ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾ [سورة الأنبياء:68 ـ 70]، إلا أن محاولة قتله باءت بالفشل، بعد أن عصمه الله من شرّهم.

ثانيا ـ الإخراج من الديار: وقد تحدّثنا عن هذا الأسلوب في المطلب السابق، وقلنا أنّه من بين الأساليب القولية التي مارسها الأقوام ضدّ أنبيائهم، وهذا لما كان مجرّد تهديد، أمّا وأنّه أصبح فعلا، فهذا يجعله من الإساءات الفعلية.

وقد مورس هذا الأسلوب ضدّ نبي الله إبراهيم ولوط (عليهما السلام) حينما أخرجهما قومها من ديارهما، وهو ما أشارت إليه الآية القرآنية في قوله تعالى ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ [سورة الأنبياء:73]

وقال عن نبيّه لوط (عليه السلام) وحده ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾ [سورة الحجر:65]

فالإخراج من الديار قد يكون بالطرد منها عنوة، كما يكون بالأفعال المستوجبة للخروج، من تضييق وتهديد وتشويه واتّهامات، أو كفر وشرك وعناد...وكلّها أفعال تستوجب الخروج، وتجعل صاحبها مكرها على ذلك.

([1]) ـ تفسير ابن كثير: 429/1.

ثالثا ـ الاعتداء على البيّنات التي جاءوا بها: وهذا ما نجده مع قوم صالح (عليه السلام) الذي اعتدى عليه قومه بقتل ناقته التي جعلها الله آية للدلالة على صدق نبوّته.

ويحكي القرآن الكريم بأن هذه الناقة أرسلت إليهم بناء على طلبهم آية من الآيات، قال سبحانه ﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ ١٥٣ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا فَأۡتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١٥٤ قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٞ لَّهَا شِرۡبٞ وَلَكُمۡ شِرۡبُ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ﴾ [سورة الشعراء:153 ـ 155]

فكانت هذه الآية ابتلاءً وامتحانا لهم، قال تعالى ﴿إِنَّا مُرۡسِلُواْ ٱلنَّاقَةِ فِتۡنَةٗ لَّهُمۡ فَٱرۡتَقِبۡهُمۡ وَٱصۡطَبِرۡ ٢٧ وَنَبِّئۡهُمۡ أَنَّ ٱلۡمَآءَ قِسۡمَةُۢ بَيۡنَهُمۡۖ كُلُّ شِرۡبٖ مُّحۡتَضَرٞ﴾ [سورة القمر:27 ـ 28]

وقد كانت هذه الناقة حجّة لصالح (عليه السلام) للدلالة على حقيقة نبوّته، وصدق قوله، كما كانت ابتلاءا واختبارا لقومه في الإيمان بصالح (عليه السلام) والتصديق به، أو الكفر والتكذيب ما جاء به[1].

ونجد نبيّ الله صالح (عليه السلام) يحذّرهم من مغبّة الإساءة إلى هذه الناقة، التي لا تعتبر إساءة إليها باعتبارها خلقا من مخلوقات الله فحسب، وإنما هي اعتداء على معجزة من المعجزات الدالة على صدق نبوّته، وبالتالي فهي اعتداء على مقام النبوّة، فيقول كما جاء في القرآن ﴿قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٞ لَّهَا شِرۡبٞ وَلَكُمۡ شِرۡبُ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ١٥٥ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابُ يَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾ [سورة الشعراء:155 ـ 156]، وجاء هذا التحذير في موضع آخر ﴿وَيَٰقَوۡمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةٗۖ فَذَرُوهَا تَأۡكُلۡ فِيٓ أَرۡضِ ٱللَّهِۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابٞ قَرِيبٞ﴾ [سورة هود:64]

ورغم هذا التحذير الذي وجّهه نبي الله صالح (عليه السلام) لقومه من الإساءة لناقة الله، وبيان عاقبة ذلك، إلا أن قومه أبوا إلا أن يسيئوا إليه بالاعتداء على المعجزة التي جاء بها، بقتلهم الناقة، قال تعالى ﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمۡ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٖۖ ذَٰلِكَ وَعۡدٌ غَيۡرُ مَكۡذُوبٖ﴾ [سورة هود:65]

([1]) ـ تفسير الطبري:141/22 ـ 142.

وقد كانت الإساءة التي تعرّض لها النبي صالح (عليه السلام) من طرف قومه مضاعفة، حيث جاءت في ثلاث صور:

الصورة الأولى ـ سرعة الإساءة: وهذا ما نلاحظه من خلال الآيات التي حكت عن فعل الإساءة، حيث عقّب جميعها بالفاء، نجد ذلك في قوله تعالى ﴿وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾[سورة هود:64 ـ 65]

وفي قوله سبحانه ﴿قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا۟ نَٰدِمِينَ﴾ [سورة الشعراء:155 ـ 157]

ومثله في قوله جلّ وعلا ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا ۝١٣ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا﴾ [سورة الشمس:13 ـ 14]

وفي قوله تعالى ﴿إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ ۝٢٧ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ ۖ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ فَنَادَوْا۟ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ﴾ [سورة القمر:27 ـ 29]

وهكذا نجد في كلّ الآيات التي تحدّثت عن هذا الجرم، أن الإساءة لنبيّ الله صالح (عليه السلام) في ناقته التي جاء بها من عند الله كانت سريعة، وفي ذلك دلالة على قبح ودناءة هذه الإساءة، حتى أن الآية التي حكت عن هذا الاعتداء بغير لفظ (العقر)[1] عقّبت بالفاء، للدلالة على سرعته، قال تعالى ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ۚ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْـَٔايَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ [سورة الإسراء:59]

الصورة الثانية ـ التهكّم والسخرية من نبيّ الله صالح (عليه السلام): حيث نجدهم بعد القيام بهذه الجريمة يأتون نبيّ الله صالح (عليه السلام) مقرّين ومعترفين بجرمهم هذا، ومطالبينه بالعقاب على

([1]) ـ وعقر الناقة هو قتلها بضرب قوائمها بالسيف، ولما كان العقر سببا للنحر أطلق العقر على النحر، إطلاقا لاسم السبب على المسبّب. ينظر: تفسير الرازي:172/14.

سبيل التهكّم والسخرية ﴿فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [سورة الأعراف: 77]

الصورة الثالثة ـ اتّفاقهم المسبق على جريمة الإساءة: وقد أشار القرآن الكريم إلى أن هذا الاعتداء تمّ بناءا على تخطيط مسبق فيما بينهم، وهو ما يفهم من الآيات التي نسبت هذا الفعل إليهم جميعا: ﴿فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ﴾، ﴿فَعَقَرُوهَا﴾، ﴿فَظَلَمُوا۟ بِهَا﴾، وهذا بالرغم من أن مقترف الجرم شخص واحد كما دلّ عليه قوله تعالى ﴿فَنَادَوْا۟ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ﴾ [سورة القمر: 29]، فنسبة فعل الواحد إليهم جميعا فيها دلالة على تمالئهم ورضاهم جميعا عليه، وهذا ما يزيد من شناعته وفظاعته وبشاعته[1].

رابعا ـ الاعتداء على ضيوف الأنبياء (عليهم السلام): وهذا شكل آخر من أشكال الإساءة الفعلية التي تعرّض لها الأنبياء، حيث نجد أقوامهم يسيئون إليهم بالاعتداء على ضيوفهم.

وقد سجّل القرآن الكريم ـ في غير موضع ـ هذا النوع من الإساءة، ففي قصة نبي الله لوط (عليه السلام) نجد قومه يسيئون إلى ضيوفه من الملائكة الذين أتوه في هيئة بشر، قال تعالى ﴿وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ﴾ [سورة القمر: 37]

يقول القرطبي في تفسيره لهذه الآية: " أي أرادوا منه تمكينهم ممّن كان أتاه من الملائكة في هيئة الأضياف، طلبا للفاحشة"[2]، إلا أن الله سبحانه وتعالى حفظهم من هذا الاعتداء، بعد أن أعمى أبصارهم[3]، قال تعالى ﴿فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ﴾.

ومما يدلّ على الإساءة التي تعرّض لها نبي الله لوط (عليه السلام) من طرف قومه، ردّه على من حاول الاعتداء على ضيوفه بقوله ﴿وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ﴾ [سورة الحجر: 67 ـ 69]

---

(1) ـ التحرير والتنوير: 225/8.

(2) ـ تفسير القرطبي: 100/20.

(3) ـ جاء في بعض التفاسير أن جبريل (عليه السلام) خرج إليهم بعد أن حاولوا اقتحام الباب للاعتداء على ضيوف لوط (عليه السلام) وضرب أعينهم بطرف جناحه، فانطمست أعينهم. ينظر: تفسير ابن كثير: 302/13.

فترجّيه إليهم بعدم خزيه[1] يدلّ على الأثر البالغ الذي خلّفته محاولة الاعتداء على ضيوفه (عليه السلام)، ذلك أن الاعتداء على الضيف مذلّة لمضيفه.

وهكذا نرى بأن هذا الاعتداء لم يكن مجرّد تهديد فقط، وإنما كان إساءة فعلية عليه (عليه الصلاة والسلام)، لكن الله سبحانه وتعالى عصمه منه.

هذه بعض صور ومظاهر الإساءة القولية والفعلية التي تعرّض لها الأنبياء (عليهم السلام) من طرف أقوامهم كما حكاها القرآن الكريم، وكلّها تبيّن وتثبت بأن ظاهرة الإساءة إلى الأنبياء (عليهم السلام) ليست وليدة اللحظة الراهنة، وإنما ترجع جذورها إلى البدايات الأولى لبعثتهم، حيث تعدّدت أساليب الإساءة إليهم، وتنوّعت وسائلها، لكن الهدف واحد، والغرض واحد، والمقصد واحد، وهو إيقاف وشلّ حركة الأنبياء الدعوية.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(1) ـ والخزي: هو الذلّ والإهانة. ينظر: التحرير والتنوير:66/14.

المبحث الثاني

مظاهر الإساءة إلى النبي (صلى الله عليه وسلم)

تعدّ الإساءة إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) إساءة إلى الدين الإسلامي برمّته الذي يعتنقه حوالي خمس سكان العالم، وبما أن النبي محمد (عليه الصلاة والسلام) هو خاتم الأنبياء والمرسلين، وصاحب الديانة الخاتمة التي جاء بها من عند ربّه تبارك وتعالى، فإن الإساءة إليه لا تعدّ إساءة لشخصه أو مقامه الشريف فحسب، وإنّما هي إساءة لكلّ الأنبياء والمرسلين، كما أنها إساءة لجميع المقدّسات، على اعتبار أن هذه المقدّسات تستمدّ قدسيتها من الدين الذي جاء به (عليه الصلاة والسلام).

ومن هنا فإن تخصيص هذا المبحث للحديث عن الإساءة التي تعرّض لها النبي (صلى الله عليه وسلم) كان للاعتبارين سالفي الذكر، إضافة إلى كثرة وتعدد أشكال الإساءة التي تعرّض لها (صلى الله عليه وسلم) سواء أثناء حياته أو بعد مماته، والتي لا زالت إلى يوم الناس هذا[1].

وقد جاء هذا المبحث في مطلبين: جعلت الأول منه للحديث عن مظاهر الإساءة القديمة التي تعرّض لها (عليه الصلاة والسلام) ، بينما جاء الثاني للحديث عن مظاهر الإساءة الحديثة والمعاصرة[2].

([1]) ـ إن المتتبّع لتاريخ الأنبياء والعظماء والمصلحين ليجد أن النبي (صلى الله عليه وسلم) على رأس الأنبياء والمصلحين الذين تعرّضوا لشتى أنواع وأشكال الإساءة أثناء حياتهم أو بعد مماتهم، والتي لم تخفت في أي مرحلة من المراحل، حيث تظهر في كل مرحلة بثوب جديد مستعملة أشكالا جديدة، ولم يحدث في تاريخ البشرية أن استمرّ العداء تجاه أي شخص بمثل هذه الحماسة والاستمرار المتجدّد، والصور المختلفة الملفتة للنظر. وهذه الإساءات التي تعرّض لها النبي (صلى الله عليه وسلم) بألوان متعدّدة وأشكال مختلفة كانت من طرف المسلمين وغير المسلمين، إلا أنني حصرت مجال دراستي في الحديث عن إساءات غير المسلمين باعتبارها "ظاهرة"، فيقال "ظاهرة الإساءة إلى النبي صلى الله عليه وسلم)"، وليست مجرّد حالة أو حالات معزولة، إضافة إلى أنها مع سبق الإصرار، والنيّة المبيّتة للإساءة، بخلاف إساءات المسلمين التي ـ أراها ـ لم تتعدّ كونها مجرّد حالات معزولة، دون سبق إصرار، أو نيّة مبيّتة للإساءة.

([2]) ـ وبهذا الاستقراء لمسيرة الإساءة التي تعرّض لها النبي (صلى الله عليه وسلم) نكون قد ألممنا بجميع المراحل التاريخية. على أن الهدف من هذا التتبّع والاستقراء ليس جرد جميع الإساءات، فهذا ليس من شأن بحثنا، وإنما الغرض من ذلك هو عرض نماذج

الفصل الثاني ـ جذور ودوافع الإساءة للأنبياء (عليهم السلام)

المطلب الأول ـ مظاهر الإساءة القديمة: إن الإساءات المتكررة التي تعرّض لها نبي الرحمة مع مطلع القرن الحالي في وسائل الإعلام الغربية، والتي تصاعدت حدّتها بعد ذلك تحت ذريعة حرية إبداء الرأي والتعبير ليست وليدة اللحظة الراهنة، وإنما هي حلقة من سلسلة طويلة تمتدّ جذورها إلى البدايات الأولى لظهور الرسالة الخاتمة التي جاء بها النبي (عليه الصلاة والسلام)، وهذا ما أشارت إليه الآيات القرآنية التي كانت تتنزل على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في معرض التخفيف من وطأة الأذى الذي كان يتعرّض له من طرف المشركين، وتسلية وتثبيتا لفؤاده، ورفعا لمعنوياته، حتى لا يظن أنه أول من يتعرّض للأذى، ومن ذلك:

قوله تعالى﴿ وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنۡهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴾ [سورة الأنبياء:41]

وقال في موضع آخر ﴿ وَلَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمۡ نَصۡرُنَاۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ وَلَقَدۡ جَآءَكَ مِن نَّبَإِيْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴾ [سورة الأنعام:34]

وقال أيضا في معرض تسلية فؤاد نبيّه محمد (صلى الله عليه وسلم) ﴿ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدۡ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبۡلِكَۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٖ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٖ﴾ [سورة فصلت:43]

أي أن الأذى الذي تتعرّض له من طرف المشركين من تكذيب واستهزاء وسخرية... هو نفسه ما تعرّض له إخوانك الأنبياء من قبلك.

لأشكال الإساءة التي تعرّض لها النبي (صلى الله عليه وسلم) في جميع المراحل التاريخية، وهذا من أجل الوقوف على طبيعتها، وكذا الوسائل والأدوات المستعملة فيها.

هذا وقد قسّمت هذا المطلب إلى فرعين: فجعلت الفرع الأول للحديث عن الإساءات التي تعرّض لها (عليه الصلاة والسلام) أثناء حياته، وجعلت الفرع الثاني للحديث عن الإساءات التي تعرّض لها (عليه الصلاة والسلام) بعد مماته، والتي اشتهرت ب"إساءات القرون الوسطى".

الفرع الأول ـ الإساءة إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) في حياته: تعرّض النبي (عليه الصلاة والسلام) لإهانات وتطاول متعدّد الأشكال والألوان من طرف قومه، وذلك حينما جاءهم بالدين الجديد والرسالة الخاتمة، ويمكننا أن نقسّم هذا التطاول والأذى إلى نوعين:

أولا ـ الأذى المعنوي (النفسي): ونقصد به سيل الإساءات من سخرية وتهكّم وتحقير واستهزاء... التي تعرّض لها النبي (صلى الله عليه وسلم) في سبيل تبليغ دعوته. ونحن نعلم وقع الكلمة على نفسية الإنسان بالسلب أو الإيجاب، فقد يفرح الإنسان أشدّ الفرح لكلام طيّب، ويحزن أشدّ الحزن لكلام قبيح مسيء، قد يبلغ أثره السيّء عليه حد العزلة والانقطاع عن الناس. ومن هنا فإن الأذى النفسي يكون أحيانا أشدّ على الإنسان حتى من الأذى المادي الحسيّ(الاعتداء الجسدي)، وقد علم أعداء الدعوة الإسلامية من المشركين والمنافقين واليهود وقع الكلمة على نفسية الإنسان فعمدوا إلى استعمال هذا الأسلوب (الإساءة المعنوية) في سبيل شلّ حركة الدين الجديد.

وقد سجلّ القرآن الكريم هذا اللون من الأذى، وكان شاهدا على الأساليب التي استخدمها أعداء الدعوة الإسلامية لمحاربة نبي الإسلام (عليه الصلاة والسلام) والنيل منه في شخصه الشريف، ومن هذه الأساليب:

1 ـ الاستهزاء: وهو من الأساليب الدنيئة التي استعملتها قريش من أجل شلّ عزيمة النبي (صلى الله عليه وسلم) وتحطيم معنوياته. وممّن استخدم هذا الأسلوب أبو جهل[1]، الذي كان كثير الاستهزاء

([1]) ـ أبو جهل (572 ـ 624م): هو عمرو بن هشام بن المغيرة، لقّب ب "أبو الحكم" وكنّاه النبي (صلى الله عليه وسلم) ب " أبو جهل"، كان سيّدا من سادات قريش من قبيلة كنانة. كان من أشدّ المعاندين للنبي (صلى الله عليه وسلم) والمجاهرين لعداوته. قتل في معركة بدر. ينظر: ابن هشام: السيرة النبوية، تحقيق: إبراهيم الأبياري، مصطفى السقا، عبد الحفيظ شلبي، دار المعرفة ـ بيروت، ج1، ص 388.

بالنبي (صلى الله عليه وسلم). ومن الحوادث التي دوّنها كتّاب السيرة، وسجّلها القرآن الكريم في ذلك تهكّمه (أبو جهل) برسول الله (صلى الله عليه وسلم) أمام قريش، حيث كان يقول لقريش على سبيل التهكّم: يخوّفنا محمد بشجرة الزّقّوم، يزعم أنّها شجرة في النّار، والنار تأكل الشجر، إنّما زقوم التمر والزبدة، هاتوا تمرا وزبدا وتزقّموا[1]، فأنزل الله تعالى في ذلك ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ﴾ [سورة الدخان:43 ـ 46]

وممّن تولى كبر حملة الاستهزاء كذلك أبّي بن خلف[2] الذي كان يسخر من النبي (صلى الله عليه وسلم)، حيث جاءه ذات يوم بعظم ثمّ فتّته أمامه وذراه في الريح، ثمّ قال له على سبيل السخرية : يا محمّد من يحيي هذا وهو رميم؟ فردّ عليه النبي (صلى الله عليه وسلم) "الله يحييه، ثمّ يميتك ثم يدخلك النّار"[3]، فأنزل الله تعالى قوله ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [سورة يس:78 ـ 79]

ومن الحوادث أيضا التي تدخل ضمن هذا الأسلوب الذي استعملته قريش ضد النبي (صلى الله عليه وسلم)، تعييره بالولد الذكر، حيث عيّره العاص بن وائل السهمي[4] بأنّه أبتر لا يعيش له ولد ذكر، وذلك لما مات له ابنه القاسم، فأنزل الله تعالى قوله[5] ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ [سورة الكوثر]

([1]) ـ ابن كثير: البداية والنهاية، دار المعارف ـ بيروت، 1991، ج3، ص90.

([2]) ـ أبي بن خلف (ت625م): هو أبي بن خلف بن وهب القرشي. من أبرز شخصيات ورؤساء قريش في الجاهلية. كان من ألدّ خصوم النبي (صلى الله عليه وسلم)، وأكثرهم إيذاءا له. قتله النبي (صلى الله عليه وسلم) بيده في غزوة أحد. ينظر: عبد الرحمن السهيلي: الروض الأنف في شرح السيرة النبوية، تحقيق: عبد الرحمن الوكيل، دار الكتب الإسلامية ـ بيروت، 1967، ج6، ص 5.

([3]) ـ تفسير الطبري: 486/19.

([4]) ـ العاص بن وائل السهمي: هو العاص بن وائل بن هاشم السهمي، يلتقي نسبه مع النبي (صلى الله عليه وسلم) في كعب بن لؤي. وهو والد الصحابيين: عمرو وهشام. كان من أبرز المستهزئين بالنبي (صلى الله عليه وسلم). مسّته دعوة النبي (صلى الله عليه وسلم) فأردته طريح الفراش إلى أن هلك. ينظر: الزركلي: الأعلام:247/3.

([5]) ـ تفسير القرطبي:529/22.

هذه بعض صور الاستهزاء التي كان النبي (صلى الله عليه وسلم) عرضة لها في سبيل تبليغ دعوته، وقد كان القرآن الكريم ـ إلى جانب عرض صور الإساءة هذه ـ يتنزّل أيضا لمواساة النبي (عليه الصلاة والسلام)، وتثبيت فؤاده، والتخفيف من شدّة هذا الأذى النفسي الذي يتعرّض له، ومن ذلك قوله تعالى ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [سورة الأنعام:5]

2 ـ السبّ والشتم: وقد كان هذا الأسلوب أول ما تعرّض له النبي (صلى الله عليه وسلم) بعدما أمره الله جلّ وعلا بالجهر بالدعوة حين قال له ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [سورة الشعراء:214]، وذلك لما صعد النبي (صلى الله عليه وسلم) جبل الصفا فجعل ينادي: يا بني فهر، يا بني عدي ـ لبطون قريش ـ حتى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولا لينظر ما هو، فجاء أبو لهب[1]، وقريش، فقال:"**أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادي تريد أن تغير عليكم، أكنتم مصدّقي؟**" قالوا: نعم، ما جرّبنا عليك إلا صدقا. قال:"**فإنّي نذير لكم بين يدي عذاب شديد**". فقال أبو لهب: تبّا لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا؟ ثمّ قام، فنزلت﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢﴾ [سورة المسد: 1 ـ 2][2].

3 ـ الاتّهامات: وهي من ضروب الأذى المعنوي الذي مورس على النبي (صلى الله عليه وسلم) قصد صدّه عن دعوته، حيث رمي باتّهامات باطلة، ورشق بأوصاف كاذبة جائرة، وقد سجلّ القرآن الكريم هذه الاتّهامات وفنّدها ودحضها. ومن هذه الاتّهامات:

([1]) ـ أبو لهب (549 ـ 624م): هو عم الرسول (صلى الله عليه وسلم) عبد العزى بن عبد المطلب كنّاه أبوه ب "أبو لهب" لإشراقه وجهه. ويكنى أيضا ب " أبو عتبة" وهو أحد أبنائه. ويعتبر الأخ غير الشقيق لعبد الله بن عبد المطلب والد النبي (عليه الصلاة والسلام). كان أول من جاهر بعداوته لدين الإسلام، وذلك حينما جهر النبي (صلى الله عليه وسلم) بالدين الجديد. هلك بعد مرض معد بعد غزوة بدر ببضعة أيام. ينظر: ابن هشام: السيرة النبوية: 388/1.

([2]) ـ صحيح: أخرجه مسلم، كتاب (الإيمان)، باب (في قوله تعالى "**وأنذر عشيرتك الأقربين**")، رقم (355).

أ/ اتّهامه بالكهانة والشعر: يقول تعالى مخبرا عن ذلك ﴿ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجۡنُونِۭ ﴾ [سورة الصافات:26]، وقد كذّب القرآن هذه الاتّهامات الزائفة فقال سبحانه ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ ٤١ وَلَا بِقَوۡلِ كَاهِنٖۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ٤٢ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [سورة الحاقة:41 ـ 43]

ب/ اتّهامه بالجنون: وهو من جملة الاتّهامات التي طالته (عليه الصلاة والسلام)، يقول تعالى عن ذلك ﴿ وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ إِنَّكَ لَمَجۡنُونٞ ﴾ [سورة الحجر:6]

وقد ردّ الله على هذه الفرية فقال جلّ من قائل ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ١٩ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ٢٠ مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجۡنُونٖ ﴾ [سورة التكوير:19 ـ 22]

ج/ اتّهامه بالسحر: يقول تعالى مخبرا عن هذا الافتراء ﴿ نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَسۡتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذۡ يَسۡتَمِعُونَ إِلَيۡكَ وَإِذۡ هُمۡ نَجۡوَىٰٓ إِذۡ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلٗا مَّسۡحُورًا ﴾ [سورة الإسراء:47]

وقد ردّ الله على هذا الافتراء فقال سبحانه وتعالى ﴿ وَلَوۡ نَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ كِتَٰبٗا فِي قِرۡطَاسٖ فَلَمَسُوهُ بِأَيۡدِيهِمۡ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ﴾ [سورة الأنعام:7]

د/ اتّهامه بالكذب والاختلاق: وهي من أصول الافتراءات والاتّهامات التي رشق بها النبي (صلى الله عليه وسلم)، يقول تعالى حكاية عن مشركي قريش ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٌ ٱفۡتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيۡهِ قَوۡمٌ ءَاخَرُونَۖ فَقَدۡ جَآءُو ظُلۡمٗا وَزُورٗا ﴾ [سورة الفرقان: 4]، وقال في آية أخرى ﴿مَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِي ٱلۡمِلَّةِ ٱلۡأٓخِرَةِ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا ٱخۡتِلَٰقٌ ﴾ [سورة ص:7]

هـ/ اتّهامه بأنه يصدّق كل ما يسمع: وهي من الاتّهامات الزائفة التي لاكها المنافقون، حيث كانوا يقولون لبعضهم بأن محمّدا (صلى الله عليه وسلم) أذن سامعة يصدّق كلّ ما يسمعه، دون تفريق

بين الصحيح والباطل، وقد حكى القرآن الكريم عن هذا النوع من الإيذاء، ثمّ ردّ عليه، قال تعالى ﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [سورة التوبة:61]

4 ـ القذف: وهو من أبشع الأساليب التي مورست ضد النبي (صلى الله عليه وسلم) قصد النيل منه (عليه الصلاة والسلام) ومن أهل بيته الأطهار، ومن ذلك حادثة "الإفك" التي اتّهم فيها المنافقون زوجته عائشة رضي الله عنها وأرضاها في عرضها وشرفها، وهي الحادثة التي تأثّر بها النبي (صلى الله عليه وسلّم) لأنّها تتعلّق بعرضه وشرفه، كما أنّها أحدثت زلزالا في المجتمع المدني زاد من الضغط المسلّط عليه (صلى الله عليه وسلم)، إلى جانب تأخّر نزول الوحي، وقد أفصح (صلى الله عليه وسلم) عمّا كان يعانيه من أذى نفسي من قذفه في عرضه حينما صعد المنبر وقال:"**يامعشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في أهل بيتي...**"[1].

وقد استمرّ هذا الألم النفسي الذي عاشه النبي (عليه الصلاة والسلام) مدة شهر[2]، إلى أن جاءت تبرئة عائشة (رضي الله عنها) من فوق سبع سماوات، وذلك في قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ

([1]) ـ ينظر تفاصيل الحادثة: صحيح البخاري، كتاب (المغازي)، باب (حديث الإفك)، رقم (4141).

([2]) ـ علي الصلابي: السيرة النبوية، دار اليقين ـ مصر، ط1: 2004، ج2، ص 974.

وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [سورة النور: 11 ـ 20]

ثانيا ـ الأذي المادي (الحسّي): ونقصد به الإساءة الجسدية والاعتداء الجسدي الذي تعرّض له النبي (صلى الله عليه وسلم) في مسيرته الحياتية، حيث لم يقتصر الإيذاء على مجرّد الاستهزاء والقذف وبث الشائعات... وغيرها من أساليب الإساءة المعنوية، بل تعدّاه إلى الإيذاء البدني الذي تعدّدت صوره وأشكاله هو الآخر، ومن ذلك:

1 ـ وضع الأشواك في الطريق: وممّن قام بذلك "أم جميل بنت حرب"[1] زوج أبي لهب، حيث كانت تضع الأشواك في طريقه (عليه الصلاة والسلام)، وهذا قصد إيذائه جسديا، فأنزل الله تعالى فيها قرآنا يتلى[2]، قال سبحانه ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴿٥﴾ ﴾ [سورة المسد: 4 ـ 5]

2 ـ الرمي بالحجارة: وهو من ضمن الأساليب التي ابتكرها مناهضوا الدعوة المحمّدية قصد صدّ صاحبها ومنعه من مواصلة مسيرته الدعوية، والتي تدخل في حملة الإساءة التي تعرّض لها النبي (صلى الله عليه وسلم).

وعديدة هي الحالات التي اعتدي فيها عليه (عليه الصلاة والسلام) جسديا، ومن ذلك ما لاقاه من أهل الطائف، فيما يسمّى ب "محنة الطائف"، حينما أغرى أهل الطائف سفهاءهم وعبيدهم يرمونه

(1) ـ أم جميل بنت حرب: هي أروى بنت حرب بن أمية، أخت أبو سفيان (والد الصحابي معاوية)، لقّبت ب " أم جميل". كانت من أبرز المعادين للنبي (صلى الله عليه وسلم) والمتطاولين عليه مع زوجها أبو لهب. ينظر: ابن الجوزي: مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، تحقيق: كامل الجبوري، دار الكتب العلمية ـ بيروت، ج2، ص 430.

(2) ـ تفسير القرطبي:552/22.

(صلى الله عليه وسلم) بالحجارة حتى دمت عقباه وتلطّخت نعلاه، وسال دمه الزكي على أرض الطائف[1].

3 ـ محاولات الاغتيال: لما رأى أعداء الدعوة الإسلامية الأثر الكبير الذي تحقّقه، أحسّوا بأن الخطر بات يتهدّدهم، خاصة في ظل فشل الأساليب التي استعملوها ضد النبي (صلى الله عليه وسلم)، فتوصلوا إلى قناعة مفادها بأن الأسلوب الأنجح والأنجع هو تصفيته(صلى الله عليه وسلم) جسديا. وعديدة هي الحالات التي تعرّض لها النبي (صلى الله عليه وسلم) لمحاولات القتل بطرق عديدة، ومن ذلك:

أ/ ما تعرّض له يوم أحد: وذلك لما مالت كفّة النصر للمشركين بسبب مخالفة بعض الجند لأوامر النبي (صلى الله عليه وسلم)، حيث كان هدف المشركين قتله (عليه الصلاة والسلام)، وقد استطاعوا الخلوص قريبا منه، فرموه بحجر حتى كسر أنفه الشريف، ورباعيته[2]، وشجّه هذا الحجر في وجهه الكريم حتى سال يدمي، يقول الصحابي أنس بن مالك[3] وهو يروي ما تعرّض له لنبي (صلى الله عليه وسلم) من محاولة تصفية جسدية يوم أحد :"إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كسرت رباعيته يوم أحد، وشجّ في رأسه فجعل يسلت الدم عنه وهو يقول: **كيف يفلح قوم شجّوا نبيّهم وكسروا رباعيته، وهو يدعوهم إلى الله؟**، فأنزل الله ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [سورة آل عمران: 128]"[4].

ب/ما تعرّض له من طرف يهود بني النضير: الذين صمّموا على قتله (صلى الله عليه وسلم)، وذلك لما خرج في نفر من أصحابه يستعينهم في ديّة القتيلين العامريين اللذين ذهبا ضحيّة جهل عمرو بن

([1]) ـ ابن هشام: السيرة النبوية: 57/2.

([2]) ـ الرباعية: احدى الأسنان الأربع التي تكون بين الثنيّة والناب.

([3]) ـ أنس بن مالك (10 ق.هـ ـ 93هـ): هو أنس بن مالك بن النضر، الإمام المفتي، المقرئ، المحدّث، خادم رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وتلميذه، وآخر صحابته موتا. يعدّ من الصحابة السبعة الذين اشتهروا بالإكثار من رواية الحديث النبوي، والملقّبون ب "المكثرون من الرواية". ينظر: سير أعلام النبلاء:396/3.

([4]) ـ صحيح: أخرجه مسلم، كتاب (الجهاد)، باب (غزوة أحد)، رقم (1791).

أميّة الضمري[1] بجوار رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لهما، وذلك تنفيذا للعهد الذي كان بين النبي (صلى الله عليه وسلم) وبين بني النضير حول أداء الديّات، وإقرارا لما كان يقوم بين بني النضير وبين بني عامر من عقود وأحلاف. وقد أوهم يهود بني النضير النبي (صلى الله عليه وسلم) بكرم الاستقبال والبشاشة ونحو ذلك، حتى جلس (عليه الصلاة والسلام) تحت جدار، وكانوا قد وكلّوا أحدهم بإلقاء صخرة عليه، لكن الله عزّ وجلّ اطلع نبيّه (صلى الله عليه وسلم) على مكرهم هذا فحفظه منهم، وأنزل قوله سبحانه[2] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [سورة المائدة:11]

وهكذا نجد كيف أن أعداء الإسلام من المشركين والمنافقين واليهود تعدّدت أساليبهم في حملة الإساءة للنبي (صلى الله عليه وسلم) في حياته حتى وصلت إلى حدّ التصفية الجسدية، وفي ذلك يقول الحق تبارك وتعالى ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [سورة الأنفال:30]

الفرع الثاني ـ الإساءة إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بعد مماته: ونقصد بها تلك الإساءات التي تعرّض لها النبي (صلى الله عليه وسلم) بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى من طرف المفكّرين الغربيين ورجال الدين المسيحيين، الذين عرفوا النبي (عليه الصلاة والسلام) في وقت مبكّر جدا تزامن مع الفتوحات الإسلامية التي قوّضت أعتى الإمبراطوريات آنذاك، وهما الفرس والروم، حيث اكتسح الإسلام في زمن قياسي المناطق المحسوبة على المسيحية، ودخل فيه المسيحيون أفواجا، بعد الإفلاس الأخلاقي والفكري للمسيحية، وكذا الاضطهاد الديني الذي عانى منه المسيحيون...وقد أدّى هذا الحراك الكبير الذي أحدثه الإسلام في المناطق المحسوبة على المسيحية إلى

([1]) ـ عمرو بن أمية: هو أبو أمية عمرو بن خويلد الضمري الكناني، صحابي جليل، وأحد رجالات العرب نجدة وشجاعة، بعثه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في سريّة لوحده إلى النجاشي. توفي بالمدينة خلال خلافة معاوية بن أبي سفيان (رضي الله عنهم). ينظر: سير أعلام النبلاء:179/3.

([2]) ـ الواقدي: مغازي الواقدي، تحقيق: مارسدن جونس، دار عالم الكتب ـ بيروت، ط3: 1984، ج1، ص 365.

دهشة قادة الغرب "المسيحي" وسياسييه ومفكّريه ورجال الدين فيه، الذين رأوا في الإسلام تهديدا لزعامتهم السياسية، ومكانتهم الدينية...ومن هنا بدأت عقدة الخوف من انتشار الإسلام تسكن الغربيين، كما بدأ أيضا التفكير الجدّي والتخطيط الفعلي لمحاربة الإسلام، وشلّ حركته، من خلال الإساءة لنبيّه محمد (صلى الله عليه وسلم).

وقد أخذت الكنيسة ـ باعتبارها السلطة العليا في الدولة والمجتمع آنذاك ـ على عاتقها حملة الإساءة هذه التي تعدّ الحلقة الأولى من سلسلة الإساءات التي تعرّض لها نبي الإسلام (صلى الله عليه وسلم) بعد وفاته[1]، حيث أن موجات الإساءة اللاحقة التي تعرّض لها النبي (عليه الصلاة والسلام) ومنها الإساءات المعاصرة التي اتّخذت من حرية إبداء الرأي والتعبير ذريعة لها، مبنية على هذه الصور المثقلة بالإساءات والتضليل التي كانت في القرون الوسطى، والتي حفلت بها كتابات المفكّرين الغربيين ورجال الدين المسيحيين، والتي أضحت صورة نمطية، ومسلّمة من المسلّمات، وتغلغلت في الوعي الغربي تغلغلا عميقا لا يتزحزح[2]. ومن بين هذه الكتابات والأعمال:

أولا ـ كتابات يوحنا الدمشقي[3]: يشهد التاريخ أن أولى حملات الإساءة الغربية ضد النبي (صلى الله عليه وسلم) كانت على يدّ وبلقم القدّيس يوحنا الدمشقي الذي يعدّ من أوائل من أسّس

([1]) ـ وقولنا أن هذه الإساءات كانت الحلقة الأولى من سلسلة الإساءات التي تعرّض لها النبي (صلى الله عليه وسلم) باعتبارها "كظاهرة" أو "حملة منظّمة" لتحقيق أهداف خاصة، وليس كحالة أو حالات معزولة تكون قد ظهرت بعد وفاته (صلى الله عليه وسلم).

([2]) ـ محمد زرمان: النبي (صلى الله عليه وسلم) في الفكر الغربي بين الإنصاف والإجحاف، دار الأعلام ـ الأردن، ط1: 2012، ص 6.

([3]) ـ يوحنا الدمشقي (676م ـ 749م): هو منصور بن سرجون الملقّب ب "القدّيس يوحنا"، ولد بدمشق خلال الخلافة الأموية م عائلة مسيحية نافذة، إذ كان والده يعمل وزيرا في بلاط الخلافة الأمويّة. تميّز بكتاباته اللاهوتية الفلسفية العديدة والمدافعة عن العقائد المسيحية. كما يعتبر آخر آباء الكنيسة الشرقية. ويعدّ كتابه (الهراطقة المائة) من الكتابات التي تطاول فيها على الإسلام ونبيّه محمد (صلى الله عليه وسلم). ينظر: جوزف نصر الله: منصور بن سرجون (عصره، حياته، مؤلفاته)، ترجمة: أنطون هبي، منشورات المكتبة البولسية ـ بيروت، ط1: 1991، ص75 وما بعدها .

للصورة المشوّهة التي رسمها الغرب عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) من خلال كتاباته التي جاءت مثقلة بالإساءات ضد الإسلام ونبيّه محمد (صلى الله عليه وسلم)[1].

ويعدّ يوحنا الدمشقي الذي هو أحد أكبر آباء الكنيسة الأرثوذكسية، ونال لقبين هما" "القدّيس يوحنا" و "يوحنا ينبوع الذهب" بسبب قيمته الدينية الكبرى التي كان يحظى بها، يعدّ من المفكّرين المسحيين القلائل الذي أساءوا للإسلام ونبيّه (عليه الصلاة والسلام) بالرغم من احتكاكهم بالمسلمين، وإلمامهم بالثقافة العربية الإسلامية، حيث ناقش بعض المسائل الخلافية بين المسيحية والإسلام، وانتقد الإسلام في الكثير من المسائل العقائدية من قبيل: طبيعة المسيح وألوهيته وصلبه، وعقيدة ختم النبوة، وطبيعة القرآن[2]، وغير ذلك من المسائل التي خرج فيها من إطار ودائرة البحث العلمي ـ الذي يعدّ النقد كما رأينا في الفصل الأول أحد أدواته ـ إلى الإساءة والتطاول على الإسلام ونبيّه محمد (صلى الله عليه وسلم) من خلال الكذب والافتراء قصد التشويه والتضليل، ممّا جعل هذه الكتابات هي الأساس والمرجع لكلّ حملات وموجات الإساءة الغربية التي جاءت فيما بعد[3].

ويعدّ كتابه "الهرطقة المائة" من أكثر كتاباته إساءة في حق الإسلام ونبيّه (عليه الصلاة والسلام)، حيث يصف نبي الإسلام بأوصاف مسيئة، ومن هذه الأوصاف:

1 ـ صاحب هرقطة: يرى يوحنا الدمشقي بأن محمدا (صلى الله عليه وسلم) هو مجرّد شخص منتحل للنبوة، ولا علاقة له بها ولا بدين إبراهيم، فهو صاحب "هرطقة" أسّس "وأنشأ هرطقته

([1]) ـ أليسكي جورافسكي: الإسلام والمسيحية، ترجمة: خلف محمد الجرّاد، سلسلة عالم المعرفة ـ الكويت، 1990، ص 60.

([2]) ـ ينظر: القديس يوحنا الدمشقي: الهرطقة المئة، 1997، ص 11 وما بعدها.

([3]) ـ فموجة الإساءة الحديثة مثلا التي قادها الاستشراق دارت أفكارها حول آراء يوحنا الدمشقي، حيث أعادت إحياء ما كتبه هذا الأخير وألبسته لبوس العلم والبحوث العلمية والموضوعية... وكذلك الحال بالنسبة للإساءات المعاصرة التي دارت حول القضايا نفسها التي طرحها يوحنا الدمشقي. فكانت كتاباته هي المصدر والمرجع لكل حملات الإساءة، وساهمت بذلك مساهمة كبيرة، ولعبت دورا محوريا في تشكيل العقلية الغربية في نظرتها للإسلام ونبيّه (صلى الله عليه وسلم).

الخاصة بعد أن تعرّف بالصدفة على العهدين القديم والجديد. وبعد أن تحاور كما يبدو مع راهب آريوسي[1]. وبعد أن أحرز لنفسه حظوة لدى الشعب عبر تظاهره بالتقوى، كان يلمّح بأن كتابا آتيا من السماء قد أوحي به إليه من الله"[2].

2 ـ الشذوذ الجنسي: من المسائل والقضايا التي أساء فيها يوحنا الدمشقي إلى النبي (صلى الله عليه وسلم)، علاقته (عليه الصلاة والسلام) بالنساء، حيث حاول إلصاق تهمة "الزنا" و "الشذوذ الجنسي" به (عليه الصلاة والسلام)، وهذا حتى يظهره أمام الرأي العام بمظهر الرجل الشهواني العاشق للنساء... وبالتالي فإنه لا علاقة له بالنبوة. واستدلّ على ادّعائه وافتراءه هذا بقضية زواجه (عليه الصلاة والسلام) من زينب بنت جحش[3] التي كانت عند الصحابي زيد بن حارثة[4]، يقول هذا المدّعي في ذلك "وكان لهذا الرجل (أي زيد) امرأة جميلة شغف بها محمّد. وعندما كانا جالسين معا قال محمد: يا صاح لقد أعطاني الله أمرا باتّخاذ امرأتك لي. فأجاب زيد: إنك رسول فافعل كما قال لك الله واتّخذ لك امرأتي"[5]. ويواصل هذا المدّعي افتراءه وكذبه على النبي (صلى الله عليه وسلم) حينما يلصق به تهمة الاحتيال فيقول بأنه (صلى الله عليه وسلمّ) قال لصاحبه زيد " لقد

([1]) ـ من الأمور التي وظّفها يوحنا الدمشقي في كتاباته من أجل التضليل والإيهام قضية آريوس والآريوسية التي هي من الفرق المغضوب عليها في الفكر المسيحي، لأنها تقول ببشرية المسيح، فحاول اتّهام النبي (صلى الله عليه وسلم) بالآريوسية، لأنه يقول بمثل ما تقول به هذه الفرقة فيما يتعلّق ببشرية المسيح...كلّ ذلك من أجل تشويه صورته (صلى الله عليه وسلم) وشيطنته أمام الرأي العام.

([2]) ـ القديس يوحنا الدمشقي: الهرطقة المئة، مرجع سابق، ص 50.

([3]) ـ زينب بنت جحش(ت 20هـ): هي أم المؤمنين زينب بنت جحش بن رياب، ابنة عمّ رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، كانت عند زيد بن حارثة. كانت من سادة النساء دينا وورعا وجودا ومعروفا (رضي الله عنها). ينظر: سير أعلام النبلاء:211/2.

([4]) ـ زيد بن حارثة: هو ابن شرحبيل بن كعب بن عبد العزى. الأمير الشهيد النبوي المسمّى في سورة الأحزاب، بحيث لم يسم الله تعالى في كتابه صحابيا باسمه إلا زيد بن حارثة. استشهد في غزوة مؤتة سنة 8هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء:220/1.

([5]) ـ القديس يوحنا الدمشقي: الهرطقة المئة، ص 56 ـ 57.

أعطاني الله أمرا بأن تطلّق امرأتك فطلّقها. وبعد بضعة أيام قال له لقد أعطاني الله أمرا أن أتّخذها لنفسي..."[1].

وهكذا نرى كيف استعمل يوحنا الدمشقي أسلوب الكذب والافتراء والاختلاق لتضليل الرأي العام وتشويه صورة النبي (صلى الله عليه وسلم) تارة بوصفه بأنه صاحب هرطقة مسيحية كغيره ممّن سبقه من أصحاب الهرطقات الذين يحاولون تضليل وخداع الناس بآرائهم الشاذة عن الدين المسيحي، وتارة بوصفه بأنه زير نساء لا همّ له سوى اتخاذ النساء والخليلات... كل هذا التشويه والتطاول من أجل شلّ حركة الإسلام، وكبح جماح انتشاره الذي كان ينتشر انتشارا سريعا في المناطق المحسوبة على الديانة المسيحية.

ومن هنا يمكننا أن نقول بأن إساءات يوحنا الدمشقي في حقّ النبي (صلى الله عليه وسلم) التي تعتبر أساس الإساءات الغربية في حقّ سيد البريّة كانت كردّة فعل على المدّ والزحف الإسلامي إبان الفتوحات الإسلامية.

ثانيا ـ أعمال دانتي أليجييري[2]: والذي يعدّ أسوأ من كتب عن النبي (صلى الله عليه وسلم) في القرون الوسطى من خلال ملحمته الشعرية "الكوميديا الإلهية" التي تعدّ موسوعة معرفية عن تلك الحقبة الزمنية، حيث عبّر فيها دانتي عن معتقداته السياسية والدينية.

وتضمّ هذه الكوميديا عددا من الشخصيات المشهورة التي عاصرها دانتي أو سمع بها أو قرأ عنها، وقد كان معياره في إسكان هذه الشخصيات الممالك الثلاث التي رسمها للحياة الآخرة هو: العلم أو المعرفة والتجربة الشخصية[1].

([1]) ـ ا القديس يوحنا الدمشقي: الهرطقة المئة، مرجع سابق، ص 57.

([2]) ـ دانتي أليجييري (1265 ـ 1321): شاعر إيطالي، أعظم أعماله (الكوميديا الإلهية) في الأدب، الذي أنتجه في القرون الوسطى، وهو عمل ملحمي شعري يصوّر الحياة الإنسانية وفقا للرؤية المسيحية، وهو العمل الذي تطاول فيه على نبيّ الإسلام محمّد (صلى الله عليه وسلم).

ومن بين الشخصيات الكثيرة التي أسكنها دانتي جحيمه هي شخصية نبيّ الإسلام محمد (صلى الله عليه وسلم)، حيث وضعه مع سيدنا علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ في الخندق التاسع من الحلقة الثامنة في الكوميديا الإلهية كما أسماها، وهو الخندق الذي خصّصه "لمثيري الصدامات والانشقاقات الدينية والسياسية ومن يزرعون الفتن فيحصدون الأوزار"[2]، فنجده يصفه بأوصاف غاية في البذاءة والإساءة والتطاول في الأنشودة الثامنة والعشرين من الجحيم (Inferno)، وهو الوصف الذي تحدّث عنه ادوارد سعيد[3] في قوله :"أن دانتي يجسّد محمدا تركيبا سلاليا متصلّبا من الشرور مع من يسميهم ناشري الفضيحة والفتنة، وعقاب محمد ومصيره الأبدي عقاب مثير الاشمئزاز من نمط فريد، إذ يقطعه [قطعه الله] إلي نصفين من ذقنه إلي دُبره مثل برميل تمزق أضلاعه كما يقول دانتي ويصف دانتي أمعاء محمد وبرازه بدقة ويشرح دانتى مسببات عقابه لمحمد مشيرًا كذلك إلي علي الذي يتقدمه في صف الآثمين الذين يشقهم الشيطان الحارس إلي نصفين كما يقارن دانتي بين محمد و"فرادوليشينو" وهو قسيس مرتد دعا أصحابه الي المشاركة الجماعية في النساء والممتلكات... "[4].

إن تصوير دانتي لنبي الإسلام (صلى الله عليه وسلم) بهذه الصورة المهينة والمشينة والبذيئة إنّما كان ـ كما يزعم ـ لحجم الخطيئة التي اقترفها بانشقاقه عن المسيحية، فاستحقّ أن يكون على رأس "الأرواح الملعونة"، حيث كان الاعتقاد السائد في القرون الوسطى أن أي شخص يدّعي التواصل مع الوحي الإلهي هو جرم عظيم، وخطيئة كبرى تستلزم وضعه في خانة المنشقّين ومثيري الفتن[5].

([1]) ـ عامر السبايلة: إدارة الحوار بين الثقافات، دار عالم الكتب الحديث ـ الأردن، ط1: 2011، ص 51.

([2]) ـ دانتي أليجييري: الكوميديا الإلهية (الجحيم)، ترجمة: حسن عثمان، دار المعارف ـ مصر، ط3: 1988، ص 368.

([3]) ـ ادوارد سعيد(1935 ـ 2003): مفكّر وباحث وأديب فلسطيني، حامل للجنسية الأمريكية ، كتب حول النقد الأدبي والنقد الموسيقي، وله اهتمامات سياسية. اشتهر بكتابه (الاستشراق) المنشور سنة 1978 . توفي بعد صراع مرير مع مرض السرطان.

([4]) ـ إدوارد سعيد: الاستشراق، ترجمة: كمال أوديب، مؤسسة الأبحاث العربية ـ بيروت، ط3: 1991، ص 96.

([5]) ـ وهذه النظرة عن نبي الإسلام (صلى الله عليه وسلم) كانت سائدة في القرون الوسطى كأكثر المعتقدات انتشارا ولا زالت سائدة إلى يوم الناس هذا في الغرب، حيث يعتبره كثير من المفكّرين الغربيين أنّه نبيّ زائف، وصاحب هرطقة، ولا علاقة له بالنبوة.

ومن هنا فإن دانتي لا يعتبر محمّدا (صلى الله عليه وسلم) عدوّا فحسب، "بل هو مخادع مثير للفتنة مما استلزم وضع روحه في الحفرة التاسعة من الدهليز الثامن من الجحيم"[1].

هذه نماذج لجزء يسير من حركة الإساءة الغربية في القرون الوسطى التي تعتبر مرجعا لكل الإساءات اللاحقة، وقد قادها المفكّرون الغربيون، ورجال الدين التابعين للكنيسة، وساهموا في تشكيل التصورات الغربية المشوّهة عن نبي الإسلام (صلى الله عليه وسلم)، من خلال كتبهم وأعمالهم المثقلة بالكثير من الافتراءات والادّعاءات والأكاذيب، التي أضحت مصدرا ومرجعا يستند إليها الأوروبيون لفهم الإسلام ونبيّه محمد (صلى الله عليه وسلم) ، حتى تكوّنت وترسّخت في وعي الأوروبيين في القرون الوسطى ملامح الصورة المشوّهة عن الإسلام[2]، فهو " عقيدة ابتدعها محمد، وهي تتسم بالكذب والتشويه المتعمّد للحقائق، إنه دين الجبر، والانحلال الأخلاقي، والتساهل مع الملذّات والشهوات الحسّية، إنّها ديانة العنف والقسوة. وانسجاما مع هذا الموقف المعادي فقد رسم الإسلام على هيئة نموذج قبيح سيّء يتعارض ويتناقض كلّية مع النموذج المثالي للمسيحية بوصفها ديانة الحقيقة، التي تتميّز بالأخلاق الصارمة وروح السلام، وبأنها عقيدة تنتشر بالإقناع وليس بقوة السلاح"[3].

وظلّت هذه الصورة المشوّهة تزداد تشوّها وتترسّخ أكثر فأكثر على مرّ القرون حتى وصلت إلى المرحلة الاستشراقية التي كان فيها الاستشراق أحد أذرع الاستعمار الحديث، وهذا ما سنتحدّث عنه ـ بإذن الله تعالى ـ في المطلب الثاني من هذا المبحث.

([1]) ـ عامر السبايلة: إدارة الحوار بين الثقافات، مرجع سابق، ص 53.

([2]) ـ ينظر: باسم خفاجي: لماذا يكرهونه؟ الأصول الفكرية لموقف الغرب من نبي الإسلام (صلى الله عليه وسلم)، المركز العربي للدراسات الإنسانية ـ السعودية، ط1: 2006، ص 26 وما بعدها.

([3]) ـ مونتغمري واط: تأثير الإسلام في أوروبا العصور الوسطى، ترجمة: سارة الذيب، دار جسور للترجمة والنشر ـ بيروت، ط1: 2016، ص 132.

الفصل الثاني ـ جذور ودوافع الإساءة للأنبياء (عليهم السلام)

المطلب الثاني ـ مظاهر الإساءة الحديثة والمعاصرة: ونقصد بها موجة الإساءة الغربية التي ظهرت مع كتابات المستشرقين المتستّرة بالمناهج العلمية، والموضوعية، والبحث عن الحقيقة...وكذا موجة الإساءة التي ظهرت في وسائل الإعلام الغربية بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001 تحت ذريعة حرّية إبداء الرأي والتعبير.

الفرع الأول ـ كتابات المستشرقين: ونقصد بها آراء المفكّرين الغربيين الذين درسوا الشرق "الإسلامي"، ونقلوا حضارته وأديانه ولغاته وآدابه[1]... فسمّوا بالمستشرقين نسبة إلى اهتماماتهم وآرائهم المتعلّقة بالشرق "الإسلامي"[2].

وتعتبر مرحلة الاستشراق من أهم المراحل التاريخية المتميّزة في تشكيل الصورة المشوّهة للنبي (صلى الله عليه وسلم) في الذهنية الغربية، وهذا بالنظر إلى المناهج والأساليب التي استحدثها المستشرقون وألبسوها لبوس العلم تماشيا مع روح العصر الذي كان عصر العلم والاكتشافات العلمية بامتياز.

والناظر والمتأمّل لحركة الاستشراق ليجد أنه أداة من الأدوات التي استخدمتها الكنيسة في حربها ضدّ الإسلام من خلال تشويه صورة النبي (صلى الله عليه وسلم)، حيث أن ظهوره (أي الاستشراق) منذ البداية كان بقصد إيقاف التأثير الإسلامي في العالم الغربي، ثم تطوّر ليخدم مشروع تنصير المسلمين[3].

([1]) ـ ينظر: السيد محمد الشاهد: الاستشراق ومنهجية النقد عند المسلمين المعاصرين، مجلة الاجتهاد، عدد (22)، سنة (1994)، ص 195.

([2]) ـ إن المقصود بالشرق هنا هو الشرق "الثقافي" وليس "الجغرافي"، فنجد مثلا بلدان الغرب الإسلامي شرقية بالرغم من وقوعها في الغرب، ونجد بلدان أوروبا الشرقية غربية بالرغم من وقوعها في الشرق، وعليه فإن إطلاق "الشرق" الإسلامي في مقابل "الغرب" المسيحي ليس من الناحية الجغرافية وإنما من الناحية الثقافية.

([3]) ـ عبد الله النعيم: الاستشراق في السيرة النبوية، منشورات المعهد العالمي للفكر الإسلامي ـ الولايات المتحدة الأمريكية، ط1: 1997، ص 18.

هذا وقد كان المستشرقون يقدّمون الإسلام للإنسان الغربي في صورة مشوّهة بالغة الزّيف، "وتعاونت الكنيسة مع ملوك أوروبا على شدّ أزر المستشرقين، والتمكين لهم في مهمّتهم التي كان نصفها الأول سياسيا ونصفها الآخر تبشيريا تعصّبيا"[1]، وقد أثمر هذا التعاون بين المؤسستين السياسية والدينية كمّا هائلا وغزيرا من المؤلفات الاستشراقية التي أصبحت تعدّ بالآلاف، ويحصي أحد الباحثين أنها بلغت ما بين عامي 1811 و1950 "ستّين ألف" كتاب تعنى بالشرق العربي وحده[2]، وقد كان معظمها يقدّم الصورة المشوّهة لنبي الإسلام (صلى الله عليه وسلم)، ويعكس النظرة الكلاسيكية التقليدية للمسيحية عن الإسلام المبنية على الحقد والكره والتعصّب والاحتقار[3]، فكان لهذه الكتابات عظيم الأثر في العقل الغربي، نظرا للمكانة والمصداقية التي يحظى بها المستشرقون لدى الشعوب الأوروبية، حيث كان كلّ مستشرق "مأمون عند كلّ أوروبي من أول طبقة الرهبان والساسة إلى آخر رجل من جماهير الناس، مأمون على ما يقوله، مصدّق فيما يقوله"[4].

إن الفكرة الرئيسية التي دارت حولها كتابات المستشرقين، والمعلومة الأساسية التي حرصوا على غرسها وبثّها في نفوس الشعوب الأوروبية هي أن الإسلام ليس دينا كبقية الأديان، وإنما هو هرطقة قام بها أحد الرهبان المغضوب عليهم من الكنيسة، انتقاما من البابا، حيث علّم محمدا (صلى الله عليه

([1]) ـ نجيب العقيقي: المستشرقون، دار المعارف ـ القاهرة، ط4: 1981، ج3، ص613.

([2]) ـ مصطفى المسلاتي: الاستشراق السياسي في النصف الأول من القرن العشرين، دار إقرأ ـ ليبيا، 1986، ص73.

([3]) ـ إن قولنا أن الكثير من الدراسات الاستشراقية جاءت مجحفة في حق الإسلام، من خلال رسمها صورة سوداوية لنبي الإسلام (صلى الله عليه وسلم)، فإن هذا لا يعني عدم وجود دراسات استشراقية أنصفت الإسلام ونبيّه (عليه الصلاة والسلام)، فقد جاءت بعض دراسات المستشرقين الذين تجرّدوا من خلفيتهم الدينية، قريبة من الحقيقة الإسلامية، وهذا ما نراه مع "شبرك النمساوي"، والشاعر والمؤرخ الفرنسي "لامارتين"، والروائي الروسي "ليون تولستوي"، والمستشرق "سترستن الآسوجي"، و"مايكل هارت" صاحب كتاب (الخالدون مائة أعظمهم محمد صلى الله عليه وسلم)... وغيرهم، ينظر: عبد الحليم محمود: أوروبا والإسلام، دار المعارف ـ القاهرة، ط4: 1993، ص 49 وما بعدها. محمد زرمان: النبي (صلى الله عليه وسلم) في الفكر الغربي، مرجع سابق، 46 وما بعدها.

([4]) ـ عبد العظيم الديب: المنهج في كتابات الغربيين عن التاريخ الإسلامي، سلسلة كتاب الأمة ـ قطر، ط1: 1989، ص40.

وسلم) تعاليم العهدين القديم والجديد، فأضاف إليهما محمدا بعض الأكاذيب والأساطير، ثمّ أخرجها هذا الأخير إلى الناس في قالب دين جديد، من أجل شقّ الصفّ النصراني[1].

ومن أجل تضليل الرأي العام النصراني خاصة، قام هؤلاء المستشرقون بتوظيف قصّة الراهب بحيرى، حيث اتّخذوا من مقابلة النبي (صلى الله عليه وسلم) له في إحدى رحلاته التجارية إلى الشام الذي توسّم فيه سمات نبيّ آخر الزمان، منطلقا لتأكيد ادّعاءاتهم، فنجدهم ينعتونه (أي الراهب بحيرى) بأبشع الصفات، وأشنع الأوصاف، فتارة يصوّرونه بأنه راهب مطرود من الكنيسة، طرده بطريرك الإسكندرية، فتوجّه إلى الجزيرة العربية ليخترع هذا الدين الجديد، مستعملا رجلا اسمه محمّد، وتارة أخرى يصوّر بأنه انتقم من البابا بعدما حرمه من كرسي البابوية...كلّ هذا الادّعاء والتلفيق من أجل تضليل الرأي العام، ومن ثمّ ترسيخ الصورة السلبية عن النبي (صلى الله عليه وسلم)[2].

وعديدة هي الإساءات التي تعرّض لها النبي (صلى الله عليه وسلم) في العصر الحديث من طرف المفكّرين الغربيين (المستشرقين)، الذين جاءت كتاباتهم مثقلة بالكذب والافتراء والتلفيق امتدادا لحركة الإساءة الغربية التي كانت في القرون الوسطى[3]، ومن أشهر وأبرز المستشرقين الذين أساؤوا إلى نبي الإسلام (صلى الله عليه وسلم) إساءات بذيئة، وتطاولوا عليه تطاولا شنيعا، وساهموا بذلك في ترسيخ الصورة المشوّهة له (عليه الصلاة والسلام):

(1) ـ لمعرفة الرؤية الاستشراقية حول علاقة الإسلام بالديانتين اليهودية والمسيحية ينظر: محمد الفيومي: الاستشراق رسالة استعمار، دار الفكر العربي ـ القاهرة، 1993، ص 337 وما بعدها.

(2) ـ محمد زرمان: النبي (صلى الله عليه وسلم) في الفكر الغربي، مرجع سابق، ص 35.

(3) ـ والتي تحدثنا عنها في المطلب السابق، فليراجع.

1 ـ فرانسوا فولني[1]: وهو من المستشرقين الفرنسيين الذين ساروا على نهج أسلافهم، من خلال تعمّد الكذب والتزييف والادّعاء المجرّد من الدليل العلمي والحقيقة التاريخية.

وقد كرّر فولني ركام القصص والروايات التي حيكت حول الرسول (صلى الله عليه وسلم) في المخيال الأوروبي، والتي هي حكايات سخيفة جعلتها أقرب إلى الأسطورة منها إلى الحقيقة، وقدّمها في ثوب الدراسات العلمية المتّسمة بالموضوعية، لأنها اعتمدت ـ في زعمه ـ على المناهج الحديثة في الدراسة والتحليل والاستنتاج، إلا أن واقعها يثبت عكس ذلك، فهي بعيدة كل البعد عن الموضوعية، كما أنها بعيدة كل البعد عن المناهج العلمية الحديثة التي يتحدّث عنها المستشرقون، ويتشدّقون بها، وهذا ما نلمسه من خلال القفز والتغاضي على الروايات الصحيحة، والاعتماد على الروايات الضعيفة والشاذّة، ومحاولة تضخيمها، ومن ثمّ البناء عليها، هذا دون أن ننسى تعمّد الكذب والتلفيق والتزييف والادّعاء المجرّد عن الدليل العلمي والحقيقة التاريخية...كلّ ذلك في سبيل تشويه صورة النبي (صلى الله عليه وسلم).

وتدور اتّهامات فولني للنبي (صلى الله عليه وسلم) حول العنف والتعصّب والقتل[2]، وهي من الاتّهامات التي ترجع إلى القرون الوسطى، التي جاءت مع كتابات المسيئين له (صلى الله عليه وسلم) في تلك الحقبة الزمنية، والتي لا تفتأ كتابات المستشرقين تكرّرها.

ويتّهم فولني النبي (صلى الله عليه وسلم) بأنه يقتل كلّ مخالفيه الذين يرفضون دعوته، وهذا بناء على السلطة التي منحها له الرّب، حيث كان محمد نائبا عنه، وراعيا باسمه على الأرض. كما اتّهم

([1]) ـ فولني (1757 ـ 1820): هو فيلسوف، مؤرخ ، رحالة ، مستشرق، وسياسي فرنسي، اشتهر باسم "ڤولني" ، وهو دمج بين كلمتي "فولتير "و "فيرني"، زار المشرق وكتب عن رحلاته، حيث جاءت كتابته عن مصر مليئة بالنقد لأحوال الشعب والبلاد. له الكثير من التصانيف بالفرنسية، منها المترجم إلى العربية، وهما: فولني، قسطنطين فرنسوا – «سوريا ولبنان في القرن الثامن عشر». ترجمة حبيب السيوفي. س. ف. فولني – «ثلاثة أعوام في مصر وبر الشام». ترجمة إدوار البستاني.

([2]) ـ ينظر: محمد أبو ليلة: محمد صلى الله عليه وسلم بين الحقيقة والافتراء، مرجع سابق، ص 44 وما بعدها.

النبي (صلى الله عليه وسلم) باستعباد الناس، الذين لم تكن له نيّةٌ في تكوين أصحاب منهم، وانّما كان غرضه من ذلك تسخيرهم لتحقيق أهداف ومآرب شخصية!!!

ومن هنا فإن فولني يرفض وصف النبي (صلى الله عليه وسلم) بالرحمة، كما يرفض تسميته ب"نبي الله الرحيم"، لأنه في نظره لم ينشر في العالم سوى عمليات القتل والاغتيال والتعصّب والعنصرية، والتي هي مصادمة لكلّ معاني العدل!!!

وبما أن فولني يعتبر القرآن "قانونا محمّديا"، فإننا نجده يصفه بالخلو من الجمال والاضطراب، ويتّهم النبي (صلى الله عليه وسلم) ـ كما هي عادته ـ باستعمال أسلوب عنيف، فيه عنف الداء العضال، وملئه بعبارات التعصّب!!![1]

وهكذا نرى كيف أن فولني يكرّر ما قرّره أسلافه من المستشرقين الذين أساؤوا إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) ووصفوه بصفات بذيئة بشعة، دون سند علمي يؤكّد هذه الادّعاءات والافتراءات، التي تنمّ عن شخصية مليئة بالحقد والكراهية.

2 ـ كارل بروكلمان[2]: وهو من أبرز وأشهر المستشرقين الألمان الذين كتبوا عن تاريخ الإسلام والمسلمين، ويعدّ كتابه (تاريخ الشعوب الإسلامية) أبرز كتاباته التي تحدّث فيها عن شخصية وحياة الرسول (صلى الله عليه وسلم) باعتباره الرجل الأول في الدين الإسلامي، ذلك أنه لا يمكن الحديث عن الإسلام دون الحديث عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم).

([1]) ـ محمد أبو ليلة: محمد صلى الله عليه وسلم بين الحقيقة والافتراء، مرجع سابق، ص 45.

([2]) ـ كارل بروكلمان (1868 ـ 1956): مستشرق ألماني، ولد بمدينة روستوك الألمانية، درس العديد من اللغات كالعربية والحبشية والسريانية والآرامية، عمل مدرّسا للغة العربية في معهد اللغات الشرقية ببرلين، اشتهر في فقه اللغة العربية والتأريخ الإسلامي، له العضوية في العديد من المجامع العلمية، كما أن له العديد من الدراسات خاصة في مجال التحقيق. من أهم وأشهر مؤلّفاته عن الإسلام ونبيّه (صلى الله عليه وسلم) كتابه (تاريخ الشعوب الإسلامية) عام 1939. ينظر: العقيقي: المستشرقون، ج2، ص 777.

ولم يخرج حديثه عن النبي (صلى الله عليه وسلم) من دائرة التطاول والطعن، وهذا من خلال سيل من الاتّهامات كما هي عادة أمثاله من المستشرقين، ومن أبرز هذه الاتّهامات:

أ ـ اتّهامه بالاقتباس من المسيحية واليهودية: يرى بروكلمان بأنه (صلى الله عليه وسلم) قد تأثر بالمسيحية واليهودية، فاقتبس منهما، وأضاف إليهما الآرامية والفارسية والبابلية، وهذه الإضافة التي يعبّر عنها بروكلمان بـ"التكييف المحمّدي"، كانت بناء على حاجات شعبه الدينية[1]. وهو بهذا الاتّهام يشترك مع غيره من المستشرقين الذين يرجعون التشريعات الإسلامية إلى أصول يهودية ومسيحية.

ب ـ اتّهامه بالكهانة: يحاول بروكلمان تجريد النبي (صلى الله عليه وسلم) من صفة النبوّة، واثبات صفة الكهانة له، وهذا من خلال حديثه عن البيئة التي نشأ فيها النبي (صلى الله عليه وسلم) والتي كانت تعجّ بالكهنة، حيث كان يظهر بين الفينة والأخرى رجل يعزو أحكامه فيما يتعلّق بالخلافات والمشكلات الغامضة إلى صاحب له غيبي، ثم يقوم بعد ذلك لإذاعتها بين الناس نثرا مسجوعا، وهذا ما فعله النبي (صلى الله عليه وسلم)!!![2].

وهكذا نرى كيف أن بروكلمان في دراسته لشخصية وحياة النبي (صلى الله عليه وسلم) أعاد نفس الاتّهامات الزائفة السابقة، والتي ترجع إلى القرون الوسطى، مستخدما في ذلك أساليب أمثاله من المستشرقين كالكذب والافتراء والتزييف...كل ذلك من أجل رسم صورة قاتمة عن النبي (صلى الله عليه وسلم).

([1]) ـ كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة: نبيه فارس، منير البعلبكي، دار العلم ـ بيروت، ط5: 1973، ص 69 ـ 70.

([2]) ـ المرجع نفسه، ص 36 ـ 37 .

3 ـ مكسيم رودنسون[1]: وهو من المستشرقين الفرنسيين المعاصرين الذين درسوا الإسلام والحضارة الإسلامية، وهذا ما نستشفّه من خلال مؤلفاته الغزيرة في ذلك، وما يعنينا في بحثنا هذا هو مؤلّفاته المتعلّقة بنبيّ الإسلام (صلى الله عليه وسلم)، حيث ألّف كتابه الشهير "محمّد"[2] للحديث عن حياته (صلى الله عليه وسلم) باعتباره الداعية الأول للإسلام، وقد جاء كتابه هذا مليئا بالطعون والافتراءات في حقّ الرسول (صلى الله عليه وسلم)، انطلاقا من اتّهامه له (عليه الصلاة والسلام) بالوثنية، وصولا إلى اتّهامه بالهرطقة، وهذا من أجل نفي صفة النبوة عند النبي (صلى الله عليه وسلم).

أ ـ اتّهامه بالوثنية: في خضم الحملة التي يخوضها رودنسون من أجل تجريد النبي (صلى الله عليه وسلم) من صفة النبوة، يتّهم هذا المستشرق النبي (عليه الصلاة والسلام) بأنه مارس الوثنية وتأثّر بها، وهذا بناء على البيئة التي كان يعيش فيها[3]، ولتأكيد هذا الادّعاء الذي أراد إلصاقه به (عليه الصلاة والسلام) نجده يستشهد بقصة ضعيفة أوردها بعض المؤرخين المسلمين، وهي أنه (صلى الله عليه وسلم) قدّم قربانا للعزى (أحد أصنام قريش)[4].

([1]) ـ مكسيم رودنسون (1915 ـ 2004): مستشرق فرنسي، يهودي الأصل، حصل على الدكتوراة في الآداب، عيّن أستاذا بالمعهد الإسلامي في صيدا بلبنان، ومحاضرا بالمدرسة العليا للآداب ببيروت، له العديد من الأوسمة والشهادات، كما خلّف العديد من المؤلفات المترجمة إلى العربية والإنجليزية وغيرها من اللغات الأخرى، من بينها: "محمد"، "الإسلام والرأسمالية"، "الماركسية والإسلام"، "الإسلام في القرون الوسطى"...وغيرها من المؤلفات. ينظر: نجيب العقيقي: المستشرقون، دار المعارف ـ القاهرة، ط4: 1980، ج1، ص 359.

([2]) ـ وممّن قام بتحليل هذا الكتاب ونقده "محمد أبو ليلة" في كتابه (محمد صلى الله عليه وسلم بين الحقيقة والافتراء)، دار النشر للجامعات ـ مصر، ط1: 1999، ص 32 وما بعدها.

([3]) ـ محمد أبو ليلة: محمد صلى الله عليه وسلم بين الحقيقة والافتراء، مرجع سابق، ص 67 ـ 68.

([4]) ـ حيث جاء في هذه القصة أنه (صلى الله عليه وسلم) قبل بعثته قدّم لحما ذبح لصنم لأحد الرهبان العرب، فوبّخه هذا الراهب ولم يأكل منه. ينظر: سيرة ابن هشام: 66/1.

وقد كان غرضه من الاستشهاد بهذه الروايات الضعيفة والشاذة والتي لا تقف أمام الروايات القوية الأخرى[1]، هو الطعن في رسول الله (صلى الله عليه وسلم).

ب ـ اتّهامه بالشهوانية: استعمل رودنسون أسلوب الكذب والافتراء والتلفيق والتزييف للطعن في رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، والنيل من مقامه الشريف، فنجده ـ في إحدى اتّهاماته ـ يتّهم النبي (صلى الله عليه وسلم) بأنه رجل شهواني، مختلقا قصة لا أصل لها، وهي قصّة خطبته أم هانئ[2]، حيث يزعم أنه (عليه الصلاة والسلام) طلب يد ابنة عمه أبا طالب "أم هانئ"، فرفض عمّه إعطاءها له بسبب فقره الشديد، وبعدها تزوجت برجل آخر، قبل أن يموت هذا الرجل وتترمّل، لكنهما ـ كما يزعم هذا الدّعي ـ بقيا على علاقة طيّبة، ولا أدلّ على ذلك من نومه (صلى الله عليه وسلم) في بيتها في الليلة التي قام فيها برحلة الإسراء والمعراج!!![3]

ج ـ اتّهامه بالاضطراب النفسي: في سبيل تجريد النبي (صلى الله عليه وسلم) من صفة النبوة، يواصل رودنسون الطعن في مقامه الشريف، حيث اتّهمه بأنه يعاني نفسيا من الكآبة والاضطراب، وهذا لسببين اثنين[4]:

السبب الأول ـ فقده الولد، حيث لم يعش له أحد من أولاده الذكور، مما أدى بأعدائه إلى تعييره بذلك، حيث كانوا يسمونه بالمقطوع والأبتر[1].

([1]) ـ حيث أنه من المقطوع به بين المسلمين، والمجمع عليه بين المؤرّخين وكتّاب السيرة أنه (عليه الصلاة والسلام) لم يسجد لصنم قط، ولم يقدّم قربانا لصنم قط، وهذا من حفظ الله تعالى لنبيه (صلى الله عليه وسلم)، حيث عصمه سبحانه من شرك الجاهلية، والذي جاء ثورة عليه بكلّ صوره وأشكاله. ينظر: محمد سعيد رمضان البوطي: فقه السيرة النبوية، دار الفكر ـ دمشق، ط1: 1991، ص 65 ـ 66.

([2]) ـ محمد أبو ليلة: محمد صلى الله عليه وسلم بين الحقيقة والافتراء، مرجع سابق، ص 74 وما بعدها.

([3]) ـ إن كلام رودنسون فضلا عن أنه لا يستند إلى دليل في هذه القصة التي اختلقها، فإنه يتعارض تماما مع ما عرف عنه (صلى الله عليه وسلم) من طهارة نفس، وعفّة قلب، ونقاء عرض، وبعد تام عن مواطن الشبهات... ينظر: محمد سعيد رمضان البوطي: فقه السيرة النبوية، مرجع سابق، ص 65 ـ 66.

([4]) ـ محمد أبو ليلة: محمد صلى الله عليه وسلم بين الحقيقة والافتراء، مرجع سابق، ص 81 ـ 84.

السبب الثاني ـ عدم قدرة زوجته خديجة على إشباع رغباته الجنسية، مما جعله يكرهها كرها شديدا، فمثّلت له هذه المشكلة النفسية ـ كما يقول هذا المفتري ـ عقدة في حياته!!!

د ـ اتّهامه بتأسيس دين مبني على علوم اليهود والنصارى: يقطع رودنسون بأن محمّدا (صلى الله عليه وسلم) استمع إلى بعض التعاليم اليهودية والنصرانية، خاصة فيما يتعلق منها بالإله، فاستطاع أن يكوّن منها بعد ذلك شيئا فشيئا دينا جديدا!!![2].

وهكذا نرى كيف استعمل رودنسون أسلوب الكذب تارة، والتلفيق تارة، والتزييف تارة أخرى، مع التركيز على الروايات الضعيفة والشاذة وتضخيمها...كلّ ذلك من أجل تشويه مقام النبي (صلى الله عليه وسلم) ورسم صورة سوداوية عنه.

هذه بعض النماذج لحملة الإساءة التي تعرّض لها النبي (صلى الله عليه وسلم) مع مطلع القرن الثامن عشر إلى القرن العشرين، والتي جاءت مع كتابات المستشرقين، ودارت حول العنف والقتل، والشهوانية، والاقتباس من اليهودية والنصرانية، وما فتئت تكرّرها.

وعلى الرغم من زعم المستشرقين التسلّح بالعلم، والمناهج الحديثة في الدراسة والتحليل والاستنتاج، إلا أن الحقيقة ـ كما رأينا ـ تثبت عكس ذلك، حيث جاء الجمّ الغفير من دراساتهم المتعلّقة بالإسلام ونبيّه محمد (صلى الله عليه وسلم) مليئة ومثقلة بالإساءات والتطاول والطعن، مبيحين لأنفسهم الكذب والتلفيق والاختلاق والتزييف، كلّ ذلك من أجل رسم صورة مشوّهة عن النبي (صلى الله عليه وسلم)، وهو ما يتنافى مع المناهج العلمية التي يتحدّثون عنها، ويتشدّقون بها، والتي هي مبنية على الموضوعية، والدليل العلمي، والحقيقة التاريخية، والتجرّد من الأحكام المسبقة...وهذا ما يجعلنا نقول بأن الموجة الاستشراقية التي رفعت شعار العلم والمناهج الحديثة لم تأت بجديد على الإطلاق، سوى أنها أضفت صبغة علمية على الأضاليل القديمة، والخرافات والقوالب النمطية الغربية

([1]) ـ تحدثنا عن هذا النوع من الإساءة في المطلب الأول من هذا المبحث، فليراجع.

([2]) ـ محمد أبو ليلة: محمد صلى الله عليه وسلم بين الحقيقة والافتراء، ص 107.

عن الإسلام ونبيّه (صلى الله عليه وسلم)، حيث استبدلت إساءات القرون الوسطى التي حمل لواءها رجال الدين "بنسيج جديد من الاتّهامات العدائية، والهجوم الشرس الذي يتستّر بالمنهج العلمي، ويختبئ تحت عباءة الحقيقة، لذلك كان أشدّ فتكا من سابقة، لأنه يجادل بالباطل ليدحض به الحق"[1].

الفرع الثاني ـ وسائل الإعلام: يلعب الإعلام دورا كبيرا في التأثير على الرأي العام، وهذا بفضل التقنيات الحديثة والمتطورة التي يستخدمها، من أجل استمالة السامع أو القارئ أو المشاهد، ومن ثمّ التأثير عليه سلبا أو إيجابا، وذلك بحسب المادة المعروضة.

ولما كان الإسلام يشكّل أحد أبرز هواجس الغرب، نظرا لقوّته التأثيرية ،كان لا بدّ من توظيف وسائل الإعلام المختلفة للحدّ من جاذبيته، وهذا من خلال تشويه صورة الداعية الأول له، ألا وهو النبي (صلى الله عليه وسلم).

ومن هنا وجدنا ظاهرة الإساءة إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) قد اتّخذت مع مطلع القرن الواحد والعشرين شكلا جديدا تمثّل في توظيف وسائل الإعلام، حيث انتقلت الإساءة من بطون الكتب والمؤلفات إلى وسائل الإعلام المختلفة (المرئية والمسموعة والمكتوبة)، وهذا تحت مظلّة حرّية التعبير عن الرأي، التي أضحت من المقدّسات التي تعلو ولا يعلى عليها، تماشيا مع روح العصر، الذي هو عصر الحرّيات، وعصر حرّية التعبير عن الرأي على وجه الخصوص.

هذا وقد أمست ظاهرة تشويه صورة نبي الإسلام في وسائل الإعلام الغربية ظاهرة حقيقية، وليست متوهمة أو مبالغا فيها، فقد استطاعت الأجهزة الإعلامية الغربية أن تنقل صور التشويه والتضليل من بطون الكتب والبرامج التعليمية والدراسات الإستشراقية إلى الصحف والمجلات وشاشات التلفاز

([1]) ـ محمد زرمان: النبي (صلى الله عليه وسلم) في الفكر الغربي، مرجع سابق، ص 27.

والسينما، وغدت تلك الصور "جماهيرية" بعد أن كانت "نخبوية"[1]، مستخدمة في ذلك عدة وسائل كالأفلام السينمائية والرسوم الكاريكاتورية التي لا يخفى على أحد مدى استمالتها وجذبها للقارئ أو المشاهد أو المستمع، ومن ثم التأثير فيه، بل إن معاداة الإسلام تحولت إلى تجارة رابحة، فكل منبر إعلامي يريد تحصيل مداخيل إضافية ما عليه سوى جعل الإسلام محور حديثه.

ويذكر أحد الباحثين أن المجلات الفرنسية ارتفعت معدلات مبيعاتها بنسبة 15% بعدما أصبحت تخصص أعدادا تدور محاورها حول الإسلام[2]، وهو لا يعني طبعا إظهار الصورة الحقيقية له، وإنما الترويج للصورة المشوهة، وهذا مؤشر كاف لقياس مدى خوف الغربيين عموما والفرنسيين على وجه الخصوص من الإسلام، أو ما يسمى بظاهرة "الإسلاموفوبيا".

وتدور الصورة المغلوطة عن النبي (صلى الله عليه وسلم) التي دأب الإعلام الغربي على تضمينها في رسائله حول محورين: إشباع الغريزة الجنسية، والعنف والقتال، هذا دون أن ننسى رسائل الاستهزاء والسخرية، موظّفة في ذلك الإعلام المكتوب والمرئي.

أولا ـ الإعلام المكتوب: ونقصد بالإعلام المكتوب: الصحف والمجلات المطبوعة. وقد انخرطت الكثير منها في حملة التشويه المعاصرة، ومن أهم هذه الصحف[3]:

1 ـ الصحيفة الدانماركية "يولاندس بوستن"Jyllands Posten:والتي نشرت يوم 30 سبتمبر 2005اثنا عشر (12) صورة كاريكاتورية مهينة ومشينة في حق النبي (صلى الله عليه وسلم).

([1]) ـ حسين عزوزي: من أجل تصحيح صورة الإسلام في الغرب، المجلة العربية، عدد 63، حزيران ـ يونيو 2002.

([2]) ـ قيس الغزاوي: لماذا أصبحت صورة الإسلام سلبية في الإعلام الفرنسي: www.balagh.co/islam

([3]) ـ ينظر: صالح الغامدي: إسهام وسائل الإعلام في الإساءة لشخص الرسول (صلى الله عليه وسلم)، رسالة ماجستير، كلية التربية الإسلامية والمقارنة، جامعة أم القرى ـ السعودية، ص102 وما بعدها. محمد زرمان: النبي (صلى الله عليه وسلم) في الفكر الغربي بين الإنصاف والإجحاف، مرجع سابق، ص 84 ـ 85.

وتبدأ فصول هذه الإساءة (إساءة صحيفة يولاندس بوستن) يوم نشرت صحيفة Politiken الدانماركية مقالة بعنوان" الرهبة الشديدة من انتقاد الإسلام "في 17سبتمبر2005 وتحدثت المقالة عن الصعوبة التي لاقاها Kåre Bluitgen الكاتب والصحفي الدانماركي الذي كتب كتابا عن سيرة الرسول محمد موجهة للأطفال باسم" القرآن وحياة النبي محمد " Koranen og profeten Muhammeds ولكنه وجد صعوبة في إقناع الرسامين بإضافة صور عن الرسول محمد إلى كتابه ووصل هذا الخبر صحي " يولاندس بوستن "التي قامت بإجراء مسابقة بين 40 رساما كاريكاتيريا لرسم صور تعبّر عن معاناة بلوتكن في إيجاد رسامين لكتابه وإبراز الإدعاء القائل أنه لا يوجد فنان مستعد لرسم كتاب للأطفال عن محمد بدون إبقاء اسمه سريا.

وأثناء المسابقة انسحب 3 من الرسامين ، وعلل أحدهم انسحابه بخوفه أن يحدث له ما حدث للمخرج" ثيو فان غوخ "[1]الذي قتل في 2 نوفمبر2004 على يد "محمد بويري" الهولندي من أصل مغربي لإخراجه فيلما قصيرا (10دقائق) باسم فيلم الخضوع Submission ، وعلل رسام آخر انسحابه من خوفه أن يهاجم مثل المحاضر في معهد Carsten Niebuhr Institute في كوبنهاغن الذي تعرض للضرب من قبل 5 طلاب في أكتوبر2004 لأنه حسب بعض المصادر "قرأ نصوصا من القرآن" على حشد من غير المسلمين ، وأثار انسحاب هؤلاء نوعا من روح التحدي في رئيس التحرير الذي اعتبر ذلك منافيا لحق حرية التعبير حسب وصفه.

هذا وقد جاءت هذه الرسوم الكاريكاتورية كي تعبّر عن مدى كرههم وبغضهم لنبي الإسلام (صلى الله عليه وسلم)، حيث رسمته أقلامهم رسوما مشينة ومهينة، وفيما يلي وصف للصور التي نشرت في صحيفة" يولاندس بوستن "والتي رسمت على يد رسامين مختلفين:

(1) ـ ثيو فان غوج: مخرج ومنتج وممثّل هولندي مثير للجدل، أغتيل من طرف محمد بويري سنة 2004 بسبب الفيلم المسيء لنبيّ الإسلام (صلى الله عليه وسلم).

- رجل ملتحي بعمّة حمراء يتكئ على عصا وبيده الأخرى حبل مربوط بدابة تحمل كيسين أحمرين.
- رجل ملتحي يحمل خنجرا وخلفه امرأتان منقبتان.
- رجل ملتحي بعمّة كتب عليها" لا إله إلا الله "والعمّة تمثّل أيضا قنبلة كروية لها فتيل.
- رجل ملتحي بيده رسم ينظر إليه يرفع يده لرجلين ملتحيين يعدوان أحدهما يحمل سيفا والآخر قنبلة وما يبدو أنه بندقية، والرجل الأول يقول" اهدأوا، إنه فقط رسم صنعه دانماركي من جنوب غرب الدانمارك."
- رجل رسّام يرسم وجها لرجل ملتحي يرتدي كوفية وعقال، كتب فوقها محمد، والرسام يبدو خائفا يتصبّب عرقا ويضع يده كمن يمنع الناس من الرؤية.
- رجل ملتحي بعمّة يقف (ربما على الغيم) وأمامه طابور من الرجال يقول لهم" توقفوا توقفوا، لقد نفذت لدينا العذراوات."
- رأس رجل ملتحي وبعمّة يحيط برأسه هلال أخضر وتغطي النجمة الخضراء إحدى عينيه.
- رجل ملتحي يرتدي لباسا أبيض وبنفسجي وحول رأسه طوق ملاك على شكل هلال أو قرنين على شكل هلال.
- رسم يشير تعليقه إلى أن محمد كان يضطهد النساء!!!

وبعد نشر هذه الرسوم الكاريكاتورية الساخرة توالت حملات الإساءة في الكثير من الصحف والمجلات الغربية التي تضامنت مع هذه الصحيفة بإعادة نشر هذه الرسوم.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وفيما يلي كرونولوجيا إساءات الصحف الغربية لمقام نبي الإسلام (صلى الله عليه وسلم) من خلال تضامنها مع صحيفة" يولاندس بوستن"[1]:

ـ يوم 3 نوفمبر2005 : قامت صحيفة Frankfurter Allgemeine Zeitung في ألمانيا بنشر إحدى الصور الكاريكاتيرية.

ـ يوم 31 جانفي 2006 : قامت جريدة Die tageszeitung الألمانية بنشر صورتين من الصور الكاريكاتيرية.

ـ يوم 1 فيفري 2006: قامت الصحيفة الفرنسية France Soir بنشر الصور الكاريكاتورية، وأضافت إليها صورة جديدة. كما قامت الصحيفتين الألمانيتين Die Welt و Berliner Zeitung، وكذا الصحيفة الإيطالية La Stampa، والصحيفة الإسبانية Periodico، والصحيفة الهولندية Volkskrant بنشر الصور.

ـ يوم 2 فيفري 2006: قامت جريدة Die Zeit الألمانية بنشر إحدى الصور، كما قامت صحيفة New York Sun الأمريكية، و Le Soir البلجيكية بنشر صورتين، وتبعتهم جريدة Le Monde الفرنسية بإعادة نشر الصور.

ـ يوم 4 فبراير2006 : قامت صحيفة The Dominion Post في نيوزيلندا بنشر الصور الكاريكاتورية، كما قامت صحيفة Rzeczpospolita في بولندا و Dagbladet Information في الدنمارك بنشر الصور.

ـ 12 فبراير :2008 قامت سبعة عشر جريدة دنماركية بإعادة نشر أحد الرسوم الكاريكاتورية الذي يظهر النبي محمد مرتديا عمامة على شكل قنبلة مشتعلة الفتيل.

([1]) ـ عامر السبايلة: إدارة الحوار بين الثقافات، مرجع سابق، ص 70 وما بعدها.

2 ـ الصحيفة الفرنسية Charlie Hebdo: وهي صحيفة أسبوعية تصدر في باريس، موضوعاتها الرسوم والتقارير والمهاترات والنكت، وتتسم منشوراتها بأنها ذات طابع ساخر، كما أنها يسارية التوجه، وتنشر مقالات عن اليمين المتطرف والكاثوليكية والإسلام واليهودية والسياسة والثقافة وغير ذلك.

وقد نشرت يوم 1 نوفمبر 2011 تقريرا عن النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) بعنوان" القائد العام "وأسفلها عبارة تقول "100 جلدة إذا لم تمت من الضحك "في إطار السخرية من النبي محمد(صلى الله عليه وسلم) وأتباعه، وبعد عام من ذلك تقريبا وفي يوم 19 سبتمبر 2012 عادت نفس الصحيفة لتنشر رسوما كارتونية جديدة للنبي محمد (صلى الله عليه وسلم) تحمل إساءة بالغة، حيث أظهرته مرة على كرسي متحرك، ومرة أخرى وهو"عارٍ".

وفي يوم 2 يناير 2013 قامت نفس الصحيفة بنشر عدد خاص مكون من(65) صفحة تعرض فيه قصة حياة النبي محمد(صلى الله عليه وسلم) لكاتبة من أصول مغربية تدعى" زينب الرضوي " والتي كانت قد أعلنت أنها ملحدة ومعادية للإسلام في إحدى المقابلات، وقد حمل هذا العدد إهانات شديدة لنبي الإسلام، حيث صورت حياته وأصحابه بصورة مشوهة.

ولم تتوقف حملات هذه الصحيفة المسيئة والساخرة والمشوهة لمقام نبي الإسلام عند هذا الحد، بل استمرت في ذلك، حيث نشرت في عدد أكتوبر 2014 رسوما جديدة، بغرض الإساءة للرسول محمد (عليه الصلاة والسلام) من خلال رسم كاريكاتيري أفردت له صورة غلافها الرئيسي يظهر أحد أنصار ما يسمى ب"تنظيم داعش" يذبح من تعتبره المجلة الرسول محمد (صلي الله عليه وسلم) تحت عنوان"ماذا لو عاد محمد"!!!

هكذا يتمّ عرض صورة النبي (صلى الله عليه وسلم) في الإعلام الغربي المكتوب من صحف ومجلات، والتي كما رأينا تحمل تطاولا كبيرا، وإساءة بالغة، من خلال السخرية والاستهزاء والتهكّم، وهي لا تختلف عن الإساءات السابقة إلا في الشكل والأسلوب.

ثانيا ـ الإعلام المرئي: ونقصد بالإعلام المرئي التلفزيون والسينما والإذاعة، حيث للصورة سلطة واسعة، وتأثير خفي وعميق، وقد انساقت الكثير من الفضائيات الغربية وراء حملة الإساءة، وذلك عبر برامج ساخرة، وأفلام مهينة لمقام النبي (صلى الله عليه وسلم)، ومن ذلك[1]:

1 ـ عرض القناة التلفزيونية الوطنية الدانماركية يوم 6 أكتوبر 2006 مقاطع من مسرحية تهكمية تسخر من النبي (صلى الله عليه وسلم) وتنعته" بالإرهابي"، وذلك خلال معسكر صيفي نظمته قيادة الشباب بحزب الشعب اليميني المتطرف المشارك في الائتلاف الحكومي، حيث مثّل دوره شاب يشرب الخمر، ويلّف حول وسطه حزاما ناسفا ليقصف العاصمة كوبنهاجن.

2 ـ الفيلم الأمريكي"براءة المسلمين" الذي نشر على موقع اليوتيوب سنة 2012 ، وهو فيلم لا تعرف هوية منتجه ومخرجه، غير أن الشبهات تحوم حول" نقولا باسيلي"، وهو أمريكي من أصل مصري قبطي، مدان سابقا بتهم احتيال، وشخص أمريكي يدعى" ألن روبرتس".

ويصور الفيلم النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) "كزير نساء "ووصفه "بالشذوذ الجنسي"، وأن القرآن ما هو إلا خليط من آيات التوراة، وضعها راهب مسيحي!!!

3 ـ عرض الرسوم الكاريكاتورية المسيئة للنبي (صلى الله عليه وسلم) في فيلم"فتنة"، وهو فيلم من إنتاج السياسي الهولندي"خيرت فيلدرز"[2] يبحث فيه عن علاقة أو تأثير الإسلام والقرآن على الإرهاب، وقد أنزل إلى الإنترنت بتاريخ 27 آذار 2008، وتمّ في نهاية هذا الفيلم عرض الصورة الكاريكاتورية للنبي محمد (صلى الله عليه وسلم) التي اشتهرت من بين الرسوم الدانماركية، وبعمامته فتيل قنبلة مشتعل لتظهر جملة تشير للآية (60) من سورة الأنفال ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾[سورة الأنفال:60]

([1]) ـ رجب البنا: كيف نواجه العداء للإسلام، جريدة الأهرام، العدد 43777، السنة 131: 2006/10/15.

([2]) ـ خيرت فيلدرز: هو سياسي يميني هولندي، وعضو بمجلس النواب الهولندي منذ سنة 1998. اشتهر بمعاداته للإسلام، وإساءاته لنبيّه (صلى الله عليه وسلم).

هذه بعض المظاهر والأشكال التي اتخذتها صورة النبي (صلى الله عليه وسلم) في وسائل الإعلام الغربية، المرئية منها والمكتوبة، وهي كما رأينا تدور حول السخرية والتهكم، بغرض الانتقاص من مقامه الشريف، وترك الانطباع لدى المشاهد أو القارئ على أنه شخصية هزلية، من أجل نزع صفة القداسة عنه، وهو نفس الغرض من اتهامه بالعنف وسفك الدماء، وإشباع غريزته الجنسية بشكل فوضوي!!!

والملاحظ أن حملات الإساءة في وسائل الإعلام الغربية تبدأ أولا بخلق تصور مغلوط عن النبي (صلى الله عليه وسلم)، ثم الترويج له بأشكال متعددة، تلفت الانتباه، مع الإصرار على الربط بين هذه التصورات وبين تصرفات بعض المسلمين المشوهة للإسلام كالعنف والقتل ...مستعملة في ذلك أحدث التقنيات، إلى أن تترسخ في الأذهان وتتغلغل في الوعي الغربي، فتصبح مسلمة من المسلمات دون سند أو موضوعية.

ويؤكد الباحث الفرنسي Francois Burgat على أن الإعلام الغربي يقفز على الصورة الصحيحة للإسلام، ويحاول دائما التركيز على الصورة المغلوطة من خلال تصرفات بعض المسلمين المتطرّفة الناشئة عن سوء الفهم لحقيقة الإسلام، وكلها تدفع الإعلام إلى استغلالها والتركيز عليها وبالتالي يتم الربط بينها وبين الإسلام[1].

وبعد هذه الجولة التي استعرضنا خلالها "ظاهرة" الإساءة للنبي (صلى الله عليه وسلم) قديما وحديثا، ابتداء من عصره (عليه الصلاة والسلام) إلى عصرنا الحالي، يمكننا أن نقول بأن هذه ظاهرة الإساءة إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) هي حركة مستمرّة، حيث تظهر في كل عصر بشكل جديد، مستخدمة وسائل جديدة، تماشيا مع روح العصر، أي أنها تختلف في الوسيلة، لكنها تتّفق في المقصد والهدف، وهو تشويه صورة الإسلام من خلال التطاول والإساءة لنبيّه (صلى الله عليه وسلم).

(1) - Francois Burgat:Lislam au Maghreb—ed Karthala,1988, p 1203

المبحث الثالث

أسباب ودوافع الإساءة لمقام الأنبياء(عليهم السلام)

تحدثنا في المطلبين السابقين عن ألوان وأشكال الإساءة التي تعرّض لها أنبياء الله تعالى عموما، والنبي (صلى الله عليه وسلم) على وجه الخصوص، ورأينا كيف أن التطاول على مقام الأنبياء (عليهم الصلاة والسلام) لم يكن حالة معزولة، وإنما هو حلقة من سلسلة طويلة تمتد إلى تاريخ بعثتهم، فهو ظاهرة قديمة متجدّدة، ولما كانت كذلك كان لا بد من الحديث عن الدوافع الكامنة وراء تشكّل هذه الظاهرة، والمصادر المغذّية لها.

وعديدة هي الدوافع التي أدّت إلى تصاعد وتمدّد وتوسع ظاهرة الإساءة إلى مقام النبوّة، والتي يمكن أن نقسّمها إلى قسمين: دوافع ذاتية، ودوافع خارجية.

المطلب الأول ـ الدوافع الذاتية: ونقصد بالدوافع الذاتية ما كان متأصّلا في نفوس المسيئين لمقام النبوّة، ومتجذّرا في أعماقهم، سواء عند القدامى أو المعاصرين.

الفرع الأول ـ الحقد الديني العقدي: كان ظهور الإسلام ومجيء النبي العدنان (عليه أفضل الصلاة وأتم السلام) بالرسالة الخاتمة بمثابة العقدة التي تولّدت في نفوس غير المسلمين من اليهود والنصارى والمشركين، والتي جعلتهم يناصبونه العداء منذ إعلان مبادئ دعوته وأصول رسالته، ويحاولون بشتى الطرق والوسائل تشويه صورته، لأنهم رأوا في عقيدة التوحيد التي جاء به (عليه الصلاة والسلام) لتصحيح انحرافاتهم العقائدية والسلوكية، تهديدا صريحا لمعتقداتهم التي كانوا يؤمنون بها، كما أنهم رأوا فيها مخالفة لموروثات الآباء والأجداد، وهذا ما عبّر عنه القرآن الكريم في غير موضع، في سياق حديثه عن مواقف غير المسلمين من عقيدة التوحيد، قال تعالى ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ﴾ [سورة البقرة:170]، وقال تعالى في

موضع آخر ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ [سورة المائدة:104]

وهذه الآيات ـ وغيرها ـ تتحدّث عن رفض غير المسلمين لدين الإسلام، لأنهم رأوا فيه مخالفة للمعتقدات التي توارثوها أبا عن جد، وهو ما ولّد فيهم الحقد والحسد، وعقدة كره الإسلام.

كما أن الحقد والحسد تولّد في نفوس اليهود والنصارى نتيجة عدم تقبّلهم ظهور نبيّ من ذرّية إسماعيل (عليه السلام)، فقد كانوا ينتظرون بعثة نبيّ آخر الزمان منهم، وهذا ما يفسّر حجم الحقد والحسد الذي ملأ قلوبهم ونفوسهم، والذي تطوّر بعد ذلك إلى إساءة صريحة وطعن علني فيه (صلى الله عليه وسلم)[1]، وجحود برسالته، قال تعالى ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [سورة البقرة:89]

وهذه الآية تتحدّث عن اليهود الذين كانوا قبل مجيء النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) يستنصرون بمجيئه على أعدائهم من المشركين عند قتالهم، حيث كانوا يقولون: اللهم ابعث هذا النبي الذي نجده مكتوبا عندنا حتى نعذّب المشركين ونقتلهم. فلما بعث الله محمدا (صلى الله عليه وسلم) ورأوا أنه من غيرهم كفروا به حسدا من عند أنفسهم، وحقدا، كونه من العرب، فحملهم الحسد إلى جحوده والكفر به[2].

وهكذا نرى كيف ولّد الاختلاف العقائدي بين الإسلام وغيره من المعتقدات، خاصة اليهودية والنصرانية، في نفوس الأتباع الحقد والحسد الذي كان من آثاره وتداعياته الطعن والتطاول على نبيّ الإسلام (عليه الصلاة والسلام)، والذي يعدّ تطاولا على جميع الأنبياء (عليهم السلام)، كما خلّف العداوة الدينية للإسلام، بأشكال مختلفة، وأساليب متعدّدة، وهذا ما أقرّه القرآن الكريم، ومن ذلك:

([1]) ـ ولا شكّ أن الطعن في النبي (صلى الله عليه وسلم) هو طعن في الأنبياء جميعا.

([2]) ـ تفسير ابن كثير: 486/1 ـ 488. تفسير المنار: 380/1 ـ 382.

أولا ـ سخريتهم بتعاليمه، قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمۡ هُزُوٗا وَلَعِبٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَٱلۡكُفَّارَ أَوۡلِيَآءَۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ [سورة المائدة:57]

ثانيا ـ إضلال المؤمنين، قال تعالى ﴿ وَقَالَت طَّآئِفَةٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجۡهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكۡفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴾ [سورة آل عمران:72]

ثالثا ـ التخندق مع المشركين في حربهم مع المسلمين، وذلك لما كان الصراع قائما بين الرسول (صلى الله عليه وسلم) والمشركين، حيث رفض اليهود والنصارى أن يلتزموا الحياد، واختاروا أن يقفوا ويتحالفوا مع المشركين، قال تعالى ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡجِبۡتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهۡدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا ٥١ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَمَن يَلۡعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴾ [سورة النساء:51 ـ 52]

وهذه الآيات وغيرها تتحدّث عن الحقد الديني، والحسد العقدي الذي يكنّه اليهود والنصارى لنبي الإسلام (صلى الله عليه وسلم)، وذلك منذ ظهور رسالته، ومجيء دعوته، وكيف كان هذا الحقد والحسد دافعا وباعثا للتطاول عليه والإساءة إليه.

وذا عدنا إلى مواقف الكثير من المفكّرين الغربيين ورجال الدين والسياسة المسيئة للإسلام ونبيّه محمد (صلى الله عليه وسلم)، فإننا نشتمّ منها رائحة الحقد الديني والحسد العقدي، كما هو الحال مع صاحب نظرية "صدام الحضارات"[1]، الذي بنى صدام الإسلام مع الغرب على أساس ديني تاريخي

(1) ـ وهو المفكّر الأمريكي صامويل هنتنجتون (1927 ـ 2008)، الذي بيّن بأن الصراعات بين الدول فيما بعد الحرب الباردة ستكون على أساس ديني ثقافي.

طويل، بينما يبني صدام الصين مع الغرب على أساس اقتصادي استراتيجي، وتجعله قائما على مبدأ فكرة الحرب الاقتصادية[1].

كما أننا نلمس هذه العقدة التي هي أحد الأسباب الرئيسية للتطاول على الإسلام ونبيّه (صلى الله عليه وسلم) من تصريحات المستشرق البريطاني "مونتغمري وات"[2]، الذي يحكي عن نظرة المفكّرين الغربيين للإسلام، وكيف كانوا يرون بأن دين الإسلام الذي جاء به محمد (صلى الله عليه وسلم) قد أعاق تطوّر الإنسانية باتّجاه المسيحية فيقول:" إن الإسلام من وجهة نظر المسيحية الغربية يتّسم بخلفية إشكالية لاهوتية عميقة. لقد ظهر في أوائل القرن السابع للميلاد في محيط تميّز بتأثره الروحي بالتقاليد الشرقية اليهودية ـ المسيحية...ولكنه وضع نفسه من ناحية أخرى في خندق مضاد متعارض تماما مع التقاليد الدينية المذكورة...هكذا كان ظهور الإسلام بالنسبة للديانتين اليهودية والمسيحية نوعا من التحدّي الديني ـ التاريخي"[3].

ولا تنحصر عقدة الحقد الديني والعداء العقدي للإسلام في المفكّرين فحسب، بل تعدّتها إلى رجال الدولة الذين يتبوءون مناصب "سامية" في دولهم، فهذا وزير العدل الأمريكي الأسبق "جون أشكروفت" يصرّح عن حقده الدفين على الإسلام نتيجة اختلاف عقدي بين المسيحية والإسلام في نظرتهما للإله، فيقول :" إن المسيحية دين أرسل الرّب فيه ابنه ليموت من أجل الناس، أما الإسلام فهو دين يطلب الرّب فيه من الشخص إرسال ابنه ليموت من أجل هذا الرّب"[4].

وهذا نائب وزير الدفاع الأمريكي الأسبق الجنرال "ويليام بويكن" يذهب إلى حدّ القول "إن إلهنا أكبر من إله المسلمين..إن إلهنا حقيقي، وإله المسلمين صنم. وإنهم يكرهوننا لأننا أمة مسيحية يهودية، وعدوّنا هو الشيطان نفسه"[5].

([1]) ـ عثمان الرؤوف: حوار الإسلام مع الغرب مشكلة النمطية ومسؤولية المفكّرين المسلمين، مجلة (الشرق الأوسط)، عدد (235)، سنة 2002.

([2]) ـ مونتغمري وات (1909 ـ 2006): مستشرق إنجليزي من رجال اللاهوت المسيحي، شغل منصب عميد قسم الدراسات العربية بجامعة دنبرا، من مؤلفاته: عوامل انتشار الإسلام، محمد في مكة، الجدل الديني...وغيرها. ينظر: نجيب العقيقي: المستشرقون:132/2.

([3]) ـ مونتغمري وات: تأثير الإسلام في أوروبا القرون الوسطى، مرجع سابق، ص 138.

([4]) ـ محمد عمارة: الإسلام في عيون غربية، دار الشروق ـ القاهرة، ط1: 2005، ص 48.

([5]) ـ المرجع نفسه، ص 48.

وهذه التصريحات إن دلّت على شيء فإنما تدلّ على مخزون الحقد الديني، وتجذّر ثقافة العداء العقدي للإسلام ونبيّه محمد (صلى الله عليه وسلم)، والتي جعلتهم يحاولون بشتى الطرق والوسائل وعبر الأزمان تشويه صورته (عليه الصلاة والسلام).

الفرع الثاني ـ الخوف من انتشار الإسلام: منذ اللحظة الأولى لظهور الإسلام بدأ الخوف يدبّ في نفوس أعدائه من المشركين والمنافقين واليهود، حيث رأوا في هذا الدين الجديد تهديدا صريحا لسلطتهم الدينية والسياسية، فقابلوا صاحب هذا الدين بالتهديد تارة، والتشويه تارة ثانية، والإغراء تارة ثالثة، حين عرضوا عليه المال والجاه والسلطان والنساء...وغير ذلك، في محاولة لاستمالته، وإقناعه بالعدول عن تبليغ دعوة ربّه سبحانه وتعالى، وهذا إن دلّ على شيء فإنّما يدلّ على الخوف الشديد الذي أصبح يتملّكهم من ظهور هذا الدين الجديد من أن ينتزع منهم الزعامة، فتتهاوى مكانتهم عند الناس.

ثم انتقل هذا الرعب والخوف من الانتشار السريع لدين الإسلام إلى المعسكر الغربي، وبالتحديد بعد تأسيس دولة الإسلام في المدينة، ومع بداية الفتوحات الإسلامية وما صاحبها من اتّساع رقعة الإسلام الذي دحر جحافل الروم والفرس، هنا بدأت بذور الخوف تغرس وتتكوّن في العقل الغربي. فقد شكلّ إقبال الشعوب على دين الإسلام ممّن كانوا يدينون بالنصرانية ضربة موجعة للدولة البيزنطية وريثة الدولة الرومانية وممثلة الديانة النصرانية، هذه الأخيرة التي تراجعت في الكثير من المناطق كالشام وشمال إفريقيا أمام زحف الإسلام السريع نتيجة الصراعات المذهبية والإفلاس الديني والسياسي والاقتصادي والأخلاقي من جهة، وسماحة الإسلام وواقعية أحكامه من جهة أخرى[1]، حيث رأوا فيه المخلّص ممّا كانوا يعانونه من ظلم واضطهاد، وفساد وانحطاط وعبودية، فأقبل "كثير من المسيحيين من أهل البلاد التي دخلها المسلمون على الإسلام فاعتنقوه، وقد رأوا في المسيحية القرآنية صورة متكاملة تغنيهم عن خلافات الفرق المسيحية نفسها، وقد كانت هذه الفرق في عراك مرير وانقسام عنيف حول طبيعة المسيح وحقيقته، وقد أضنى المسيحيون هذا الخلاف، فلما قابل

(1) ـ أبو الحسن الندوي: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، دار الكتاب العربي ـ بيروت، ط8: 1984، ص 28 وما بعدها.

الكثير منهم القرآن رأوا مسيحا واحدا في صورة بسيطة تخلّصه من كل هذه الخلافات فآمنوا بالإسلام"[1].

وقد كان هذا الإقبال على الإسلام تعبيرا عن الاحتياج الروحي والإيماني للإنسان المسيحي، وهو ما عبّر عنه المستشرق الإيطالي "كيتاني Caetani"[2] حين قال "إن انتشار الإسلام بين نصارى الكنائس الشرقية إنما كان نتيجة الشعور بالاستياء من السفسطة المذهبية التي جلبتها الروح الهيلينية إلى اللاهوت المسيحي. أما الشرق الذي عرف بحبّه للأفكار الواضحة البسيطة، فقد كانت الثقافة الهيلينية وبالا عليه من الوجهة الدينية، لأنها أحالت تعاليم المسيح البسيطة السامية إلى عقيدة محفوفة بمذاهب عويصة...وحينئذ ترك الشرق المسيح وارتمى في أحضان نبيّ العرب"[3].

وفي ظلّ هذا التمدّد الإسلامي السريع تولّدت في نفوس الغربيين عقدة الخوف من انتشار الإسلام، وهي العقدة التي عبّر عنها "لورانس براون Lawrence Brown"[4] بقوله :"لقد كنا نخوّف بشعوب مختلفة، ولكننا بعد الاختبار لم نجد مبرّرا لمثل هذا الخوف. لقد كنا نخوّف بالخطر اليهودي، والخطر الأصفر (اليابان والصين)، وبالخطر البلشفي، إلا أن هذا التخوّف كلّه لم نجده كما تخيّلناه، لأننا وجدنا اليهود أصدقاء لنا، وعلى هذا يكون كلّ مضطهد لهم عدوّنا الألدّ، ثم رأينا أن البلاشفة حلفاء لنا أثناء الحرب العالمية الثانية، أما الشعوب الصفراء فإن هناك دولا ديمقراطية كبرى تتكفّل بمقاومتها. ولكن الخطر الحقيقي كامن في المسلمين، وفي قدرتهم على التوسّع والإخضاع، وفي الحيويّة المدهشة العنيفة التي يمتلكونها. إنهم السدّ الوحيد في وجه الاستعمار الأوروبي"[5].

([1]) ـ علي سامي النشار: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، دار المعارف ـ القاهرة، ط5: 1971، ص 92 ـ 93.

([2]) ـ كيتاني (1869 ـ 1935): من المستشرقين الإيطاليين من آل كيتان، وهي أسرة من كبار الأمراء في تاريخ إيطاليا. اشتهر خصوصا بكتابه (حوليات الإسلام). ينظر: عبد الرحمن بدوي: موسوعة المستشرقين، دار العلم ـ بيروت، ط3: 1993،ص 493 ـ 494.

([3]) ـ محمد عمارة: استراتيجية التنصير في العالم الإسلامي، مركز دراسات العالم الإسلامي ـ مالطا، ط1: 1992، ص 45.

([4]) ـ لورانس براون: أستاذ دكتور، وطبيب عيون، أمريكي الجنسية، عمل كضابط في القوّات الجوّية الأمريكية. له دراسات في اللاهوت ومقارنة الأديان. كان ملحدا، ثم اعتنق المسيحية، ليستقرّ به الحال أخيرا في دين الإسلام.

([5]) ـ جودت سعيد: لم هذا الرعب كله من الإسلام، دار الفكر ـ دمشق، ط1: 2006، ص 20 ـ 21.

وهكذا نرى كيف تولّدت عقدة الخوف من انتشار الإسلام في نفوس الغربيين بفعل زحفه على المناطق المحسوبة على المسيحية، وهي العقدة التي ما فتئت تنمو لتتحوّل بعد ذلك إلى حملات تشويه ممنهجة لصورة الإسلام، وقد كان النبي (صلى الله عليه وسلم) ـ باعتباره صاحب الدين الجديد ـ هو الهدف الأول المباشر لهذه الحملات[1]، هذه الأخيرة التي لم تتوقّف عند حدّ الإساءة لمقامه الشريف، وإنما تعّدتها إلى الإساءة للمسلمين من خلال التآمر على بلدانهم، وارتكاب أبشع الجرائم في حقّهم على مرّ العصور، والتي يمكن أن نجملها فيما يلي:

أولا ـ الحروب الصليبية: وهي حملات قادها الأوروبيون في أواخر القرن الحادي عشر حتى نهاية القرن الثالث عشر ضدّ المسلمين كردّة فعل على الزحف الإسلامي، وتمّ الاصطلاح على تسمية هذه الحروب ب "الصليبية" لأن الجيوش الأوروبية جيّشت تحت راية الصليب وبشعار تخليص يسوع المسيح. وقد ارتكب فيها الأوروبيون أبشع المجازر والجرائم الوحشية، التي تكشف عن الحقد الدفين، والرغبة في الانتقام من دين الإسلام، ولعلّ في الشهادات التاريخية التي سجّلها الرهبان والمؤرّخون الذين رافقوا هذه الحروب ما يؤكّد ذلك، حيث يروي أحد الرهبان الفرنجة الذين شهدوا احتلال الصليبيين لمدينة القدس سنة 492هـ فيقول:"كان قومنا يجوبون الشوارع والميادين وسطوح البيوت ليرووا غليلهم من التقتيل، وذلك كاللبؤات التي خطف صغارها، كانوا يذبحون الأولاد والشباب ويقطعونهم إربا إربا، وكانوا يشنقون أناسا كثيرين بحبل واحد بغية السرعة، وكان قومنا يقبضون كل شيء يجدونه، فيقرون بطون الموتى ليخرجوا منها قطعا ذهبية، فيا للشره وحب الذهب. وكانت الدماء تسيل كأنها أنهار في طرق المدينة المغطّاة بالجثث"[2].

ويصف راهب آخر المجزرة نفسها دون أن يخفي شماتته بقوله :"حدث ما هو عجيب بين العرب عندما استولى قومنا على أسوار القدس، وبروجها، فقد قطعت رؤوس بعضهم فكان هذا أقل ما

([1]) ـ ينظر: محمد زرمان: النبي(صلى الله عليه وسلم) في الفكر الغربي بين الإنصاف والإجحاف، مرجع سابق، ص 14.

([2]) ـ محمد العامري: بواعث التطاول على النبي (صلى الله عليه وسلم)، بحث مقدّم للمؤتمر الدولي (التطاول على النبي صلى الله عليه وسلم وواجبات الأمة)، الرياض، 2007.

يمكن أن يصيبهم، وبقرت بطون بعضهم فكانوا يضطرون إلى القذف بأنفسهم من أعلى الأسوار، وحرق بعضهم في النار، فكان ذلك بعد عذاب طويل، وكان لا يرى في شوارع القدس وميادينها سوى أكداس من رؤوس العرب وأيديهم وأرجلهم، فلا يمرّ المرء إلا على جثث قتلاهم، ولكن كل هذا لم يكن سوى بعض ما نالوه"[1].

هذا غيض من فيض وجزء يسير من الجرائم البشعة التي ارتكبها الغربيون في حقّ المسلمين إبان الحروب الصليبية، والتي هي نتاج الحساسية التاريخية من انتشار الإسلام، والتي لم يستطع الغربيون نسيانها والفكاك منها.

ثانيا ـ التآمر على الخلافة العثمانية: وهو من آثار الحقد التاريخي الذي يكنّه الغربيون لدين الإسلام، ففي عام 1907 تآمرت بعض الدول الغربية للإجهاز على الخلافة العثمانية، التي أنهكها المرض والضعف، وتقسيم المناطق التي كانت تحت نفوذها، وتحويلها إلى دويلات متصارعة متناحرة، ومحو أي شكل من أشكال الوحدة الروحية أو الثقافية، وكان لها ما أرادت، حيث سقطت الخلافة العثمانية سنة 1924، أي بعد حوالي سبعة عشر عاما من هذا التاريخ.

ثالثا ـ مجازر الصرب في البوسنة والهرسك: وهي المجازر التي قامت بها القوات الصربية في البوسنة والهرسك، ومنطقة البلقان في تسعينيات القرن الماضي ضد المسلمين، حيث ارتكبت فيها أبشع الجرائم في العصر الحديث، من مذابح جماعية، وتصفية عرقية في حق المسلمين، لا لشيء إلا لأنهم مسلمون. كل ذلك تحت مرأى ومسمع من العالم كله.

إن هذه الإساءات المتكرّرة على مقدّسات المسلمين، وهذه الاعتداءات والمؤامرات المتعدّدة والمتجدّدة على أوطانهم إنما هي "قطرة من محيط ثقافة الافتراء والكراهية السوداء للإسلام والمسلمين، التي

([1]) ـ محمد العامري: بواعث التطاول على النبي (صلى الله عليه وسلم)، بحث مقدّم للمؤتمر الدولي (التطاول على النبي صلى الله عليه وسلم وواجبات الأمة)، الرياض، 2007.

تبلورت وتراكمت واستقرّت في تراث الثقافة الغربية منذ فجر الإسلام، والتي أصبحت المبرّر للعدوان الاستعماري الغربي على الشرق الإسلامي...والتي أصبحت أداة لشحن العامة والدهماء بالعداء للإسلام والمسلمين...فنحن إذن أمام وقائع وشهادات قد قامت وتقوم بدور الحيثيات على صدق مقولة الجنرال (جلوب باشا)[1] التي قال فيها: إن مشكلة الغرب مع الشرق إنما يعود تاريخها إلى القرن السابع للميلاد"[2].

وبالرغم من التفاعل المباشر والتواصل الثقافي والعلمي لأبناء الغرب مع الحواضر العلمية التي كانت منتشرة في الكثير من مدائن العالم الإسلامي، إلا أن ذلك لم يكن كافيا لتبييض الصورة القاتمة التي رُسمت في أذهانهم عن الإسلام بوصفه دينا دمويا لا يؤمن إلا بالعنف والقتال !!![3]

المطلب الثاني ـ الدوافع الخارجية: ونقصد بها البواعث والأسباب الخارجية التي ساهمت في إذكاء حملة الإساءة إلى مقام رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، ومقام النبوّة عموما، ومن ذلك:

الفرع الأول ـ الجهل بحقيقة النبي (صلى الله عليه وسلم): لا يمكن إغفال جهل غير المسلمين بنبي الإسلام كواحدة من الأسباب التي أدت إلى تفاقم هذه الظاهرة، وترسيخ الصورة المشوّهة له (صلى الله عليه وسلم)، ذلك أن الإنسان في العادة يميل إلى معاداة ما يجهله، بوصفه خطرا غامضا يحسن اجتنابه والاحتراس منه، وهذا ما يفسّر خوف الكثيرين من الإسلام ونبيّه (عليه الصلاة والسلام) والميل إلى معاداته وتشويه صورته. والتاريخ شاهد بأسماء الكثير من الشخصيات التي تطاولت على نبيّ الرحمة سواء أثناء حياته أو بعد مماته نتيجة الجهل، قبل أن تزال سحابة الافتراءات والأراجيف التي أعمت قلوبهم، وطمست بصائرهم برهة من الزمن، ويعلنوا إسلامهم[4]، وفي ذلك

([1]) ـ جلوب باشا (1897 ـ 1986): وهو ضابط بريطاني عاش في الشرق الأوسط، ولعب أدوارا مهمّة في المنطقة العربية، حيث قاد الجيش العربي في الحرب العالمية الثانية. كان رجل فكر إلى جانب أدواره السياسية والعسكرية.

([2]) ـ محمد عمارة: الإسلام في عيون غربية، مرجع سابق، ص 72.

([3]) ـ خالد سليمان: ظاهرة الإسلاموفوبيا، بحث مقدّم إلى مؤتمر فيلادلفيا الدولي الحادي عشر (ثقافة الخوف)، جامعة فيلادلفيا ـ الأردن، 24 ـ 26 أبريل 2006.

([4]) ـ كما هو الحال مع بعض الصحابة الكرام الذين ناصبوا النبي (صلى الله عليه وسلم) العداء في بداية الأمر، وحاربوا دعوته لجهلهم بحقيقته وحقيقة دعوته (عليه الصلاة والسلام)، قبل أن يشرح الله صدورهم للإسلام، ويزيل عنهم سحابة الجهل هاته،

دلالة على أن الجهل بحقيقة النبي (صلى الله عليه وسلم) والدعوة التي جاء بها هو أمر واقع، وحقيقة ثابتة لا يمكن التغاضي عنها أو القفز عليها، حيث أن الكثير من الناس لما حجبت عنهم الصورة الحقيقية لدعوة الإسلام وصاحبها (عليه الصلاة والسلام)، ولم تتح لهم فرصة التعرّف عليها، أو حتى الاقتراب منها ناصبوه العداء.

وما نشاهده اليوم من حملة الإساءة في وسائل الإعلام الغربية إنما هو ناتج ـ في أحد أسبابه ـ عن الجهل بطبيعة الشرق الإسلامي التي لا زالت غامضة وغير مفهومة عند الكثير منها، ذلك أنها تستقي معلوماتها من مصادر منحازة وغير موضوعية، والتي تكون في الغالب من المدرسة الاستشراقية التي هي إحدى الأذرع الرئيسية للاستعمار الغربي الحديث، والتي عمدت إلى نقل صورة مغلوطة ومشوهة عن الإسلام ونبيه (صلى الله عليه وسلم) إلى العقل الغربي، وذلك من خلال تزييف الوقائع، ولي أعناق الحقائق، لإثبات مزاعم وافتراضات قبلية عارية عن الصحة[1].

فحياة النبي (صلى الله عليه وسلم) المليئة بالمعاني السامية، والقيم الرفيعة، والمواقف الإنسانية مع المخالف في السلم والحرب، وأخلاق العفو والصفح التي تحلّى بها في كلّ الأحوال، حتى مع أعدائه المحاربين له....وغيرها كثير، وهي المدوّنة في كتب التاريخ والسيرة، تم حجبها حجبا تاما عن الشعوب الأوروبية، والقفز عليها، واختزالها في الحروب والغزوات والقتال...كل ذلك من أجل الوصول إلى نتائج مسبقة، وخلق انطباع مفاده حب النبي (صلى الله عليه وسلم) للحروب والدماء وغير ذلك من النتائج المحدّدة سلفا.

إن الجهل بحقيقة النبي (صلى الله عليه وسلم) لم يقتصر فقط على عامة الناس، وإنّما تعدّاه إلى "النخبة" من الكتّاب والمفكّرين والفلاسفة الذين لم يكلّفوا أنفسهم عناء الدراسة والتمحيص والبحث المستقل من أجل التعرّف على حقيقة الدعوة المحمّدية، حيث نجدهم ركنوا إلى دراسات سابقيهم في القرون الوسطى، ممّن اختلق الأباطيل، وروّج للافتراءات العارية عن الصحّة، والتي تصادم العقل الصريح والنقل الصحيح، ولا أدلّ على ذلك من المحاور نفسها التي اشترك فيها المسيء

وكذلك الحال بالنسبة للكثير من المسيئين له (عليه الصلاة والسلام) في عصرنا الحالي، كما هو شأن الهولندي "أرنود فاندور" منتج الفيلم المسيء للرسول (صلى الله عليه وسلم) الذي دخل في الإسلام بعدما عرف حقيقته (عليه الصلاة والسلام).

([1]) ـ خالد سليمان: ظاهرة الإسلاموفوبيا ، مرجع سابق.

اللاحق مع السابق، وهذا ما يؤكّد على أن حملة الإساءة الحديثة والمعاصرة إنما هي امتداد للحملة القروسطية، يقول أحد الباحثين: "خلال تتبعي للمفاهيم التي تبناها الأوروبيون حول نبي الإسلام انتابني الذهول من جهلهم المطبق وعدوانيتهم الواضحة وأحكامهم المسبقة المتأصلة، وتحزبهم الطاغي ضد خصومهم، وهذا لا ينطبق على الشعب الجاهل والساذج ولكنه ينطبق أيضا على أكبر علمائهم وفلاسفتهم ورجال الدين والمفكرين والمؤرخين، حتى أنه خلال القرون التي شهدت انطلاق الفكر الأوروبي من القرن الثاني عشر وحتى القرن السابع عشر لم يكن لدى أي من هؤلاء المفكرين الشجاعة في تحري المعرفة والموضوعية عن الإسلام ومؤسسه"[1].

ومن خلال ما سبق يتبيّن لنا بأن الجهل بنبيّ الإسلام وحقيقة الدعوة التي جاء بها هو أحد أسباب الصورة النمطية السلبية التي يملكها الغربيون عنه (عليه الصلاة والسلام)، خاصة إذا علمنا بأن وسائل الإعلام الغربية التي تروّج لهذه الصورة المشوّهة تستقي معلوماتها من دراسات المستشرقين، والتي ـ كما رأينا ـ هي امتداد لحركة الإساءة في القرون الوسطى، وهذا ما أشار إليه أحد الباحثين حين قال" القليل من إنتاج المستشرقين الجدد وهو كثير في حدّ ذاته، يذهب إلى صانعي السياسة والقرار في الغرب، بينما يذهب الكثير من إنتاجهم إلى الرأي العام عن طريق أجهزة متطورة للإعلام والدعاية ليؤكد صورة نمطية أو يشوهها"[2].

لقد أدى الجهل بالإسلام وحمل تصورات مغلوطة عنه إلى صعوبة في التواصل بين الغربيين والمسلمين الذين يعيشون في مجتمع واحد وتحت مظلة وطن واحد، وهذا ما دفع بعضو مجلس النواب الأمريكي السابق "بول فندلي" الذي خبر العالم الإسلامي عن قرب إلى أن يأخذ على عاتقه السعي إلى كسر حاجز الجهل الغربي بالإسلام ، والعمل على تصحيح المفاهيم والصور النمطية الخاطئة المتصلة به، ودحض الأضاليل التي تستوطن أذهان الغربيين بشأنه، وبخاصة في المجتمع الأمريكي.

([1]) ـ عبد الرحمن بدوي: دفاع عن محمد (صلى الله عليه وسلم) ضد مطاعن المنتقصين من قدره، ترجمة: كمال جاد الله، الدار العالمية للكتب والنشر ـ القاهرة، ص5.

([2]) ـ جمال مطر: حوار الحضارات، مجلة المستقبل العربي، العدد 315، آذار:2006، ص57.

ويجمل "فندلي" الأسباب التي تقف خلف جهل الأمريكيين، والغربيين عموماً بالإسلام وتبنيهم صوراً نمطية مضللة في خمسة أسباب[1]:

أولاـ دور اللوبي اليهودي في تقديم صورة سيئة عن المسلمين، وتصوير (إسرائيل) على أنها دولة ضعيفة يهدد العرب والمسلمون أمنها ووجودها.

ثانيا ـ الاقتصار على الحديث عن الأخلاق اليهودية والمسيحية في المجتمع الأمريكي، بوصفها الأخلاق العالية المقبولة الجديرة بالإتباع، مع تجنب الإشارة إلى الأخلاق الإسلامية، وتصويرها بشكل سلبي منفّر في حال الحديث عنها، بحيث غدت اليهودية والمسيحية في نظر الأمريكي أنموذجاً للتقدم والحضارة والأخلاق، وأصبح الإسلام تعبيراً عن القوة المتخلّفة والخطرة.

ثالثا ـ وسم الإسلام بالإرهاب والتعصب، واحتقار المرأة، والافتقار إلى التسامح مع غير المسلمين، ورفض الديمقراطية، وعبادة إله غريب وانتقامي.

رابعا ـ تخوف الغربيين من خطر إسلامي متصاعد، وخشيتهم من الحرب الإسلامية ـ الغربية القادمة، وتغذية الهيئات الصهيونية لتلك المخاوف، حتى لا يتراجع الدعم الغربي للكيان الصهيوني في فلسطين.

خامسا ـ تركيز وسائل الإعلام الغربية على تصوير الحركات الإسلامية، وبخاصة حركات المقاومة، على أنها حركات إرهابية لا تحترم الديمقراطية وحقوق الإنسان، وعمل تلك الوسائل في بعض الأحيان على فبركة برامج يتم عن طريقها تضخيم دعوات بعض المسلمين إلى محاربة أمريكا و (إسرائيل) والغرب، وإخراج تلك الدعوات عن سياقها الأصلي.

الفرع الثاني ـ التنافس الحضاري: على الرغم من أن الجهل بنبي الإسلام (صلى الله عليه وسلم) هو أحد أسباب الصورة المشوّهة التي تروج في أوساط وسائل الإعلام الغربية عنه (صلى الله عليه وسلم)، إلا أنه ليس السبب الوحيد في ذلك، فقد سجل التاريخ أن معرفة الكثيرين بالإسلام وبنبيّه

([1]) ـ خالد سليمان: ظاهرة الإسلاموفوبيا، مرجع سابق.

لم تحل دون معاداته، والعمل على تشويه صورته، والتطاول على مقام النبوّة، ولربما كانت هذه المعرفة المدخل الرئيس لاتخاذ الموقف السلبي منه. فاليهود الذين عاصروا النبي (صلى الله عليه وسلم) كانوا متأكدين من صدق نبوته ورسالته كما دلّت على ذلك كتبهم المقدسة التي تحدثت عن أسمائه وأوصافه، إلا أن هذه المعرفة لم تمنعهم من معاداته والكيد له، وقد سجل القرآن الكريم هذا الموقف، فقال تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ [سورة البقرة:146]

وسبب هذا الرفض والعناد الذي أفضى إلى الكيد والعداء ليس الجهل، وإنما هو تهديد المشروع الذي جاء به نبي الإسلام لمصالحهم، واختلافه مع طبائعهم المريضة، وأخلاقهم الفاسدة، فاليهود الذين استشرى فيهم الفساد الديني والانحطاط الأخلاقي رأوا في الإسلام تهديدا مباشرا لقيمهم وأخلاقهم التي تربوا عليها، وكذلك الحال بالنسبة لمشركي قريش في بداية الدعوة الإسلامية الذين رفضوا ما جاءهم به النبي(صلى الله عليه وسلم) لأنهم رأوا فيه تهديدا لملكهم وزعامتهم التي توارثوها أبا عن جد، فها هو أبو جهل أحد زعماء مشركي قريش يقول في معرض تفسيره الإصرار على عدم الإيمان بالرسول (صلى الله عليه وسلم) ومعاداته والكيد له: " والله إني لأعلم أن ما يقول حق ولكن يمنعني شيء. إن بني قصي قالوا: فينا الحجابة، فقلنا نعم، ثم قالوا: فينا السقاية، فقلنا نعم، ثم قالوا: فينا الندوة، فقلنا نعم، ثم قالوا: فينا اللواء، فقلنا نعم، ثم أطعموا وأطعمنا، حتى إذا تحاكت الركب قالوا: منا نبي، فلا والله لا أفعل"[1].

وهذا المنطق الذي يعادي الإسلام لأن فيه تهديدا لقيم وأخلاق ومبادئ المعتقدات والأفكار الأخرى ينسحب على الحالة الغربية اليوم، فهو أحد الأسباب الرئيسية لحملة التشويه المعاصرة التي يتعرض لها النبي(صلى الله عليه وسلم) في وسائل الإعلام الغربية، باعتباره صاحب هذا الدين الجديد.

([1]) ـ البيهقي: دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، تحقيق: عبد المعطي قلعجي، دار الكتب الجامعية ـ بيروت، 1985، ج2، ص207.

الفصل الثاني ـ جذور ودوافع الإساءة للأنبياء (عليهم السلام)

لقد جاء الإسلام بمشروع حضاري متكامل يمازج بين النفس والروح، والدنيا والآخرة، شاملا لجميع نواحي الحياة، وهو ما اعتبره الغربيون منافسا لمسلّماتهم الأساسية في جميع نواحي الحياة، وبديلا قويا عن فكرهم، وهذا ما نلمسه من خلال تصريحات الكثير من مفكّريهم، الذين عبّروا عن خوفهم الشديد من المشروع الذي يحمله الإسلام على القارة الأوروبية وعلى العالم بأسره، ومن ذلك ما قاله أحدهم[1]: "إن القوة التي تكمن في الإسلام هي التي تخيف أوروبا"[2]، وهو تصريح يدلّ على مدى قوة المشروع الحضاري الذي جاء به الإسلام ومنافسته للحضارة الغربية.

وقريب من هذا التصريح ما ذكرته مجلة "لودينا" الفرنسية التي جاء فيها ـ بعد دراسة أعدّها مختصون ـ :"إن مستقبل نظام العالم سيكون دينيا، وسيسود النظام الإسلامي على الرغم من ضعفه الحالي، لأنه الدين الوحيد الذي يمتلك قوة شمولية هائلة"[3].

كما نلمس الإحساس بقوة المشروع الحضاري الذي يحمله الإسلام ومدى خوف الغربيين منه من خلال تصريحات الرئيس الأمريكي الأسبق "ريتشارد نيكسون" حين قال:"إننا لا نخشى الضربة النووية، ولكن نخشى الإسلام والحرب العقائدية التي قد تقضي على الهوية الذاتية للغرب"[4].

وهذه التصريحات ـ وغيرها كثير ـ تبيّن مدى قوة المشروع الحضاري الإسلامي ومدى منافسته للحضارة الغربية، وهذا ما يفسّر حملة التشويه المتكرّرة والمتصاعدة التي يتعرّض لها الإسلام، والتي لم تبدأ مع أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001، أو مع نشوء نظرية "صدام الحضارات"، أو نظرية "نهاية التاريخ"، وإنما سبقت ذلك بقرون عديدة، واستمرت تغذّي الشخصية الغربية بمبرّرات العداء للعالم الإسلامي ولشخصية النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)[5].

([1]) ـ وهو المستشرق البريطاني"غاردنر".

([2]) ـ مصطفى خالدي وعمر فروخ: التبشير والاستعمار، منشورات المكتبة العصرية ـ بيروت، 1986، ص36.

([3]) ـ محمد العامري: بواعث التطاول على النبي (صلى الله عليه وسلم) وواجبات الأمة، مجلة البيان، 1429، ص112.

([4]) ـ نبيل السمالوطي: نحو استراتيجية علمية لنصرة الرسول (صلى الله عليه وسلم)، بحث مقدّم للملتقى الدولي "نصرة النبي صلى الله عليه وسلم"، رابطة العالم الإسلامي ـ مكة المكرّمة، ص13.

([5]) ـ باسم خفاجي: لماذا يكرهونه، مرجع سابق، ص 82.

ومن الواضح أن هناك تباينا وتناقضا بين الكثير من المفاهيم والرؤى والأفكار التي تشكّل ثقافة الإسلام والمفاهيم والرؤى والأفكار التي تشكّل ثقافة الغرب، فبينما ـ مثلا ـ يتبنّى الغرب الكثير من السلوكيات الخاصة به من قبيل: الربا، القمار، الحرية الجنسية، شرب الخمر... وغيرها كثير، نجد الإسلام يعتبر هذه السلوكيات من المحظورات على أتباعه، ويدرجها في خانة المحرّمات التي يعاقب عليها الفاعل[1].

وفي مسألة الحرّيات نجد الإسلام يضبط الحرّيات وينظّمها على النحو الذي يجعل منها أداة بناء لا معول هدم في المجتمع، دون أن يعني ذلك إلغاءها ومصادرتها، ومقصده في كلّ ذلك أن المصلحة العامة مقدّمة على المصلحة الخاصّة، بينما نجد الغرب ينادي بإطلاق الحرّيات وعدم تقييدها، ويعتبر مسألة الحرّيات (خاصة حرّية التعبير عن الرأي) من المسائل المقدّسة التي تعلوا ولا يعلى عليها!!!

وهكذا نجد التباين واضحا جليّا بين الرؤية الإسلامية والرؤية الغربية للكثير من المفاهيم والأفكار والقيم والأخلاق، وهو ما حدا بالكثير من المفكّرين الغربيين إلى أن يهاجموا الإسلام ويشوّهوا صورة صاحبه (عليه الصلاة والسلام) لتهديده ـ كما يزعمون ـ لسيادة الفكر الغربي، ومنازعته في مسلّماته الأساسية.

هذه بعض الدوافع التي ـ أراها ـ أدّت إلى بروز ظاهرة الإساءة لمقام النبوّة قديما، وتجدّدها بعد ذلك، وتصاعد حدّتها ووتيرتها مع مطلع القرن الواحد والعشرين، والتي غذّتها ـ كما رأينا ـ أحداث تاريخية، جعلتها تظهر في كلّ مرّة بثوب جديد، وشكل مغاير، مستخدمة أدوات ووسائل جديدة تماشيا مع روح العصر، إلا أنها تشترك جميعا في هدف واحد ومقصد واحد، ألا وهو إيقاف زحف الإسلام، وشلّ حركة انتشاره.

([1]) ـ خالد سليمان: ظاهرة الإسلاموفوبيا، مرجع سابق.

الباب الثاني

الفصل الأول ـ نظرة اليهودية للإساءة للأنبياء

المبحث الأول

مفهوم النبوة عند اليهود

المطلب الأول ـ مفهوم النبي لغة: لم ترد لفظة نبي (nabi) في النصوص والمدوّنات القديمة، حيث لا نجد لها ذكرا في أرقى وأفضل نص وصل إلى عصرنا، وهو مدوّنة حمورابي. ولا نقصد من ذلك أن النبوات لم تكن معروفة بين شعوب الشرق القديم قبل النبوة اليهودية، فذلك ما يخالف حقائق الواقع والتاريخ، بل إننا نعني أن دور النبي لم يكن قد تبلور كدور مستقل يستحق لفظا خاصا، بل كان جزءا من مهام الكاهن أو الحكيم أو العرّاف، أي أن دور أو وظيفة النبي كان يقوم بها قديما أشخاص آخرون تحت أسماء أخرى[1].

وعليه فإن لفظة (نبي) ليست أصيلة في اللغة العبرية وإنما هي دخيلة، وهذا ما كاد يجمع عليه الباحثون[2]، الذين رأوا بأنها لفظة مستعارة من اللغات المجاورة، وهذا ما جعل منها لفظة مبهمة وغامضة، لأنها لم ترتبط بنظام اشتقاقي أصيل، وهو الأمر الذي أدى إلى صعوبة العثور على مفهوم دقيق أو واضح المعالم للفظة (نبي) في اللغة العبرية، إذ تدور تخمينات الباحثين حول المعاني الآتية[3]:

---

(1) ـ علي مبروك: النبوة من علم العقائد إلى فلسفة التاريخ، دار التنوير ـ بيروت، ط1: 2007، ص 40.

(2) ـ حيث يرى هؤلاء أن الرب عندما بدأ الوحي إلى اليهود، ولما لم يجد اليهود لفظا يطلقونه على ذلك الذي ينقل إليهم وحي الرّب، ولم يجدوا في لغتهم المتداولة ما يصلح لذلك، اضطروا للاستعارة والاقتراض من اللغات الأخرى المجاورة، وهكذا ظهرت لفظة (nabi) العبرية وهي تدين بأصل وجودها إلى لغات القبائل والشعوب المجاورة. ينظر:

A.Lords,Israel from its begining to the middle of the Eight century,p445.

Claude Sauerbrei, The Holy many in Israel, A Study in the Development of prophecy, in JNES, b, 1947,p 216.

(3) ـ Hubert Irsiger, Prophetie and Propheten literatur,S:26-27.

Walter Yast(ed) : Encyclopedia Britanica, Vol(18), (Art.Prophet), U.S.A.1960. P.586.

وينظر بالعربية: محمد خليفة حسن: تاريخ النبوة الإسرائيلية، دار الثقافة ـ القاهرة، 1985، ص 25 وما بعدها.

1 ـ (ينبع) أو (يتفجر)، أو بتعبير آخر (انفجر فيه أو اندفق فيه)، على أن الكلمة مأخوذة من كلمتين هما (نون Non)، و (بيت Beth)، وبذلك يكون النبي هو الذي اندفق فيه الروح، واستنادا إلى ذلك فهو يثور ويفور، حيث كان يُنظر إلى الأنبياء على أنهم أشخاص هائجون مندفعون.

2 ـ (أعلن) أو (أخبر) على أنها مشتقة من الفعل (نبأ) في اللغة العربية، إلا أن المقصود به في العبرية التخصيص بالإعلان الإلهي (إعلان الوحي).

3 ـ (ينادي) على أن الكلمة مشتقة من الآشورية من الفعل (نابو Nabu) الذي يتضمّن أيضا فكرة التفجّر والاندفاع، فالكلمة (منبو Manbu) تعني الينبوع أو النافورة، والكلمة (نبهو Nibhu) تعني النبع الصغير.

4 ـ أنها اسم لأحد الآلهة الأشورية (نبو Nebo) رسول الآلهة والمتحدّث بلسانهم.

5 ـ (نعوم ne,um) من الفعل (نعم na, um) ومنه اشتقت العبارة (نعوم يهوه)، أي المتكلم بوحي الله.

6 ـ الداخل في معاملة أو صلة مع الله، على أن هناك صلة بين الفعل (بو) ومعناه (يدخل في) وبين الكلمة نبي.

وهكذا تختلف الآراء في تفسير كلمة (نبي) من الناحية اللغوية حتى بات من الصعب الوقوف بدقة على المفهوم الأساسي لهذه الكلمة بسبب صعوبة الاشتقاق، حيث أن الصورة الأساسية للفعل الذي يرتبط بلفظة (Nabi) غير موجودة في اللغة العبرية[1].

(1) ـ J.Hasting (ed): Encyclopedia of ethics and religion, Vol.(10) (Art.Hebrew prophecy By koning) op.cit.P. 385.

المطلب الثاني ـ النبي في العهد القديم: وردت في العهد القديم عدّة فقرات تلقي الضوء على معنى كلمة (نبي) التي حظيت بقدر كبير من الدلالات والمعاني المتغيّرة على ضوء المرحلة التاريخية التي كان يمرّ بها اليهود، حيث كان يقصد بالنبوة في بداية التاريخ اليهودي[1]:

1 ـ التحدّث عن الرّب من ناحية وعن الشعب من ناحية أخرى، حيث كان النبي وسيطا بين الرّب والشعب، فهو يبلّغ كلام الرّب للشعب، كما يتحدّث للرّب باسم الشعب، جاء في سفر التثنية على لسان موسى ما نصّه "**وأنا قائم بين الرّب وبينكم في ذلك الوقت لأبلّغكم كلامه** "[2].

2 ـ ثم أصبحت كلمة (النبي) في عصر القضاة وعصر صموئيل تطلق على الرائي، جاء في سفر صموئيل الأول ما نصّه "...**وكان فيما سبق إذا أراد أحد من بني إسرائيل أن يذهب ليستشير الله يقول: تعالوا نذهب إلى الرائي لأن الذي يقال له اليوم نبي كان يقال له من قبل راء**"[3].

3 ـ وفي عصر مملكتي (يهوذا وإسرائيل) نجد كلمة (النبي) تدلّ على معنى التنجيم، حيث كان النبي يتنبأ للشعب وللملوك بأمور المستقبل، لذا كان لكلّ ملك من مملكة يهوذا أو إسرائيل مجموعة كبيرة من الأنبياء تتنبّأ له بما ينبغي فعله[4]، كما هو الحال بالنسبة للأنبياء الذين كانوا في بلاط "أخاب"[5]

([1]) ـ ينظر: متى المسكين: النبوة والأنبياء في العهد القديم، دار مجلة مرقس ـ القاهرة، ط3: 2014، ص 13. محمد أحمد الخطيب: النبوة والكهانة في التاريخ اليهودي وأثرهما في العقيدة اليهودية، مجلة دراسات علوم الشريعة والقانون ـ الجامعة الأردنية، المجلّد (27)، العدد (2)، 2000، ص 332. علي مبروك: النبوة من علم العقائد إلى فلسفة التاريخ، مرجع سابق، ص 41 ـ 44.

([2]) ـ سفر التثنية:5/5.

([3]) ـ سفر صموئيل الأول: 9/9.

([4]) ـ وهو الذين سمّوا في الفكر اليهودي باسم "أنبياء البلاط" الذين كان دورهم التنبأ بما يرضي الملوك، وسيأتي الحديث عنهم في وظائف الأنبياء.

([5]) ـ أخاب: أخآب بن عُمري هو سابع ملك لإسرائيل، مَلَك اثنتين وعشرين سنة، من 876 – 854 ق.م، وتزوج امرأة شريرة اسمها إيزابل ابنة إيثبعل؛ ملك الصيدونيين، والتي أدخلت عبادة البعل رسميًّا إلى إسرائيل. وكان أخآب من أقوى ملوك إسرائيل عسكريًّا، فنجح سياسيًا وكان له الكثير من الانتصارات، وفي نفس الوقت أضعفهم؛ فلقد كان فاشلاً روحيًّا وعمل كل أنواع

ملك إسرائيل يتنبّأون له، ويقدّمون له المشورة، جاء في سفر الملوك ما نصّه "**فجمع ملك إسرائيل نحو أربع مئة رجل من الأنبياء وسألهم: أأذهب إلى راموث جلعاد للقتال أم لا؟ فأجابوا: اذهب لأن الرّب يسلّمها إلى يدك**"[1].

4 ـ أما في مرحلة السبي البابلي فأصبح النبي يطلق على الواعظ لشعبه، حيث كان النبي يعظ شعبه البائس من الأوضاع القاسية نتيجة السبي البابلي، تنفيسا عن آلامه المكبوتة، مثل ما فعل عاموس وعوبديا وميخيا وحبقوق... وغيرهم[2].

وهكذا نرى بأن كلمة النبي في العهد القديم ذات دلالة تطورية تتغيّر حسب الظرف السياسي والاجتماعي للجماعة اليهودية[3]، إلا أن القاسم المشترك لكل هذه الدلالات والمعاني "التطوّرية" هو ارتباطها بالدور الذي كان يؤديه النبي في كل مرحلة من المراحل التاريخية، ولا شك أنه دور متطوّر، وهو ما يفسّر المفهوم "التطوّري" للنبي، ومن هنا نستطيع ـ كما يقول سيجال ـ أن نتبيّن مدلول هذا الاسم من وظيفة النبي في حياة بني إسرائيل[4].

المطلب الثالث ـ النبي اصطلاحا: تعدّدت وتباينت التعريفات الاصطلاحية للنبي والنبوة في اليهودية، ومردّ ذلك إلى غموض دلالة هذه اللفظة لغويا، واتّساع استعمالاتها في نصوص العهد

الشرور، فترك العنان لإيزابل زوجته لتقود المملكة للشرّ والدمار. ولُقّب أخآب بأنه "الشرير" و"المبغض للرب"، فاستحق بذلك القضاء الإلهي الزمني والأبدي! ينظر: قاموس الكتاب المقدّس، ص 23.

([1]) ـ سفر الملوك الأول:6/22.

([2]) ـ ينظر: سفر عاموس:1/5. سفر عوبديا:15/1. سفر ميخيا: 1/2 ـ 8، 1/7 ـ 20. سفر حبقوق:1/2 ـ 20.

([3]) ـ صابر طعيمة: التراث الإسرائيلي في العهد القديم، دار الجيل ـ بيروت، 1979، ص 63.

([4]) ـ م.ص. سيجال : حول تاريخ الأنبياء عند بني إسرائيل، ترجمة: حسن ظاظا، منشورات جامعة بيروت العربية ـ بيروت، 1967، ص 19.

القديم، حيث ألقى هذا الاضطراب بظلاله على التعريفات الاصطلاحية، وهذا ما نستشفّه من خلال التعريفات الكثيرة والمتعدّدة لهذه اللفظة، ومن أهمها وأبرزها:

أولا ـ تعريف ابن ميمون[1]: يعد ابن ميمون من أهم وأبرز فلاسفة اليهود الذين تناولوا مسألة النبوة في اليهودية في كتابه الشهير "دلالة الحائرين"، حيث عرّف النبي بقوله "كل مخبر بغيب من جهة التكهن والشعور كان ذلك، أو من جهة رؤيا صادقة فإنه يتسمّى أيضا نبيّا، ولذلك يسمون أنبياء البعل وأنبياء العشتروت أنبياء، ألا ترى قوله "**إذ قام فيما بينكم متنبئ، أو حالم حلم**"[سفر التثنية:2/13]"[2].

ونجد ابن ميمون في مكان ثان بعد شرحه لصور الوحي الأربعة، وهي:

1 ـ كلام الملك في حلم أو رؤيا، وتصريح الموحى له بذلك.

2 ـ كلام الملك في حلم أو رؤيا، دون تصريح الموحى له بذلك.

3 ـ عدم ذكر الملك أصلا كواسطة، بل نسبة القول إلى الله في حلم أو رؤيا.

4 ـ إطلاق القول بأن الله قال كذا أوكذا دون ذكر واسطة.

([1]) ـ موسى بن ميمون (1135 ـ 1204): موسى بن ميمون بن عبدالله القرطبي 30)مارس 13 – 1135 ديسمبر 1204 م) يرمز له في العبرية ب "رمبم הרמב"ם " أي (الحاخام موشيه بن ميمون). واشتهر عند العرب بالرئيس موسى .وُلد في قرطبة ببلاد الأندلس في القرن الثاني عشر الميلادي، ومن هناك انتقلت عائلته سنة 1159 إلى مدينة فاس المغربية حيث درس بجامعة القرويين و سنة 1165 إلى فلسطين، واستقرت في مصر آخر الأمر، وهناك عاش حتى وفاته. عمل في مصر نقيباً للطائفة اليهودية، وطبيبًا لبلاط الوزير الفاضل أو السلطان صلاح الدين الأيوبي وكذلك استطبه ولده الملك الأفضل علي.كان أوحد زمانه في صناعة الطب ومتفنن في العلوم وله معرفة جيدة بعلم الفلسفة يوجد معبد باسمه في العباسية بالقاهرة. من أشهر مؤلّفاته : "دلالة الحائرين". ينظر: ول ديورانت: قصة الحضارة، دار الجيل ـ بيروت، ط1: 1992، ج14، ص120 .

([2]) ـ موسى ابن ميمون: دلالة الحائرين، ترجمة وتحقيق: حسين أتاي، مكتبة الثقافة الدينية ـ أنقرة، 1964، ص 392.

يقول معقّبا :"فكل ما يجيء على إحدى هذه الصور الأربع فهو نبوة، وقائله نبي"[1].

وهكذا نرى كيف أن ابن ميمون يعرّف النبي من خلال دوره المتمثّل في إخباره بالأمور الغيبية إلى الناس التي أوحاها الله إليه بأي طريقة من الطرق الأربعة سالفة الذكر[2].

ثانيا ـ تعريف باروخ سبينوزا[3]: يعد سبينوزا من أهم وأبرز المفكّرين اليهود في العصر الحديث، وهو الذي تحدّث عن النبوة في كتابه "رسالة في اللاهوت والسياسة"، حيث عرّف النبيّ بقوله "النبوة أو الوحي هي المعرفة اليقينية التي يوحي الله بها إلى البشر عن شيء ما، والنبي هو مفسّر ما يوحي الله به لأمثاله من الناس الذين لا يقدرون على الحصول على معرفة يقينية به، ولا يملكون إلا إدراكه بالإيمان وحده، ويسمّي العبرانيون النبي نبيّا، أي خطيبا ومفسّرا"[4].

فاسبينوزا يحصر وظيفة النبي في تفسير وحي الله إلى الناس، ومن ثمّ عرّف النبي من خلال هذه الوظيفة ألا وهي التفسير.

ثالثا ـ تعريف دائرة المعارف الكتابية: جاء في دائرة المعارف الكتابية أن النبي "هو من يتكلّم بما يوحى به إليه من الله، فأقواله ليست من بنات أفكاره، ولكنها من مصدر أسمى. والنبي هو في نفس الوقت "الرائي" الذي يرى أمورا لا تقع في دائرة البصر الطبيعي، ويسمع أشياء لا تستطيع الأذن

([1]) ـ موسى ابن ميمون: دلالة الحائرين، مرجع سابق، ص 420 ـ 421.

([2]) ـ وتركيز ابن ميمون على جانب التنبّؤ والإخبار بالأمور الغيبية ناتج عن تأثره بالفكر الإسلامي في ذلك.

([3]) ـ سبينوزا (1632 ـ 1677): ولد سبينورزا في أمستردام بهولندا عن عائلة برتغالية من أصل يهودي تنتمي إلى طائفة المارنيين. كان والده تاجرا ناجحا و لكنه متزمت للدين اليهودي، فكانت تربية باروخ أورثودوكسية، ولكن طبيعته الناقدة و المتعطّشة للمعرفة وضعته في صراع مع المجتمع اليهودي. درس العبرية والتلمود في مدرسة يهودية .في آخر دراسته كتب تعليقا على التلمود .وفي صيف 1656نُبذ سبينوزا من أهله و من الجالية اليهودية في أمستردام بسبب إدّعائه أن الله يكمن في الطبيعة والكون، وأن النصوص الدينية هي عبارة عن استعارات ومجازات غايتها أن تعرّف بطبيعة الله. من أشهر مؤلّفاته :"رسالة في اللاهوت والسياسة". ينظر: عبد الرحمن بدوي: موسوعة الفلسفة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ بيروت،ط1: 1984، ج1، ص136.

([4]) ـ سبينوزا: رسالة في اللاهوت والسياسة، ترجمة: حسن حنفي، فؤاد زكريا، دار التنوير ـ بيروت، ط1: 2005، ص 119.

الطبيعية أن تسمعها. فكلمتا النبي والرائي مترادفتان...فالأنبياء الحقيقيون إنما يتكلمون بما يصنعه الله في أفواههم، أو يكشفه لبصائرهم الروحية"[1].

وهذا التعريف لا يحصر مفهوم النبي فيمن يقوم بدور ما فقط، وهو هنا تبليغ وحي الله للناس بلفظه دون التصرّف فيه، بل إن النبي كذلك هو من يتميّز عن سائر الناس باطّلاعه على أمور لا ترى بالعين المجرّدة. وهو ما يفتح الباب واسعا لمدّعي النبوة، والسحرة والكهنة والمنجّمين وغيرهم.

رابعا ـ في الفكر اليهودي المعاصر: يختلف تعريف العقل اليهودي المعاصر للنبوة عن غيره من التعريفات الكلاسيكية المعروفة، حيث أصبح يطلق مصطلح النبوة على الشخص الذي يظهر شجاعة في مواجهة "الأغيار"[2]، وقد ترك هذا الارتباط بين (النبوة) و(الشجاعة) أثرا حاسما على الرؤية المعاصرة للنبوة اليهودية[3]، حيث استطاعت الحركة الصهيونية توظيف هذا المعنى لخدمة المصالح القومية لليهود، وإقامة ما يسمّى ب "دولة إسرائيل"، فأصبح كلّ شخص يقيم إرادة الله وقانونه نبي. ومن هنا نجد أحد الباحثين اليهود يطلق على (بن غوريون) الذي هو أول رئيس وزراء لإسرائيل "النبي المسلّح" بناء على هذا المفهوم[4]، وكذلك الأمر بالنسبة للمؤرّخ الصهيوني (جابوتنسكي)، الذي وصف بأنه "مقاتل ونبي"[5]. فأصبح كلّ شخص يلعب دورا مهمّا في حياة الشعب اليهودي بإمكانه أن يصبح نبيّا.

وهكذا نرى تعدّد وتباين التعريفات الاصطلاحية لكلمة (النبي) في الفكر اليهودي، وهو ما أنتج اضطرابا في تحديد ماهية النبوة الإسرائيلية وطبيعتها وخصائصها ووظائفها وأهدافها، الأمر الذي أتاح

([1]) ـ نخبة من اللاهوتيين: دائرة المعارف الكتابية:14/8.

([2]) ـ نقصد بالأغيار غير اليهود، ينظر تفصيل ذلك: ـ المسيري: الصهيونية والعنف، دار الشروق . القاهرة، ط3: 2009، ص 29.

([3]) ـ علي مبروك: النبوة من علم العقائد إلى فلسفة التاريخ، مرجع سابق، ص 90.

([4]) ـ المسيري: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية:236/1.

([5]) ـ علي مبروك: النبوة من علم العقائد إلى فلسفة التاريخ، ص 90.

الباب الثاني

الفصل الأول ـ نظرة اليهودية للإساءة للأنبياء

لكثير من الشخصيات الإسرائيلية القديمة أن تكتسب صفة النبوة، فظهر في الفكر اليهودي ما يسمى ب "مدعوا النبوة" أو "الأنبياء الكذبة"[1]، كما ظهر ما يسمى ب "نبوة المرأة"[2]، ويصل الأمر إلى ذروته في اعتبار كل إسرائيل جماعة من الأنبياء[3]، ويزداد الأمر غموضا وابهاما عندما تنزع صفة النبوة من شخصيات هامة في التاريخ الديني الإسرائيلي مثل داود وسليمان، اللذين عدّهما الإسلام من الأنبياء الملوك، أي الذين جمعوا بين النبوة والملك، بينما ينظر إليهم التراث الإسرائيلي على أنهم ملوك فقط. هذا دون أن ننسى نوح وإبراهيم وإسحاق ويعقوب ويوسف عليهم السلام، والذين يمثّلون في التاريخ الديني الإسرائيلي مجموعة من البطاركة أو الآباء، لا مجموعة من الأنبياء على الرغم تصريح التوراة بتلقيهم أشكالا من الوحي الإلهي المصاحب للأنبياء[4].

([1]) ـ وقد جاءت نصوص التوراة محذّرة من الأنبياء الكذبة، ومن ذلك ما جاء في سفر ارميا (23/ 16 ـ 22) "**وقال الرّب القدير: لا تسمعوا لكلام الأنبياء الذين يتنبأون لكم ويخدعونكم**...**أنا لم أرسل أولئك الأنبياء يقول الرّب. بل هم أرسلوا أنفسهم. وأنا لم أكلّمهم بل هم تنبّأوا**".

([2]) ـ لم تقتصر النبوة في الفكر اليهودي على الرجال، بل تعدّتها إلى النساء، حيث تنبّأت المرأة كما تنبّأ الرجل، وتحكي نصوص التوراة عن النسوة اللائي تنبّأن وهن: "مريم" أخت موسى وهارون (سفر الخروج:20/15، سفر العدد: 12/ 2 ـ 6)، "دبورة" زوجة "فيدوت" من قبيلة أفرايم والتي اعتبرها الإسرائيليون أعظم نبيّاتهم (قضاة: 4/4 ـ 9)، "حنة" أم صموئيل النبي (صموئيل الأول: 1/2)، "خلدة" امرأة شلوم بن تقوه (الملوك الثاني:14/22)، وإلى جانب هؤلاء النبيّات كانت هناك زوجات الأنبياء اللائي كن يدعون أحيانا نبيّات (اشعيا:3/8). وكما كان هناك أنبياء كذبة، كان هناك نبيّات كاذبات مثل "نوعادية" (اشعيا:14/6). ينظر: متى المسكين: النبوة والأنبياء في العهد القديم، مرجع سابق، ص 29. محمد مهران: بنو إسرائيل، دار المعرفة ـ الاسكندرية، ط1: 2008، ج5، ص 67 ـ69.

([3]) ـ وهم الذي ظهروا في شكل جماعات أو تنظيمات أو مؤسسات نبوية، يقودها في الغالب زعيم أو مرشد أو أب روحي، جاء في سفر الملوك الأول (5/22) ما نصّه " **فجمع ملك إسرائيل نحو أربع مئة رجل من الأنبياء**...".

([4]) ـ محمد خليفة حسن: تاريخ النبوة الإسرائيلية، مرجع سابق، ص 5.

ومن هنا فإن مشكلة تحديد ماهية النبوة في الاصطلاح اليهودي لا تقتصر ـ كما رأينا ـ على الدلالة اللغوية المضطربة، ولا على تطور استعمالاتها في العهد القديم، بل تتعدّاه إلى التقسيم اليهودي للأنبياء ومراتبهم، حيث يقسّمون الأنبياء إلى ثلاثة مستويات، وهي[1]:

المستوى الأول ـ الآباء (البطاركة): وهم: نوح، إبراهيم، إسحاق، يعقوب، يوسف.

المستوى الثاني ـ النموذج المثالي للنبوة: ويدخل في هذا المستوى موس، هارون، إلا أن هارون دون موسى، وليس نظيره على الإطلاق، وإنما هو معاصر له.

المستوى الثالث ـ الحركة النبوية العامة: وتشمل مرحلتين:

1 ـ مرحلة الأنبياء الأوائل (بدايات النبوة): ومن بين أنبياء هذه المرحلة: صموئيل، ناثان، إيليا، اليشع.

2 ـ مرحلة الأنبياء الأواخر (النبوة الكلاسيكية): وتضم نوعين من الأنبياء:

أ/ الأنبياء الكبار: ويدخل في هذا الصنف: اشعيا، ارميا، حزقيال، دانيال.

ب/ الأنبياء الصغار: وهم ناحوم، حبقوق، هوشع، يوئيل، عاموس، عوبديا، يونان، ميخا، صفنيا، حجاي، زكريا، ملاخي.

([1]) ـ عبد الراضي عبد المحسن: المعتقدات الدينية لدى الغرب، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات ـ الرياض، ط2: 2007، ص 53.

المبحث الثاني

صفات الأنبياء

ألقى المفهوم المضطرب والغامض للنبوة في الفكر اليهودي بظلاله على كل ما يتعلّق بالأنبياء من أهداف وأدوار وخصائص وصفات ...هذه الأخيرة التي جاءت نصوص التوراة متناقضة بشأنها، فتارة يوصف الأنبياء بصفات تليق بمكانتهم ودورهم "المقدّس"، وتارة أخرى ـ وهي الغالبة ـ يوصفون بصفات دنيئة مذمومة تهبط بالنبوة إلى مرتبة أقل من مرتبة الإنسان العادي!!!

وهنا يجد الباحث نفسه في حيرة من أمره نتيجة هذا التناقض الشديد، بين الصفات التي تعبّر عن الرسالة السامية التي يحملها الأنبياء، وبين صفات أخرى تقدح في تديّنهم واستقامتهم فضلا عن مقام النبوة الذي وصلوا إليه، وقد آثرت في هذا البحث الحديث عن النوع الثاني من الصفات، والتي امتلأت بها نصوص التوراة، وشملت جميع الأنبياء من المستويات الثلاثة سالفة الذكر، حيث كانت من الأمور الملفتة للانتباه في النبوة الإسرائيلية، وهو ما دفعني للحديث عنها وإيثارها على غيرها من الصفات الأخرى (الأخلاقية) .

ويمكن تقسيم صفات الأنبياء كما جاءت في نصوص التوراة إلى قسمين: قسم يتعلّق بالعلاقة مع الله، وقسم يتعلّق بالعلاقة مع الناس.

المطلب الأول ـ صفات الأنبياء في علاقتهم بالله: ونقصد بها الصفات التي اتّصف بها الأنبياء في تعاملهم مع الله كما وردت في نصوص العهد القديم، وهي:

الفرع الأول ـ عبادة الأوثان: تحكي نصوص التوراة عن سقوط بعض الأنبياء في وادي الشرك، حيث عبدوا الأصنام والأوثان، ومن هؤلاء:

1 ـ النبي هارون: وهو الذي دعا بني إسرائيل إلى عبادة وتقديس العجل الذي صنعه لهم، جاء في سفر الخروج ما نصّه " **ولما رأى الشعب أن موسى أبطأ في النزول من الجبل اجتمعوا على هررون وقالوا له:قم اصنع لنا آلهة تسير أمامنا. فهذا الرجل موسى الذي أخرجنا من أرض مصر لا نعرف ماذا أصابه. فقال لهم هرون: انزعوا حلق الذهب التي في آذان نسائكم وبنيكم وبناتكم وجيئوني بها. فنزع جميع الشعب حلق الذهب التي في آذان نسائهم وجاؤوا بها إلى هرون. فأخذها من أيديهم وأذابها وسكبها في صنم على صورة عجل. فقال الشعب: هذه آلهتكم يا بني إسرائيل، آلهتكم التي أخرجتكم من أرض مصر. فلما رأى هرون ذلك بنى أمام الصنم مذبحا، ونادى وقال: غدا عيد للرّب. فبكّروا في الصباح وأصعدوا محرقات وقدّموا ذبائح سلامة وجلسوا يأكلون ويشربون ثمّ قاموا يمرحون**"[1].

وهكذا نرى كيف تصف التوراة نبي الله هارون بصفة الكفر والشرك، من خلال صنع الأوثان وعبادتها، وأكثر من ذلك دعوة قومه لتقديسها، وهو الأمر الذي جاء الأنبياء جميعا لمحاربته.

فهذا التناقض الرهيب بين دور الأنبياء المتمثّل أساسا في الدعوة إلى التوحيد ونبذ الشرك والتعدّد، وهذه الصفة تدلّ على مظهر من مظاهر التناقض الذي وقعت فيه التوراة.

2 ـ النبي موسى: يعتبر موسى الشخصية المحورية والجوهرية في الديانة اليهودية، كيف لا وهو المؤسّس الديني والتاريخي للديانة عند الإسرائيليين، ومن هنا كان النموذج الأول والمثالي للنبي عندهم.

وعلى الرغم من هذه المكانة "المقدّسة" التي يحظى بها موسى في اليهودية، إلا أن نصوص التوراة تتّهمه بالوقوع في الشرك والوثنية من خلال صنعه حيّة من نحاس عبدها وعظّمها من دون الله تعالى، حيث أوقد لها بنو إسرائيل النار. جاء في سفر الملوك الثاني في قصة أحد ملوك بني إسرائيل، والذي

([1]) ـ سفر الخروج: 1/32 ـ 6.

أظهر حرصا شديدا على التوحيد ـ كما تدّعي التوراة ـ أشد من النبي موسى نفسه، ما نصّه "**وعمل القويم في نظر الرّب كجدّه داود. وأزال معابد الأوثان على المرتفعات، وحطّم الأنصاب، وقطع تماثيل أشيرة، وسحق حيّة النحاس التي صنعها موسى، لأن بني إسرائيل كانوا إلى تلك الأيام يحرقون البخور لها، وسمّوها نحشتان**"[1].

3 ـ سليمان: يعتبر اليهود بأن سليمان ابن داود من الملوك الذين لهم مكانة "مقدّسة" في اليهودية، نظير الحكمة التي يملكها والتي فاقت جميع الحكماء[2]، وهي الحكمة المستمدّة من الرّب، كما يقرّ اليهود بترائي الرّب له في الحلم مرتين[3]، وهذا بعد أن بلغ في محبّته أعظم رتبة[4]، جاء في سفر الملوك في بيان علاقة سليمان بالرّب ومحبّته له، ما نصّه "**وأحبّ سليمان الرّب وتبع فرائض داود أبيه**"[5]. وفي هذا النص مدح لسليمان من خلال بيان علاقته بالرّب[6].

ولما كان سليمان بهذه المنزلة لدى الرّب، كان الرّب معه دائما مؤيّدا ومثبّتا لملكه، جاء في سفر أخبار الأيام الثاني ما نصّه "**وثبّت سليمان بن داود دعائم ملكه، وكان الرّب إلهه معه وعظّمه**"[7].

ورغم هذه المكانة المتميّزة و "المقدّسة" التي كان يحظى بها سليمان عند الرّب كما صوّرتها أسفار العهد القديم، إلا أن نصوصا أخرى جاءت تنسب إليه انحرافه العقدي من خلال ميله إلى عبادة

([1]) ـ سفر الملوك الثاني: 3/18 ـ 4.

([2]) ـ وقد جاءت عدة نصوص تتحدّث عن حكمة سليمان، ينظر: سفر الملوك الأول: 2/ 11 ـ 12، 3/ 16 ـ 28، 4/ 29 ـ 34، 5/7، 9/ 22 ـ 23، 10/ 1 ـ 24.

([3]) ـ ينظر: سفر الملوك الأول: 3/ 1 ـ 15.

([4]) ـ فتحي الزغبي: عصمة النبي سليمان ابن داوود ممّا رماه به اليهود في العهد القديم والإسرائيليات، دار البشائر الإسلامية ـ بيروت، ط1: 2011، ص 62.

([5]) ـ 1مل: 3/3.

([6]) ـ وليم مارش :السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم، ج4، ص258.

([7]) ـ سفر أخبار الأيام الثاني:1/1.

الأوثان، جاء في سفر الملوك الأول ما نصّه "**وأحب سليمان فضلا عن ابنة فرعون نساءً غريبات من الموآبيين والعمونيين والأدوميين والصيدونيين والحثّيين، ومن الأمم التي عناها الرّب في قوله لبني إسرائيل: لا تختلطوا بهم ولا يختلطوا بكم.فهم يميلون بقلوبكم إلى آلهتهم. فتعلّق بهن سليمان حبّا. وكان له سبع مئة زوجة من الأميرات وثلاث مئة جارية، فأزاغت نساؤه قلبه. وفي زمن شيخوخته مالت زوجاته بقلبه إلى آلهة غريبة، فلم يكن قلبه مخلصا للرّب إلهه كما قلب أبيه داود**. وتبع سليمان عشتروت إله الصيدونيين، وملكوم إله بني عمون. **وفعل الشّر أمام عيني الرّب، ولم يتبع الرّب بكلّ قلبه مثل داود أبيه. وبنى في الجبل الذي قبالة أورشليم معبدا لكموش إله موآب، ولمولك إله بني عمون. وكذلك بنى معابد لآلهة جميع نسائه الغريبات حتى يحرقن البخور ويقدّمن الذبائح لها** "[1].

وهذا النص صريح في وقوع سليمان في الشرك، وميله لعبادة الأوثان والآلهة الأخرى، بفعل نسائه اللاتي دفعنه لذلك، ويذكر قاموس الكتاب المقدّس أن ذلك كان في السنوات الأخيرة من حكمه، حيث بدأ بتعدّد الزوجات وحبّه لنساء كثيرة غريبة، فكان له سبعمائة من الزوجات وثلاثمائة من السراري، فأملن قلبه إلى الآلهة الغريبة حتى بنى أماكن لعبادة الأوثان إرضاءً لهن، فغضب الرّب عليه، وهدّده بتمزيق المملكة عنه، وأقام له خصوما!!![2]

هكذا تتحدّث التوراة عن المنزلة "الرفيعة" التي كان يحظى بها سليمان عند ربّه، ثم تنسب له من المثالب والنقائص ما تقشعرّ من هوله الأبدان، وأي شيء أكبر جرما عند الله من الشرك به وعبادة الأوثان من أجل حبّ الشهوات الفاسدة[3].

([1]) ـ 1مل: 11/ 1 ـ 8.

([2]) ـ نخبة من اللاهوتيين: قاموس الكتاب المقدّس، ص 483.

([3]) ـ عبد الرحمن الجزيري: أدلة اليقين في الرّد على كتاب ميزان الحق وغيره من مطاعن المبشّرين المسيحيين في الإسلام، مطبة رشاد ـ القاهرة، ط1: 1934، ص 454.

هذا هو حال الأنبياء ومن لهم منزلة "مقدّسة" كما تصوّرهم التوراة في علاقتهم بالله، وهي العلاقة التي تتناقض مع المقصد من بعثتهم للبشر، من تصحيح للمعتقدات الفاسدة، وإزالة ما علق بها من أدران الشرك والوثنية، إلا أن أنبياء التوراة اتّصفوا بما بعثوا لإزالته من عقول ونفوس البشر!!!

الفرع الثاني ـ سوء الأدب مع الله: من أبشع الصفات التي ألصقتها التوراة بالأنبياء في علاقتهم بالله تعالى معارضتهم للأوامر الإلهية وتسخّطهم عليها، بل ووصل الأمر إلى عصيانها وعدم إطاعتها...وكلّ ذلك يتناقض مع طبيعة النبوة الإسرائيلية في احدى خصائصها المتمثّلة في الخضوع والتسليم لوحي الله وتبليغه دون جدل أو معارضة.

وكثيرة هي النصوص في العهد القديم التي تتحدّث عن العلاقة السيئة التي تطبع تعامل النبي مع الله، ومن ذلك:

1 ـ ما جاء في قصة موسى حينما عاتب الرّبّ على غضبه على بني إسرائيل، جاء في سفر العدد ما نصّه "**فلما سمع موسى الشعب يبكون كلّ عشيرة على باب خيمتها، والرّب غاضب جدا، ساء ذلك موسى، فقال موسى للرّب: لماذا تسيء إلى عبدك؟ ولماذا لم أجد حظوة عندك حتى وضعت أثقال جميع هؤلاء الشعب علي؟ هل أنا الذي حبل بهؤلاء الشعب كلهم؟ أم هل أنا الذي ولدهم حتى تقول لي: احملهم في حضنك كما تحمل الحاضن الرضيع إلى الأرض التي أقسمت لآبائهم عليها؟ من أين لي لحم أعطيه لجميع هؤلاء الشعب، فهم يبكون أمامي، ويقولون: أعطنا لحما نأكله. لا أطيق أن أحمل هذا الشعب كلّه لأنه ثقيل علي**"[1].

([1]) ـ سفر العدد: 10/11 ـ 14.

وهذا النص يبيّن الأسلوب "البذيء" الذي انتهجه موسى في تعامله مع الرّب، من خلال تسخّطه وعتابه وعدم رضاه على الرب!!! وكل هذه الأخلاق والصفات تطعن في قدسية الأنبياء، خاصة إذا علمنا أنها سلوكيات تتعلق بعلاقة النبي مع الإله.

2 ـ ما جاء في قصة موسى وهارون من توبيخ الرّب لهما بسبب مخالفتهما لأوامره وعدم تقديسهما (تعظيمه) له أمام بني إسرائيل، جاء في سفر التثنية ما نصّه "**وقال الرّب لموسى في ذلك اليوم ذاته: اصعد إلى جبل عباريم وهو جبل نبو الذي في أرض موآب تجاه أريحا، وانظر أرض كنعان التي أعطيتها لبني إسرائيل ملكا. ثم مت في الجبل الذي أنت صاعد فيه، فتنضمّ إلى الذين ماتوا من قومك كهرون أخيك الذي مات في جبل هور، لأنكما خالفتماني فيما بين بني إسرائيل عند ماء مريبة بقادش في بريّة صين، ولم تظهرا قداستي فيما بينهم**"[1].

وهذا النص واضح وصريح في أن موسى وهارون قد بدر منهما هذا الخلق ألا وهو خيانة الرّب، وعدم تعظيمه أمام بني إسرائيل، وهو ما يتنافى مع مقام النبوة.

3 ـ ما جاء في قصة إبراهيم من اعتراضه على أمر الرّب وتسخّطه على حكمه، جاء في سفر التكوين ما نصّه "**فاقترب إبراهيم وقال:أتهلك الصّدّيق مع الشرير؟ ربما كان في المدينة خمسون صدّيقا، أتهلكها كلها ولا تصفح عنها من أجل الخمسين صدّيقا فيها؟ حرام عليك أن تفعل مثل هذا الأمر، فتهلك الصدّيق مع الشرّير، فيتساويان، حرام عليك**"[2].

([1]) ـ سفر التثنية: 48/32 ـ 51.

([2]) ـ سفر التكوين: 23/18 ـ 25.

4 ـ ما جاء في دعاء داود من عتاب على الرّب، حيث ورد في سفر المزامير ما نصّه "**إلى متى يا رب تنساني وتحجب وجهك عني...**"[1]. وهذا الدعاء يبيّن سوء أدب داود مع الرّب من خلال تسخّطه عليه.

5 ـ ما جاء في قصة أحد أنبياء بني إسرائيل، وهو حبقوق، وتذمّره من الله، لعدم سماع شكواه، حيث ورد في سفر حبقوق ما نصّه " **إلى متى يا رب أستغيث ولا تسمع؟ إلى متى أصرخ إليك من الجور ولا تخلّص؟**"[2]. وجاء في موضع آخر من نفس السفر "...**فكيف تصمت عندما يبتلع الشرّير من هو أبرّ منه؟ ولماذا تعامل البشر كسمك البحر أو كحشرات لا قائد لها؟**"[3].

وهذين النصين يبيّنان تسخّط النبي حبقوق من الرّب لعدم استجابة دعاءه، وهو في الحقيقة سلوك وخلق يتنافى تماما مع من اختارهم الله لتبليغ رسالته للبشر. وإذا كان الأنبياء متّصفين بهذه الصفات، وهذه الأخلاق مع إلههم، فكيف يكون يا ترى حال عامة الناس؟؟؟

6 ـ ما بدر من النبي أيوب من تذمّر وعدم رضا على ما حلّ به من بلاء، جاء في سفر أيوب ما نصّه " **شهور من البؤس نصيبي، وليال من الشقاء قدّرت لي. أنام فأقول متى الفجر؟ وأقوم فأقول: ما أبطأ المساء. لحمي كساه الدود والقروح، وجلدي تشقّق قيحا وسال. أيامي أسرع من مكوك الحائك، نفدت وما من رجاء...أنت يا رقيب البشر؟ لماذا جعلتني هدفا لك، وحملا ثقيلا عليك. لماذا لا تتحمّل معصيتي، ولا تغضّ النظر عن إثمي؟ قليلا وأرقد في التراب، وتبكّر في طلبي فلا أكون**"[4].

([1]) ـ سفر المزامير: 1/13.
([2]) ـ سفر حبقوق: 2/1.
([3]) ـ سفر حبقوق:1/ 13 ـ 14.
([4]) ـ سفر أيوب:3/7 ـ 8.

وهذا النص الذي يتحدّث عن مظهر آخر من المظاهر التي التصقت بالأنبياء في العهد القديم، ألا وهو تذمّر النبي أيوب، وعدم رضاه من البلاء الذي حلّ به، يعكس العلاقة السيئة التي كانت بين الله وأنبيائه، ويكشف عن الأخلاق والصفات البذيئة التي كانوا يتحلّون بها.

هكذا تصوّر التوراة أنبياء الله تعالى في علاقتهم به سبحانه بجملة من الصفات المذمومة التي تطعن وتقدح في مقامهم كوسطاء بين الله وخلقه، وكمبلّغين لرسالته للبشر، ولا تجد التوراة غضاضة في نسبة أبشع الانحرافات العقائدية ـ التي يترفع عنها عامة البشر ـ من شرك ووثنية وسوء أدب مع الله إلى كبار الأنبياء وأعاظم بني إسرائيل ممّن يلقّبون بالآباء، وهذا ما يجعل النبوة الإسرائيلية بلا قيمة، كما يسقط هيبة و "قدسية" الأنبياء من أعين البشر.

المطلب الثاني ـ صفات الأنبياء في علاقتهم بالبشر: ونقصد بها الصفات التي اتّصف بها الأنبياء في تعاملهم مع الناس كما صوّرتها أسفار العهد القديم، وهي:

أولا ـ الكذب: من أبرز وأشنع الصفات غير الأخلاقية التي اتّصف به الأنبياء في العهد القديم صفة الكذب، وهو الخلق الذي نجده مع غير واحد من الأنبياء، وفي غير موضع، ومن ذلك:

1 ـ كذب إبراهيم: يعدّ إبراهيم من الآباء الكبار في اليهودية، ورغم هذه المكانة "المقدّسة" إلا أن التوراة تحكي ممارسته الكذب، جاء في سفر التكوين ما نصّه "**وانتقل إبراهيم من هناك إلى أرض النقب، فأقام بين قادش وشور، ونزل بمدينة جرار. وقال إبراهيم عن سارة امرأته: هي أختي. فأرسل أبيمالك ملك جرار، فأخذ سارة. فجاء الله إلى أبيمالك في حلم الليل وقال له:ستموت بسبب المرأة التي أخذتها، فهي متزوجة برجل. ولم يكن أبيمالك اقترب إليها،**

فقال: يا سيّدي أأمّة بريئة تقتل؟ أما قال لي إبراهيم:هي أختي، وقالت لي امرأته أيضا هو أخي؟ "[1].

فالتوراة لا تجد حرجا على الإطلاق في نسبة الكذب لإبراهيم في ادّعائه أن سارة أخته.

وتبرّر التوراة كذب إبراهيم بخوفه من افتتان المصريين بجمال سارة، وهو ما يؤدي إلى قتله "...**إني قد علمت أنك امرأة حسنة المنظر فيكون إذا رآك المصريون أنهم يقولون هذه امرأته فيقتلونني**"[2].

2 ـ كذب إسحاق: يعد إسحاق هو الآخر من الآباء الكبار في نظر اليهودية، وتحكي التوراة بأن ممارسة الكذب لم تقتصر على إبراهيم فحسب وإنما امتدّت إلى ولده إسحاق الذي كذب على الملك الفلسطيني، حينما قال عن زوجته "رفقة" بأنها أخته، جاء في سفر التكوين ما نصّه "**وسأل أهل جرار عن امرأته فقال:هي أختي**"[3].

وتبرّر التوراة الكذب الذي وقع فيه إسحاق بنفس تبرير كذب إبراهيم، ألا وهو الخوف من القتل "...**وقال له: إذا هي امرأتك، فلماذا قلت إنها أختك؟ فقال إسحاق: لأني ظننت أنني ربّما أهلك بسببها**"[4].

3 ـ كذب يعقوب: وهو الذي تحكي التوراة ممارسته للاحتيال والخداع والكذب، بالرغم من انتمائه لسلالة الآباء الكبار، حيث تروي التوراة قصة كذب يعقوب على أبيه إسحاق "الكفيف" الذي أراد مباركة ابنه البكر عيسو، لكن يعقوب دخل على أبيه إسحاق محتالا بهيئة أخيه عيسو، جاء في سفر

([1]) ـ سفر التكوين:1/20 ـ 5.
([2]) ـ سفر التكوين:11/12.
([3]) ـ سفر التكوين:7/26.
([4]) ـ سفر التكوين:9/26.

التكوين ما نصّه "...**وناولت رفقة يعقوب ما هيّأته من الأطعمة والخبز، فدخل على أبيه وقال: يا أبي، قال: نعم، من أنت يا ابني؟ فقال له يعقوب: أنا عيسو بكرك، فعلت كما أمرتني. قم اجلس، وكل من صيدي، وامنحني بركتك، فقال له إسحاق: ما أسرع ما وجدت صيدا يا ابني. قال:الرّب إلهك وفّقني. فقال: تعال لأجسّك يا ابني، فأعرف هل أنت ابني عيسو أم لا.فتقدّم يعقوب إلى إسحاق أبيه فجسّه وقال: الصوت صوت يعقوب، ولكن اليدين يدا عيسو، ولم يعرفه لأن يديه كانتا مشعّرتين كيدي عيسو أخيه. فقبل أن يباركه، قال: هل أنت حقا ابني عيسو؟ قال: أنا هو...**"[1].

ويستطرد سفر التكوين فيذكر أن عيسو عاد وصنع طعاما، وجاء إلى أبيه فعرف ما حدث وطلب من أبيه أن يباركه، فقال له إسحاق:"**هو ذا بلا دسم الأرض يكون مسكنك، وبلا ندى السماء من فوق وبسيفك تعيش ولأخيك تستعبد**"[2].

وهكذا نرى كيف تحكي التوراة عن الهدف الذي رسمه يعقوب وهو الاستيلاء على بكورية أخيه عيسو بأي طريقة كانت، حيث كانت للابن البكر المنزلة الأولى في الميراث، مستعملا للوصول إلى هذا الهدف سلوكيات خسيسة من احتيال وخداع وكذب، هذا الخلق الأخير الذي نسبته التوراة إلى يعقوب ثلاث مرّات في هذه القصة:

المرّة الأول والثانية : قوله لأبيه عندما دخل إليه :"**أنا عيسو بكرك**"، ولما جسّه (لمسه) سأله:" **هل أنت عيسو؟ قال: أنا هو**". فهاتان كذبتان في موضع واحد، حيث أنه لم يكن عيسو، ولم يكن بكره، بل بكره هو عيسو!!!

([1]) ـ سفر التكوين: 27/ 1 ـ 29.

([2]) ـ سفر التكوين: 40/27.

المرّة الثالثة: قوله لأبيه :"**قد فعلت كما كلّمتني، اجلس وكل من صيدي**"، فهذه كذبة أخرى تضاف إلى الكذبتين الأوليين، ذلك أن إسحاق لم يكلّف ابنه يعقوب بشيء، وإنما كلّف أخاه عيسو بجلب صيد وإطعامه إياه.

هكذا تحكي التوراة عن الكذب عند الآباء الكبار والأنبياء، حيث كان الكذب طبعا من طبائعهم، وخلقا من أخلاقهم في تعاملهم مع غيرهم، فهو ليس مجرّد حالة معزولة، وإنما هو ظاهرة مارسها الكثير من الأنبياء، جاء في سفر الملوك ما نصّه "...**فقال له أيضا أنا نبي مثلك، وبأمر الرّب قال لي ملاك:ردّه معك إلى بيتك فيأكل خبزا ويشرب ماء، وكان ذلك كذبا** "[1].

وجاء في موضع آخر من نفس السفر "**وأخيرا خرج روح ووقف أمام الرّب وقال:أنا أغويه.فسأله الرّب: بماذا؟ فأجاب: أجعل جميع أنبيائه ينطقون بالكذب** "[2].

ثانيا ـ الزنا: وهو من الفضائح والفظائع الأخلاقية التي تقدح في نبوة الأنبياء، حيث تنسب التوراة إلى الكثير من الأنبياء الوقوع في هذه الأفعال المخلّة بالحياء، والتي تشمئز منها نفوس السامعين، ويتنزّه عنها الإنسان العادي فضلا عمّن اختارهم الله لتبليغ رسالته للبشر، ومن ذلك:

1 ـ ما اقترفه لوط من جرم في حقّ ابنتيه، حينما زنى بهما، وهذا بعد هلاك قوم لوط وخروجه مع ابنتيه إلى البرية، جاء في سفر التكوين ما نصّه " **وخاف لوط أن يسكن في صوغر، فصعد إلى الجبل، وأقام بالمغارة هو وابنتاه، فقالت الكبرى للصغرى: شاخ أبونا وما في الأرض رجل يتزوجنا على عادة أهل الأرض كلهم. تعالي نسقي أبانا خمرا، ونضاجعه، ونقيم من أبينا نسلا. فسقتا أباهما خمرا تلك الليلة، وجاءت الكبرى وضاجعت أباهما وهو لا يعلم بنيامها ولا قيامها. وفي الغد قالت الكبرى للصغرى: ضاجعت البارحة أبي، فلنسقه خمرا الليلة،**

([1]) ـ سفر الملوك الأول: 18/13.

([2]) ـ 1مل: 22/ 19 ـ 23.

الباب الثاني

الفصل الأول ـ نظرة اليهودية للإساءة للأنبياء

وضاجعيه أنت لنقيم من أبينا نسلا. فسقتا أباهما خمرا تلك الليلة أيضا، وقامت الصغرى وضاجعته، وهو لا يعلم بنيامها ولا قيامها. فحملت ابنتا لوط من أبيهما. فولدت الكبرى ابنا وسمّته موآب، وهو أبو المؤابيين إلى اليوم. والصغرى أيضا ولدت ابنا وسمّته بن عمّي، وهو أبو بني عمّون إلى اليوم"[1].

وهذا النص على ما فيه من مغالطات وتناقضات وأكاذيب[2]، يتحدّث عن سلوك شخص له مكانته "المقدّسة" في الديانة اليهودية، وكيف وقع في هذه الجرم الفظيع، ومارس الفاحشة مع ابنتيه[3]، يقول ابن حزم[4] معلّقا على هذا النص:"ليست هذه صفات الأنبياء ولا صفات من فيه

([1]) ـ سفر التكوين:30/19 ـ 37.

([2]) ـ ومن هذه المغالطات والتناقضات والأكاذيب، ما جاء على لسان ابنتي لوط " **وما في الأرض رجل يتزوجنا على عادة أهل الأرض كلهم. تعالي نسقي أبانا خمرا، ونضاجعه، ونقيم من أبينا نسلا**". وهذا كلام في غاية الكذب، ذلك أن نسل ابن آدم لم ينقطع والمسافة بين القرية التي سكن فيها لوط وبين القرية التي يسكن فيها إبراهيم لا تزيد على ثلاثة أميال فقط، وهذا يعني =بأن هناك رجال على وجه الأرض، وعلى مسافة قريبة منهم، وهذا ما يبطل تبرير هذا الفعل الشنيع. كما برّروا هذا الفعل المخلّ بالحياء وسقوط لوط كواحد من الأشخاص "المقدّسين" عندهم في هذه الفضيحة المدوّية، بغياب عقله، لأنه كان في حالة سكر، وهذه مغالطة أخرى من المغالطات التي هي سمة اليهود، ذلك أن لوط علم بعد ذلك بحمل ابنتيه منه وولادتهما ولدين من الزنى ولم يعمل شيئا!!! ينظر: ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل، تحقيق: محمد إبراهيم نصر، عبد الرحمن عميرة، دار الجيل ـ بيروت، ج1، ص 224.

([3]) ـ ورد زنى المحارم في التوراة في أكثر من سبعة مواضع منسوبا إلى الأنبياء وغيرهم. ينظر: سعد الدين السيد صالح: العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية، مكتبة الصحابة ـ الإمارات، ص 276.

([4]) ـ ابن حزم (384هـ ـ 456هـ): يعد من أكبر علماء الأندلس وأكبر علماء الإسلام تصنيفًا وتأليفًا بعد الطبري، وهو إمام حافظ .فقيه ظاهري، ومجدد القول به، بل محيي المذهب بعد زواله في الشرق .ومتكلم وأديب وشاعر ونسابة وعالم برجال الحديث وناقد محلل بل وصفه البعض بالفيلسوف كما عد من أوائل من قال بكروية الأرض، كما كان وزير سياسي لبني أمية، سلك طريق نبذ التقليد وتحرير الأتباع. له العديد من المؤلفات في شتى العلوم، منها: "الفصل في الملل والأهواء والنحل"، "مراتب الإجماع"، وغيرها. ينظر: سير أعلام النبلاء:184/18.

شيء من الخير، لكن صفات الكلاب الذين وضعوا لهم هذه الخرافات الباردة التي لا فائدة فيها، ولا موعظة ولا عبرة حتى ضلّوا بها، ونعوذ بالله من الخذلان"[1].

2 ـ زواج داود[2] بامرأة متزوّجة، وكذلك بالزنى من امرأة أحد قوّاده، فقد جاء في سفر صموئيل الثاني في قصة الصراع بين داود وشاول، وانتصار داود عليه ما نصّه "**فأجاب داود: حسن أتّفق معك، ولكني أطلب منك أن تأتي بميكال ابنة شاول متى جئت لتراني. وأرسل داود إلى إيشبوشت بن شاول يقول: ردّ لي زوجتي ميكال التي أخذتها بمئة غلفة من الفلسطيّين. فأرسل إيشبوشت واستردّها من عند زوجها فلطيئيل بن لايش فرافقها زوجها وهو يبكي إلى بحوريم. فقال له أبنير: ارجع فرجع**"[3]. وهذا النص يتحدّث عن زواج داود بامرأة متزوّجة (ميكال) بعد أن هزم أباها (شاول).

ولم يكتف داود حسب الرواية التوراتية بهذه الفعل الشنيع، وإنما أضاف إليه فعلا آخر لا يقل شناعة وبشاعة وفظاعة، ألا وهو خيانة جاره الغائب، حيث يذكر سفر صموئيل الثاني استغلال داود غياب جاره وأحد قوّاده واستفراده بزوجته وممارسة الزنا معها، وأكثر من ذلك تدبير قتله لستر هذه الجريمة، جاء في هذا السفر ما نصّه "**وعند المساء قام داود وتمشّى على سطح القصر، فرأى على السطح امرأة تستحمّ وكانت جميلة جدا. فسأل عنها، فقيل له: هذه بتشابع بنت أليعام زوجة أوريّا الحثّي. فأرسل إليها رسلا عادوا بها وكانت اغتسلت وتطهّرت، فدخل عليها ونام معها، ثم رجعت إلى بيتها، وحين أحسّت أنها حبلى أعلمته بذلك** "[4].

([1]) ـ ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل، مرجع سابق، ج1، ص 225.

([2]) ـ على الرغم من أن اليهودية لا تعتبر داود وسليمان من الأنبياء، فهم من الملوك، إلا أنهم اتّصفوا هم الآخرين بصفات لا تليق بمكانتهم كأشخاص "مقدّسين" في الديانة اليهودية.

([3]) ـ سفر صموئيل الثاني:12/3 ـ 16.

([4]) ـ 2صم: 11/ 2 ـ 5.

وفي تدبير قتل زوج هذه المرأة التي مارس معها داود الزنا جاء في السفر نفسه "**فلمّا طلع الصباح كتب داود إلى يوآب مكتوبا وأرسله بيد أوريا يقول فيه: وجّهوا أوريا إلى حيث يكون القتال شديدا، وارجعوا من ورائه فيضربه العدو ويموت...فذهب الرسول إلى داود وأخبره بجميع ما أمره به يوآب، وقال لداود: قوي علينا الأعداء وخرجوا لقتالنا في البرّيّة، فطاردناهم إلى باب المدينة، فرمانا العدوّ بالسهام من فوق السور، فمات البعض من قادة الملك، وقتل أيضا عبدك أوريا الحثّي**"[1].

وبهذا نجد التوراة تنسب لداود ثلاثة أوصاف شنيعة، الواحدة منها تجعل من داود شخصا أقرب إلى قطّاع الطرق منه إلى الشخصيات المرموقة التي لها مكانة مقدّسة، وهذه الصفات هي: الزنا، خيانة الجار، قتل الأبرياء.

3 ـ زواج الأنبياء بالزانيات، كما هو الحال مع النبي هوشع الذي تحكي التوراة بأن الرّب قد أمره بالزواج من احدى الزانيات لأن الأرض قد زنت، جاء في سفر هوشع ما نصّه "**لما بدأ الرّب يتكلّم بلسان هوشع، قال الرّب لهوشع: خذ لك امرأة زنى وليكن لك منها أولاد زنى، لأن أهل الأرض كلهم يزنون في الخفية عني أنا الرّب. فذهب وأخذ جومر بنت دبلايم، فحبلت وولدت له ابنا...ثم حبلت جومر ثانية وولدت له بنتا** "[2].

وهكذا نرى كيف تنسب التوراة هذا الفعل الفظيع إلى الأنبياء الذين لم يمنعهم مقامهم "المقدّس" من الوقوع في الزنا والاتّصاف بالدياثة، كما هو الحال مع يعقوب الذي رضي بزنا ابنه "رأوبين" من زوجته "بلهة"، جاء في سفر التكوين ما نصّه "**ثمّ رحل يعقوب من هناك ونصّب خيمته على الجانب الآخر من مجدل عدر. وبينما هو ساكن في تلك الأرض ذهب رأوبين فضاجع بلهة،**

([1]) ـ 2صم: 11/ 14 ـ 24.

([2]) ـ سفر هوشع: 1/ 1 ـ 6. وقد جاءت تفاصيل القصة في مواضع عدة من نفس السفر. ينظر: 2/ 1 ـ 7. 3/ 1 ـ 5.

محظية أبيه، فسمع بذلك يعقوب"[1]. فعدم تنديد أو غضب يعقوب كما تحكي التوراة بالزنا الذي وقع بين ابنه وامرأته حينما سمع بذلك يدلّ على رضاه بذلك.

وأكثر من ذلك دياثة، ما جاء من تمجيد وثناء يعقوب لابنه رأوبين على فعلته هاته، جاء في سفر التكوين ما نصّه "**ثمّ دعا يعقوب بنيه وقال:اجتمعوا لأنبّئكم بما يحدث لكم في الأيام الآتية: اجتمعوا واسمعوا يا بني يعقوب، واصغوا إلى إسرائيل أبيكم. رأوبين أنت بكري، قوّتي وباكورة رجولتي. فاضل في الرّفعة فاضل في العزّ، هائج كالسيل لا تُفضَّل لأنك علوت فراش أبيك فحرّمت جاريتي علي**"[2].

ولم تقتصر الدياثة بحسب الرواية التوراتية على يعقوب فحسب، وإنما امتدت إلى النبيّ عاموس الذي كانت امرأته تمارس الزنى في المدينة، جاء في سفر عاموس ما نصّه "**لذلك هذا ما قال الرّب: تزني امرأتك في المدينة ويسقط بنوك وبناتك بالسّيف، وتقسّم أرضك بالحبل...**"[3].

ونجد خلق الدياثة ـ كما تحكي التوراة ـ عند داود كذلك، الذي علم بزنا ولده "أمنون" بأخته "تامار" دون أن يعترض على هذا الجرم الفظيع، أو يقوم بتوبيخ ولده هذا، جاء في سفر صموئيل الثاني ما نصّه "...**فقال أمنون لتامار أدخلي الطعام إلى غرفتي فآكل من يديك. فأخذت تامار الكعك وجاءت به إلى أمنون أخيها في غرفته. وقدّمت له ليأكل فأمسكها وقال: تعالي نامي معي يا أختي. فقالت له: لا تغضبني يا أخي، هذه فاحشة لا يفعلها أبناء إسرائيل، فلا تفعلها أنت. فأنا أين أذهب بعاري؟ وأنت ألا تكون واحدا من السفهاء في إسرائيل، فكلّم الملك،**

---

(1) ـ سفر التكوين: 21/35 ـ 22.
(2) ـ تك: 49/ 1 ـ 4.
(3) ـ سفر عاموس: 17/7.

فهو لا يمنعني عنك. فرفض أن يسمع لكلامها، وهجم عليها واغتصبها...وسمع داود الملك بكلّ ما جرى، فغضب جدا لكن لم يشأ أذيّة ابنه أمنون، لأنه كان يحبّه، فهو ابنه البكر"[1].

وهكذا لا تجد التوراة أي حرج في نسبة هذه الصفات المشينة والأخلاق الذميمة والأفعال المخلّة بالحياء إلى الأنبياء بما يدنّس بيت النبوة، ويتناقض مع المقام "المقدّس" للأنبياء، ويتعارض كذلك مع نصوص صريحة في أسفار العهد القديم تحرّم وتجرّم هذه الأفعال، فقد جاء في الوصايا العشر التي تعتبر صلب العقيدة اليهودية ما نصّه "**لا تزن، لا تسرق، لا تشهد على غيرك شهادة زور.لا تشته بيت غيرك.لا تشته امرأة غيرك ولا عبده ولا جاريته ولا ثوره ولا حماره ولا شيئا مما له** "[2].

ونجد في سفر التثنية عقوبة من يمارس هذا الجرم "**وإن وجد رجل يضاجع امرأة لها زوج، فكلا الرجل المضاجع، والمرأة يقتلان، هكذا تزيلون الشرّ من بني إسرائيل**"[3].

وكذلك وردت عقوبة من ينتهك المحظورات الإلهية في سفر اللاويين "**وكل من زنى بامرأة إسرائيلي آخر يقتل الزاني والزانية...فاحفظوا جميع فرائضي وأحكامي واعملوا بها لئلا ترفضكم الأرض التي أدخلتكم إليها لتقيموا بها**"[4].

وكل هذه النصوص صريحة في تجريم من يمارس هذه الأفعال الشنيعة، لكن السؤال الذي يطرح: ما مصير الأبناء الذين أنجبهم لوط وداود وهوشع وغيرهم كثير من هذه العلاقة غير الشرعية؟

هذا ما لم تجب عنه التوراة، لأنه أدّى إلى اختلاط الأنساب، وزيادة انتهاك حرمة وقدسية بيت النبوة المهتز أساسا بفعل هذه الممارسات اللاأخلاقية.

([1]) ـ سفر صموئيل الثاني: 13/ 10 ـ 21.
([2]) ـ سفر الخروج: 14/20. 17/20.
([3]) ـ سفر التثنية: 22/22.
([4]) ـ سفر اللاويين: 20/ 10 ـ 22.

ثالثا ـ شرب الخمر: من صفات الأنبياء كما أوردتها التوراة: السكر وتعاطي الخمور، وهذا ما نجده عند غير واحد من الأنبياء:

1 ـ ما جاء في قصة نوح من تعاطيه للخمر،كما نجده في سفر التكوين "**وكان نوح أول فلاح غرس كرما. وشرب نوح من الخمر فسكر وتعرّى في خيمته...**"[1]. فهذا السفر لا يتحدّث عن تعاطي نوح للخمر فحسب، وإنّما تجرّده من ثيابه بعد تعاطيه للخمر، مما يدلّ على حالة السكر التي وصل إليها!!!

2 ـ وجاء في قصة لوط الذي اقترف جريمة الزنا مع ابنتيه بعد تعاطيه للخمر الذي قدّم إليه من طرف ابنتيه، ما نصّه "**تعالي نسقي أبانا خمرا ونضاجعه، ونقيم من أبينا نسلا، فسقتا أباهما خمرا تلك الليلة**"[2].

3 ـ وجاء في قصة إسحاق مع ابنه يعقوب الذي قدّم له خمرا ما نصّه "**فقدّم له فأكل، وجاء بخمر فشرب....**"[3]. وهذا النص ينسب تعاطي الخمر لإسحاق وابنه يعقوب الذي قدّمه له، ممّا يدلّ على مشاركته هذا الجرم.

رابعا ـ الخداع: وهو كذلك من الصفات التي اتّصف بها الأنبياء كما حكى ذلك العهد القديم، ولعلّ يعقوب أكثرهم التصاقا بها، إذ تكاد تلازمه في مختلف مراحل حياته، حيث يأخذ في البداية بكورية أخيه عيسو بكلّ مكر وخداع، جاء في سفر التكوين ما نصّه "**فقال له يعقوب بعني اليوم بكوريتك، فأجاب عيسو: أنا صائر إلى الموت، فمالي والبكورية. فقال يعقوب: احلف لي**

([1]) ـ سفر التكوين: 20/9 ـ 22.

([2]) ـ تك :19/ 32 ـ 33.

([3]) ـ تك : 27/ 25. وقضية شرب الخمر ونسبته للأنبياء أمر مشهور ومبثوث في العهد القديم، ينظر على سبيل المثال: سفر اشعيا: 28/ 7 ـ 11. سفر نشيد الإنشاد: 1/ 2 ـ 4. سفر التكوين" 27/ 28.

اليوم. فحلف له وباع بكوريته ليعقوب. فأعطى يعقوب عيسو خبزا وطبيخا من العدس، فأكل وشرب وقام ومضى، واستخفّ عيسو بالبكورية"[1].

وهذا السفر يتحدّث عن كيفية استغلال يعقوب ضعف وجوع أخيه عيسو وابتزازه لنزع البكورية منه، التي كما يصوّرها هذا السفر تباع وتشترى!!!

ويواصل هذا السفر حديثه عن الخداع الذي كان طبعا من طبائع يعقوب، وذلك حينما احتال على أبيه إسحاق وخدعه من أجل الحصول على مباركته، متنكّرا في هيئة أخيه عيسو الذي كان معنيا بالمباركة، جاء في سفر التكوين ما نصّه "**وأخذت رفقة ثياب عيسو ابنها الأكبر الفاخرة التي عندها في البيت فألبستها يعقوب ابنها الأصغر، وكست يديه والجانب الأملس من عنقه بجلد المعز. وناولت رفقة يعقوب ما هيّأته من الأطعمة والخبز، فدخل على أبيه...**"[2].

وهكذا نرى كيف احتال يعقوب على أبيه إسحاق وخدعه بالتنسيق مع أمّه "رفقة" التي كان محبوبا عندها، من أجل الحصول على مباركة أبيه ونيل شرف هذه المباركة!!!

خامسا ـ السرقة: لا تجد التوراة وصفا من الأوصاف المذمومة إلا وألصقته بالآباء والأنبياء والملوك الذين يحتلون مكانة "مقدّسة" في الديانة اليهودية، ومن هذه الأوصاف والصفات "السرقة" التي نسبتها التوراة إلى النبي موسى الذي كان يأمر قومه بسرقة وسلب أموال وذهب ومتاع المصريين، جاء في سفر الخروج ما نصّه "**فحمل الشعب عجينهم قبل أن يختمر، فكانت معاجنهم مشدودة في ثيابهم على أكتافهم. وفعل بنو إسرائيل كما قال لهم موسى، فطلبوا من المصريين مصاغ فضة**

(1) ـ سفر التكوين: 25/ 31 ـ 34.
(2) ـ تك : 27/ 15 ـ 18.

وذهب وثيابا، وأعطى الرّب الشعب حظوة عند المصريين فوهبوهم ما طلبوا. وهكذا سلبوا المصريين"[1].

فالنبي موسى في نظر هذا السفر لم يكن من المتّصفين بالسرقة فحسب، وإنّما من الداعين إليها الآمرين بها.

هكذا تصور التوراة الآباء والأنبياء ممّن يحتلون مقاما "مقدّسا" في اليهودية، بصفات فظيعة يترفع عنها الإنسان العادي، فضلا عمّن يعتلي مقام النبوة، وقد جمعت هذه الصفات الذميمة بين الانحرافات العقائدية كالشرك والوثنية وعبادة الأصنام، والاعتراض والاحتجاج على أوامر الله وأحكامه، وسوء الأدب معه، والانحرافات الأخلاقية من كذب وزنا وسكر وخداع وسرقة، وغش وقتل...وغير ذلك من الأوصاف والنعوت الشنيعة التي نسبتها التوراة للأنبياء، والتي دنّست بيت النبوة، وحطّت من هذا المقام الرفيع، وجعلت مبلّغي رسالة السماء(الأنبياء) لأهل الأرض بلا هيبة وبلا قدسية، كونهم جُرّدوا من أهم دافع للاقتداء، وهو السلامة من الرذائل أو ما يطلق عليه ب (العصمة)، فسقط بذلك التأسّي بالأنبياء، وكونهم أنموذجا للاقتداء، مما فتح الباب واسعا للانحرافات داخل المجتمع اليهودي، تحت ذريعة وقوع الأنبياء فيها، وهذا ما يعدّ إساءة بالغة في حق الأنبياء، وهو ما سنتحدّث عنه بشيء من التفصيل في المبحث الرابع من هذا الفصل بإذن الله تعالى.

([1]) ـ سفر الخروج : 12/ 34 ـ 36.

المبحث الثالث

وظائف الأنبياء

إن المتأمّل والمتتبّع لأسفار العهد القديم يلحظ بأن هناك مجموعة من الأدوار والوظائف التي اضطلع بها الأنبياء، وحرصوا على القيام بها تبعا لطبيعة النبوة. وهذه الوظائف تتعدّد بتعدّد نواحي الحياة، فهناك الوظيفة الدينية، وهناك الوظيفة السياسية، وهناك الوظيفة الاجتماعية والاقتصادية، وهناك الوظيفة الأخلاقية.

وإذا كانت هذه العناصر الوظيفية هي القاسم المشترك لكلّ أنبياء العهد القديم، فإننا نجد الأنبياء يتفاوتون في التركيز والتأكيد على بعض هذه الوظائف دون البعض الآخر، وهذا راجع إلى طبيعة العصر، وطبيعة مشاكله، فمشاكل عصر إيليا على سبيل المثال تختلف بلا شك عن مشاكل عصر ارميا، وهذه الأخيرة تختلف عن مشاكل عصر حزقيال، ومشاكل عصر عاموس تختلف عن مشاكل عصر زكريا، ومشاكل أنبياء ما بعد السبي تختلف عن مشاكل أنبياء السبي، وعن مشاكل أنبياء ما بعد السبي...وهكذا نجد أن طبيعة العصر هي التي تحدّد وظائف النبيّ وتغليبه لوظيفة على أخرى، ومن هنا تفاوتت وتنوّعت هذه العناصر الوظيفية رغم الوحدة الأساسية التي تربطها بعضها ببعض في سلّة واحدة تتعدّد حلقاتها[1].

المطلب الأول ـ الوظيفة الدينية: تعدّ الوظيفة الدينية جوهر ولبّ عمل الأنبياء، وإذا تأملنا في تاريخ بني إسرائيل لوجدنا بأن الحاجة كانت ملحّة للقيام بهذا الدور نظرا لطبيعة المجتمع الإسرائيلي الذي استشرى فيه الفساد العقائدي، والانحراف الخلقي، وهذا ما يفسّر ظهور هذا الكم الهائل من الأنبياء في جماعة بني إسرائيل لإعادة الشعب اليهودي إلى الطريق الصحيح.

ومن صور وأشكال هذه الوظيفة الدينية:

([1]) ـ محمد خليفة حسن أحمد: تاريخ النبوة الإسرائيلية، مرجع سابق، ص 75.

الباب الثاني

الفصل الأول ـ نظرة اليهودية للإساءة للأنبياء

الفرع الأول ـ تبليغ وصايا الرّب: وهي أساس وظائف الأنبياء، ذلك أن النبوة في طبيعتها هي "رسالة روحية تلزم صاحبها البقاء في اتّصال دائم مع الله، بغية الاطّلاع على أسراره ورغباته، وبالتالي القيام بمختلف الواجبات المترتّبة على دعوته"[1]، فالنبي هو واسطة بين الله وشعبه، وبتعبير سيجال هو "فم الله" أمام الشعب الذي يسمعه كلام الله الذي سمعه في رؤيا النبوة، وهو كذلك "فم الشعب" أمام الله[2].

ومن هنا كان نقل الرسالة الإلهية وتبليغ تعاليمه وأوامره ووصاياه من صميم مهامه، ومن أهم الوصايا التي قام الأنبياء بتبليغها للشعب الإسرائيلي ضرورة عبادة الله الواحد الأحد، ونبذ عبادة الأوثان والأصنام وكل المخلوقات الأخرى[3]، جاء في سفر التثنية في تحذير موسى لبني إسرائيل من عبادة الأوثان، وضرورة عبادة الله الواحد[4] ما نصّه "**والرّب أراكم ذلك كلّه لتعلموا أنّه هو الإله ولا إله سواه...فاعلموا الآن وردّدوا في قلوبكم أن الرّب هو الإله في السماء من فوق، وفي الأرض من أسفل، ولا إله سواه، واحفظوا سننه ووصاياه التي أنا آمركم بها اليوم**"[5]. وجاء في موضع آخر من هذا السفر "**وقال موسى ومعه الكهنة اللاويون لجميع بني إسرائيل: أصغوا واسمعوا يا**

([1]) ـ بولس إلياس: المدعوون في الكتاب المقدّس، دار المشرق ـ بيروت، ط2، ص 9.

([2]) ـ م.ص.سيجال: حول تاريخ الأنبياء عند بني إسرائيل، مرجع سابق، ص 71.

([3]) ـ إن تاريخ بني إسرائيل مليء بعبادة الأوثان والأصنام المختلفة كالعجل والحيّة وغير ذلك، حيث كانت عبادة الأوثان تتجدّد في حياتهم من حين إلى حين، وهذا ما دعا الأنبياء إلى التذكير بوصايا الرّب إلى ضرورة عبادته وعدم الإشراك به ينظر: ول ديورانت: قصة الحضارة:229/2.

([4]) ـ يطلق اليهود على الإله عدة أسماء من أبرزها "يهوه" والذي يقابلها في العبرية (يهوفاه) وهي كلمة سامية قديمة، ويذهب البعض إلى أنها مشتقة من الفعل (هوى) بمعنى (سقط)، أي أن يهوه هو مسقط المطر، وهذا الإسم (يهوه) هو أكثر الأسماء شيوعا عند اليهود، كما أنه أكبر الأسماء قداسة، ينظر: المسيري: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية:2412/2.

([5]) ـ سفر التثنية:4/ 35 ـ 40.

بني إسرائيل، أنتم اليوم صرتم شعبا للرّب إلهكم، فاسمعوا كلامه واعملوا بوصاياه وفرائضه التي أنا آمركم بها اليوم"[1].

ونجد هذه الوصية كذلك عند النبي اشعيا الذي هاجم الأصنام وسفّه عبادتها، ودعا بني إسرائيل إلى عبادة الله الواحد، جاء في سفره ما نصّه "...**لذلك يقول القدّوس بمن تشبّهونني وتعادلونني؟ ارفعوا عيونكم وانظروا من خلق السماوات هذه؟ من يعدّ نجومها واحدة واحدة...أنا الرّب إله سرمدي خلق الأرض بكاملها** "[2].

وفي مقابل الدعوة إلى عبادة الله التي نادى بها الأنبياء، والتي تندرج في صميم مهامهم، نجدهم كذلك يحذّرون بني إسرائيل من مخالفة وصايا الرّب وتعاليمه التي من بينها عبادة الله، جاء في سفر التثنية ما نصّه "**وإن لم تسمعوا كلام الرّب إلهكم وتحفظوا وصاياه وفرائضه التي أنا آمركم بها اليوم وتعملوا بها، تحلّ عليكم هذه اللعنات كلّها وتشملكم**"[3].

كما نجد هذا التحذير الذي يعدّ من مهام الأنبياء في خطاب النبي زكريا لقومه "**الرّب القدير غضب غضبا شديدا على آبائكم. فقال لي: قل لهم: ارجعوا إليّ، فأرجع إليكم. لا تكونوا كآبائكم الذين ناداهم الأنبياء الأولون قائلين: توبوا عن طرقكم الشّرّيرة وأعمالكم السيّئة، يقول الرّب. ولكنّهم لم يسمعوا ولم يصغوا إليّ.فأين الآن آباؤكم؟ والأنبياء هل يحيون إلى**

---

(1) ـ تث:27/ 9 ـ 10.

(2) ـ سفر اشعيا: 25/40 ـ 28. وهذا السفر (سفر اشعيا) مليء بنداء الوحدانية الذي أطلقه اشعيا لما رأى بني إسرائيل غارقين في الشرك والوثنية.

(3) ـ سفر التثنية:15/28.

الأبد؟ لكن أقوالي وفرائضي التي أوصيت بها عبيدي الأنبياء تجاهلها آباؤكم. ثمّ تابوا وقالوا: عاملنا الرّب القدير بحسب طرقنا وأعمالنا، كما قصد أن يعاملنا"[1].

وهكذا نرى كيف كان تبليغ وصايا الرّب لبني إسرائيل من صميم وظائف الأنبياء التي قاموا بها، دعوة إليها، وتحذيرا ووعيدا من مخالفتها، ذلك أنه لا معنى للنبوة من دون بيان وتبليغ وتذكير...فكلّ هذه الأمور تمثّل أساس مهامهم.

الفرع الثاني ـ ممارسة الشعائر والطقوس: من أبرز الأدوار التي قام بها أنبياء العهد القديم كما حكت عن ذلك التوراة ممارسة الطقوس والشعائر بالشعب الإسرائيلي تجسيدا لتعاليم الرّب، وتعليما لبني إسرائيل،حيث كان الأنبياء في نظر الشعب الإسرائيلي أنموذجا للاقتداء، فيما جاءوا به من شعائر وطقوس، وهذا من أجل الحفاظ على التقاليد الجديدة، وحماية للوجدان الخلقي والاجتماعي للشعب اليهودي[2].

ومن أهم الطقوس التي كان الأنبياء يؤدّونها في الأماكن المقدّسة[3] باعتبارها تدخل في صميم وظائفهم: تقديم القرابين[4]، وهذا ما نجده عند غير واحد من الآباء والأنبياء الذين قاموا ببناء المذابح

([1]) ـ سفر زكريا:1/ 1 ـ 6.

([2]) ـ محمد بيومي مهران: بنو إسرائيل، مرجع سابق، ج5، ص 73.

([3]) ـ وقد تحدّثنا عن بعض الأماكن المقدّسة في اليهودية في الفصل الأول من الباب الأول، فليراجع.

([4]) ـ وقد قام الأنبياء بهذه الوظيفة بناءا على وصيّة الرّب بذلك، جاء في سفر الخروج (24/20) في وصيّة الرب لموسى ببناء المذابح ما نصّه "...**أبنوا لي مذبحا من تراب، واذبحوا عليه محرقاتكم وذبائح السلامة من غنمكم وبقركم**...".

لتقديم القرابين فيها[1]، فقد ورد في سفر التكوين أن إبراهيم كان بانيا للمذابح "**فبنى أبرام هناك مذبحا للرّب الذي تراءى له**"[2].

وكذلك الحال عند موسى ويشوع، جاء في سفر يشوع ما نصّه "**في ذلك الوقت بنى يشوع مذبحا للرّب إله إسرائيل في جبل عيبال، بناه كما أمر موسى، عبد الرّب، بنو إسرائيل حسب ما هو مكتوب في كتاب شريعة موسى، بناه مذبحا من حجارة غير منحوتة... "**[3].

وفي عصر القضاة نجد تقديم القرابين كواحدة من أهم وأبرز الوظائف الدينية للأنبياء، حيث نرى "جدعون"[4] يبني مذبحا من أجل تقديم الأضاحي للرّب، جاء في سفر القضاة ما نصّه "**وفي تلك الليلة ذاتها قال له الرّب: خذ ثور أبيك وثورا ثانيا ابن سبع سنين واهدم مذبح البعل الذي لأبيك واقطع الشجرة القريبة، وابن للرّب إلهك مذبحا حسن البيان على رأس هذه الصخرة**"[5].

ومن الطقوس والشعائر "الوظيفية" التي كان الأنبياء يؤدّونها إلى جانب تقديم القرابين: الصلاة من أجل الأفراد والجماعات، حيث كان الشعب يلتجئ إلى النبيّ في السرّاء والضرّاء ليقوم ضارعا أمام

([1]) ـ وقد كان المقصد من تشريع هذه القرابين التي جاء بها الآباء والأنبياء، والتي كانت تذبح في المذابح، وتقدّم للرّب من أنواع كثيرة من الحيوانات، إما اعترافا بالخطايا، أو تكفيرا للذنوب، أو توبة منها، أو تكريسا لخدمة الرّب، أو شكرا له...وغيرها من الأسباب والأغراض. ينظر: زكي شنودة: المجتمع اليهودي، مرجع سابق، ص 163، 185..

([2]) ـ سفر التكوين: 7/12. وينظر أيضا: 4/13 من السفر نفسه.

([3]) ـ سفر يشوع:30/8 ـ 31.

([4]) ـ جدعون: اسم عبري معناه "حاطب أو قاطع بشدّة"، أحد زعماء العبرانيين المعروفين ب "قضاة إسرائيل".قاتل المدينيّين وهزمهم، وبذلك حرّر اليهود من سلطانهم. وردت أخباره في سفر القضاة. ينظر: قاموس الكتاب المقدّس، ص 176.

([5]) ـ سفر القضاة:25/6.

الله حتى يأتي بالفرج[1]، وقد جاء في سفر التكوين في حق إبراهيم أنه "**نبيّ يصلي لأجلك فتحيا**"[2].

ونجد النبي موسى يقوم بهذا الدور الديني المتمثّل في الصلاة من أجل الآخرين أفرادا وجماعات، فقد جاء في التوراة أنه صلى من أجل فرعون والمصريين[3]، ومن أجل بني إسرائيل فيما أصابهم من ضراء[4]، ومن أجل كثير من الأفراد[5]، وكذلك فعل صموئيل وإيليا واليشع وعاموس واشعيا وارميا وأيوب وغيرهم[6]، مما يؤكّد على مركزية هذا الدور بالنسبة لأنبياء العهد القديم.

وإلى جانب تقديم القرابين والصلاة اللتين كانتا من الشعائر "الوظيفية" للأنبياء، كان هناك الإنشاد بمصاحبة الآلات الموسيقية والرقص، حيث كان الأنبياء ينشدون المزامير والترانيم والابتهالات في أيام الأعياد والاجتماعات[7]،جاء في سفر صموئيل الأول ما نصّه "...**ثمّ تجيء إلى جبعة الله حيث معسكر الفلسطيين، فتصادف عند دخولك المدينة جماعة من الأنبياء نازلين من التلّة، وقدّامهم رباب ودفوف ومزامير وكنّارات وهم يتنبّأون**"[8].

([1]) ـ م.ص.سيجال: حول تاريخ الأنبياء عند بني إسرائيل، مرجع سابق، ص 71.

([2]) ـ سفر التكوين:7/20. وينظر أيضا: 18/ 23 ـ 33، 17/20 من السفر نفسه.

([3]) ـ سفر الخروج:33/9، 18/10

([4]) ـ خر:25/15، 4/17، 11/32. التثنية:18/9، 26. العدد:2/11، 22/16، 7/21.

([5]) ـ عد:13/12. تث:20/9.

([6]) ـ سفر صموئيل الأول:11/15. الملوك الأول:21/17. الملوك الثاني:33/4. عاموس:2/7. اشعيا:4/37. ارميا:16/7، 14/11، 11/14، أيوب:8/42.

([7]) ـ م.ص.سيجال: حول تاريخ الأنبياء عند بني إسرائيل، مرجع سابق، ص 77.

([8]) ـ 1 صم:5/10.

كما جاء في سفر الخروج في حديثه عن عمل مريم التي سمّاها بأنها نبيّة، ما نصّه "**وأخذت مريم النبيّة أخت هرون دفّا في يدها وخرجت النساء كلهن وراءها بدفوف ورقص، فغنّت لهن مريم: أنشدوا للرّب جلّ جلاله**"[1].

وجاء في سفر صموئيل الثاني في حديثه عن عمل داود ما نصّه "**وكان داود وجميع بني إسرائيل يرقصون بكلّ قواهم وينشدون على أنغام القيثارات والرّباب والدفوف...**"[2].

ومن هنا يتأكّد لنا أن التغني بالأناشيد[3] بمصاحبة آلات الموسيقى والرقص كان من عمل الأنبياء، لذلك نجد سفر أخبار الأيام يطلق على اللاويين الذين كانوا يقومون بالإنشاد في المعبد اسم "الأنبياء"، كما دعا فعلهم هذا "عمل نبوة"[4]، وهذا ما يبيّن بأن هذه الوظيفة هي من جملة الوظائف المزدوجة بين الكهنة والأنبياء، حيث كان الكاهن مقدّم على النبي في أعمال المعبد، وكان أكثر أهمّية منه، بل كان تبعا له، وملحقا به، ومن أجل ذلك كان يقول هوشع "**إنه عندما يتعثّر الكاهن يتعثّر النبيّ**"[5].

الفرع الثالث ـ الدعوة إلى العودة إلى المثال الموسوي: يحتل النبي موسى مكانة كبيرة في الديانة اليهودية، كيف لا وهو مؤسّس الديانة، وواضع الشريعة، ومتلقّي الوحي، فكان بذلك الشخصية المحورية التي تدور حولها بقيّة النبوّات الإسرائيلية، وأنموذجا للتأسّي والاقتداء في النبوة. ومن هنا سعى

---

(1) ـ خر:20/15.

(2) ـ سفر صموئيل الثاني:5/6.

(3) ـ ونصوص التوراة مليئة بالأناشيد التي كان ينشدها الأنبياء. ينظر على سبيل المثال: الخروج:1/15، العدد:25/10 ـ 26، التثنية:2/33 ـ 5، اشعيا:1/9 ـ 2، ارميا:5/17 ـ 11، عاموس:5/9 ـ 6، ناحوم:2/1 ـ 9.

(4) ـ ينظر: سفر أخبار الأيام الأول:25/ 1 ـ 6.

(5) ـ سفر هوشع:5/4.

أنبياء بني إسرائيل بعده العودة إلى عصره الذي يعتبر عصرا "مثاليا" في النبوة، فكانت إحدى وظائف الأنبياء "الدعوة إلى تحقيق المثال الموسوي".

وبالرغم من وضوح الهدف الذي رسمه وسعى إليه أنبياء ما بعد موسى، إلا أنهم أدخلوا تعديلات على ديانة موسى تماشيا مع تحدّيات وحاجيات عصورهم، وهو ما جعل بعض مؤرّخي الديانة اليهودية يطلقون على الديانة الإسرائيلية في عصر الأنبياء[1] اسم "ديانة الأنبياء"، وفي ذلك دلالة على حجم وأثر التعديلات التي أدخلها هؤلاء الأنبياء على الديانة اليهودية في شكلها الموسوي[2].

وقبل الحديث عن هذا الدور الذي قام به أنبياء بني إسرائيل كان لا بدّ من الوقوف وقفة ولو مقتضبة للحديث عن الوضع الديني المتدهور الذي جاء الأنبياء لتصحيحه، وهو الوضع الذي يمكن أن نستشفّه مما جاء في سفر الملوك، حيث يعطينا هذا السفر ملخّصا للوضع سالف الذكر، جاء فيه ما نصّه "**وسقطت السامرة لأن بني إسرائيل خطئوا إلى الرّب إلههم الذي أخرجهم من مصر، من تحت سلطة فرعون ملكها، وعبدوا آلهة أخرى، وسلكوا في طرق الأمم التي طردها الرّب من أمامهم، وفي الطرق الرّديئة لملوك إسرائيل، وعمل بنو إسرائيل فقط ما كان يسيء إلى الرّب إلههم، فبنوا أماكن لعبادة البعل في جميع مدنهم الصغيرة والكبيرة، وأقاموا تماثيل وأنصبة لأشيرة على كلّ تلّة وتحت كلّ شجرة خضراء، وأحرقوا البخور في جميع المعابد على المرتفعات كالأمم التي طردهم الرّب من أمامهم، وفعلوا أفعالا سيّئة لإغاظة الرّب، وعبدوا الأصنام الرجسة التي نهاهم عنها الرّب**"[3].

([1]) ـ ونقصد به عصر النبوة الكلاسيكية، وهو العصر الذي شهد ظهور الحركة النبوية الكبرى في بني إسرائيل.

([2]) ـ ينظر:محمد خليفة حسن: تاريخ النبوة الإسرائيلية، مرجع سابق، ص 77.

([3]) ـ سفر الملوك الثاني: 17/ 7 ـ 12.

وهذا السفر يتحدّث عن الانحراف العقدي الذي وقع فيه الشعب الإسرائيلي من شرك ووثنية وعبادة للأصنام والأوثان ومخالفة وصايا الرّب، وهو ما جعل الأنبياء يقومون بهذا الدور الديني المتمثّل في الدعوة إلى العودة إلى تعاليم موسى، وما تعنيه من عبادة الإله الواحد، وهجر العبادة الأجنبية الوثنية، وهو ما بيّنه هذا السفر، حيث جاء فيه "**وأنذر الرّب إسرائيل ويهوذا على ألسنة جميع رسله وأنبيائه كي يتوبوا عن سوء سلوكهم وليعملوا بوصاياه وفرائضه في الشريعة التي أوصى بها آباءهم، والتي أعطاهم إيّاها على ألسنة عبيده الأنبياء**"[1].

ثم يتحدّث سفر الملوك بعد ذلك عن ردّ فعل جماعة بني إسرائيل تجاه هذه الدعوة النبوية، وكيف قابلوا دعوات الأنبياء لهم بضرورة العودة إلى تعاليم موسى، جاء فيه ما نصّه "**فلم يسمعوا بل عاندوه كآبائهم الذين لم يؤمنوا به، ورفضوا فرائضه وعهده مع آبائهم، وتجاهلوا إرشاداته، وسعوا وراء الآلهة الباطلة وصاروا باطلين وتبعوا الأمم التي نهاهم الرّب عن اتّباعها، وتركوا وصايا الرّب إلههم، وصنعوا عجلين من المعدن المسبوك، وتمثالا لأشيرة، وسجدوا لنجوم السماء، وعبدوا البعل، وأحرقوا له بنيهم وبناتهم في النّار، وتعاطوا العرافة والسّحر، وباعوا أنفسهم لفعل الشّر في نظر الرّب فأغاظوه**"[2].

ونجد هذا الدور الديني واضحا جليّا في إصلاحات يوشيا الدينية، حيث أشار صراحة إلى التمسّك بشريعة موسى، جاء في سفر الملوك ما نصّه "**وأزال يوشيا السحرة والعرّافين والترافيم والأصنام، وجميع الأرجاس التي كانت في أرض يهوذا وفي أورشليم، وبذلك عمل بما ورد في كتاب**

([1]) ـ سفر الملوك الثاني: 13/17 ـ 14.
([2]) ـ 2مل: 14/17 ـ 17.

الشريعة الذي وجده حلقيا الكاهن في الهيكل، وما كان قبل يوشيّا ملك مثله، لأنّه تاب إلى الرّب بكلّ قلبه، وكلّ قدرته كما هو مكتوب في شريعة موسى"[1].

ونجد نفس التأكيد عند نحميا، الذي كان كثير التذكير لقومه بأفعال الرّب في العصر الموسوي، جاء في سفر نحميا "...**ثمّ نظرت إلى مذلّة آبائنا في مصر وسمعت صراخهم عند البحر الأحمر، فأظهرت آيات ومعجزات في فرعون وجميع عبيده، وكلّ سكان أرضه لأنّك علمت أنهم جاروا عليهم، وأقمت لك اسما عظيما كما في هذا اليوم، وفلقت البحر أمامهم فعبروا في وسط البحر على أرض يابسة، وطرحت مطارديهم في الأعماق...ونزلت على جبل سيناء وخاطبتهم من السماء وأعطيتهم أحكاما مستقيمة، وشرائع حقّ، وفرائض، ووصايا صالحة، وعلّمتهم أن يقدّسوا سبتك، أمرتهم بوصايا وفرائض وشرائع على لسان موسى عبدك**"[2].

وقد كان غرض نحميا من تذكير قومه بأفعال الرّب في العصر الموسوي، هو العودة إلى هذا العصر المثالي الذي كان هدف وعمل جميع الأنبياء، جاء في سفر نحميا ما نصّه "...**وقتلوا أنبياءك الذين أنذروهم ليردّوهم إليك، فكفروا بك كفرا عظيما...وأنذرتهم لتردّهم إلى شريعتك فتجبّروا ولم يسمعوا لوصاياك...فأوحيت إلى أنبياءك أن ينذروهم فما أصغوا إليهم**"[3].

ونجد النبي ارميا يقوم بنفس الدور الذي قام به غيره من الأنبياء، من خلال التأكيد على ضرورة العودة إلى الشريعة والعبادة الصحيحة، مقترحا كتابة الشريعة على قلوب بني إسرائيل حتى لا يهجروها مرة أخرى، جاء في سفره ما نصّه "**وستأتي أيام أعاهد فيها بيت إسرائيل، وبيت يهوذا عهدا جديدا، لا كالعهد الذي عاهدته آباءهم يوم أخذت بأيديهم وأخرجتهم من أرض مصر،**

([1]) ـ 2مل:24/23 ـ 25.

([2]) ـ سفر نحميا:9/9 ـ 15.

([3]) ـ نح:26/9 ـ 30.

لأنهم نقضوه مع أني عاملتهم بالحسنى، أما العهد الجديد الذي أعاهد به بيت إسرائيل بعد تلك الأيام، فهو هذا: أجعل شريعتي في ضمائرهم وأكتبها في قلوبهم وأكون لهم إلها وهم يكونون لي شعبا"[1].

وهكذا كانت العودة إلى الشريعة الموسوية هدفا مشتركا لدى الأنبياء في عصر ما بعد موسى، فعمدوا إلى دعوة جماعة بني إسرائيل إلى ضرورة الرجوع إلى العصر الموسوي باعتباره عصرا مثاليا ينبغي العودة إليه.

الفرع الرابع ـ الدعوة إلى الإيمان بالغيب: وهي من جملة الوظائف التي نجدها عند أنبياء ما بعد موسى، بعد دعوتهم إلى العودة إلى العصر الموسوي، حيث دعوا إلى مبادئ جديدة لم يكن لها وجود سابق في الديانة اليهودية، أو أنها على الأقل لم تحظ بالاهتمام الكافي قبل عصر الأنبياء نتيجة عدم ورود نصوص من التوراة بإثباتها أو نفيها[2].

ومن أهم وأبرز هذه المبادئ التي جاء بها الأنبياء، ثمّ تطوّرت بعد ذلك لتصبح عقائد ثابتة في الديانة اليهودية: عقيدة البعث، الثواب والعقاب، المسيح المخلّص.

أولا ـ البعث: وهي من جملة العقائد التي جاء بها أنبياء ما قبل السبي، حيث نجد في سفر هوشع إشارات إلى قضية البعث، جاء فيه "**تعالوا نرجع إلى الرّب، لأنه يمزّق ويشفي، يجرح ويضمّد، يحيينا بعد يومين ويقيمنا في اليوم الثالث فنحيا**"[3].

وفي سفر اشعيا نجد إشارات أخرى لعقيدة البعث، جاء فيه ما نصّه "**تحيا موتاك وتقوم أشلاؤهم، فاستفيقوا ورنّموا يا سكان التراب**"[1].

([1]) ـ سفر ارميا: 31/31 ـ 33.

([2]) ـ محمد خليفة حسن: تاريخ النبوة الإسرائيلية، مرجع سابق، ص 80.

([3]) ـ سفر هوشع: 1/6 ـ 2.

كما نقرأ في سفر يونان تلميحا لهذه العقيدة، جاء فيه"**نزلت إلى أسس الجبال، إلى أرض أبوابها انغلقت عليّ يا رب إلى الأبد.لكنّك أيها الرّب إلهي سترفع حياتي من الهاوية.وعندما تعود إليّ نفسي أتذكّرك أيّها الرّب فتصل إليك صلاتي في هيكلك المقدّس يراعون آلهة السوء، ويهملون رحمتك عليهم.**وأنا **بصوت الحمد أقرّب لك الذبائح وأوفي بما نذرته لك. فمنك يا رب خلاصي. فأمر الرّب الحوت فقذف يونان إلى البّر**"[2].

هذه بعض الإشارات التي نجدها في أسفار الأنبياء، والتي تشير إلى إمكانية البعث، هذه العقيدة التي تبلورت ـ كما يرى محمد خليفة حسن[3] ـ في نفوس الأنبياء بناء على تغيّر نظرتهم الدينية للحياة التي أصبحت تحمل معنى الخلاص الأخروي في مقابل الخلاص الدنيوي، الذي لطالما أكّد عليه الأنبياء في تنبّؤاتهم المستقبلية[4].

ثانيا ـ الثواب والعقاب: إن المتأمّل لنصوص العهد القديم يجد أن قضيّة مسؤولية الإنسان (الفرد) عن أفعاله لم تكن مطروحة في أسفارها، وإنّما كان التركيز على مسؤولية الجماعة أمام الرّب[5]، لكن مع حلول عصر الأنبياء تغيّر الوضع، فأصبح التركيز على مسؤولية الإنسان على أفعاله إلى جانب التذكير بمسؤولية الجماعة عن أفعالها أمام الرّب.

([1]) ـ سفر اشعيا:19/26.

([2]) ـ سفر يونان:6/2 ـ 10.

([3]) ـ محمد خليفة حسن: باحث وأكاديمي مصري، له العديد من المؤلفات في تاريخ الديانة اليهودية. يدير حاليا مركز القرضاوي للوسطية الإسلامية والتجديد بدولة قطر.

([4]) ـ محمد خليفة حسن: تاريخ النبوة الإسرائيلية، مرجع سابق، ص 81.

([5]) ـ ينظر على سبيل المثال: سفر الخروج:9/19. سفر التثنية:1/9 ـ 29.

ويعدّ ارميا وحزقيال من أهم الأنبياء الذين أثاروا هذه القضية وناقشوها في أسفارهم، وكذلك الأمر بالنسبة لأسفار أخرى مثل اشعيا وأيوب والجامعة[1].

هذا وقد أدّت إثارة الأنبياء لقضية مسؤولية الإنسان الفردية عن أفعاله إلى تبلور ونشوء قضيّة أخرى ذات ارتباط دقيق بها، ألا وهي قضيّة الثواب والعقاب في علاقة الإنسان بربّه، والتي تعتبر قفزة نوعية وتطوّرا جديدا في الفكر النبوي اليهودي في نظرته إلى طبيعة الألوهية[2].

ثالثا ـ المسيح المخلّص: من الإضافات التي جاء بها الأنبياء في عصر النبوة الكلاسيكية، والتي أخذت مع مرور الوقت شكل العقائد الثابتة في الديانة اليهودية قضيّة المسيح المخلّص، وهي عقيدة ـ كما يرى محمد خليفة حسن ـ نشأت نتيجة ظروف سياسية معيّنة في التاريخ اليهودي، ثمّ تطوّرت بعد ذلك لتصبح من العقائد الثابتة، بالرغم من زوال تلك العوامل السياسية[3]، حيث نشأت هذه العقيدة إبان انقسام مملكة داود وسليمان المتّحدة إلى مملكتين شمالية وجنوبية، ثم تعرّضهما بعد ذلك للسبي الآشوري والبابلي...وقد أدّى هذا التطور السياسي الهام إلى بروز وتبلور فكرة سياسية ذات صبغة دينية خرجت من رحم المعاناة التي كان يمرّ بها الشعب الإسرائيلي أثناء السبي، حيث أخذ الأنبياء على عاتقهم محاربة اليأس المستشري في النفوس من جراء هذا السبي، وأخذوا يرفعون من معنويات جماعة بني إسرائيل، ويبثّون فيها روح الأمل، قصد تعويض سقوط المملكتين، أو التخفيف من وطأته وشدّته، فظهرت هذه الفكرة التي سمّيت ب"المسيحانية"، وهي فكرة غيبية تقوم على أساس الاعتقاد بقدوم مسيح مخلّص يخلّص الشعب مما وقع فيه. وهي كما نرى فكرة سياسية لم

([1]) ـ محمد خليفة حسن: دراسات في تاريخ وحضارة الشعوب السامية القديمة، دار الثقافة ـ القاهرة، 1985، ص207 وما بعدها.

([2]) ـ محمد خليفة حسن: تاريخ النبوة الإسرائيلية، ص 83.

([3]) ـ المرجع نفسه، ص 84.

تلبث إلا أن تتحوّل إلى عقيدة دينية، حيث انتقلت وظيفة المخلّص من وظيفة سياسية إلى وظيفة دينية تتمثّل في تحقيق الخلاص الديني لشعبه[1].

ويؤكّد "جرشوم شوليم"[2] على ظهور المسيحانية في ظل الأحداث التاريخية التي واكبت عصر الأنبياء فيقول:"إن تنبّؤات ورسالات أنبياء الكتاب المقدّس اعتمدت ـ وبدرجة متساوية ـ على الوحي وعلى معاناة ويأس هؤلاء الذين خاطبهم (الأنبياء). فهذه التنبّؤات تمّ التحدّث بها من خلال مضمون المواقف التاريخية، وتمّ التأكّد من فعاليتها في مواقف تمّ الاعتقاد فيها بأن النهاية الواقعة في المستقبل القريب ستحلّ فجأة وفي أية لحظة...إنها رؤية لإنسانية أفضل في نهاية الأيام متداخلة مع دوافع استردادية مثل إعادة تأسيس مملكة داوودية مثالية. هذه الرسالة المسيحانية للأنبياء تخاطب الإنسان ككل، وتضع تصوّرات لأحداث طبيعية وتاريخية يتحدّث من خلالها الرّب، ومن خلالها أيضا يتمّ إعلان أو تحقيق نهاية الأيام"[3].

هذا فيما يخص الجذور التاريخية لهذه العقيدة وظروف تبلورها، أما بخصوص جذورها التوراتية فنجد عند أنبياء ما قبل السبي تصويرا لهذه المسيحانية، حيث جاء في سفر عاموس ما نصّه "**في ذلك اليوم أقيم مسكن داود المنهدم، فأسدّ شقوق جدرانه، وأرحمه وأعيد بناءه كما كان في الأيام القديمة، ليرث بنو إسرائيل بقيّة أرض أدوم وجميع الأمم الذين دعي اسمي عليهم، يقول الرّب الذي يصنع هذا كلّه.**

([1]) ـ محمد خليفة حسن: تاريخ النبوة الإسرائيلية، مرجع سابق، ص 84.

([2]) ـ جيرشوم شوليم (1897 ـ 1982): مؤرّخ وفيلسوف ألماني ـ إسرائيلي الجنسية ـ يعتبر وعلى نطاق واسع مؤسّس الدراسة الحديثة والأكاديمية ل "القبّالاه"، وأستاذ التصوّف اليهودي بالجامعة العبرية بالقدس.

([3]) ـ Gershom Scholem: The Messianic Idea in Judaism and Other Essays on Jewwish Spirituality.Schoken Books.N.Y..1971.p.5

ها أيام تأتي يقول الرّب، يلحق فيها الفاتح بالحاصد، ودائس العنب بباذر الزرع، وتقطر الجبال خمرا وتسيل جميع التلال، وأعيد شعبي إسرائيل من السبي، فيبنون المدن المخرّبة، ويقيمون بها، ويغرسون كروما ويشربون من خمرها، وجنائن ويأكلون من ثمرها، وأغرسهم على أرضهم التي أعطيتها لهم، ولا يقتلعون منها فيما بعد، يقول الرّب الإله"[1].

وهذا النص صريح في التنبّؤ بمستقبل مشرق للشعب الإسرائيلي، وتبشيره بالخروج من السبي وترميم ما أفسده هذا السبي.

وفي سفر هوشع نجد حديثا عن سمات ومواصفات المسيح المخلّص الذي سيكون ملكا من نسل داود يأتي في آخر الأيام، جاء فيه ما نصّه "**فبنو إسرائيل يقعدون أياما كثيرة لا ملك لهم، ولا رئيس ولا ذبيحة، ولا نصب، ولا تمثال، ولا أفود، ولا ترافيم للعرافة، وبعد ذلك يرجعون ويطلبون الرّب إلههم، وداود يكون ملكا لهم، ويهابون الرّب وينالون جوده في آخر الأيام**"[2].

ونقرأ في سفر ارميا في تصويره لهذه العقيدة ومواصفات صاحبها ما نصّه "**فستأتي أيام أعيد فيها أمجاد شعبي إسرائيل ويهوذا وأردّهم إلى الأرض التي أورثتها لآبائهم فيمتلكونها...هو وقت الشدّة على شعبي لكني أخلّصه منه. وفي ذلك اليوم، يقول الرّب القدير، أكسر النيّر عن عنقهم وأقطع ربطهم ولا يستعبدهم الغرباء من بعد، بل يخدمون الرّب إلههم والملك الذي أقيمه عليهم من نسل داود**"[3].

وعلى نفس المنوال يؤكّد حزقيال، حيث جاء في سفره ما نصّه "**فأخلّص غنمي ولا تكون من بعد نهبا، وأحكم بين ماشية وماشية، وأقيم عليها راعيا واحدا ليرعاها كعبدي داود، فهو يرعاها**

([1]) ـ سفر عاموس:11/9 ـ 15.

([2]) ـ سفر هوشع:4/3 ـ 5.

([3]) ـ سفر ارميا:3/30 ـ 9. وينظر أيضا: 18/30 ـ 24.

ويكون لها راعيا صالحا. وأنا الرّب أكون لغنمي إلها ويكون الراعي الذي كعبدي داود لها رئيسا. أنا الرّب تكلمت"[1].

وهكذا نرى كيف أن هذه النصوص التي تتحدّث عن المسيح المخلّص تشير إلى داود كرمز ومثال ونموذج للملك المخلّص الذي سيأتي في نهاية الأيام لتخليص شعبه مما لحق به جراء هذا السبي، وهي نصوص تدلّ دلالة صريحة على انتشار المسيحانية في فكر أنبياء ما قبل السبي أو ما بعده، ثم ما لبثت تترسّخ إلى أن أصبحت من العقائد الثابتة في الفكر اليهودي.

المطلب الثاني ـ الوظيفة السياسية: لم يقتصر دور الأنبياء في اليهودية على الجانب الديني الروحي من تبليغ وصايا الرّب، وممارسة الطقوس والشعائر المختلفة، والدعوة إلى الإيمان بالغيب فحسب، وإنما تعدّاه إلى جوانب أخرى، وبأشكال مختلفة، ومن هذه الجوانب "الجانب السياسي"، حيث كانت للأنبياء بصمة واضحة في الحياة السياسية لمجتمعاتهم، وهذا ما أكّدت عليه العديد من النصوص التوراتية التي حكت عن علاقاتهم بالملوك وأنظمة الحكم السائدة، وممارستهم لبعض الأنشطة السياسية، وتدخّلهم في الشأن السياسي مما أنتج دورا سياسيا للأنبياء[2] إلى جانب الدور الديني، وهو الدور الذي كان مرتبطا دائما بالظروف التي كان يمرّ بها المجتمع اليهودي.

وقد تعدّدت صور ومظاهر وأشكال هذا الدور "السياسي" للأنبياء، ويكن إجماله فيما يلي:

الفرع الأول ـ انتقاد الوضع السياسي القائم: وهي من أهم المهام التي قام بها الأنبياء، والتي تبرز دورهم السياسي. وتحكي التوراة تميّز العديد من الأنبياء بانتقاد توجّهات الملوك ومواقفهم الداخلية منها والخارجية، وهذا بغرض تقويم المسار السياسي، ومن ذلك:

([1]) ـ سفر حزقيال:22/34 ـ 24.

([2]) ـ وهذا الدور السياسي الذي قام به الأنبياء سبّب لهم اضطهاد ومعاناة كبيرة مع الحكام والملوك وصلت إلى حدّ قتلهم. ينظر: محمد خليفة حسن: تاريخ النبوة الإسرائيلية، مرجع سابق، ص 66.

أولا ـ انتقاد النبي ايليا[1] للملك "أخاب"[2]: وهذا بسبب سماح أخاب الذي كان حاكما لمملكة إسرائيل بدخول الثقافة الأجنبية ممثّلة في الثقافة الكنعانية، ومظاهر العبادة الوثنية إلى المملكة، وهذا بعد زواجه من "إيزابيل" ابنة ملك مدينة صور الفينيقية، التي حاولت إحلال آلهة الفينيقيين محلّ عبادة "يهوه" في المجتمع الإسرائيلي[3]، حيث نجدها مارست مع حاشيتها ديانتها في معبد أنشئ في السامرة من أجل هذا الغرض[4]. وقد أثار انحراف الملك أخاب حفيظة النبي إيليا الذي اتّخذ ضدّه وضدّ زوجته موقفا نقديا، وهو ما نستشفّه من خلال النص الذي ورد في سفر الملوك الأول "**فلما رأى أخاب إيليا قال له: أأنت إيليا مصدر ويلات إسرائيل؟ فأجابه: ما أنا مصدر هذه الويلات، بل أنت وبيت أبيك لأنّكم تركتم وصايا الرّب، وعبدتم البعل**"[5].

وبعد انتقاد إيليا للملك أخاب نتيجة انحرافه العقدي، وميله لعبادة آلهة دخيلة، يحاول إيليا تأليب الشعب على الملك أخاب، من خلال وضعهم في موقف التحدّي أمام الملك، وتخييرهم بين طريق الملك وطريق الرّب "**فنهض إيليا أمام المجتمعين وخاطبهم: إلى متى تعرجون بين هذا الفريق**

([1]) ـ النبي "إيليا" في التوراة هو النبي "إلياس" في القرآن، وقد أشارت التوراة إلى معارضته عبادة البعل في عصره والتي كانت من الملك أخاب وزوجته إيزابيال، وهي نفس الإشارة التي وردت في القرآن عن النبي إلياس (عليه السلام)، حينما حذّر قومه من عبادة البعل، قال تعالى ﴿ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ ﴾ [سورة الصافات:123 ـ 132]. ينظر: تفسير الطبري:508/11. تفسير القرطبي:115/15. تفسير ابن كثير:31/7.

([2]) ـ أخاب: اسم عبري معناه " أخو الأب"، وأخاب ملك من ملوك بني إسرائيل. تزوج من امرأة وثنية تدعى "إيزابل"، فأثّرت فيه، وجرّته إلى عبادة الأوثان. ينظر: قاموس الكتاب المقدّس، ص23.

([3]) ـ كونتنو: الحضارة الفينيقية، ترجمة: محمد عبد الهادي شعيرة، شركة مركب كتب الشرق الأوسط ـ القاهرة، ص74.

([4]) ـ وهو ما صرّح به سفر الملوك الأول:29/16 ـ 33.

([5]) ـ 1مل:17/18 ـ 18.

وذاك؟ إن كان الرّب هو الإله فاتّبعوه، وإن كان البعل هو الإله فاتّبعوه. فلم يجبه المجتمعون بكلمة"[1].

ويمضي إيليا في انتقاد الملك أخاب، ويرتفع سقف هذا الانتقاد ليصل إلى درجة السخرية من البعل إله أخاب وإيزابيل، فيقول "**فلما كان الظهر راح إيليا يهزأ منهم ويقول:أصرخوا بصوت أعلى. فربّما إلهكم غارق يتأمّل، أو هو مشغول أو في سفر، أو لعلّه نائم فيفيق**"[2].

وهكذا نرى كيف أن انحراف ملك مملكة إسرائيل الشمالية كان سببا في بروز دور جديد للأنبياء يتمثّل في انتقاد هذا الانحراف[3]، وهو الدور الذي بدأ مع النبي إيليا[4]، دون خشية من بطش حاكم، أو غضبة كاهن.

ثانيا ـ انتقاد النبي ارميا لانحراف الملوك: وهو النقد الذي وجّهه النبي ارميا لكل ملك ينحرف عن خدمة شعبه، جاء في سفره ما نصّه "**ويل للرعاة الذين يبيدون ويبدّدون غنم رعيّتي يقول الرّب.وهذا ما تكلّم به الرّب إله إسرائيل على أولئك الرعاة الذين يرعون شعبي: أنتم بدّدتم غنمي وطردتموها وما تفقّدتموها. فسأعاقبكم على شرّ أعمالكم وأجمع بقيّة غنمي من جميع**

([1]) ـ سفر الملوك الأول:21/18.

([2]) ـ 1مل:27/18.

([3]) ـ يرى أحد المؤرخين الغربيين بأن معارضة وانتقاد الأنبياء الجريء للسلطة الملكية إنما كان تعبيرا عن روح الحرّية الموروثة عن حياة البداوة، تلك الروح التي رأت في الملكية بدعة منكرة، ونظاما دخيلا عن المجتمع الإسرائيلي. ينظر: سباتينو موسكاتي: الحضارات السامية القديمة، ترجمة وتحقيق: السيد يعقوب بكر، دار الكتاب العربي ـ القاهرة، ص145.

([4]) ـ لم يكن انتقاد النبي إيليا مقتصرا على مملكة إسرائيل الشمالية فحسب، بل إن نشاطه امتدّ إلى مملكة يهوذا في الجنوب، حيث أرسل رسالة مكتوبة إلى "يهورام" ملك يهوذا يحذّره وينذره فيها من غضب الرّب على انحرافه، ومن عاقبة هذا الانحراف. ينظر: سفر الملوك الأول:12/21 ـ 15.

الأراضي التي طردتها إليها وأردّها إلى حظائرها، فتثمر وتكثر، وأقيم عليها رعاة يرعونها، فلا تخاف من بعد ولا تفزع، ولا يكون فيها مفقود يقول الرّب "[1].

وهذا النص يتحدّث عن وجوب خلع الحكام والملوك الذين ينحرفون عن أداء المهمّة المنوطة بهم والمتمثّلة في رعاية المحكومين، وتعيين من يؤدّي ويقوم بهذه المهمّة بدلا عنهم.

ثالثا ـ انتقاد النبي اشعيا لملوك اليهود: وهي الانتقادات التي وجّهها لملوك اليهود بسبب إبرامهم المعاهدات والاتّفاقيات مع المصريين، جاء في سفره ما نصّه "**ويل للنازلين إلى مصر من بني يهوذا طلبا للمعونة، المعتمدين على الخيل، المتوكّلين على كثرة المركبات وجبروت الفرسان. الويل لهم، لا يلتفتون إلى قدّوس إسرائيل، ولا يلتمسون الرّب. هو أيضا عادل فينزل النكبات، ولا يحيد عن كلامه، بل يقوم على سلالة الأشرار، وعلى الذين يناصرونهم. فما المصريون سوى بشر لا آلهة، وخيلهم جسد لا روح، فإذا رفع الرّب يده عثر النصير، وسقط المنصور وهلكوا كلهم معا**"[2].

وهكذا نجد اشعيا ينتقد هذه المعاهدات التي أبرمها الملوك مع المصريين، ويبرّر انتقاده ومعارضته لها بعدم استفادة اليهود منها، وعدم حمايتها لهم من الأخطار الخارجية.

رابعا ـ انتقاد النبي عاموس للملك يربعام: ما إن تولى يربعام بن يوآش الحكم في مملكة إسرائيل حتى ارتفع صوت النبي عاموس بمعارضة وانتقاد السلطة الملكية التي استشرى فيها الفساد، ووصل به الأمر إلى حد المناداة بالتخلّص من الملك الفاسد يربعام، وهو الموقف الذي أثار حفيظة الكاهن "أمصيا" كاهن بيت إيل الوثني، مما جعله يحرّض الملك يربعام عليه، جاء في سفر عاموس ما نصّه "**فأرسل أمصيا كاهن بيت إيل إلى يربعام ملك إسرائيل يقول له: يجرّ عاموس عليك الشؤم في بني**

([1]) ـ سفر ارميا: 1/23 ـ 4.

([2]) ـ سفر اشعيا: 1/31 ـ 3.

إسرائيل، والبلاد لا تقدر أن تحتمل جميع كلامه. فهو يقول: سيموت يربعام بالسّيف، ويسيء إسرائيل عن أرضه"[1].

ويتّضح من هذه الوقائع والأحداث أن الأنبياء تدخّلوا في الشأن السياسي من خلال نقد سلوكيات وتوجّهات الحكام والملوك، وهو الأمر الذي جعلهم في مواجهة مع هؤلاء الملوك، وسبّب لهم صراعا معهم وصل إلى حدّ الاضطهاد[2]، بل والقتل أحيانا[3].

ورغم أن نصوص التوراة واضحة أشد الوضوح في بيانها للدور السياسي الذي يقوم به الأنبياء والمتمثّل في نقد سلوكيات وتوجّهات الحكام الداخلية منها والخارجية ـ كما مرّ معنا ـ إلا أن هذا الدور لا ينطبق على كلّ الأنبياء، حيث نجد هناك من الأنبياء من سار في ركاب الملوك، ولم يبد أي موقف ضدّ ملوكهم، كما هو الحال مع النبي صدقيا الذي وقف في صفّ الملك أخاب ضدّ النبي ميخا، وقد كان مع صدقيا جميع أنبياء إسرائيل الأربعمائة[4]، وهم الذين قتلهم النبي إيليا بعد ذلك بسبب تمجيدهم للملك أخاب، وعدم بيان انحرافه[5].

الفرع الثاني ـ حماية الشعب من الأخطار الخارجية: وهي من الأدوار ذات الصبغة السياسية التي اضطلع بها الأنبياء، وتحكي أسفار التوراة عن العديد من الأنبياء الذين قاوموا الأخطار الخارجية، حيث أصبحوا مركز الحماسة الوطنية، ومن أجل مملكتهم كانوا يصحبون الجيوش إلى ميادين القتال، ويضعون كلّ قواهم ـ من سحر وعرافة ونبوءة ـ تحت إمرة القوّاد، وهذا الدور نجده مع غير واحد من الآباء والأنبياء:

([1]) ـ سفر عاموس:10/7 ـ 11.

([2]) ـ كما فعل أخاب بميخا (سفر الملوك الأول: 26/22 ـ 27، سفر أخبار الأيام الثاني:26/18)، وكما فعلت إيزابيل زوجة أخاب مع النبي إيليا(1مل:2/19 ـ 4)، وكما فعل الملك يربعام مع النبي عاموس (12/7 ـ 13).

([3]) ـ كما فعلت إيزابيل وزوجها أخاب بأنبياء الرّب (1مل:4/18، 10/19).

([4]) ـ 1مل:1/22 ـ 28، 2أخ: 1/18 ـ 27.

([5]) ـ 1مل:40/18.

الباب الثاني

الفصل الأول ـ نظرة اليهودية للإساءة للأنبياء

أولا ـ إبراهيم: تذكر التوراة أن إبراهيم لما علم بوقوع لوط في الأسر سارع إلى جمع كل ما لديه من عبيد وأتباع، وتجهيزهم للقتال، من أجل استرجاع لوط، وتخليصه من الأسر، وهو ما فعله في نهاية المطاف بعدما خاض حربا حقّق فيها ما أراد، جاء في سفر التكوين ما نصّه "**فلمّا سمع أبرام أن ابن أخيه في الأسر جمع مواليه المولودين في بيته، وعددهم ثلاثمائة وثمانية عشر، وتبعهم شمالا إلى دان، وهناك أطبق عليهم في الليل من كلّ جانب هو ورجاله، فهزمهم وتبعهم إلى حوبة شمالي دمشق. فاستردّ جميع الثروة، ولوطا ابن أخيه**"[1].

ثانيا ـ النبي موسى: وهو الذي أخرج شعبه من أرض مصر هروبا من بطش فرعون وظلمه، جاء في سفر الخروج ما نصّه "**فقال موسى للشعب اذكروا هذا اليوم الذي خرجتم فيه من مصر من دار العبودية، بيد قديرة أخرجكم الرّب**"[2].

ثالثا ـ النبيّة دبّورة: وهي من النبيّات القاضيات، حيث جمعت بين النبوّة والقضاء، ويذكر سفر القضاة تحريرها لشعبها من ظلم وتضييق الملك "يابين" ملك كنعان، وتقلّدها الحكم بعد ذلك، جاء في هذا السفر ما نصّه "**وكانت دبّورة النبيّة زوجة لفيدوت، قاضية على بني إسرائيل في ذلك الزمان...فقالت دبّورة لباراق:قم لأن الرّب يدفع سيسرا اليوم إلى يدك، وها هو الرّب يتقدّمك. فنزل باراق من جبل تابور ووراءه عشرة آلاف رجل. وألقى الرّب رعبا على سيسرا وجميع مركباته، وقتل جميع عسكره بحدّ السيف أمام باراق** "[3].

ومع هذا الدور السياسي البارز الذي كان يقوم به الأنبياء المتمثّل في حماية الشعب من الأخطار الخارجية، وتحريره من الظلم والبطش الذي مورس عليه من طرف بعض الملوك، إلا أننا نجد بعض

([1]) ـ سفر التكوين:14/14 ـ 16.

([2]) ـ سفر الخروج:3/13.

([3]) ـ سفر القضاة:4/4 ـ 15.

الأنبياء فضّل مسايرة الأخطار الخارجية، والاستسلام للغزو الأجنبي، وهذا ما نجده عند النبي ارميا وحزقيال اللذين فضّلا الخضوع لبابل على التحالف مع مصر التي كانت الأمل الوحيد لإنقاذهم من الأخطبوط البابلي، فكان ارميا ينصح قومه بضرورة الارتماء في أحضان البابليين، وخدمة ملكهم "نبوخذ نصر" مخالفا بذلك وجهة النظر السياسية التي سادت لدى الغالبية من الشعب والحكام الذين كانوا يفضّلون الهروب إلى مصر هربا من الخضوع البابلي، جاء في سفره ما نصّه "**الذي يقيم في هذه المدينة يموت بالسيّف والجوع والوباء، والذي يخرج ويلجأ إلى البابليين الذين يحاصرونكم يحيا وتكون له حياته مغنما**"[1]، وجاء في موضع آخر من هذا السفر في وصية ارميا لشعبه"**لا تسمعوا لهم** (الأنبياء الذين يحرّضون على مقاومة البابليين)، **بل اخدموا ملك بابل وانجوا بحياتكم**"[2].

ونتيجة لهذا الموقف السلبي المتخاذل الذي اتّخذه النبي ارميا، اتّهم من طرف قومه بإضعاف الروح المعنوية للشعب، ومن ثمّ طالبوا الملك صدقيا بقتله والتخلّص من شروره، إلى أن انتهى به المطاف في غياهب السجن، الذي لم يخرج منه إلا بعد سقوط أورشليم تحت أقدام البابليين[3]، وأخذهم الكثير من سكان أورشليم أسرى إلى بابل، وكان ارميا من بين هؤلاء الأسرى، حيث أطلق سراحه بعد ذلك من طرف ملك البابليين "نبوخذ نصر"[4]، وإن كانت الأمور انتهت به إلى أن يصبح لاجئا في مصر[5].

---

(1) ـ سفر ارميا: 9/21.
(2) ـ ار: 17/27، 1/29 ـ 9.
(3) ـ ار: 4/38 ـ 28.
(4) ـ ار: 11/39
(5) ـ ار: 1/43 ـ 7.

الفرع الثالث ـ التنبّؤات والمشورة السياسية: وهي مظهر من مظاهر الأدوار السياسية التي قام بها الأنبياء، حيث ارتبطت بمجموعة من الأنبياء العاملين مع الملوك والحكام في قصورهم، وقد أطلق عليهم ب"أنبياء البلاط"، هؤلاء الذين كانوا يقدّمون المشورة السياسية للملوك من خلال تنبّؤات تتماشى ورغباتهم، فساهموا بذلك في إفساد الأوضاع السياسية من خلال اعتماد الملوك على هذه التنبّؤات التي لم تكن مواكبة للأحداث الجارية والمتسارعة على أرض الواقع، وهو ما أدى في نهاية المطاف إلى دمار سياسي وأخلاقي[1].

ومن أهم الشخصيات النبوية التي ينطبق عليها هذا الوصف:

أولا ـ النبي ناثان: وقد كان مرتبطا بالملك داود، حيث عمل كمستشار له، وقد أشار عليه ببناء بيت الرّب، جاء في سفر صموئيل الثاني تحت عنوان (نبوءة ناثان) ما نصّه "**ولما سكن الملك في قصره وأراحه الرّب من جميع أعدائه قال لناثان النبي: أنظر أنا مقيم في بيت من أرز، وتابوت العهد مقيم في خيمة. فأجابه ناثان: اذهب وافعل كل ما في بالك لأنّ الرّب معك. ولكن الرّب قال لناثان في تلك الليلة: اذهب وقل لعبدي داود: هذا ما يقول الرّب: أأنت تبني لي بيتا لسكناي؟ ما سكنت بيتا من يوم أخرجت بني إسرائيل من مصر الآن...فكلّم ناثان داود بجميع هذا الكلام وهذه الرؤيا كلّها**"[2].

وهذا النص يبيّن المشورة التي كان يقدّمها النبي ناثان للملك داود من خلال تنبّؤاته، وإيصال رسائل الله له، ويذكر سفر صموئيل كيف كان النبي ناثان يقوم بتبليغ الملك داود غضب الربّ عليه بسبب ارتكابه لجريمتين تتمثّل الأولى في قتل "أوريا الحثّي"[3]، والثانية في الزواج من امرأته "بتشبع"، جاء فيه

([1]) ـ محمد خليفة حسن: تاريخ النبوة الإسرائيلية، مرجع سابق، ص 94.

([2]) ـ سفر صموئيل الثاني: 1/7 ـ 17.

([3]) ـ أوريا الحثّي: اسم عبري معناه "يهوه نوري"، كان قائدا في جيش داود. ينظر: قاموس الكتاب المقدّس، ص 96.

ما نصّه "**فلماذا احتقرت كلامي وارتكبت القبيح في عيني؟ قتلت أوريّا الحثّي بالسيف، سيف بني عمون، وأخذت امرأته زوجة لك**"[1]. وبعدما أعلمه بغضب الرّب عليه، أخبره بعد ذلك بجزاءين أليمين ينتظرانه، أحدهما عاجل، وهو موت الابن الذي أثمرته علاقته غير الشرعية مع "بتشبع"، والثاني آجل، ويتمثّل في اعتداء أحد أبناء داود على عرض احدى بنات داود[2].

ثانيا ـ النبي جاد: وهو الذي كان معاصرا للنبي ناثان، وعمل مثله مستشارا لداود، وقد بين سفر صموئيل الثاني وظيفته في بلاط داود المتمثّلة في التنبّؤ "**فلمّا نهض داود في الصباح كان الرّب كلّم جاد النبي رائي داود بقوله: اذهب إلى داود وقل له: هذا ما يقول الرّب: أعرض عليك ثلاث ضربات...فجاء داود وقال له: ما تختار؟ أسبع سنين جوع في أرضك، أو الهرب أمام أعدائك ثلاثة أشهر...** "[3].

ثالثا ـ أنبياء الملك أخاب: وهم الذين كانت وظيفتهم التنبّؤ للملك أخاب بما يرضيه، حيث كان يستشيرهم في القتال وغير ذلك، جاء في سفر الملوك ما نصّه "**فجمع ملك إسرائيل نحو أربع مئة رجل من الأنبياء وسألهم: أأذهب إلى راموث جلعاد للقتال أم لا؟ فأجابوا: اذهب لأنّ الرّب يسلّمها إلى يدك، فسأله يوشافاط: أما من نبيّ آخر للرّب هنا فنستشير به الرّب؟ فأجابه ملك إسرائيل: هناك واحد بَعدُ، لكني أبغضه لأنّه لا يتنبّأ عليّ إلا بالشّر، وهو ميخا بن يملة**"[4].

---

(1) ـ 2صم:9/12.

(2) ـ سفر صموئيل الثاني: 11/12 ـ 18، 1/13 ـ 14.

(3) ـ 2صم:11/24 ـ 13، 18.

(4) ـ سفر الملوك الأول:6/22 ـ 8. ينظر أيضا: 13/20 ـ 15 . سفر اشعيا:10/30، ارميا:8/2، 31/5. سفر حزقيال:1/13 ـ 10.

وهذا النص صريح في بيان الدور الذي كان يقوم به أنبياء الملك أخاب والمتمثّل في تقديم المشورة السياسية له بناء على ما يرضيه، والدليل على ذلك أن يوشافاط[1] الذي أشار على الملك أخاب بضرورة توسيع الاستشارة لأنبياء آخرين، ذكر له أخاب النبي ميخا، ثمّ عقّب على نفسه بأن ميخا من الأنبياء المغضوب عليهم، بسبب نبوءاته التي لا تسير في ركابه!!!

ويتّضح من خلال هذه الاستشهادات أن أنبياء البلاط كانت لهم وظائف ثابتة في بلاط الملوك تتمثّل في التنبّؤ وإعطاء المشورة بما يدخل الفرح والسرور على الملوك والحكام، بعيدا عن التنبّؤات التي تغضبهم أو تعكّر صفو مزاجهم، بصرف النظر عن مدى تعبير هذه التنبّؤات عن الحقيقة في أرض الواقع أم لا، حيث كان همّهم إرضاء الملوك فحسب، وهو ما أكّده سفر نحميا على نحو حاسم من خلال حديثه عن "ظاهرة استئجار الأنبياء" لافتراء نبوءات كاذبة إرضاءً للملوك، جاء في هذا السفر ما نصّه "**ثمّ تحقّقت فوجدت أن شمعيا هذا لم يرسله الله إلي، بل أن طوبيا وسنبلط استأجراه لينطق بالنبوة عليّ، لعلّي أخاف وأعمل بمشورته وأخطأ، فتسوء سمعتي ليعيّراني** "[2].

وقد أثار هذا الدور "المشبوه" الذي كان يقوم به أنبياء البلاط ردود أفعال قوية في أوساط جماعة من الأنبياء الآخرين، وأثار حفيظتهم، حيث رأوا فيه انحرافا على تعاليم الرّب، وتزلّفا للملوك والحكام، فنجد النبي حزقيال ينتقد أنبياء البلاط انتقادا لاذعا "**ويل للأنبياء الحمقى الذين يتبعون هواهم، وهم لم يروا رؤيا، أنبياؤكم يا شعب إسرائيل كالثعالب بين الخرائب...إنما رؤياهم الباطل والعرافة الكاذبة** "[3].

([1]) ـ يوشافاط: اسم عبري معناه "يهوه قضى"، أحد الكهنة في أيام داود. ينظر: قاموس الكتاب المقدّس، ص 744.

([2]) ـ سفر نحميا:12/6 ـ 13.

([3]) ـ سفر حزقيال:3/13 ـ 6.

ونجد النبي إيليا يتحدّى جماعات الأنبياء التي وصلت في نفاقها للملوك إلى حدّ هجر عبادة يهوه، والسير وراء عبادة البعل، وهو الذي سمّاهم بأنبياء البعل حين قال "**أنا وحدي بقيت نبيّا للرّب، وهؤلاء أنبياء البعل أربع مئة وخمسون رجلا. هاتوا ثورين، فيختار أنبياء البعل لهم ثورا ويقطعوه ويضعوه على الحطب ولا يشعلوا نارا، كذلك أفعل أنا بالثور الآخر، ثم يدعو أنبياء البعل باسم إلههم، وأنا أدعو باسم الرّب إلهي، والذي منهما يشعل النار يكون الإله...**"[1].

ونجد النبي ارميا يسير على خطى غيره من الأنبياء الناقمين الغاضبين على الأدوار "المشبوهة" التي كان يقوم بها أنبياء البعل، حيث وصفهم بقوله "**والأنبياء تنبّأوا باسم البعل، وذهبوا وراء إله لا نفع فيه** "[2].

وهكذا نرى كيف أن هذه الوظيفة التي اضطلع بها أنبياء البلاط والمتمثّلة في تقديم المشورة السياسية للملوك بناء على تنبّؤاتهم قد خلقت وظيفة أخرى موازية تتمثّل في مواجهة الانحراف الذي وقع فيه هؤلاء الأنبياء، وهي الوظيفة التي ـ كما رأينا ـ قام بها الأنبياء الناقمون على أنبياء البلاط، حينما شنّوا حربا شعواء عليهم، وبيّنوا كذبهم وزيف تنبّؤاتهم، وانحرافهم على تعاليم الرّب، وهو ما أدى بدوره إلى خلق حالة من الصدام والمواجهة والصراع بين الأنبياء والملوك نتيجة تشويه أنبياء البلاط صورة هؤلاء الأنبياء.

هذه بعض الصور والأشكال التي تبيّن وتثبت الدور السياسي الذي لعبه الأنبياء، إما من خلال نقد توّجهات وسلوكيات الحكام الداخلية والخارجية، أو من خلال مقاومتهم للأخطار الخارجية، وإما من خلال تقديم المشورة السياسية للملوك بناء على تنبّؤاتهم الدينية، ممّا يؤكّد على تجاوز الأنبياء للوظيفية

([1]) ـ سفر الملوك الأول: 22/18 ـ 24.

([2]) ـ سفر ارميا:8/2.

الكلاسيكية المتعلّقة بالجانب الديني الصرف، إلى التدخّل في الحياة السياسية، حيث دفعتهم إلى ذلك عدّة عوامل وأسباب، يمكن إجمالها في سببين رئيسين[1]:

1 ـ سبب داخلي: وهو المتعلّق بضخامة وتسارع التحدّيات الداخلية التي جعلت الملوك يقفون عاجزين أمامها، حيث شهد عصر النبوة الكلاسيكية عدة أزمات سياسية أهمّها وأبرزها سقوط دولتي إسرائيل ويهوذا في يد الآشوريين والبابليين على التوالي، ووقوع السبي البابلي.

2 ـ سبب خارجي: وهو المتعلّق بالصراع المحتدم والمستمر بين قوى بلاد النهر من جهة، والقوة المصرية القديمة من جهة أخرى، وقد انعكس هذا الصراع على أوضاع الإسرائيليين في الداخل، بين الولاء والتبعية السياسية لهذه القوة أو تلك.

وفي ظل هذا الوضع السياسي الداخلي والخارجي الساخن كان على الأنبياء أن يقولوا كلمتهم، وأن يقتحموا الحياة السياسية، وهو ما تجلّى في الأشكال والصور والمظاهر سالفة الذكر.

المطلب الثالث ـ الوظيفة الاجتماعية: لم تقتصر وظيفة الأنبياء على الجانبين الديني والسياسي فحسب، وإنّما تعدّتهما إلى الجانب الاجتماعي، حيث كانت الأمراض والأدواء المنتشرة والمستفحلة في المجتمع سببا في دخول الأنبياء لهذا المعترك، وقد انعكس تردّي الأحوال الدينية والسياسية على الجانب الاجتماعي، الذي أصبح هو الآخر مليئا بالأمراض التي استدعت تدخّل الأنبياء، وقد تجلّى هذا الدور في صورتين:

أولا ـ نقد الأوضاع الاجتماعية: لم يكن الأنبياء بمعزل عن هموم مجتمعاتهم، ولا عن تحدّياتها ومشاكلها، حيث نجدهم يرفعون أصواتهم منددّين بالظلم والجور والفساد الذي استشرى في المجتمع، فها هو النبي هوشع يصف الوضع الذي وصل إليه المجتمع في عصره بقوله " **اسمعوا كلمة الرّب يا**

([1]) ـ محمد خليفة حسن: تاريخ النبوة الإسرائيلية، مرجع سابق، ص 92 ـ 93.

بني إسرائيل، للرّب خصومة مع سكان الأرض .فما في الأرض أمان ولا رحمة ولا معرفة الله، بل اللعنة والغدر والقتل والسرقة والفسق، هذه كلها تجاوزت كلّ حد "[1].

ثم يتحدّث النبي هوشع بعد ذلك عن الفساد الذي نخر المجتمع، ويردّه إلى الجهل بشريعة الرّب، فيقول "**لحق الدمار بشعبي لأنهم لا يعرفونني، وبما أنكم رفضتم أن تعرفونني، فأنا أرفضكم فلا تكونون لي كهنة، وبما أنكم نسيتم شريعة إلهكم، فأنا أيضا أنسى بينكم**"[2].

ويمضي النبي هوشع في نقده للفساد المستشري في المجتمع حينما تحدّث عن آثاره السلبية، وانعكاساته الخطيرة على الجوانب الحياتية الأخرى، خاصة الجانب السياسي، فيقول "**اختلط بيت أفرايم في الشعوب. صاروا رغيفا مبلّلا لا يقلّب. يأكل الأجنبي قوّتهم ولا يعلمون. يصابون بالشّيب ولا يعرفون. في كبرياء بني إسرائيل فناؤهم. لا يرجعون إلى الرّب إلههم ولا يطلبونه...أينما اتّجهوا أبسط شركي عليهم وأصطادهم كطيور السمّاء. هكذا أؤدّبهم على شرّ أعمالهم. ويل لهم لأنهم شردوا عني. سحقا لهم لأنهم تعالوا علي. أفتديهم فيتكلّمون عليّ بالكذب**"[3].

ونجد النبي عاموس يسير على خطى النبي هوشع في نقده للوضع الاجتماعي المتدهور في الوسط الإسرائيلي، فيقول "...**لأنهم يبيعون الصدّيق بالفضة، والبائس بنعلين، ويمرّضون رؤوس الوضعاء في التراب، ويزيحون المساكين عن طريقهم، ويدخل الرجل وأبوه على صبيّة واحدة**

([1]) ـ سفر هوشع: 1/4 ـ 2.
([2]) ـ هو: 6/4.
([3]) ـ سفر هوشع: 8/7 ـ 13.

فيدنّسان اسمي القدّوس، ولأنهم يستلقون على ثياب مرهونة لهم بجانب كلّ مذبحن ويشربون خمر المدينين لهم في بيت إلههم"[1].

ولم يكتف عاموس بنقد الوضع الذي وصل إليه مجتمعه في عصره، وإنما وجّه سهام نقده إلى طبقة الأثرياء التي رأى بأنها المتسبّب في استشراء الظلم والفساد المجتمعي "**يبغضون القاضي بالعدل في المحاكم، ويمقتون المتكلّم بالصدق، لذلك بما أنكم تدوسون الفقير، وتأخذون منه ضريبة قمح، فأنتم تبنون بيوتا من حجر منحوت، ولا تقيمون فيها، وتغرسون كروما شهيّة ولا تشربون خمرها، فأنا عالم بمعاصيكم الكثيرة، وخطاياكم العظيمة. تضايقون الصديق، وتأخذون الفدية، وتحرّفون حقّ البائس في المحاكم، لذلك يسكت العاقل في ذلك الزمن، لأنه زمن رديء**"[2].

وإلى جانب النبيّين هوشع وعاموس نجد النبي اشعيا الذي كان صوتا ثائرا على القيم الاجتماعية والخلقية الفاسدة، هذه الأخيرة التي وصف بعض مظاهرها بقوله في سياق التحذير "**يا لتشامخ بنات صهيون. يمشين ممدودات الأعناق غامزات بالعيون، يخطرن في مشيتهن ويحجلن بخلاخل أقدامهن...**"[3].

ثانيا ـ المطالبة بالعدالة الاجتماعية: لم يقتصر دور الأنبياء على تحليل ونقد الوضع الاجتماعي الذي نخره الفساد والظلم والرشوة والانحلال الخلقي، وبيان أسبابه ثم آثاره السلبية، وإنما طالبوا أيضا بضرورة تحقيق العدالة الاجتماعية كونها إحدى دعائم استقرار المجتمع، وهذا ما نجده عند النبي اشعيا الذي انتقد ظلم الحاكم والمحكوم على السواء، ومطالبا بتحقيق العدالة الاجتماعية "**كيف صارت المدينة الأمينة زانية. كانت عامرة بالعدل وفيها يسكن الحقّ. أما الآن ففيها يسكن القتلة، فضّتك**

([1]) ـ سفر عاموس: 2/ 6 ـ 8.

([2]) ـ عا:10/5 ـ 13.

([3]) ـ سفر اشعيا: 16/3.

صارت زغلا، وخمرك مغشوشة بماء، حكّامك قوم متمرّدون وشركاء لقطّاع الطرق. كلّهم يحب الرشوة ويسعى وراء الرّبح. لا ينصفون اليتيم بشيء. ولا تصل إليهم دعوى الأرملة...بالعدل تفتدى صهيون، وبالحقّ أهلها التائبون"[1].

وبمثل هذه المطالبة كانت دعوة النبي ارميا، حيث طالب بتحقيق العدل، ونبذ الظلم "**يا بيت داود: أحكموا بالعدل كلّ صباح، وأنقذوا المظلوم من يد الظالم لئلا ينفجر غضبي كالنّار جزاء شرّ أعمالكم، فيحرق ولا من يطفئ**"[2].

هكذا كانت دعوة الأنبياء ثورة على القيم الاجتماعية والأخلاقية الفاسدة التي نخرت المجتمع، من ظلم ورشوة وفساد وسرقة وانحلال أخلاقي... بحيث انعكست على الجوانب الحياتية الأخرى السياسية والدينية، ولم يسلم منها الملوك والكهنة.

وبهذا يتّضح من خلال هذه الأدوار والأعمال التي قام بها الأنبياء بأن وظيفة الأنبياء في اليهودية لم تقتصر على الجانب الديني الصرف، وما يعنيه من تبليغ وصايا الرّب، وتحذير الشعب من مخالفتها...وغير ذلك من الصور والأشكال التي تدرج في دائرة الوظيفة الدينية للنبي، وإنما تعدّتها إلى جوانب حياتية أخرى مثل الجانب السياسي الذي تدخّل فيه الأنبياء ـ كما رأينا ـ (سلبا وإيجابا)، وانتهاءً بالجانب الاجتماعي، حيث كانت أصواتهم ثورة على القيم الأخلاقية والاجتماعية الفاسدة التي نخرت المجتمع، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدلّ على شمولية دعوة الأنبياء في بني إسرائيل، وهو ما يجعلنا نقول بأن النبي كان رجل دين وسياسة، كما كان مصلحا اجتماعيا.

([1]) ـ سفر اشعيا: 21/1 ـ 27، 13/3.

([2]) ـ سفر ارميا: 12/21.

المبحث الرابع

الإساءة إلى الأنبياء في اليهودية

تحدّثنا في المبحثين السابقين عن مركزية الأنبياء في الديانة اليهودية، ورأينا أن مقام النبوة في اليهودية هو مقام مقدّس، وهذا بالنظر إلى المهمّة والوظيفة "المقدّسة" التي يضطلع بها النبي في العهد القديم، والتي لا تقتصر على الجانب الديني فحسب، وإنّما تتعدّاه إلى الجوانب الحياتية الأخرى، مثل الجانب السياسي والاجتماعي والأخلاقي.

لكن وعلى الرغم من المكانة المقدّسة التي تحاول اليهودية إضفاءها على الأنبياء، تظلّ قضية صفاتهم من القضايا التي تسيء إلى هذه المكانة، وتدنّس قدسيتها، من خلال نزع العصمة عنهم، حين وصفتهم أسفار العهد القديم بصفات تنفر عنها العقول السليمة، وتستقبحها الطباع المستقيمة، وتستنكرها الفطر القويمة، إضافة إلى تناقضها لصريح ما جاءوا به، وتعارضها مع ما دعوا إليه غيرهم من البشر، وكلّها صفات لا تليق بآحاد الناس، فضلا عمّن يحمل لقب النبي، ويعتلي مقام النبوّة، وما يعنيه من وساطة بين الرّب والشعب، وقيادة للمجتمع إلى فضائل الأعمال، ومكارم الأخلاق.

ويمكن إجمال الإساءة التي تعرّض لها الأنبياء في اليهودية في مظهرين:

أولا ـ تجريد الأنبياء من صفة العصمة

ثانيا ـ تناقض الأنبياء مع مهمّتهم

المطلب الأول ـ تجريد الأنبياء من صفة العصمة: تحكي أسفار العهد القديم عن وقوع غير واحد من الأنبياء في العديد من الخطايا التي تقدح في نبوّتهم، وتنتقص من هيبتهم، ومن هؤلاء الأنبياء:

أولا ـ النبي موسى: يحظى النبي موسى في اليهودية بمنزلة تسمو على غيره من الأنبياء، حيث يعتبر الشخصية المحورية في الديانة اليهودية، كما تعتبر نبوّته أنموذج نبوّات العهد القديم، ورغم هذه المنزلة

التي يحظى بها في الديانة اليهودية، إلا أن نصوص التوراة تصفه بصفات تقدح وتطعن في هذا المقام المقدّس، ومن أشنع وأفظع هذه الصفات التي نسبتها أسفار التوراة لموسى "سوء أدبه مع الله"، حيث يحكي سفر العدد عن هذا السلوك المخلّ بمنزلة موسى، والمسيء لمقامه كوسيط بين الله وخلقه، والذي يفترض أن يكون مثالا يحتذى في الأدب مع الرّب، جاء في السفر سالف الذكر ما نصّه "**فلما سمع موسى الشعب يبكون كلّ عشيرة على باب خيمتها، والرّب غاضب جدا، ساء ذلك موسى، فقال موسى للرّب: لماذا تسيء إلى عبدك؟ ولماذا لم أجد حظوة عندك حتى وضعت أثقال جميع هؤلاء الشعب علي؟ هل أنا الذي حبل بهؤلاء الشعب كلهم؟ أم هل أنا الذي ولدهم حتى تقول لي: احملهم في حضنك كما تحمل الحاضن الرضيع إلى الأرض التي أقسمت لآبائهم عليها؟ من أين لي لحم أعطيه لجميع هؤلاء الشعب، فهم يبكون أمامي، ويقولون: أعطنا لحما نأكله. لا أطيق أن أحمل هذا الشعب كلّه لأنه ثقيل علي**"[1].

وهذا النص يتحدّث صراحة عن صفة من الصفات الشنيعة والمذمومة التي اتّصف بها موسى، ألا وهي العتاب والتسخّط وعدم الرضا على أفعال الرّب، والتي تعبّر عن سوء أدب معه. فكيف لنبي مبلّغ لرسالة الله للبشر أن يتعامل مع ربّه بهذا السلوك السيء، وهذا الأسلوب البذيء!!!

وليس هذا فحسب، بل إننا نجد التوراة تنسب لموسى سلوكا آخر لا يقلّ بذاءة وفظاعة وشناعة عن هذا السلوك سيء الذكر، حيث تنسب إليه أسفار العهد القديم الوقوع في السرقة، جاء في سفر الخروج ما نصّه "**فحمل الشعب عجينهم قبل أن يختمر، فكانت معاجنهم مشدودة في ثيابهم على أكتافهم. وفعل بنو إسرائيل كما قال لهم موسى، فطلبوا من المصريين مصاغ فضة وذهب**

([1]) ـ سفر العدد: 10/11 ـ 14.

وثيابا، وأعطى الرّب الشعب حظوة عند المصريين فوهبوهم ما طلبوا. وهكذا سلبوا المصريين"[1].

فهذا النص لا ينسب السرقة لموسى فحسب، وإنما ينسب إليه دعوة قومه إلى السرقة، حين أمرهم بسرقة وسلب أموال وذهب ومتاع المصريين!!!

إن هذه الصفات الذميمة والأخلاق البذيئة التي تنسبها أسفار التوراة لموسى تعدّ إساءة بالغة للأنبياء، وتدنيسا فظيعا لقدسيتهم، وانتقاصا كبيرا من هيبتهم، وهي صفات لا تليق بمن يعتلي مقام النبوة، وما يعنيه من تبليغ لرسالة الله لخلقه.

ثانيا ـ النبي حبقوق: تنسب أسفار التوراة لهذا النبي في علاقته بربّه سلوكا من السلوكيات التي تتنافى مع مقام النبوة الذي يعتليه، ألا وهو التذمّر من الرّب، جاء في سفر حبقوق ما نصّه "**إلى متى يا رب أستغيث ولا تسمع؟ إلى متى أصرخ إليك من الجور ولا تخلّص؟**"[2].

وجاء في موضع آخر من نفس السفر "...**فكيف تصمت عندما يبتلع الشرّير من هو أبّر منه؟ ولماذا تعامل البشر كسمك البحر أو كحشرات لا قائد لها؟**"[3].

إن تذمّر النبي حبقوق من ربّه وتسخّطه منه لعدم استجابة دعائه وشكواه بنصّ هذا السفر، ينمّ عن سوء أدب يتنافى وطبيعة النبوة الإسرائيلية في احدى خصائصها المتمثّلة في الخضوع والتسليم للأوامر الإلهية دون تبرّم أو تسخّط. وإذا كان الأنبياء في اليهودية يتّصفون بمثل هكذا صفات وسلوكيات، فكيف يكون الحال يا ترى مع عامة الناس؟؟؟ لا شكّ أن هذا السلوك يعدّ مظهرا آخر من مظاهر ازدراء الأنبياء التي حفلت بها نصوص التوراة.

([1]) ـ سفر الخروج : 12/ 34 ـ 36.
([2]) ـ سفر حبقوق: 1/2.
([3]) ـ حب:1/ 13 ـ 14.

ثالثا ـ النبي هوشع: تصف أسفار التوراة هذا النبي بالوقوع في فضيحة أخلاقية مدوّية، وجريمة اجتماعية شنيعة، ألا وهي الزواج بامرأة بغي (تمتهن الزنا)، نزولا عند رغبة الرّب الذي أمره بذلك، جاء في سفر هوشع ما نصّه "**لما بدأ الرّب يتكلّم بلسان هوشع، قال الرّب لهوشع: خذ لك امرأة زنى وليكن لك منها أولاد زنى، لأن أهل الأرض كلهم يزنون في الخفية عني أنا الرّب. فذهب وأخذ جومر بنت دبلايم، فحبلت وولدت له ابنا...ثم حبلت جومر ثانية وولدت له بنتا**"[1].

وهكذا نرى كيف أن التوراة لا تجد حرجا في نسبة هذا الفعل المخلّ بالحياء إلى الأنبياء تحت ذريعة الالتزام بالأوامر الإلهية !!! ولا ندري أي أوامر إلهية هذه التي تقدّم الأنبياء في صورة "الشواذ"، ومقترفي الفضائح الأخلاقية، حيث لم يمنعهم مقامهم "المقدّس" من الوقوع في هذا الفعل الشنيع.

وإذا كان الأنبياء بهذا المستوى الأخلاقي الدنيء الذي يؤدّي إلى إفساد المجتمع وتدنيسه، فما الذي ننتظره من عامة البشر الذين يرون في الأنبياء قدوة وأسوة لهم، وأنموذجا للاقتداء والتأسي؟؟ هل ننتظر منهم مثلا الالتزام بوصايا الرّب التي تحرّم الزنا[2]؟؟ لا شكّ أن هذا يعدّ حطّا من مكانة الأنبياء، وانتقاصا من هيبتهم، وهو ما أدى إلى فتح الباب واسعا لغيرهم لاقتراف الذنوب والمعاصي تحت هذا المبرّر.

رابعا ـ نوح: يعد نوح ـ كما تحدثنا آنفا ـ من الآباء الذين يحظون بهالة من القداسة تضاهي منزلة الأنبياء في اليهودية، ورغم هذا المقام الذي يعتليه، إلا أن أسفار العهد القديم تصفه بأوصاف تحطّ من مقامه المقدّس، حيث ينسب إليه سفر التكوين الوقوع في شرب الخمر إلى حدّ السكر، وهو ما أدّى به إلى التجرّد من ثيابه، ولعن حفيده كنعان (ابن ابنه حام)، جاء في هذا السفر ما نصّه "**وكان**

(1) ـ سفر هوشع: 1/ 1 ـ 6. وقد جاءت تفاصيل القصة في مواضع عدة من نفس السفر. ينظر: 2/ 1 ـ 7. 3/ 1 ـ 5.
(2) ـ حيث جاء تحريم الزنا في الوصايا العشر (سفر الخروج:14/20) "**لاتزن**".

نوح أول فلاح غرس كرما. وشرب نوح من الخمر فسكر وتعرّى في خيمته. فرأى حام أبو كنعان عورة أبيه، فأخبر أبويه وهما خارجا. فأخذ سام ويافث ثوبا وألقياه على أكتافهما ومشيا إلى الوراء ليسترا عورة أبيهما، وكان وجهاهما إلى الخلف، فما أبصرا عورة أبيهما. فلما أفاق نوح من سكره علم بما فعل به ابنه الصغير، فقال ملعون كنعان، عبدا ذليلا يكون لإخوته..."[1].

وهذا النص ينسب عدّة صفات شنيعة لنوح، وهي:

1 ـ شرب الخمر بإرادته، ووصوله إلى حدّ السكر

2 ـ تجرّده من الثياب، وهذا بسبب فقدان عقله ورشده نتيجة السكر

3 ـ لعن حفيده كنعان ابن ابنه حام الذي لم يولد بعد، ولا علاقة له بهذه الحادثة!!!

ولا ندري كيف تتحدّث التوراة عن شخصية من الشخصيات المقدّسة لديها بحجم نوح بهذا الازدراء والإهانة، وتنسب له كل هذه الفضائح والفظائع الشنيعة التي يترفّع عنها آحاد الناس.

ثم إن نسبة اللعن لنوح حين لعن حفيده كنعان فيه ظلم كبير[2]، إذ كيف لنوح أن يلعن ابن ابنه ولا يلعن ابنه الذي رأى عورته!! إن هذا اللعن يعدّ ظلما بنصّ التوراة التي نصّت على عدم مؤاخذة الابن بجريرة أبيه، جاء في سفر التثنية ما نصّه "**لا يقتل الآباء بخطيئة البنين، ولا يقتل البنون بخطيئة الآباء. بل كلّ إنسان بخطيئته يقتل**"[3]. ثمّ لماذا تخصيص كنعان باللعن دون سائر إخوته[4]؟ وهب أن حام بن نوح أطغى من فرعون، فما ذنب كنعان وأولاده؟ وهب أن سام ابن نوح

([1]) ـ سفر التكوين: 20/9 ـ 26.

([2]) ـ وهذه صفة أخرى من الصفات الذميمة التي ألصقتها التوراة بنوح.

([3]) ـ سفر التثنية:16/24.

([4]) ـ وقد تحدّث سفر التكوين (6/10) عن اخوة كنعان وهم: كوش ومصرايم وفوط.

خير خلق الله، ألم يجد الواضع ما يكافئه به إلا أن يخصّ اليهود فقط من بين ذرّيته بهذه الغنيمة المهداة إليهم، وهي عبودية كنعان وأولاده[1]؟؟؟

إن الإساءة إلى نوح من خلال هذه القصة التي نسجها كتّاب العهد القديم، والتي بدأت بالسكر وانتهت باللعن كانت لها أغراض وأبعاد أخرى أبعد من تدنيس شخصية نوح المقدّسة، ويمكن إجمال هذه الأبعاد فيما يلي:

أ/ اثبات تميّز اليهود على غيرهم من الأمم والأعراق الأخرى، وإثبات عداوتهم للعرب الذين يعتبر كنعان سلالتهم وجدّهم الأعلى قبل إسماعيل (عليه السلام)، حيث تحدّث سفر التكوين في نهاية قصة سكر نوح عن مباركة الرّب لسام الذي ينحدر منه اليهود، في مقابل لعن كنعان الذي ينحدر منه العرب، وبالتالي فإن اليهود يعتبرون أنفسهم سادة، لأن الرّب بارك أباهم، والفلسطينيون في أرض كنعان عبيد لهم، لأنهم أبناء كنعان الملعون[2]!!!

ب/ التأكيد على أحقّيتهم بأرض فلسطين، حيث يعتبر اليهود بأن هذه القصة فيها إشارة صريحة وواضحة بأن الكنعانيين (سكان فلسطين) يكونون عبيدا للساميين (اليهود)، وأن هذا الحق كان تأكيده من طرف مرجع هام لدى المسلمين والمسيحيين واليهود وهو نوح[3]، وهذا حتى يبرّروا ويشرعنوا استيلاءهم على أرض فلسطين.

وهكذا نرى بأن ازدراء نصوص العهد القديم لنوح لم يكن لذاته، وإنّما وظّف للتأكيد على عقيدة اليهود العنصرية المتمثّلة في اصطفاء سلالتهم على بقيّة السلالات البشرية، وللتأكيد على أحقّيتهم في أرض فلسطين. إلا أن هذه القصة لم تكن جيّدة الحبك من طرف ناسجيها، فالملعون في القصة

([1]) ـ عبد الوهاب طويلة: توراة اليهود والإمام ابن حزم الأندلسي، دار القلم ـ دمشق، ص 231.

([2]) ـ صلاح عبد الفتاح الخالدي: سفر التكوين في ميزان القرآن الكريم، ط1: 2004، دار العلوم ـ عمان، ص 124.

([3]) ـ محمد الخولي: اليهود من كتابهم، ط1: 1998، دار الفلاح ـ عمان، ص 16.

بريء تماما لسبب بسيط، وهو أنه لم يخلق، ولم يخرج إلى الوجود وقت اللعن، فلا تقع اللعنة على بريء، ولا على غير كائن[1].

خامسا ـ داود: يعتبر داود من الملوك الذين يحظون بمنزلة مقدّسة في الديانة اليهودية، إلا أن أسفار العهد القديم جرّدته من صفة القداسة حينما وصفته بأبشع الأوصاف والنعوت في نسله وشخصه، ويمكن إجمال هذه الإساءة التي تعرّض لها داود في أسفار العهد القديم في المظاهر الآتية:

1 ـ الطعن في نسبه ونسله: وذلك من جانبين:

أ/ جعل داود من نسل الزنا: تتحدّث أسفار العهد القديم من أن النبي يهوذا وقع في جريمة الفاحشة مع زوجة ابنه (تامار) التي أنجبت منه ولدين هما: فارص وزارح، وقد جاء داود من نسل فارص. جاء في سفر التكوين في الحديث عن زواج يهوذا بتامار ما نصّه "...**وقيل لتامار: ها حموك صاعد إلى تمنة لجزّ غنمه، فخلعت ثياب ترمّلها وتغطّت بالبرقع واستترت وجلست في مدخل عينايم على طريق تمنة. فعلت ذلك لأنها رأت أن شيلا ابن يهوذا كبر ولم تزوّج به، فرآها يهوذا فحسبها زانية لأنها كانت تغطّي وجهها، فمال إليها في الطريق وقال لها: تعالي أدخل عليك، وكان لا يعلم أنها كنّته. فقالت: ماذا تعطيني حتى تدخل عليّ؟ قال: أرسل لك جديا من الماشية...فأعطاها ودخل عليها، فحبلت منه...ولما جاء وقت ولادتها كان في بطنها توأمان. وبينما هي تلد أخرج أحدّ التوأمين يده، فأمسكتها القابلة وعقدت عليها خيطا قرمزيا، وقالت: هذا خرج أولا. فلمّا ردّ يده خرج أخوه فقالت: لماذا قطعت الخيط؟ عليك القطيعة. فسمّس فارص. ثمّ خرج أخوه وعلى يده خيط القرمز، فسمّي زارح**"[2].

([1]) ـ محمد الخولي: اليهود من كتابهم، مرجع سابق، ص 17.

([2]) ـ سفر التكوين:12/38 ـ 30.

وهكذا نرى بأن علاقة النبي يهوذا غير الشرعية بكنّته (تامار) قد أثمرت أبناء زنى، ومنهم فارص الذي جاء من نسله داود، وذلك كما في سفر أخبار الأيام الأول تحت عنوان (نسب داود) " **وابنا فارص: حصرون وحامول...وبنو حصرون: يرحمئيل ورام وكلوباي. ومن رام إلى يسّي: عمّيناداب ونحشون رئيس بني يهوذا وسلمو وبوعز وعوبيد ويسّى. ويسّى ولد سبعة بنين، هم حسب أعمارهم: ألياب وأبيناداب وشمعا ونثنئيل وردّاي وأوصم وداود**"[1]. وبهذا تسيء التوراة إلى داود غاية الإساءة حينما تطعن في نسبه، وتجعل من فارص المخلوق من زنى يهوذا مع تامار جدّا له!!!

ب/ جعل نسل داود من امرأة موآبية: يتحدّث سفر راعوث من أن الجدّ الثاني لداود تزوّج امرأة موآبية واسمها (راعوث)، جاء في سفر راعوث ما نصّه "**فصارت راعوث زوجة لبوعز...**"[2]. وبذلك فإن راعوث هي جدّة لداود. ويعتبر الموآبيون[3] في نظر اليهود من نسل احدى ابنتي لوط من الزنا[4]، جاء في سفر التكوين ما نصّه "**فحملت ابنتا لوط من أبيهما، فولدت الكبرى ابنا وسمّته موآب، وهو أبو الموآبيين إلى اليوم**"[5].

وهكذا نرى كيف أن التوراة تسيء إلى داود من خلال اتّهامها له في نسبه ونسله، وتجعل منه شخصا لا علاقة له بالسلالة اليهودية، بناء على جدّته لأمّه التي كانت من بني موآب، ذلك أن اليهودية

([1]) ـ سفر أخبار الأيام الأول:3/2 ـ 15. سفر راعوث:19/4 ـ 22.

([2]) ـ سفر راعوث:13/4.

([3]) ـ موآب: اسم سامي معناه "من أبوه"، وهو ـ بزعمهم ـ بكر ابنة لوط من أبيها، وهو أبو الموآبيين، وأرض الموآبيين يقابلها القسم الشرقي من البحر الميت لمملكة الأردن. ينظر: قاموس الكتاب المقدّس، ص 927.

([4]) ـ لقد كان الغرض من إساءة اليهود إلى لوط، حينما نسبوا إليه وقوعه في زنا المحارم، هو تبرير كراهية بني إسرائيل للموآبيين والعمّونيين (ابنا ابنتي لوط من الزنا)، وتشويه كرامتهم، وذلك بإلصاق تهمة الزنا بهذين الشعبين، حتى ولو كان ذلك على حساب اتّهام الأنبياء في أعراضهم وشرفهم !!! ذلك أن الغاية تبرّر الوسيلة عند اليهود.

([5]) ـ سفر التكوين: 36/19 ـ 37.

تعتبر اليهودي الخالص من كان من أم يهودية، وهو ما لا ينطبق على داود، وهذا بالرغم من كونه أحد الرجال العظماء في مرحلة الآباء الأوائل، وملكا من الملوك الكبار الذين كانت لهم بصمة واضحة في تاريخ بني إسرائيل[1].

2 ـ الطعن في شخص داود: وهذا من خلال نسبة الكثير من الصفات الشنيعة إليه مباشرة، وهي الصفات التي دنّست شرفه وطهره، وصوّرت بيته على أنه بيت زنا وفجور وانحلال، ومن ذلك:

أ/ الطعن في شرفه: وهذا من خلال ما جاء في قصة زواجه بامرأة متزوّجة، فقد جاء في سفر صموئيل الثاني في قصة الصراع بين داود وشاول، وانتصار داود عليه ما نصّه "**فأجاب داود: حسن أتّفق معك، ولكني أطلب منك أن تأتي بميكال ابنة شاول متى جئت لتراني. وأرسل داود إلى إيشبوشت بن شاول يقول: ردّ لي زوجتي ميكال التي أخذتها بمئة غلفة من الفلسطيّين. فأرسل إيشبوشت واستردّها من عند زوجها فلطيئيل بن لايش فرافقها زوجها وهو يبكي إلى بحوريم. فقال له أبنير: ارجع فرجع** "[2]. وهذا النص يتحدّث عن زواج داود بامرأة متزوّجة (ميكال) بعد أن هزم أباها (شاول).

ب/ الطعن في شرفه من خلال قصة خيانة جاره الغائب، حيث يذكر سفر صموئيل الثاني استغلال داود غياب جاره وأحد قوّاده واستفراده بزوجته وممارسة الزنا معها، جاء في هذا السفر ما نصّه "**وعند المساء قام داود وتمشّى على سطح القصر، فرأى على السطح امرأة تستحمّ وكانت جميلة جدا. فسأل عنها، فقيل له: هذه بتشابع بنت أليعام زوجة أوريّا الحثّي. فأرسل إليها**

([1]) ـ ينظر تفصيل نسب داود وما يترتّب عليه: صابر طعيمة: التاريخ اليهودي العام، دار الجيل ـ بيروت، ط3: 19991، ج1، ص 187 وما بعدها.

([2]) ـ سفر صموئيل الثاني:12/3 ـ 16.

رسلا عادوا بها وكانت اغتسلت وتطهّرت، فدخل عليها ونام معها، ثم رجعت إلى بيتها، وحين أحسّت أنها حبلى أعلمته بذلك "[1].

ج/ اتّهامه بقتل الأبرياء: وذلك حينما تخلّص من زوج المرأة التي مارس معها الزنا، جاء في السفر نفسه "**فلمّا طلع الصباح كتب داود إلى يوآب مكتوبا وأرسله بيد أوريا يقول فيه: وجّهوا أوريا إلى حيث يكون القتال شديدا، وارجعوا من ورائه فيضربه العدو ويموت...فذهب الرسول إلى داود وأخبره بجميع ما أمره به يوآب، وقال لداود: قوي علينا الأعداء وخرجوا لقتالنا في البرّيّة، فطاردناهم إلى باب المدينة، فرمانا العدوّ بالسهام من فوق السور، فمات البعض من قادة الملك، وقتل أيضا عبدك أوريا الحثّي**"[2].

د/ النيل من أهل بيته: حيث صوّرت أسفار العهد القديم بيته تصويرا مقزّزا، وذلك من خلال اتّهامها لابنه (أمنون) بارتكاب الزنا مع أخته (تامار)، وعدم اعتراض داود على ذلك، جاء في سفر صموئيل الثاني ما نصّه "...**فقال أمنون لتامار أدخلي الطعام إلى غرفتي فآكل من يديك. فأخذت تامار الكعك وجاءت به إلى أمنون أخيها في غرفته. وقدّمت له ليأكل فأمسكها وقال: تعالي نامي معي يا أختي. فقالت له: لا تغضبني يا أخي، هذه فاحشة لا يفعلها أبناء إسرائيل، فلا تفعلها أنت. فأنا أين أذهب بعاري؟ وأنت ألا تكون واحدا من السفهاء في إسرائيل، فكلّم الملك، فهو لا يمنعني عنك. فرفض أن يسمع لكلامها، وهجم عليها واغتصبها...وسمع داود الملك بكلّ ما جرى، فغضب جدا لكن لم يشأ أذيّة ابنه أمنون، لأنه**

([1]) ـ 2صم: 11/ 2 ـ 5.
([2]) ـ 2صم: 11/ 14 ـ 24.

كان يحبّه، فهو ابنه البكر"[1]. فعدم اعتراض داود على هذا الجرم الفظيع الذي وقع في بيته تجعل منه متّصفا بخلق الدياثة بحسب هذا النص!!!

وهكذا نرى كيف جرّدت التوراة داود من كلّ فضيلة، وطعنت في نسله ونسبه ابتداء، ثمّ نسبت إليه بعد ذلك الكثير من الرذائل من زنا وخيانة الجار، وقتل الأبرياء، ودياثة، وهو ما جعله أقرب إلى الشواذ منه إلى الإنسان السويّ، فضلا عمّن تولى الملك والحكم، وكان له أثر في تاريخ بني إسرائيل، وحظي بهالة من القداسة عند اليهود، إلا أن هذه المكانة تدنّست بفعل هذه الأوصاف الذميمة، والنعوت الشنيعة التي طالت نسبه وشخصه ولم يسلم منها حتى أهل بيته!!!

هكذا تصوّر التوراة الأنبياء أشخاصا منغمسين في الرذائل من قتل وسرقة وكذب وسكر وزنا وغش وخداع وخيانة ودياثة... لا يردعهم دين ولا عقل، ولا يمنعهم مقام النبوة والرسالة من الاتّصاف بهذا الكمّ الفظيع من الرذائل.

هذا وقد برّر اليهود هذه الأفعال بجوازها في حقّ الأنبياء، فهم وسائر البشر سواء في ذلك، أي أنه يجوز على الأنبياء معصية الله في الكبائر والصغائر من الذنوب، فهم غير معصومين من الخطأ والخطيئة، باستثناء الكذب في التبليغ فقط[2]، مستدلّين على ذلك بنصوص منها، ما جاء في سفر الملوك "**وإذا خطئوا إليك، كان لا بدّ أن يخطأ كلّ إنسان**"[3]، وكذلك ما جاء في سفر المزامير "**وأنا في الإثم ولدت، وفي الخطيئة حبلت بي أمي**"[4].

([1]) ـ سفر صموئيل الثاني: 13/ 10 ـ 21.

([2]) ـ محمد عزت الطهطاوي: الميزان في مقارنة الأديان، دار القلم ـ دمشق، 1994، ص 338 ـ 339.

([3]) ـ سفر الملوك الأول:46/8.

([4]) ـ سفر مزمور:3/13.

وهذه النصوص التي يستدلّ بها اليهود في تبريرهم لأخطاء وخطايا الأنبياء، وانحرافاتهم السلوكية والعقدية، والتي جرّدتهم من صفة العصمة قد أدّت في نهاية المطاف إلى تدنيس مقام النبوة، وجعلت الأنبياء بلا هيبة وبلا قدسية، لا فرق بينهم وبين سائر البشر!!!

ومن هنا فإنه لا معنى لتلك النصوص التي تضفي على الأنبياء هالة من القداسة والعظمة، من خلال تصويرهم كوسطاء بين الرّب والشعب، وبيان وظيفتهم "المقدّسة"، وما تعنيه من تفسير لوحي السماء، وتبليغ رسالة الله للبشر[1]، لأن هذه القداسة تكون ـ حينئذ ـ قد تدنّست بفعل التبرير الذي ينزع عنهم صفة العصمة، ويلصق بهم الفساد العقدي والانحراف الأخلاقي.

المطلب الثاني ـ مخالفة الأنبياء لرسالتهم: إن المتتبّع لسلوكيات الأنبياء في أسفار العهد القديم يجد أنها تتعارض مع الوظيفة الحقيقية لهم، وتتناقض مع جوهر رسالتهم التي جاءوا لتبليغها للبشر، ودعوة الناس إليها، وقد بيّنا في المبحث الثالث من هذا الفصل بأن جوهر وظيفة الأنبياء يكمن في تبليغ وصايا الرّب للبشر، على اعتبار أن النبي ـ بتعبير سيجال ـ هو "فم الله" أمام الشعب الذي يُسمعه كلام الله، الذي سمعه في رؤيا النبوة، وهو كذلك "فم الشعب" أمام الله[2]. جاء في سفر التثنية في خطاب موسى لبني إسرائيل مذكّرا إياهم بضرورة الالتزام بوصايا الرّب (أوامر، نواهي، تعاليم...) ما نصّه "**وقال موسى ومعه الكهنة اللاويون لجميع بني إسرائيل: أصغوا واسمعوا يا بني إسرائيل، أنتم اليوم صرتم شعبا للرّب إلهكم، فاسمعوا كلامه واعملوا بوصاياه وفرائضه التي أنا آمركم بها اليوم**"[3].

([1]) ـ يتحدّث متى المسكين في كتابه (النبوة والأنبياء، ص 19) عن قداسة الأنبياء، ويرى بأن صفة القدسية حازها الأنبياء بسبب اختيارهم من طرف الرّب القدّوس، من أجل معرفته وسماعه وتوصيل رسالته للشعب. إلا أن هذه القدسية التي يتحدّث عنها متى المسكين تدنّست بفعل الفضائح الفظيعة التي نسبها كتّاب العهد القديم للأنبياء.

([2]) ـ م.ص.سيجال: حول تاريخ الأنبياء عند بني إسرائيل، مرجع سابق، ص 71.

([3]) ـ سفر التثنية: 27/ 9 ـ 10.

وفي مقابل الدعوة إلى الالتزام بتعاليم الرّب، نجد النبي موسى في موضع آخر من هذا السفر يحذّر قومه من عاقبة مخالفة وصاياه ""**وإن لم تسمعوا كلام الرّب إلهكم وتحفظوا وصاياه وفرائضه التي أنا آمركم بها اليوم وتعملوا بها، تحلّ عليكم هذه اللعنات كلّها وتشملكم**"[1]. وكذلك كانت دعوة غيره من الأنبياء، الذين كان تبليغ وصايا الرّب للشعب الإسرائيلي القاسم المشترك بينهم[2]، والذي يمثّل أساس رسالتهم، وجوهر وظيفتهم. إلا أن سلوكيات الأنبياء التي أوردتها أسفار العهد القديم تتناقض مع صميم مهمّتهم، وروح وظيفتهم، وهو ما يعتبر مظهرا آخر ـ إضافة إلى تجريدهم من العصمة ـ من مظاهر إساءة اليهودية للأنبياء. ويمكن إبراز أوجه التناقض بين رسالة الأنبياء وسلوكياتهم في الصفات الآتية:

أولا ـ الشرك: وهو من السلوكيات التي حرّمتها الشريعة اليهودية وجاءت لإزالتها من نفوس الشعب الإسرائيلي، جاء في سفر التثنية في تحذير موسى لبني إسرائيل من الشرك وعبادة الأصنام، وضرورة عبادة الله الواحد، ما نصّه "**والرّب أراكم ذلك كلّه لتعلموا أنّه هو الإله ولا إله سواه...فاعلموا الآن وردّدوا في قلوبكم أن الرّب هو الإله في السماء من فوق، وفي الأرض من أسفل، ولا إله سواه، واحفظوا سننه ووصاياه التي أنا آمركم بها اليوم**"[3].

كما جاء التحذير من الشرك في الوصايا العشر[4] التي تعتبر جوهر الديانة اليهودية "**وتكلّم الرّب فقال:أنا الرّب إلهك الذي أخرجك من أرض مصر، من دار العبودية. لا يكن لك آلهة سواي.**

([1]) ـ سفر التثنية:15/28.

([2]) ـ ينظر المطلب الأول من المبحث الثالث في هذا الفصل.

([3]) ـ ت:4/ 16، 23، 35 ـ 40.

([4]) ـ الوصايا العشر: هي مجموعة من القوانين اليهودية التي تشكّل دستور الشريعة اليهودية، وهي في نظر بني إسرائيل بمثابة الكنز الشامل لفلسفتهم وثقافتهم. وبالرغم من أن اشتمال هذه الوصايا الروحية على أكثر من عشر وصايا، إلا أنهم أطلقوا عليها الوصايا العشر، لأن الرقم عشرة كان عندهم ذو شأن، وارتبط بعدّة قضايا دينية. ينظر: رشاد الشامي: الوصايا العشر في اليهودية(دراسة مقارنة في المسيحية والإسلام)، دار الزهراء ـ القاهرة، 1993، ص 11 ـ 12.

لا تصنع لك تمثالا منحوتا ولا صورة شيء مما في السماء من فوق، ولا مما في الأرض من تحت، ولا مما في المياه من تحت الأرض، لا تسجد لها ولا تعبدها..."[1].

ورغم هذه النصوص الصريحة التي وردت في الوصايا العشر، والتي تحرّم وتحذّر من الشرك والوثنية، إلا أن أسفار العهد القديم تنسب للأنبياء السقوط في واد الشرك، من خلال عبادتهم للأصنام والأوثان، في مخالفة صريحة لشريعة الرّب، وتناقض صريح مع أساس دعوتهم، وروح رسالتهم، والتي تهدف ـ كما رأينا ـ إلى دعوة الناس إلى التوحيد الخالص، وتحذيرهم من الشرك والانحراف والضلال. ومن هؤلاء الأنبياء:

1 ـ موسى: تنسب التوراة لموسى الوقوع في الوثنية، وذلك حينما صنع حيّة من نحاس وعبدها وعظّمها، حيث جاء في سفر الملوك الثاني ما نصّه "**وعمل القويم في نظر الرّب كجدّه داود. وأزال معابد الأوثان على المرتفعات، وحطّم الأنصاب، وقطع تماثيل أشيرة، وسحق حيّة النحاس التي صنعها موسى، لأن بني إسرائيل كانوا إلى تلك الأيام يحرقون البخور لها، وسمّوها نحشتان**"[2]. وهذا النص يتحدّث عن حرص أحد ملوك بني إسرائيل على شعبه، أشد من حرص النبي موسى نفسه، الذي يزعم هذا النص وقوعه في الشرك!!!

2 ـ هارون: وهو الذي دعا بني إسرائيل ـ كما تزعم التوراة ـ إلى عبادة وتقديس العجل الذي صنعه لهم، جاء في سفر الخروج ما نصّه " **ولما رأى الشعب أن موسى أبطأ في النزول من الجبل اجتمعوا على هررون وقالوا له:قم اصنع لنا آلهة تسير أمامنا. فهذا الرجل موسى الذي أخرجنا من أرض مصر لا نعرف ماذا أصابه. فقال لهم هرون: انزعوا حلق الذهب التي في آذان نسائكم وبنيكم وبناتكم وجيئوني بها. فنزع جميع الشعب حلق الذهب التي في آذان نسائهم**

([1]) ـ سفر الخروج:1/20 ـ 5. ينظر أيضا: سفر التثنية:5/ 6 ـ 9.

([2]) ـ سفر الملوك الثاني: 3/18 ـ 4.

وجاؤوا بها إلى هرون. فأخذها من أيديهم وأذابها وسكبها في صنم على صورة عجل. فقال الشعب: هذه آلهتكم يا بني إسرائيل، آلهتكم التي أخرجتكم من أرض مصر. فلما رأى هرون ذلك بنى أمام الصنم مذبحا، ونادى وقال: غدا عيد للرّب. فبكّروا في الصباح وأصعدوا محرقات وقدّموا ذبائح سلامة وجلسوا يأكلون ويشربون ثمّ قاموا يمرحون"[1].

وهكذا نرى كيف تصف التوراة نبي الله هارون بصفة الكفر والشرك، من خلال صنع الأوثان وعبادتها، وأكثر من ذلك دعوة قومه لتقديسها، وهو الأمر الذي جاء الأنبياء جميعا لمحاربته، في تناقض صارخ بين رسالة الأنبياء وسلوكياتهم!!! وهو ما يعدّ إساءة لهم. فكيف يأتي النبي بفعل، ويقع في سلوك جاء لبيان حرمته وضرره وخطره على الفرد والمجتمع!!! لا شك أن هذا الأمر ـ إضافة إلى أنه إساءة للأنبياء ـ يعدّ من التناقضات الكثيرة التي وقعت فيها التوراة.

3 ـ سليمان: تنسب أسفار التوراة إلى سليمان وقوعه في انحراف عقدي يتمثّل في ميله إلى عبادة الأوثان، جاء في سفر الملوك الأول ما نصّه "**وأحب سليمان فضلا عن ابنة فرعون نساءً غريبات من الموآبيين والعمونيين والأدوميين والصيدونيين والحثّيين، ومن الأمم التي عناها الرّب في قوله لبني إسرائيل: لا تختلطوا بهم ولا يختلطوا بكم.فهم يميلون بقلوبكم إلى آلهتهم. فتعلّق بهن سليمان حبّا. وكان له سبع مئة زوجة من الأميرات وثلاث مئة جارية، فأزاغت نساؤه قلبه. وفي زمن شيخوخته مالت زوجاته بقلبه إلى آلهة غريبة، فلم يكن قلبه مخلصا للرّب إلهه كما قلب أبيه داود. وتبع سليمان عشتروت إله الصيدونيين، وملكوم إله بني عمون. وفعل الشّر أمام عيني الرّب، ولم يتبع الرّب بكلّ قلبه مثل داود أبيه. وبنى في الجبل الذي قبالة أورشليم**

([1]) ـ سفر الخروج: 1/32 ـ 6.

معبدا لكموش إله موآب، ولمولك إله بني عمون. وكذلك بنى معابد لآلهة جميع نسائه الغريبات حتى يحرقن البخور ويقدّمن الذبائح لها "[1].

وهذا النص يتحدّث عن سقوط سليمان في الشرك، وميله لعبادة الأوثان والآلهة الأخرى، بفعل نسائه اللاتي دفعنه إلى ذلك، ويذكر قاموس الكتاب المقدّس أن ذلك كان في السنوات الأخيرة من حكمه، حيث بدأ بتعدّد الزوجات، وحبّه لنساء كثيرة غريبة، فكان له سبعمائة من الزوجات وثلاثمائة من السراري، فأملن قلبه إلى الآلهة الغريبة، حتى بنى أماكن لعبادة الأوثان إرضاءً لهن، فغضب الرّب عليه، وهدّده بتمزيق المملكة عنه، وأقام له خصوما[2]، وهو ما يعدّ انتهاكا لحرمة تعاليم الشريعة التي لا تجد التوراة حرجا في نسبتها لسليمان الذي يحظى بمنزلة "رفيعة" لدى الرّب[3]، وأي شيء أكبر جرما عند الله من الشرك به، وعبادة الأوثان من أجل حبّ الشهوات الفاسدة[4]!!!

هذا هو حال الأنبياء ومن لهم منزلة "مقدّسة" كما تصوّرهم التوراة في علاقتهم بالله، وهي العلاقة التي تتناقض مع المقصد من بعثتهم للبشر، من تصحيح للمعتقدات الفاسدة، وإزالة ما علق بها من أدران الشرك والوثنية، إلا أن أنبياء التوراة اتّصفوا بما بعثوا لإزالته من قلوب ونفوس البشر!!!

ثانيا ـ القتل: وهو من الصفات التي ألصقتها التوراة بالأنبياء، بالرغم من وجود نصوص تحرّم القتل وتجرّمه،[5] ومن ذلك ماورد في الوصايا العشر "**لا تقتل**"[6]. وإذا كان هذا النص صريحا في بيان

([1]) ـ سفر الملوك الأول: 11/ 1 ـ 8.

([2]) ـ نخبة من اللاهوتيين: قاموس الكتاب المقدّس، ص 483.

([3]) ـ وهي المنزلة التي تحدّثت عنها أسفار العهد القديم في أكثر من نص. ينظر: سفر أخبار الأيام الثاني:1/1.

([4]) ـ عبد الرحمن الجزيري: أدلة اليقين في الرّد على كتاب ميزان الحق وغيره من مطاعن المبشّرين المسيحيين في الإسلام، مطبة رشاد ـ القاهرة، ط1: 1934، ص 454.

([5]) ـ تعتبر اليهودية انتهاك حرمة الشريعة، ومخالفة أوامرها، وارتكاب القباحات جريمة من الجرائم، ويطلق عليها اسم النجاسة. ينظر: موسى بن ميمون: دلالة الحائرين، مرجع سابق، ص 603.

([6]) ـ سفر الخروج:13/20. سفر التثنية:24/27.

حرمة القتل، إلا أننا نجد أسفار العهد القديم امتلأت بالنصوص التي تنسب للكثير من الأنبياء ما يخالف هذه الوصية التي جاءوا بها من عند الله، فتصوّرهم في صورة المنتهك لهذا المحظور، ومن هؤلاء الأنبياء:

1 ـ موسى: حيث تصفه التوراة بالوحشية، والتعطّش لسفك الدماء، والتحمّس لقتل الأبرياء، بل والإسراف في ذلك، جاء في سفر العدد في قصة حرب بني إسرائيل مع قوم مديان، وقتلهم لكلّ ذكر فيها، وسبيهم للنساء والأطفال، ونهبهم للممتلكات، وإحراقهم للمدن بأمر من موسى، ما نصّه " **فأرسلهم موسى للحرب...فقاتلوا مديان، كما أمر الرّب موسى، وقتلوا كلّ ذكر...وسبى بنو إسرائيل نساء مديان وأطفالهم، وجميع بهائمهم ومواشيهم، وغنموا ممتلكاتهم، وأحرقوا بالنار جميع مدنهم بمساكنها وقصورها...فخرج موسى وألعازار الكاهن وكلّ رؤساء الجماعة لملاقاتهم إلى خارج المحلّة، فغضب موسى على رؤساء قادة الجيش، قادة الألوف، وقادة المئات القادمين من الحرب، وقال لهم موسى:لماذا أبقيتم الإناث كلّهن على قيد الحياة؟ فالآن أقتلوا كلّ ذكر من الأطفال، وكلّ امرأة ضاجعت رجلا...**"[1].

كما نجد هذه الوحشية التي اتّصف بها موسى في سفر التثنية، حينما أمر جنده بإبادة كلّ الذكور في كلّ المدن التي يمرّون عليها، جاء فيه ما نصّه "**وإذا اقتربتم من مدينة لتحاربوها فأعرضوا عليها السّلم أولا، فإذا استسلمت وفتحت لكم أبوابها، فجميع سكانها يكونون لكم تحت الجزية ويخدمونكم، وإن لم تسالمكم، بل حاربتكم فحاصرتموها، فأسلمها الرّب إلهكم إلى أيديكم، فاضربوا كلّ ذكر فيها بحدّ السيف...هكذا تفعلون بجميع المدن البعيدة منكم جدا، التي لا تخصّ هؤلاء الأمم هنا. وأما مدن هؤلاء الأمم التي يعطيها لكم الرّب إلهكم ملكا، فلا تبقوا**

([1]) ـ سفر العدد:6/31 ـ 17.

أحدا منها حيّا، بل تحلّلون إبادتهم، وهم الحثّيون والأموريون والكنعانيون والفرّزيّون والحوّيون واليبوسيون.. "[1].

هكذا تصوّر التوراة النبي موسى: وحشية، وظلم، وقتل أبرياء، وسفك للدماء... مما يوحي للقارئ بأن لا صلة له بالنبوة، وما تعنيه من حلم، ورفق، ورحمة بالخلق، ورأفة بهم.

2 ـ يشوع[2]: وهو من أنبياء بني إسرائيل الذين ألصقت بهم التوراة صفة الهمجية والوحشية التي لم يسلم منها لا الإنسان ولا الحيوان ولا الممتلكات، جاء في سفر يشوع ما نصّه "**ولما انتهى بنو إسرائيل من قتل جميع سكان عاي في البرّية حيث طاردوهم، وأسقطوهم بحدّ السيف عن آخرهم، رجعوا إلى عاي وقضوا أيضا على من فيها بحدّ السيف. وكان عدد القتلى في ذلك اليوم من رجال ونساء اثني عشر ألفا، وهم جميع أهل عاي. ولم يردّ يشوع يده التي مدّها بالحربة حتى هلك جميع سكان عاي. أما البهائم والغنائم فأخذها بنو إسرائيل لأنفسهم حسبما أمرهم الرّب يشوع**"[3].

كما جاء في قصة أخرى من نفس السفر ما يؤكّد سريان هذه الصفة في نفس النبي يشوع الذي ما دخل مدينة إلا وأباد أهلها، ولم يبق فيها نفسا "**واحتلّ يشوع في ذلك اليوم مقّيدة وضربها بحدّ السيف، وقتل ملكها. وكلّ نفس فيها ولم يبق فيها باقيا، وفعل بملكها كما فعل بملك أريحا. ثم اجتاز يشوع ورجاله من مقّيدة إلى لبنة وحاربها. فأسلمها الرّب أيضا إلى أيدي بني إسرائيل**

([1]) ـ سفر التثنية:10/20 ـ 17.

([2]) ـ يشوع: اسم عبري معناه (يهوه خلاص)، نبي من أنبياء العهد القديم، وهو خليفة النبي موسى بعد وفاته، وابن نون من سبط أفرايم. اقترن اسمه في العهد القديم(سفر يشوع) بالحروب والمعارك والقتل وسفك الدماء. ينظر: قاموس الكتاب المقدّس، ص 710 ـ 713.

([3]) ـ سفر يشوع:24/8 ـ 28.

هي وملكها، فضربوها بحدّ السيف وقتلوا كلّ نفس فيها، ولم يبقوا فيها باقيا، وفعلوا بملكها كما فعلوا بملك أريحا... "[1].

هكذا يتحدّث سفر يشوع عن الدموية التي يتّصف بها هذا النبي، وعن حياته المليئة بالحروب والقتل وسفك الدماء، وكأن هذا النبي لم يخلق إلا لذلك!!!

وهذه الوحشية والهمجية التي اتّصف بها النبي يشوع ـ كما يزعم سفره ـ شملت الجموع الهائلة من أهل المدن، فلم تقتصر على الرجال، بل تعدّتها إلى النساء والأطفال، مما يجعل القارئ يتساءل: هل نحن أمام نبي من الأنبياء مبلّغ لوحي السماء؟ أم أمام سفاح من السفّاحين، وأحد قطّاع الطرق، الذين نزعت الرحمة من قلوبهم؟

هكذا تصوّر التوراة الأنبياء بهذه الصفات الوحشية، والسلوكيات الهمجية التي تنمّ عن مدى استخفافهم واستهانتهم بالنفس البشرية، في تناقض صارخ وصريح مع التوراة نفسها، التي جاءت نصوصها محرّمة للقتل ـ كما مرّ معنا ـ ومبيّنة لقدسية النفس البشرية التي تتناسب ـ حسب التصور التوراتي للإنسان والكون ـ والصورة الإلهية التي خلق الله الإنسان عليها، جاء في سفر التكوين "**وعن دم كلّ إنسان أطلب حسابا من أخيه الإنسان. من سفك دم إنسان يسفك الإنسان دمه، فعلى صورة الله صنع الله الإنسان**"[2].

وقد استند اليهود على هذه السلوكيات الهمجية والوحشية التي ألصقتها التوراة بالأنبياء لتبرير الإرهاب والظلم والإبادة التي يمارسونها ـ ولا زالوا يمارسونها ـ ضد الشعوب الأخرى، والتي تعتبر سمة

([1]) ـ يش:10/28 ـ30.

(2) ـ سفر التكوين:9/5 ـ 6.

من سماتهم طوال تاريخهم[1]، يقول المفكر الفرنسي (روجيه جارودي)[2] مبيّنا أبعاد وأهداف السلوكيات المنسوبة للأنبياء:"وإذا كان الأمر كذلك، فما الذي يمنع يهوديا تقيّا ومتزمّتا من أن يحذو حذو شخصيات جليلة مثل موسى أو يشوع؟ وقد كان هذا هو النهج الذي اتّبعه الصهاينة في التعامل مع الفلسطينيين، ألم يكن صوت يشوع هو نفسه صوت (مناحم بيجين) الذي أقدم مع منظمة (إرجوان) في 9 أبريل/نيسان 1948 على قتل (254) من الرجال والنساء والأطفال من سكان قرية (دير ياسين) لإجبار العرب العزّل على الفرار من أرضهم للنجاة من الترويع والإرهاب؟"[3].

إن هذا التناقض الصريح بين سلوكيات الأنبياء وصفاتهم كما وردت في أسفار العهد القديم من شرك ووثنية وقتل وترويع وزنا وسرقة وشرب خمر وغش وخداع،،، وبين تعاليم التوراة التي جاءت محرّمة لهذه السلوكيات[4]، يعبّر عن مدى الازدراء الذي تعرّض له الأنبياء في اليهودية، إذ كيف لنبيّ أن يتّصف بما جاء لإزالته من عقول ونفوس البشر!!! وكيف لنبيّ مبلّغ هدي السماء يكون أوّل من ينتهك حرمة هذا الوحي، وأوّل من يدنّس قدسيته، من خلال الاتّصاف بصفات ذميمة، وسلوكيات بشعة!!! لا شك أن هذا الأمر يجعل المقصد من بعثة الأنبياء بلا معنى.

([1]) ـ ومما يؤكّد هذا السلوك الهمجي والوحشي الذي يتّسم به اليهود، ما يقوم به الكيان الصهيوني اليوم من مجازر حرب بشعة ولا إنسانية في حق الأطفال والنساء والعجائز الفلسطينيين، والتي تعدّ حلقة من سلسلة طويلة في تاريخهم الدموي، والذي امتلأت به أسفار العهد القديم. ينظر تفصيل ذلك: صلاح الخالدي: جذور الإرهاب اليهودي في أسفار العهد القديم.

([2]) ـ روجيه غارودي (1913 ـ 2012): مفكّر وفيلسوف وكاتب فرنسي اعتنق الإسلام سنة 1982. له العديد من الآراء المثيرة للجدل في الفكر الإسلامي. كما أن له العديد من الآراء والمؤلّفات المناهضة للصهيونية.

([3]) ـ روجيه جارودي: الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية، ص 71 ـ 74.

([4]) ـ وقد جاء تحريم معظم هذه السلوكيات في الوصايا العشر التي تعتبر دستور الشريعة اليهودية.

كما أن هذا التناقض بين التعاليم التي جاء بها الأنبياء وسلوكياتهم لا يمكن تفسيره إلا بأنّه قمة في الاستخفاف والاستهانة بمقدّس من المقدّسات الذي وقعت فيه اليهودية، والذي يعبّر عن موقفها منه، وقد كانت له تداعيات وانعكاسات خطيرة، يمكن إجمالها في ثلاثة أمور، وهي:

أولا ـ هدم رمزية الأنبياء: إن الإساءة الفظيعة التي تعرّض لها الأنبياء في أسفار العهد القديم، من خلال تجريدهم من العصمة، وإلصاق الانحرافات العقدية والأخلاقية بهم، وتصويرهم في صورة المنتهك لحرمة التعاليم الإلهية، قد أسقط عنهم أهم دافع يدفع غيرهم للتأسّي والاقتداء بهم، وهو ما طعن مقام النبوة في الصميم، حينما أصبح الأنبياء بلا هيبة وبلا قدسية، وهي التي سقطت بفعل الممارسات الشنيعة سالفة الذكر، فغاب بذلك أثرهم وتأثيرهم في أوساط المجتمع اليهودي، من حيث كونهم أنموذجا للاقتداء والتأسّي، وفتح الباب واسعا لإسراف بني إسرائيل عبر تاريخهم الطويل في الكثير من الانحرافات العقائدية والأخلاقية، جاعلين من سقطات الأنبياء، وانتفاء العصمة عنهم حجّة لتبرير خطاياهم وفسادهم، فأسبغوا بذلك الشرعية الدينية على فضائحهم وانحرافاتهم[1].

وتحدّثنا أسفار العهد القديم ـ في غير موضع ـ من أن بني إسرائيل انغمسوا في الجرائم والرذائل خاصة الفواحش ولواحقها، دونما إحساس بالذنب أو تأنيب الضمير[2]،حتى أضحت أمرا مألوفا بالنسبة إليهم، وعديدة هي النصوص التي تتحدّث عن ذلك، منها:

1 ـ ما جاء في سفر العدد من ارتكاب بني إسرائيل للفاحشة، ووقوعهم في الشرك والوثنية "**وأقام بنو إسرائيل في شطّيم وأخذوا يزنون مع بنات موآب. فدعونهم إلى ذبائح آلهتهن، فأكلوا وسجدوا لها...**"[1].

([1]) ـ عبد الستار سعيد: معركة الوجود بين التوراة والتلمود، ط2: 1402، مكتبة المنار ـ الأردن، ص 154. ينظر أيضا: سعود الخلف: دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، ط1: 1997، مكتبة أضواء السلف ـ الرياض، ص 94.

([2]) ـ فإذا كان الأنبياء مع ما لهم من منزلة ورفعة قد وقعوا في ذلك، فكيف يكون الحال مع غيرهم الذين هم أقل منهم شأنا، وأنزل قدرا!!!

2 ـ ما جاء في سفر هوشع حينما أمره الرّب بالزواج من زانية، وعلّل ذلك بكون الأرض كلّها قد زنت " **لما بدأ الرّب يتكلّم بلسان هوشع، قال الرّب لهوشع: خذ لك امرأة زنى وليكن لك منها أولاد زنى، لأن أهل الأرض كلهم يزنون في الخفية عني أنا الرّب...** "[2].

3 ـ ما جاء في سفر ارميا من شكوى الرّب من فعل بني إسرائيل، ووقوعهم في الشرك والزنا "**وقال الرّب: كيف أسامحك يا أورشليم وبنوك تركوني وحلفوا بإله مزعوم، حين أشبعتهم زنوا، وفي بيوت الزواني صرفوا وقتهم، صاروا أحصنة معلوفة سائبة، كلّ يصهل على امرأة صاحبه**"[3].

4 ـ ما جاء في سفر هوشع، من أن الزنى والفسوق سار يجري في دمهم وباطنهم، حتى أصبح طبعا من طبائعهم، وفي هذا يقول الرّب "**أعرف بيت أفريم. بنو إسرائيل لا يخفون عني. أنتم الآن زنيتم يا بيت أفريم. يا بني إسرائيل تنجّستم. أعمال الشعب لا تتيح لهم أن يتوبوا إلى إلههم، لأن روح الزنى في داخلهم وهم لا يعرفون الرّب**"[4].

5 ـ ما جاء في سفر ارميا، الذي وبّخ شعبه على انحرافاتهم "...**ولكنّكم تتّكلون على كلام لا فائدة فيه فتخدعون أنفسكم، أتسرقون وتقتلون وتزنون وتحلفون بالزّور، وتبخّرون للبعل، وتتبعون آلهة أخرى تجهلونها...**"[5].

هذه بعض النصوص التي تؤكّد تطبّع بني إسرائيل في الرذائل وانغماسهم فيها، بل واستحلالهم لها، خاصة ما تعلّق منها بالفواحش والفسوق، لدرجة أنها أصبحت تسري في باطنهم[1]، بحجة أن صفوة

([1]) ـ سفر العدد: 1/25 ـ 2.

([2]) ـ سفر هوشع: 1/ 1 ـ 6. وقد جاءت تفاصيل القصة في مواضع عدة من نفس السفر. ينظر: 2/ 1 ـ 7. 3/ 1 ـ 5.

([3]) ـ سفر ارميا: 7/5 ـ 8.

([4]) ـ هو: 3/5 ـ 4.

([5]) ـ سفر ارميا: 8/7 ـ 9.

البشر ارتكبوها، وبالتالي فما على الأتباع من سبيل إذا وقعوا فيها سهوا أو عمدا[2]، وهدفهم من ذلك ترسيخ التهوين من الفضائل، وإغراء الناس بالرذائل، باعتبارها قدرا مقدورا، أو جبلّة بشرية من العبث مقاومتها وكبتها، بدليل أن الأنبياء لم يستطيعوا ذلك[3]!!!

وهكذا نرى كيف أضفى اليهود على الرذائل صورة الشيوع الإنساني، موظّفين في ذلك خطايا الأنبياء، وولوغهم في الرذائل، "ليجعلوا منهم مثلا يغري بالسوء، ويكتسح في النفس البشرية كلّ عناصر المقاومة، ولا يجعلها تتمالك إلا ريثما تتهالك، وتتسارع في الخطايا"[4].

إن هذا الازدراء الذي تعرّض له الأنبياء في أسفار العهد القديم يعبّر بصورة واضحة عن موقف اليهودية في تعاملها مع مقدّس من المقدّسات، وهو التعامل المثقل ب "ثقافة" الإساءة التي امتلأت بها أسفار كتابها المقدّس.

ثانيا ـ هدم القيم والفضائل: لم تكن الإساءة التي تعرّض لها الأنبياء في اليهودية مقتصرة على هدم منزلتهم وإسقاط رمزيتهم في المجتمع، وما يعنيه ذلك من تغييب دورهم في الوسط المجتمعي، وإنما كان لها أثرا آخر تمثّل في تشويه مفهوم الطهر والحشمة والعفّة، وضرب العلاقات الأسرية المحفوفة بالستر والحياء، والتشجيع على الدياثة، وتغييب الغيرة داخل الأوساط الأسرية، وإشاعة الفاحشة والرذيلة والفوضى الجنسية في المجتمع،،، بما أن مبلّغي وحي السماء(الأنبياء) ـ الذين يفترض أن يكونوا دعاة للعفّة والفضيلة حماة لها ـ قد سقطوا في وحول الشهوات والجرائم!!!

([1]) ـ سليمان الراجحي: الأبعاد العقدية والأخلاقية لموقف اليهود من النبوة والأنبياء في أسفار العهد القديم، رسالة دكتوراة (غير منشورة)، كلية التربية ـ جامعة الملك سعود، السعودية، 1430هـ، ص 349.

([2]) ـ محمد ندا: جنايات بني إسرائيل على الدين والمجتمع، ط1: 1984، دار اللواء ـ الرياض، ص 131.

([3]) ـ عبد الستار سعيد: معركة الوجود بين التوراة والتلمود، مرجع سابق، ص 161.

([4]) ـ المرجع نفسه، ص 154.

وهذا ما يعتبر هدما للقيم النبيلة، ونسفا للفضائل السامية التي جاءت بها الشرائع السماوية، وتوافقت مع العقول السليمة، والفطر المستقيمة، والضمائر الحيّة[1].

ثالثا ـ سن ثقافة ازدراء المقدّسات: لقد كان للصورة المهينة والمشينة التي ظهر بها الأنبياء في العهد القديم أثر في نظرة اليهود للمقدّسات عموما وللأنبياء على وجه الخصوص، ذلك أن نعت التوراة للأنبياء بنعوت سيّئة من قبيل الشرك والهمجية والوحشية والفجور والفسوق والكذب،،، وغير ذلك من الرذائل التي امتلأت بها أسفارها، ترك انطباعا سلبيا لدى اليهود عن الأنبياء، وهو الانطباع الذي ما لبث أن تطور إلى "ثقافة"، ليصبح ازدراء الأنبياء ثقافة تربى عليها اليهود من خلال كتابهم المقدّس، الذي تعلّموا منه، وأخذوا عنه ذلك.

لذلك لا عجب ولا غرابة إن رأينا غير المسلمين (من اليهود والنصارى خاصة) يتطاولون على مقام النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) وغيره من الأنبياء والمرسلين، لأنهم تربّوا على ثقافة الازدراء من الكتاب المقدّس، الذي كان سبّاقا في التأسيس لهذه الثقافة، حينما جرّد الأنبياء من العصمة، وألصق بهم كلّ رذيلة، وأظهرهم في صورة المنتهك لحرمة تعاليم السماء، وهذا هو أحد أسرار تطاولهم على مقام النبوة، وتلك هي الإجابة على سؤال (لماذا يسيء غير المسلمين إلى رسول الإسلام؟)[2].

هذه بعض آثار وانعكاسات الإساءة للأنبياء في اليهودية، وهي الانعكاسات التي أبانت عن فقدان مقام النبوة لقدسيته، وبيّنت بأن ظاهرة ازدراء المقدّسات ترتكز على نصوص الكتاب المقدّس!!!

([1]) ـ سليمان الراجحي: الأبعاد العقدية والأخلاقية لموقف اليهود من النبوة والأنبياء في أسفار العهد القديم، مرجع سابق، ص 343.

([2]) ـ محمد عمارة: بين العصمة والازدراء (الأنبياء في القرآن والكتاب المقدّس)، ص 23.

الباب الثاني

الفصل الثاني ـ نظرة المسيحية للإساءة للأنبياء

المبحث الأول

مفهوم النبوة في المسيحية

المطلب الأول ـ النبوة في العهد الجديد: إن البحث في ظاهرة النبوة في المسيحية ينطوي على جانب كبير من الصعوبات والعقبات التي ترجع إلى طبيعة الديانة المسيحية، والتي تعاني مآزق أربعة[1]:

أولها ـ اختلاف المرجعيات المسيحية: إذ تنقسم المسيحية من داخلها إلى ثلاثة أديان مستقلّة، فهناك المذهب الكاثوليكي، والمذهب الأرثوذكسي، والمذهب البروتستانتي، وجوهر الخلاف بين هذه المذاهب الثلاثة لا يقتصر على فروع الدين فحسب، وإنما يتعدّاه إلى جوهر العقائد وأصولها.

الثاني ـ التداخل بين المسيحية واليهودية: تضرب جذور المسيحية في اليهودية، وإليها تستند، حيث تؤمن بالعهد القديم (التوراة) ككتاب مقدّس، لكنها في نفس الوقت تبطل مفعول شريعته، وتناقض أحكامه بالعهد الجديد!!!

الثالث ـ الاضطراب الكبير في قضايا أصول الدين: حيث نجد تداخلا صريحا، واختلاطا بيّنا بين مسألتين عقديتين يصعب الفصل بينهما، ألا وهي مسألة الألوهية والنبوة.

رابعا ـ التطوّر الحاصل في الديانة المسيحية: تعتبر المسيحية من الديانات التطوّرية، وهذا بسبب سلطة التشريع "المشتركة" بين الجانب الإلهي والجانب البشري، وهو ما جعل الكثير من المعتقدات المسيحية مستحدثة لا سند لها في نصوص الكتاب المقدّس[2].

([1]) ـ ينظر: عبد الراضي عبد المحسن: المعتقدات الدينية لدى الغرب، مرجع سابق، ص 201، 205.

([2]) ـ ينظر تفصيل ذلك: شارل جينيبير: المسيحية، مرجع سابق، ص 130. جاد المنفلوطي: المسيحية في العصور الوسطى، مرجع سابق، 104

الباب الثاني

الفصل الثاني ـ نظرة المسيحية للإساءة للأنبياء

هذه بعض الصعوبات والعوائق التي تعترض مسيرة الباحث في ماهية النبوة في المسيحية، والتي أدّت إلى عدم وجود مفهوم واضح ودقيق للنبوة في هذه الديانة[1].

وفي سبيل مواجهة هذه التحدّيات والصعوبات سالفة الذكر، كان لزاما علينا ـ أولا ـ تحديد الأسس التي تشكّل بناء المسيحية، وهي[2]:

1 ـ حياة المسيح التاريخية، ودعوته، ومتلقّيها.

2 ـ الجماعة المسيحية الأولى، وعقيدتها، ودور رسل المسيح فيها.

3 ـ الكنيسة، وسلطتها، ورؤيتها الجديدة للمسيحية، والعقائد التي أقرّتها.

إن معرفة هذه العناصر الثلاثة التي تشّكل المسيحية تمكّننا من التفريق والتمييز بين ثلاثة مفاهيم للنبوة المسيحية، وهي:

أ ـ الفهم التقليدي للنبوة في بني إسرائيل، الذي ورثته المسيحية.

ب ـ النبوة كما يطرحها مؤلّفوا العهد الجديد، والتي يطغى عليها الطابع الفلسفي السائد في ذلك العصر.

ج ـ النبوة كما تفهمها الكنيسة، وما أدى إليه من حصرها في الروح القدس داخل عباءة أربابها.

وباستقراء نصوص العهد الجديد حول النبوة، نجد أن لفظ "النبي" له عدّة دلالات، وهي:

([1]) ـ وهذا لربّما ما يفسّر شحّ الدراسات المتعلّقة بالنبوة في المسيحية، والتي نجدها تمحورت حول شخصية المسيح، الذي لم يكن مؤسّسا للديانة فحسب، بل إلها لها، وواهبا للنبوة، ومرسلا للأنبياء، وباعثا للرسل!!!فكانت جلّ الدراسات تتعلّق به.

([2]) ـ عبد الراضي عبد المحسن: المعتقدات الدينية لدى الغرب، ص 211.

الباب الثاني

الفصل الثاني ـ نظرة المسيحية للإساءة للأنبياء

1 ـ المتكلّم من قبل الله بواسطة الروح القدس، جاء في رسالة بطرس الثانية ما نصّه "**لأن ما من نبوءة على الإطلاق جاءت بإرادة الإنسان، ولكن الروح القدس دفع بعض الناس إلى أن يتكلّموا بكلام من عند الله** "[1].

2 ـ القدرة على كشف المستقبل، جاء في سفر أعمال الرسل ما نصّه "**وفي تلك الأيام نزل بعض الأنبياء من أورشليم إلى أنطاكية، فقام أحدهم واسمه أغابوس وتنبّأ بوحي من الروح أن مجاعة عظيمة ستعمّ الأرض كلّها، وهي التي حدثت في أيام القيصر كلوديس**"[2].

3 ـ كشف خفايا الماضي، جاء في سفر يوحنا ما نصّه "...**قال لها: اذهبي وادعي زوجك، وارجعي إلى هنا. فأجابت المرأة: لا زوج لي. فقال لها يسوع: أصبت في قولك: لا زوج لي، لأنه كان لك خمسة أزواج، والذي لك الآن إنّما هو زوجك. وفي هذا صدقت. قالت المرأة: أرى أنك نبي، يا سيّدي**"[3].

4 ـ الوعظ والتعليم، جاء في سفر أعمال الرسل ما نصّه "**وألقى يهوذا وسيلا، وكانا هما أيضا نبيّين، عظة طويلة شجّعا بها الإخوة وشدّدا عزائمهم**"[4].

5 ـ امتلاك نصيب من المعرفة الإلهية، جاء في رسالة كورنثوس الأولى ما نصّه "**ولو وهبني الله النبوة وكنت عارفا كلّ سرّ وكلّ علم...**"[5].

([1]) ـ رسالة بطرس الثانية: 21/1.

([2]) ـ سفر أعمال الرسل: 27/11 ـ 28. 10/21 ـ 14.

([3]) ـ سفر يوحنا: 16/4 ـ 19. سفر لوقا: 36/7 ـ 50.

([4]) ـ أع: 32/15.

([5]) ـ رسالة كونثوس الأولى: 2/13.

6 ـ حامل سر المسيح، جاء في رسالة أفسس ما نصّه "**لذلك أنا بولس سجين المسيح يسوع في سبيلكم، أيها الذين هم غير يهود. ولا بدّ أنّكم سمعتم بالنعمة التي وهبها الله لي من أجلكم، كيف كشف لي سرّ تدبيره بوحي كما كتب لكم بإيجاز من قبل. وبإمكانكم إذا قرأتم ذلك أن تعرفوا كيف أفهم سرّ المسيح، هذا السّر الذي ما كشفه الله لأحد من البشر في العصور الماضية، وكشفه الآن في الروح لرسله وأنبيائه القدّيسين** "[1].

ومن خلال هذه الدلالات المتعدّدة والمختلفة للفظ "النبي" في العهد الجديد، التي جاءت تعبّر عن سمات النبي وعلاماته ووظائفه، نلمح تأثيرين بارزين، تداخلا معا لتشكيل صورة النبي المسيحي، وهما:

أ ـ تأثير العهد القديم، والذي ظهر في القدرة على التنبّؤ بالمستقبل، والتحدّث نيابة عن الله باسم الروح القدس[2].

ب ـ تأثير الفلسفة الغنوصية، والذي نجده واضحا في مشاركة النبي في الأسرار والمعرفة الإلهية.

وتبعا لهذه المعاني المتعدّدة والمتداخلة للفظ النبي في العهد الجديد جاءت التعريفات الاصطلاحية لمفهوم النبي والنبوة مختلفة، وهذا ما سنبيّنه في المطلب الآتي.

المطلب الثاني ـ النبوة اصطلاحا: تعدّدت تعريفات المفكّرين المسيحيين والمؤسّسات والهيئات الرسمية المسيحية للفظ النبي والنبوة، وهذا بناءً على الخلفية العقائدية لكلّ مفكّر أو هيئة[1]، ويمكن إجمال هذه التعريفات فيما يلي:

([1]) ـ رسالة أفسس:3/ 1 ـ 5.

([2]) ـ ينظر: المبحث الأول من الفصل الأول من هذا الباب.

الباب الثاني

الفصل الثاني ـ نظرة المسيحية للإساءة للأنبياء

أولا ـ تعريف القدّيس أوغسطين[2]: حيث عرّف النبي بأنه من يعلن كلمات الله للناس[3].

ثانيا ـ تعريف يوحنا فم الذهب[4]: حيث عرّف النبوة بأنها إنباء عن أمور مستقبلية[5].

وواضح من صاحبي هذين التعريفين تأثّرهما الشديد بالفكر اليهودي، حيث تبنّيا المفهوم اليهودي للنبوة والذي استعمله بولس الرسول في رسالته للعبرانيين، حيث جاء فيها ما نصّه "**كلّم الله آباءنا من قديم الزّمان بلسان الأنبياء مرّات كثيرة وبمختلف الوسائل**"[6].

ثالثا ـ تعريف المعجم اللاهوتي للعهد الجديد: والذي يعرّف النبي بأنّه مبلّغ رسالة إلهية موحى بها"[7].

([1]) ـ وقد تحدّثنا في المطلب الأول من هذا المبحث من أن اختلاف المرجعيات المسيحية كان أحد الأسباب التي أدّت إلى صعوبة البحث في المسيحية عموما، وفي مسائل النبوة خصوصا.

([2]) ـ القدّيس أوغسطين (354 ـ 430): ولد القدّيس أوغسطين بطاجسطا) (Thagaste) سوق أهراس بالجزائر اليوم) من أب وثني وأم مسيحية لقّنته أولى تعاليم المسيحية. خالط أتباع المانويّة وحضر حلقاتهم بقرطاجة مدة ناهزت سبع سنوات قبل أن يغادر إفريقية إلى رومة ويستقرّ بها. يعدّ القدّيس أوغسطين رائدا للفلسفة المسيحيّة في العصر الكنسي الذي امتدّ من القرن الثاني حتّى القرن السادس الميلاديّين. إذ امتدّ أثر فكره إلى معظم لاهوتيّي العصر الوسيط مثل القدّيس توما الأكويني وأنسلم. من أبرز مؤلّفاته: "الاعترافات" وقد كتبه سنة 400م وحاول من خلاله تحليل سيرته الروحيّة والفكريّة وتناول معضلة الشرّ. وكذلك كتابه "مدينة الله "الذي ألّفه إثر نهب رومة سنة 410م ودرس فيه تاريخها محمّلا مسؤوليّة الانحطاط وتدمير المدينة إلى فساد الحاكم. ينظر: جورج طرابيشي: معجم الفلاسفة، دار الطليعة ـ بيروت، ط3: 2006، ص 117 ـ 122.

([3]) ـ جرهاردوس فوس: علم اللاهوت الكتابي، دار الثقافة ـ القاهرة، 1982، ص 304.

([4]) ـ يوحنا فم الذهب (347 ـ 407): يوحنا خريسوستوم –يوحنا خريسوستوموس، القديس، ويعرف أيضا ب "يوحنا الأنطاكي".كان بطريرك القسطنطينية واشتهر كقديس ولاهوتي .عرف باليونانية بـ «فم الذهب» لفصاحته إذ كان تلميذ معلم البلاغة الشهير "ليبانيوس". يعتبر يوحنا ذهبي الفم قديسا لدى جميع الطوائف المسيحية وتعتبره الكنيسة الكاثوليكية أحد فلاسفتها الكبار. ينظر: منير البعلبكي: معجم أعلام المورد، دار العلم للملايين ـ بيروت، ط1: 1992، ص 320

([5]) ـ جرهاردوس فوس: علم اللاهوت الكتابي، ص 304.

([6]) ـ العبرانيين:1/1.

([7]) ـ Theologisches Worterbuch zum Neuen Testament, Hrsg- von: Gerhard Frie- drich, Band V1:829.

رابعا ـ تعريف قاموس العقيدة الكاثوليكية: حيث عرّف النبي بأنه معلن حادث الخلاص الذي تمّ بواسطة المسيح"[1].

وهذا التعريف يعرّف النبي من خلال وظيفته التي حصرها في الإعلان عن خلاص المسيح، وهو ما يجعل المسيح خارج دائرة النبوة، التي يعتبر المسيح نفسه موضوعا لها.

إن هذه التعريفات المتباينة التي طرحت لمفهوم النبي والنبوة في المسيحية تعكس طبيعة الديانة المسيحية ذات المصادر المتعدّدة، والمرجعيات المختلفة، والتي أدّت في نهاية المطاف إلى اضطراب وغموض مفهوم النبي والنبوة، وتداخل الألوهية مع النبوة[2].

ويذهب صاحب كتاب (المعتقدات الدينية لدى الغرب) ـ بعد عرضه لتعريفات النبوة سالفة الذكر ـ إلى أن التعريف الذي يناسب المفهوم المسيحي لظاهرة النبوة هو "أن النبوة هي التحدّث باسم الروح"[3]، وهو تعريف شامل للظاهرة يبرز المعنى "المسيحي" الجديد للنبي، من خلال إضافة عنصر "الروح"، دون أن يلغي نبوات العهد القديم، التي تعتبر المسيحية حلقة في سلسلتها.

ولما كانت المسيحية متمّمة لليهودية كان من الطبيعي القبول بنبوّات العهد القديم، إلا أن هذا القبول كان على المستوى النظري فحسب، أما من الناحية العملية فإننا نجد المسيحية أدخلت تعديلات على نبوّات العهد القديم، يمكن إجمالها في النواحي الآتية[4]:

---

(1) ـ Lexikon der katholishen Dogmatik, Hrsg.von: Wolfgang Beinnert, S:426.

(2) ـ وهذا التداخل نلمسه من خلال اختلاف المسيحيين في طبيعة المسيح، بين من يجعله إلها، ومن يجعله نبيّا، فاختلطت الألوهية بالنبوة اختلاطا ساهم في غموض واضطراب مفهوم النبوة في المسيحية.

(3) ـ عبد المحسن عبد الراضي: المعتقدات الدينية لدى الغرب، مرجع سابق، ص 215.

(4) ـ المرجع نفسه، ص 216 ـ 219.

الباب الثاني

الفصل الثاني ـ نظرة المسيحية للإساءة للأنبياء

1 ـ مهمّة أنبياء العهد القديم: تؤمن المسيحية بجميع أنبياء العهد القديم، إلا أنها في مقابل هذا التسليم تحصر وظيفتهم، وهدف بعثتهم في التمهيد لمجيء المسيح، من أجل تخليص العالم، وتذكر دائرة المعارف الكتابية إلى وجود (232) إشارة إلى المسيح في العهد القديم تتعلق بموعد مجيئه، وولادته، وحياته، وآلامه...وغير ذلك[1].

2 ـ مركزية النبي موسى في اليهودية: يحتل النبي موسى مكانة هامة في الديانة اليهودية، حيث يعتبر النموذج الأمثل للنبوة، والمؤسّس الفعلي لليهودية، ومن هنا فإن مقامه لا يدانيه نبي سابق أو لاحق، إلا أن العهد الجديد ألغى كل هذه المنزلة، وتلك الأفضلية من خلال خلعها على المسيح الذي هو محور الديانة المسيحية، وهو ما نستشفّه من قول بولس :"**فيا إخوتي القدّيسين المشتركين في دعوة الله، تأمّلوا يسوع رسول إيماننا ورئيس كهنته، فهو أمين للذي اختاره، كما كان موسى أمينا لبيت الله أجمع. ولكن يسوع كان أهلا لمجد يفوق مجد موسى بمقدار ما لباني البيت من كرامة تفوق كرامة البيت**..."[2].

ولا يتوقف الأمر عند نقض أفضلية نبوة موسى وخلعها على المسيح فقط، بل يتعدّاه إلى رسل عيسى، الذين يفضّلون كذلك على النبي موسى، وهذا لكونهم يعكسون صورة مجد الرّب الفائق الذي لا يزول، بخلاف موسى الذي أعطي مجدا زال في المسيح[3].

وتضيف المسيحية إلى قائمة أنبياء العهد القديم النبوّات التالية[4]:

([1]) ـ دائرة المعارف الكتابية:21/8.

([2]) ـ العبرانيين:1/3 ـ3.

([3]) ـ ينظر: رسالة كورنثوس الثانية:3/ 1 ـ 18.

([4]) ـ نخبة من اللاهوتيين: قاموس الكتاب المقدّس، ص 639.

أ ـ نبوة يوحنا المعمدان: حيث تعتبره نبيّا تقليديا من أنبياء بني إسرائيل، أو خاتما لنبوّات العهد القديم، جاء في سفر متى ما نصّه "**قولوا لي: ماذا خرجتم تنظرون؟ أنبيّا؟ أقول لكم: نعم، بل أفضل من نبيّ. فهو الذي يقول فيه الكتاب: أنا أرسل رسولي قدّامك، ليهيّئ الطريق أمامك**"[1].

وجاء في الفقرة الثالثة عشر (13) من نفس الإصحاح والسفر "**فإلى أن جاء يوحنا كان هناك نبوءات الأنبياء وشريعة موسى**"[2].

وقد كانت مهمّة النبي يوحنا التبشير بمجيء المسيح كما صرّح بذلك سفر لوقا "**بقيت الشريعة وتعاليم الأنبياء إلى أن جاء يوحنا، ثمّ بدأت البشارة بملكوت الله...**"[3].

ب ـ نبوّة نوح

ج ـ نبوّة أخنوخ

د ـ نبوّة إبراهيم

هـ ـ نبوّة داود

و ـ نبوّة يعقوب

ي ـ نبوة النساء: وهن: حنّة بنت فنوئيل، بنات فيليبس الأربع.

---

(1) ـ سفر متى: 9/11.
(2) ـ مت: 13/11.
(3) ـ سفر لوقا: 16/16.

المطلب الثالث ـ تطور مفهوم النبوة في المسيحية: رغم إشارات العهد الجديد إلى سمات النبي وعلاماته ووظائفه، ورغم تسليم المسيحية بنبوّات العهد القديم، إلا أن ذلك لم يكن كافيا لتبلور مفهوم واضح للنبوّة في المسيحية، ويذهب الكثير من الباحثين إلى أن موت المسيح وقيامته بعد ذلك من بين الأموات يعتبر مرحلة مفصلية لبداية تشكّل مفهوم واضح للنبوة في المسيحية، ويعتبر يوم الخمسين (يوم العنصرة)، وهو يوم انسكاب الروح القدس (روح النبوة) على التلاميذ بعد صعود المسيح بعشرة أيام، تاريخ بداية النبوة في المسيحية[1]، جاء في سفر أعمال الرسل ما نصّه "**ولمّا جاء اليوم الخمسون كانوا مجتمعين كلّهم في مكان واحد، فخرج من السماء فجأة دويّ كريح عاصفة، فملأ البيت الذي كانوا فيه، وظهرت لهم ألسنة كأنها من نار، فانقسمت ووقف على كلّ واحد منهم لسان، فامتلأوا كلّهم من الروح القدس، وأخذوا يتكلّمون بلغات غير لغتهم...قال الله: في الأيام الأخيرة أفيض من روحي على جميع البشر، فيتنبّأ بنوكم وبناتكم، ويرى شبابكم رؤًى ويحلم شيوخكم أحلاما...**"[2].

وهذا النص يتحدّث عن السلطان الإلهي للمسيح، حيث أصبح المسيح مصدرا للوحي، وواهبا للنبوة، ومرسلا للأنبياء، وباعثا للرسل، يقول يوسف الحدّاد :"بقيامته وارتفاعه إلى المجد الإلهي، يسوع يتمتّع بسلطان إلهي يجعله يعمل أعمال الله"[3].

ورغم أن النص سالف الذكر يشير إلى أن ظاهرة التنبّؤ تشمل جميع المؤمنين الذين انسكب عليهم الروح القدس في يوم الخمسين من دون تخصيص، إلا أن المصادر المسيحية حصرتها بعد ذلك فيما

([1]) ـ ينظر: هوارد مارشال: التفسير الحديث للكتاب المقدّس (العهد الجديد: سفر أعمال الرسل)، ترجمة:نجيب جرجور، جوزيف صابر، دار نوبار ـ القاهرة، ط1: 1992، ص 70. دائرة المعارف الكتابية:20/8.

([2]) ـ سفر أعمال الرسل:1/2 ـ 17. متى:18/28 ـ 20. لوقا:48/24 ـ 50. يوحنا:21/20.

([3]) ـ يوسف الحداد: مصادر الوحي الإنجيلي (تاريخ المسيحية)، منشورات المكتبة البولسية ـ لبنان، ط2: 1990، ص 515 ـ 518.

الباب الثاني

الفصل الثاني ـ نظرة المسيحية للإساءة للأنبياء

يسمى ب"الرسل"[1]، الذين احتلّوا مكانة عظيمة في الديانة المسيحية لا تدانيها إلا مكانة أنبياء العهد القديم، وهذا ما نستشفّه من خلال النصين الآتيين:

1 ـ تسوية لوقا بين الطائفتين حين قال :"**ولذلك قالت حكمة الله: أرسل إليهم الأنبياء والرسل فيقتلون منهم ويضطهدون**"[2].

2 ـ تسوية بولس بين وظيفتيهما في تبليغ البشارة حين قال :"**من بولس عبد المسيح يسوع، دعاه الله ليكون رسولا، واختاره ليعلن بشارته التي سبق أن وعد بها على ألسنة أنبيائه في الكتب المقدّسة**"[3].

بل إن المسيحية تعتبر مكانة رسل المسيح تسمو على مكانة الأنبياء في العهد القديم، ذلك أن أنبياء العهد القديم تلقّوا وحيا وإعلانا ورؤى دون معاينة ومباشرة الرّب، بخلاف الرسل الذين تلقّوا التكليف من الإله نفسه مباشرة[4]!!! وهذا ما أشار إليه بولس قائلا :"**فنحن نتصرّف بجرأة، فما نحن كموسى الذي كان يضع قناعا على وجهه لئلا يرى بنو إسرائيل نهاية ما يزول...** "[5].

فمن هم الرسل؟ وما هي أسماؤهم؟ وكم هو عددهم؟

([1]) ـ دائرة المعارف الكتابية:20/8. الكنيسة القبطية: الديداخي أي تعليم الرسل، مكتبة المنار ـ القاهرة، ط1: 2000، ص 130.

([2]) ـ سفر لوقا:49/11.

([3]) ـ رسالة رومة:1/1 ـ 2.

([4]) ـ عبد المحسن عبد الراضي: المعتقدات الدينية لدى الغرب، مرجع سابق، ص 221 ـ 222.

([5]) ـ رسالة كونثوس الثانية:12/3 ـ 13.

الباب الثاني

الفصل الثاني ـ نظرة المسيحية للإساءة للأنبياء

الفرع الأول ـ مفهوم الرسل: يعدّ مصطلح الرسل من المصطلحات واسعة الدلالة والاستعمال في الديانة المسيحية، حيث أطلق على عدة شخصيات، وهي[1]:

أولا ـ إطلاقه على المسيح نفسه: حيث جاء في سفر لوقا ما نصّه "**روح الرّب عليّ لأنه مسحني لأبشّر المساكين، أرسلني لأنادي للأسرى بالحرّية، وللعميان بعودة البصر إليهم...**"[2].

ونجد بولس يطلق على المسيح وصف الرسول، وهذا في رسالته للعبرانيين "**فيا إخوتي القدّيسين المشتركين في دعوة الله، تأمّلوا يسوع رسول إيماننا ورئيس كهنته، فهو أمين للذي اختاره، كما كان موسى لبيت الله أجمع**"[3].

هذا ونجد المسيح يسمّى رسولا في (42) موضعا من إنجيل يوحنا لوحده، باعتباره مرسلا من الآب لخلاص البشرية.

ثانيا ـ إطلاقه على تلاميذ المسيح الاثني عشر: وهم الذين اختارهم المسيح ليعاينوا حوادث حياته على الأرض، ويروه بعد قيامته، ويشهدوا له أمام العالم بعد حلول الروح القدس عليهم، وقد ورد في سفر متى ما يدلّ على إطلاق وصف الرسول على هؤلاء "**ودعا يسوع تلاميذه الاثني عشر وأعطاهم سلطانا يطردون به الأرواح النجسة، ويشفون الناس من كلّ داء ومرض. وهذه أسماء الرسل الاثني عشر...من قبلكم قبلني ومن قبلني قبل الذي أرسلني**"[4].

ثالثا ـ إطلاقه على تلاميذ المسيح الآخرين (غير الاثني عشر): ومن هؤلاء برنابا وبولس، وقد جاء في سفر أعمال الرسل ما نصّه "**قال لهم الروح القدس: خصّصوا لي برنابا وشاول(بولس) لعمل**

([1]) ـ قاموس الكتاب المقدّس، ص 274 وما بعدها

([2]) ـ سفر لوقا: 18/4. سفر يوحنا: 42/11، 20/13.

([3]) ـ رسالة العبرانيين: 1/3 ـ 2.

([4]) ـ سفر متى: 1/10 ـ 40.

دعوتهما إليه. فصاموا وصلّوا، ثمّ وضعوا أيديهم عليهما وصرفوهما، فأرسلهما الروح القدس..."[1]، وجاء في موضع آخر من هذا السفر"**فلمّا سمع الرسولان برنابا وبولس مزّقا ثيابهما وأسرعا إلى الجموع يصيحان بهم..."**[2].

كما أطلق وصف الرسل على تلاميذ آخرين للمسيح، وهم الذين جاء ذكرهم في سفر لوقا "**وبعد ذلك اختار الرّب يسوع اثنين وسبعين آخرين، وأرسلهم اثنين اثنين يتقدّمونه إلى كلّ مدينة أو موضع عزم أن يذهب إليه، وقال لهم: الحصاد كثير، ولكن العمال قليلون...ها أنا أرسلكم مثل الخراف بين الذئاب**"[3].

رابعا ـ إطلاقه على كلّ مبشّر بالإنجيل[4].

خامسا ـ إطلاقه على أي شخص يرسل في مهمّة خاصة[5].

وهكذا نرى كيف أن مصطلح الرسل واسع الاستعمال، فتارة يطلق على شخص، وتارة يطلق على مجموعة أشخاص، إلا أن أكثر إطلاقاتها، وأشهر استعمالاتها في الأوساط المسيحية هو تلاميذ المسيح الاثني عشر[6]، وهذا ما أكّدت عليه موسوعة الكتاب المقدّس، التي جاء فيها: "وهي تستعمل في العهد الجديد بصورة رئيسية للإشارة إلى تلاميذ المسيح الاثني عشر"[7].

([1]) ـ سفر أعمال الرسل:2/13 ـ 4.

([2]) ـ أع:14/14، 24.

([3]) ـ سفر لوقا:1/10 ـ 3.

([4]) ـ رسالة كونثوس الثانية:23/8. رسالة فيليبي:25/2.

([5]) ـ سفر يوحنا:16/13.

([6]) ـ ويطلق على هؤلاء الرسل لقب "القدّيسين"، أي الذين لهم منزلة مقدّسة، نتيجة القداسة التي حظوا بها من طرف الرّب يسوع. ينظر: سفر أعمال الرسل:13/9. رسالة أفسس:4/1، 5/3.

([7]) ـ مجموعة من المؤلفين: موسوعة الكتاب المقدّس، دار منهل الحياة ـ بيروت،1993، ص157.

الباب الثاني

الفصل الثاني ـ نظرة المسيحية للإساءة للأنبياء

الفرع الثاني ـ عدد الرسل وأسماؤهم: رأينا فيما سبق كيف أن مصطلح "الرسل" يطلق في الأوساط المسيحية للدلالة على تلاميذ المسيح الاثني عشر، وقد اقترن هذا العدد عند المسيحيين بأسماء الرسل إذا ما أريد إحصاؤهم، حيث ذكر هذا العدد في غير موضع من العهد الجديد تصريحا أو تلميحا، ومن ذلك ما ورد تصريحا في سفر متى "**ودعا يسوع تلاميذه الاثني عشر وأعطاهم سلطانا يطردون به الأرواح النجسة، ويشفون الناس من كلّ داء ومرض. وهذه أسماء الرسل الاثني عشر: أوّلهم سمعان الملقّب ببطرس وأخوه أندراوس، ويعقوب بن زبدي وأخوه يوحنا، وفيلبس وبرتولماوس، وتوما ومتى جابي الضرائب، ويعقوب بن حلفى، وتدّاوس، وسمعان الوطنيّ الغيور، ويهوذا الأسخريوطي الذي أسلم يسوع. وأرسل يسوع هؤلاء التلاميذ وأوصاهم قال: لا تقصدوا أرضا وثنية، ولا تدخلوا مدينة سامرية...**"[1]. يقول صاحب (التفسير الكامل للكتاب المقدّس) مبرزا أهمية هذا النص عند المسيحيين:"وهذا الإصحاح يعدّ عظة ألقاها ربنا يسوع حين أقام تلاميذه الاثني عشر رسلا"[2].

وهذا النص المنسوب إلى الرّب يسوع يشير لعدّة أمور في غاية الأهمية، وهي:

أولا ـ تحديد عدد رسل المسيح وأنهم "اثنا عشر" رسولا مع أسمائهم، وهم: سمعان(بطرس)، أندراوس، يعقوب بن زبدي، يوحنا، فيلبس، برتلماوس، توما، متى، يعقوب بن حلفي، تدّاوس، سمعان الغيور، يهوذا الأسخريوطي.

([1]) ـ سفر متى:1/10 ـ 8. 27/19 ـ 28. سفر مرقس:28/10 ـ 31. سفر لوقا:28/18 ـ 30. كما نجد رؤيا يوحنا يشير (تلميحا) إلى عدد هؤلاء الرسل، حيث جاء فيه (14/21) ما نصّه "**وكان سور المدينة قائما على اثني عشر أساسا، على كلّ واحد منها اسم من أسماء رسل الحمل الاثني عشر**".

([2]) ـ متى هنري: التفسير الكامل للكتاب المقدّس، مطبوعات إيجلز ـ القاهرة، ط1: 2002، ج1، ص 316.

ويكشف "أندره لومير"[1] عن وجود سرّ وراء تحديد عدد الرسل بالاثني عشر، حيث يرمز هذا العدد إلى أسباط إسرائيل الاثني عشر، فيقول:"في العدد اثنا عشر إشارة مباشرة إلى أسباط إسرائيل الاثني عشر. وإذا كان يسوع قد اختار اثني عشر رجلا فلكي يجعل منهم كوادر إسرائيل الجديد"[2].

ثانيا ـ اعتماد هؤلاء التلاميذ رسلا.

ثالثا ـ إعطاءهم السلطان المؤيّد لرسالتهم، يتمثّل في إخراج الأرواح النجسة، وشفاء المرضى.

رابعا ـ تحديد المرسل إليهم، وهم اليهود دون غيرهم.

هذا ويلحق النصارى بهؤلاء الرسل الاثني عشر في استحقاق هذا اللقب ثلاثة أشخاص، وهم: بولس[3]، وبرنابا[4]، ومتياس[5].

ويرى أصحاب الكتاب المقدّس بأن الرسول ينبغي أن يتوفّر على شرطين[6]:

1 ـ أن يكون قد اتّصل بالمسيح وعاشره، وتلقّى تعاليمه منه مباشرة.

([1]) ـ أندره لومير: أندريه لومير(André Lemaire) ولد في عام 1942، مؤرخ فرنسي وعالم لغوي، مدير الدراسات في المدرسة التطبيقية للدراسات العليا، حيث كان يدرس العبرية والآرامية وفقه اللغة والنقوش. وقد كتب عن: فلسطين في الفترة الفارسية ،تاريخ الشعب العبري ، الأنبياء والملوك في الشرق الأدنى في الكتاب المقدس.

([2]) ـ مجموعة من المؤلفين: تاريخ الكنيسة المفصّل، ترجمة: صبحي اليسوعي، دار المشرق ـ بيروت،ط1: 2002، ج1، ص 40.

([3]) ـ حيث نجد الكثير من نصوص العهد الجديد تطلق على بولس لقب "الرسول"، بل وتجعله في طليعة الرسل !!!

([4]) ـ وقد وصف هو الآخر إلى جانب بولس بالرسول في الكثير من المواضع والنصوص. ينظر:سفر أعمال الرسل:1/13 ـ 5. 5/14، 24.

([5]) ـ وهو الذي انتخبه تلاميذ المسيح ضمن هيئة الرسل بعد صعود هذا الأخير ببضعة أيام، خلفا ليهوذا الأسخريوطي الذي انحرف وسلك مسلكا شائنا تمثّل في تسليم المسيح. ينظر: قاموس الكتاب المقدّس، ص 275، سفر أعمال الرسل:12/1 ـ26.

([6]) ـ قاموس الكتاب المقدّس، ص 275.

2 ـ أن يكون المسيح قد استدعاه إلى هذه الخدمة.

وهكذا نرى أن مقام النبوة في المسيحية انسحب ـ بعد يوم العنصرة ـ على الرسل (رسل المسيح الاثني عشر) الذين اختارهم المسيح، وكلّفهم بالرسالة بعد ذلك، فأصبح يطلق على من يمتلك موهبة التنبّؤ ب "الرسول"، ومن هنا اشتهر مصطلح "الرسل" بدل "الأنبياء" في الفكر المسيحي، واحتلّت جماعة الرسل مكانة كبيرة، وحيّزا واسعا في المسيحية[1].

لكن وعلى الرغم من تلك المكانة الكبرى التي يحتلّها الرّسل في المسيحية، إلا أن قضيّتهم تظلّ من أكثر المسائل التي تحيّر الباحثين في تاريخ المسيحية، بسبب ما يكتنفها من اختلافات، وتناقضات، واضطرابات أدّت إلى الشكّ وفقد الثقة في هيئة الرسل، ومن ثمّ اهتزاز مقام الرسولية، يقول القمص شنودة السرياني[2]:"موضوع حياة الرسل وكرازتهم وأعمالهم أمر يكتنفه الكثير من الغموض، وما أكثر القصص التي كتبت عنهم، وعن جهودهم الكرازية، وأعمالهم المعجزية، وفي بعض هذه القصص نلمس بوضوح شطحات بعض الكتاب والنسّاخ في الخيال، الأمر الذي يصطدم بالحقيقة والواقع، ومن هنا كانت مهمّة المؤرّخ شاقة، إذ عليه أن يستخلص الحقائق خالصة بعد تنقيتها مما علق بها من الشوائب الدخيلة التي استحدثتها يد الزمان، وبعض المعجبين بروّاد المسيحية الأوائل"[3].

ويمكن إجمال هذه التناقضات في النواحي الآتية:

([1]) ـ وهذا راجع إلى طبيعة الديانة المسيحية التي احتلّ فيها المسيح مكان يهوه في اليهودية، فأصبح مصدرا للوحي وواهبا للنبوة ومرسلا للرسل!!!

([2]) ـ القمص شنودة السرياني: هو الاسم الرهباني لنيافة الأنبا يوأنس (أسقف الغربية بمصر)، واسمه العلماني "رمزي عزوز".ولد بالقاهرة في 25 أكتوبر 1923.

([3]) ـ الأنبا يوأنس: الكنيسة المسيحية في عصر الرسل، دار الأنبا رويس ـ القاهرة، ط3: 1987، ص 410.

الباب الثاني

الفصل الثاني ـ نظرة المسيحية للإساءة للأنبياء

أولا ـ شروط الرسول: رأينا فيما سبق أن الرسول في المسيحية ينبغي أن يتوفّر على شرطين، يتمثّل الأول في وجوب صحبة المسيح ومعاشرته، ويتمثّل الثاني في دعوة المسيح له، وبناء على هذين الشرطين فإننا نجد ثلاثة من الرسل لم يتوافر فيهم شرط الرسولية، وهم:

1 ـ متياس: الذي اختير خلفا ليهوذا الأسخريوطي بعد خيانته العظمى المتمثّلة في الوشاية بالمسيح، حيث أن متياس لم يثبت على الإطلاق أنه لقي المسيح طوال حياته، كما لم يثبت بأن المسيح انتدبه إلى الخدمة!!!

2 ـ بولس:واسمه الحقيقي شاول الطرسوسي الفرّيسي، والذي لم يكن في قائمة الرسل التي أعلن عنها المسيح، ولم يلتق المسيح طوال حياته، كما أنه لم يُنتدب من طرف المسيح للخدمة!!!

ورغم عدم أحقّيته بالرسولية (لعدم توفر الشرطين سالفي الذكر)، إلا أن المسيحيين يعتبرونه في طليعة الرسل، وهذا ما نلمسه من خلال رسائله التي حازت مساحة كبيرة من العهد الجديد، كما أن أفكاره طغت على العقائد النصرانية!!!

3 ـ برنابا: وهو من الأشخاص الذين أطلق عليهم لقب "الرسول" مع عدم توفر الشرطين سالفي الذكر!!!

ثانيا ـ عدد الرسل وقوائم أسمائهم: تتناقض المصادر المسيحية في بيانها لعدد الرسل، حيث نجد أن العدد الأكثر شهرة هو "اثنا عشر"، لكن هذا الرقم لا يطابق عدد الرسل الحقيقي الذي يزيد ثلاثة، وهم: متياس، برنابا، بولس، وبالتالي يصبح عدد الرسل خمسة عشر بدل العدد المشهور ألا وهو اثنا عشر !!!

بل إننا نجد نصوصا أخرى صريحة تدلّ على أن عدد تلاميذ المسيح الذين اختارهم للرسالة أكثر من اثني عشر، جاء في سفر لوقا ما نصّه "**وبعد ذلك اختار الرّب يسوع اثنين وسبعين آخرين،**

وأرسلهم اثنين اثنين يتقدّمونه إلى كلّ مدينة أو موضع عزم أن يذهب إليه، وقال لهم: الحصاد كثير، ولكن العمال قليلون...ها أنا أرسلكم مثل الخراف بين الذئاب"[1].

وبهذا نرى أن اقتران الرسل بالعدد اثنا عشر يتناقض مع نصوص صريحة تثبت وتبيّن بأن عددهم أكثر من ذلك، وهذا ما يزيد من الغموض الذي يكتنف هذه الجماعة، ويفقد بالتالي من هيبتها وينتقص من "قدسيتها".

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(1) ـ سفر لوقا:1/10 ـ 3.

الباب الثاني

الفصل الثاني ـ نظرة المسيحية للإساءة للأنبياء

المبحث الثاني

صفات الرسل في المسيحية

تحدّثنا في المبحث الأول من هذا الفصل عن مفهوم النبوّة في المسيحية، ورأينا أن النبوّة في المسيحية تختلف اختلافا جذريا عن النبوة في اليهودية، وهذا راجع إلى طبيعة الديانة المسيحية التي احتلّ فيها المسيح مكان يهوه في اليهودية، ومن ثمّ أصبح المسيح مصدرا للوحي وواهبا للنبوّة، وباعثا للرسل.

ورأينا كيف أن النبوة في المسيحية أخذت شكلا آخر، حينما انصرف لفظ "النبي" إلى "الرسول"، فأصبح مقام الرسولية في المسيحية يقابل مقام النبوة في اليهودية، ومن ثمّ اشتهر لفظ "الرسول" بدل "النبي" في الفكر المسيحي[1].

ومن هنا فإن الحديث عن النبوة في المسيحية ينصرف إلى "هيئة الرسل" التي تحدّثنا عن عددها وأسمائها في المبحث الأول من هذا الفصل.

وسنتحدّث في هذا المبحث عن صفاتها من أجل إعطاء صورة أوضح عن هذه الجماعة، وعن مقام الرسولية في المسيحية.

وقبل الحديث عن صفات الرسل في المسيحية، يجدر بنا أن نشير إلى أمر مهم، ألا وهو ضآلة تاريخ هؤلاء الرسل جميعا، في مقابل تاريخ بولس الرسول الذي امتلأت به المصادر المسيحية، ويرجع ذلك إلى ضآلة ما حفظه لنا التاريخ عنهم، على عكس بولس الذي يمتلك سجلّا وافيا فيما دوّنه عنه رفيقه في الأسفار القدّيس لوقا في سفر الأعمال، وما كتبه هو عن نفسه من خلال رسائله للكنائس والأشخاص[2].

([1]) ـ هذا دون أن ننسى اعتراف المسيحية بنبوّات العهد القديم، كما مرّ معنا في المبحث الأول.

([2]) ـ الأنبا يوأنس: الكنيسة المسيحية في عصر الرسل، مرجع سابق، ص 410.

الباب الثاني

الفصل الثاني ـ نظرة المسيحية للإساءة للأنبياء

ورغم كلّ هذا الشحّ فيما يتعلّق بتاريخ الرسل في المسيحية، إلا أنني حاولت رصد أبرز الصفات التي اتّصفوا بها من خلال ما رشح عنهم من معلومات، كما جاءت في العهد الجديد.

المطلب الأول ـ القداسة: تعتبر القداسة أهم صفة من الصفات التي اتّصف بها الرسل في المسيحية، وهذا راجع إلى اصطفائهم من طرف الرّب يسوع، حيث اختارهم من بين أتباعه لتبليغ رسالته للبشر، جاء في سفر متى "**ودعا يسوع تلاميذه الاثني عشر وأعطاهم سلطانا** ..."[1].

ويذكر صاحب كتاب (الكنيسة أو مملكة المسيح على الأرض) الكثير من العطايا التي اختصّت بها هذه الجماعة، فيقول ما مختصره[2]: "ثمّ أخذ ـ أي عيسى ـ بتثقيفهم وتعليمهم. وكان الرّب إذا ضرب مثلا للجموع يفسّره لهم وحدهم في الخلوة، لأنهم أعطوا معرفة ملكوت السماوات، وكلّ الكلام الذي أعطاه إياه الآب، وقد أحبّهم إلى الغاية وصلّى خصوصا من أجلهم، وطلب بإلحاح من الآب أن يكونوا واحدا، وأن يكونوا معه ليروا مجده...ولئلا يرتاب أحد في حقيقة السلطة التي أعطاهم إياها على شعبه قال لهم صريحا (**سلام عليكم، كما أرسلني الآب أرسلكم أنا**)[3]، فرسالة الرسل هي رسالة المسيح بالذات...فإذا كانت الطاعة للرسل واجبة كالطاعة للمسيح، فالسلطان الذي لهم هو سلطان المسيح بعينه، وزاد على ذلك تصريحا بقوله في موضع آخر (**الحقّ أقول لكم: ما تربطونه في الأرض يكون مربوطا في السماء، وما تحلّونه في الأرض يكون محلولا في السماء**)"[4].

([1]) ـ سفر متى:1/10.

([2]) ـ خليل أدّه اليسوعي: الكنيسة أو مملكة المسيح على الأرض، المطبعة الكاثوليكية ـ بيروت، 1935، ص 55.

([3]) ـ سفر يوحنا: 21/20. وقد جاءت العديد من النصوص التي تتحدّث عن العطايا التي اختصّ بها الرسل من طرف الرّب يسوع، والتي جعلتهم يحظون بهالة من القداسة. ينظر أيضا: 1/17 ـ 26.

([4]) ـ مت:18/18.

وهذا النص يتحدّث عن جملة من المزايا التي حظي بها الرسل، وجعلت منهم أشخاصا غير عاديين، وهي:

أولا ـ نيلهم شرف التعلّم على يد المسيح الذي كان يختلي بهم في سبيل تعليمهم.

ثانيا ـ معرفتهم بأسرار ملكوت السماوات، وأسرار العلاقة بين الآب والرب يسوع.

ثالثا ـ منزلتهم الخاصة لدى المسيح، والتي جعلت المسيح يُكنّ لهم حبّا كبيرا وصل إلى درجة الصلاة لأجلهم، والإلحاح على الآب من أجل الاتّحاد به (المسيح) حتى يروا مجده، وهذا ما بيّنه يوحنا في سفره تحت عنوان (صلاة يسوع من أجل تلاميذه)، فقال ما نصّه: "**أنا أصلي لأجلهم، ولا أصلي لأجل العالم، بل لأجل من وهبتهم لي لأنهم لك، كل ما هو لي فهو لك، وكل ما هو لك فهو لي، وأنا أتمجّد بهم...أيها الآب القدّوس احفظهم باسمك الذي أعطيتني، حتى يكونوا واحدا مثلما أنت وأنا واحد...أنا أرسلتهم إلى العالم كما أرسلتني إلى العالم. من أجلهم أقدّس نفسي حتى يتقدّسوا هم أيضا في الحقّ**"[1].

رابعا ـ وجوب طاعتهم، حيث أن طاعتهم من طاعة المسيح.

خامسا ـ نيلهم السلطان نفسه الذي ناله المسيح.

وهكذا نرى كيف أن هذه المزايا والعطايا التي حظي بها الرسل أهّلتهم لأن يكونوا أشخاصا غير عاديين بل "مقدّسين"[2]، بل وجعلت المسيح يتحدّث عن بقائه معهم طوال الدهر، وهذا ما أشار إليه سفر متى "**وها أنا معكم طوال الأيام، إلى انقضاء الدهر**"[3].

([1]) ـ سفر يوحنا: 9/17 ـ 19.

([2]) ـ متى هنري: التفسير الكامل للكتاب المقدّس، مرجع سابق، ج1، ص 750.

([3]) ـ سفر متى: 20/28.

الباب الثاني

الفصل الثاني ـ نظرة المسيحية للإساءة للأنبياء

المطلب الثاني ـ رؤية قيامة المسيح: من بين الصفات التي اختصّ بها الرسل في المسيحية شهودهم قيامة المسيح، وهذه الصفة التي تنسب لجماعة الرسل مبنية على مسلّمة من المسلّمات العقدية عند المسيحيين، ألا وهي صلب المسيح ودفنه في قبره، ثم قيامته من بين الأموات، وظهوره لهؤلاء الرسل مدّة أربعين يوما، حيث كان يحدّثهم عن ملكوت الله.

وعديدة هي النصوص التي أشارت إلى هذه الخاصية والصفة التي اختصّت بها جماعة الرسل، ومن ذلك:

أولا ـ ما جاء في سفر لوقا تحت عنوان (يسوع يظهر للتلاميذ) "**وبينما التلميذان يتكلّمان ظهر هو نفسه بينهم وقال لهم:سلام عليكم، فخافوا وارتعبوا، وظنّوا أنهم يرون شبحا. فقال لهم: ما بالكم مضطربين، ولماذا ثارت الشكوك في نفوسكم؟ أنظروا إلى يديّ ورجليّ، أنا هو...وقال لهم:هذا ما جاء فيها، هو أن المسيح يتألم ويقوم من بين الأموات في اليوم الثالث، وتعلن باسمه بشارة التوبة لغفران الخطايا إلى جميع الشعوب. ابتداء من أورشليم، وأنتم شهود على ذلك**"[1].

ثانيا ـ ما جاء في سفر مرقس تحت عنوان (يسوع يظهر للرسل الأحد عشر) "**وظهر آخر مرّة لتلاميذه الأحد عشر، وهم يتناولون الطعام...**"[2].

ثالثا ـ ما جاء في سفر يوحنا تحت عنوان (يسوع يظهر لتلاميذه) "**وفي مساء ذلك الأحد، كان التلاميذ مجتمعين والأبواب مقفلة خوفا من اليهود، فجاء يسوع ووقف بينهم، وقال:سلام عليكم. وأراهم يديه وجنبه، ففرح التلاميذ عندما شاهدوا الرّب**"[1].

([1]) ـ سفر لوقا:36/24 ـ 48.

([2]) ـ سفر مرقس:14/16.

رابعا ـ ما جاء في سفر أعمال الرسل "...**جميع ما عمل يسوع وعلّم من بدء رسالته إلى اليوم الذي ارتفع فيه إلى السماء، بعدما أعطى بالروح القدس وصايا للذين اختارهم رسلا. ولهم أظهر نفسه حيّا ببراهين كثيرة، وتراءى لهم مدّة أربعين يوما بعد آلامه، وكلّمهم على ملكوت الله** "[2].

هذه بعض النصوص التي جاءت مبيّنة لهذه الصفة التي تميّزت بها جماعة الرسل، والتي بيّن بطرس الرسول بأن الله قد وعد بها نبيّه داود، حينما أقسم له بأن يقيم من صلبه من يجلس على كرسي ملكه، وأنه سيقوم من بين الأموات، فقال: "**أيها الإخوة: دعوني أقول لكم جهارا: مات أبونا داود ودفن، وقبره هنا عندنا إلى هذا اليوم. وكان نبيّا، فعرف أن الله حلف له يمينا أن من نسله يقيم من يستوي على عرشه. ورأى داود من قبل قيامة المسيح، وتكلّم عليها فقال: ما تركه الله في عالم الأموات، ولا نال من جسده الفساد. فيسوع هذا أقامه الله، ونحن كلّنا شهود على ذلك. فلمّا رفعه الله بيمينه إلى السماء نال من الآب والروح القدس الموعود به فأفاضه علينا، وهذا ما تشاهدون وتسمعون**"[3].

وهكذا نرى كيف بيّنت نصوص العهد الجديد احدى الصفات التي تميّزت بها جماعة الرسل، ألا وهي شهود قيامة المسيح[4]، والتي لم تكن مجرّد صفة أو خاصية انفردت بها هذه الجماعة فحسب، بل تعتبر من المهام الأساسية لهذه الجماعة، يقول أندره لومير:"وكانت مهمّة الاثني عشر الأساسية أن تعلن عن قيامة يسوع إلى رجال إسرائيل"[5].

([1]) ـ سفر يوحنا:19/20 ـ 20.

([2]) ـ سفر أعمال الرسل:1/1 ـ 3.

([3]) ـ أع:29/2 ـ 33.

([4]) ـ التفسير التطبيقي للكتاب المقدّس، ص 2266.

([5]) ـ مجموعة من المؤلفين: تاريخ الكنيسة المفصّل، مرجع سابق، ج1، ص 40.

المطلب الثالث ـ نزول الروح القدس عليهم: وهي من الصفات اللصيقة بهيئة الرسل، حيث يعتقد المسيحيون بأن الروح القدس قد نزل على الرسل في اليوم الخمسين بعد قيامة المسيح من بين الأموات، وبعد صعوده إلى السماء بعشرة أيام، وهو اليوم الذي يسمّونه بيوم "العنصرة"[1].

وترى المسيحية أن الروح القدس بعد أن حلّ على هؤلاء الرسل زوّدهم بقدرات خاصة منها: القدرة على التكلّم بلغات مختلفة لم يكونوا يعرفونها، الخطابة، عمل المعجزات.

وقد أشار سفر الأعمال إلى هذه الصفة التي اختصّ بها الرسل في معرض حديثه عن كيفية نزول الروح القدس[2]، حيث جاء فيه "**ولما جاء اليوم الخمسون، كانوا مجتمعين كلّهم(التلاميذ الاثني عشر) في مكان واحد، فخرج من السماء فجأة دوي كريح عاصفة، فملأ البيت الذي كانوا فيه. وظهرت لهم ألسنة كأنّها من نار، فانقسمت ووقف على كلّ واحد منهم لسان. فامتلأوا كلّهم من الروح القدس، وأخذوا يتكلّمون بلغات غير لغتهم، على قدر ما منحهم الروح القدس أن ينطقوا**"[3].

وهذا النص صريح في تخصيص هذه الجماعة بهذه الصفة، ألا وهي التأييد بالروح القدس، والتي تعتبرها المسيحية تحقيقا للوعد الذي قطعه الرب يسوع على نفسه حين قال لهم:"...**ولكن الروح القدس يحلّ عليكم ويهبكم القوّة، وتكونون لي شهودا في أورشليم واليهودية كلّها والسامرة،**

([1]) ـ وسمّي بذلك نسبة إلى النار التي هي عنصر. ينظر: لجنة التاريخ القبطي: تاريخ الأمة القبطية، وزارة المعارف العمومية ـ القاهرة، 1932، ص 43.

([2]) ـ هوارد مارشال: التفسير الحديث للكتاب المقدّس (العهد الجديد: سفر أعمال الرسل)، مرجع سابق، ص 66.

([3]) ـ سفر أعمال الرسل:1/2 ـ 4.

حتى أقاصي الأرض"[1]. كما خصّهم أيضا بتعميد الروح القدس، حين قال لهم:"**وأما أنتم فستتعمّدون بالروح القدس بعد أيام قليلة**"[2].

ونتيجة لهذه الحدث التاريخي المهم في الديانة المسيحية المرتبط بجماعة الرسل، أصبح يوم حلول الروح القدس عليهم (يوم الخمسين) يوما مقدّسا لدى المسيحيين، حيث يعتبرونه يوم ميلاد الكنيسة، على أساس أن هؤلاء الرسل الاثني عشر هم الذين أنشأوا الكنائس، وأن وجود الكنيسة الواقعي بدأ في يوم الخمسين[3]. يقول صاحب كتاب (الكهنوت):"إن الكنيسة تأسست في يوم الخمسين من قيامة المسيح"[4]. وجاء في معجم اللاهوت الكتابي "ولدت الكنيسة يوم فصح المسيح، عندما انتقل هذا العالم إلى أبيه"[5].

ولا يعترف المسيحيون بانتهاء أثر الروح القدس في اليوم الذي نزل تأييدا لجماعة الرسل، وإنما يرون استمراره معهم، مما كان سببا في انتشار دعوتهم في مختلف المناطق، وهذا ما أشار إليه أحد مفسّري الكتاب المقدّس بقوله :"كان أهم شيء في الموضوع أن يفهم الجميع أنه ما من شيء يقدر أن يعرقل انتشار الكنيسة (المسيحية) إلى أقاصي الأرض، حتى ولا أعنف الاضطهادات، لأن روح الله الذي حلّ على الرسل في يوم الكنيسة الأول سيواصل عمله في رسل المسيح إلى نهاية العالم"[6].

المطلب الرابع ـ التأييد بالمعجزات: من بين الصفات التي تميّزت بها جماعة الرسل تأييدهم بالمعجزات. وترى المسيحية أن هذه الصفة مرتبطة بمهمّتهم التي كلّفوا بها، حيث أنه تحقيقا لرسالتهم

([1]) ـ سفر أعمال الرسل:8/1.

([2]) ـ أع:5/1.

([3]) ـ أندروملر: مختصر تاريخ الكنيسة، شركة الطباعة المصرية ـ القاهرة، ط4: 2003، ص25.

([4]) ـ عوض سمعان: الكهنوت، دار الإيمان المسيحية ـ القاهرة، ط2: 1985، ص 553.

([5]) ـ نخبة من علماء اللاهوت: معجم اللاهوت الكتابي، دار المشرق ـ القاهرة، ط2: 1988، ص 675.

([6]) ـ تاريخ الكنيسة المفصّل، مرجع سابق، ج2، ص 20.

المتمثّلة في التبشير بالإنجيل أعطاهم الرّب يسوع سلطانا على جميع الشياطين، وشفاء الأمراض، والضعفاء. جاء في سفر مرقس ما نصّه "**وأما التلاميذ فذهبوا يبشّرون في كلّ مكان، والرّب يعينهم ويؤيّد كلامهم بما يسانده من الآيات**"[1].

كما جاء في سفر لوقا في معرض الحديث عن وظيفة الرسل ما نصّه "**ودعا يسوع تلاميذه الاثني عشر وأعطاهم سلطانا على جميع الشياطين، وقدرة على شفاء الأمراض، ثمّ أرسلهم ليبشّروا بملكوت الله، ويشفوا المرضى**"[2].

فمن أجل تسهيل مهمّتهم المتمثّلة في التبشير بالإنجيل، وكسب قلوب الناس، وتأييدهم وتعاطفهم، أيّدهم الرّب يسوع بالمعجزات، فجرت على أيديهم آيات وعجائب كثيرة[3].

وتتحدّث نصوص العهد الجديد عن هذه الآيات (المعجزات) التي اختصّ بها الرسل، واتّصفوا بها، وجرت على أيديهم، تحقيقا لرسالتهم، ومن ذلك:

أولا ـ شفاء المرضى: ورد في سفر الأعمال في معرض الحديث عن الآيات التي أُيّدت بها جماعة الرسل"**وجرى على أيدي الرسل بين الشعب كثير من العجائب والآيات...وتكاثر عدد المؤمنين بالرّب من الرجال والنساء حتى أنهم كانوا يحملون مرضاهم إلى الشوارع ويضعونهم على الأسرّة والفرش، حتى إذا مرّ بطرس يقع ولو ظلّه على أحد منهم. وكانت جموع الناس تجيء**

([1]) ـ سفر مرقس:20/16.

([2]) ـ سفر لوقا:1/9 ـ 2.

([3]) ـ جاء في سفر أعمال الرسل (43/2) ما نصّه "**وتمّت عجائب وآيات كثيرة على أيدي الرسل**". ينظر:متى هنري: التفسير الكامل للكتاب المقدّس، مرجع سابق، ج1، ص 439.

إلى أورشليم من المدن المجاورة تحمل المرضى والذين فيهم أرواح نجسة، فيشفون كلّهم"[1].

ثانيا ـ إحياء الموتى: وقد اختص بها بطرس الرسول، ويروي سفر الأعمال تفاصيل إحياء بطرس الرسول لامرأة فارقت الحياة، حيث جاء فيه ما نصّه "**وكان في يافا تلميذة اسمها طابيثة، وباليونانية دوركاس، أي غزالة، تصرف كلّ وقتها في الأعمال الصالحة وإعانة المحتاجين، فمرضت في ذلك الوقت وماتت. فغسلوها ووضعوها في الغرفة العليا...فقام بطرس مسرعا ورجع معهما إلى يافا. فلما وصل صعدوا به إلى الغرفة العليا، فاستقبلته الأرامل باكيات...فأخرج بطرس الناس كلّهم وسجد وصلى، ثم التفت إلى الجثّة وقال:طابيثة قومي. ففتحت عينيها، ولما رأت بطرس جلست. فمدّ يده إليها وأنهضها. ثمّ دعا الإخوة القدّيسين والأرامل وأحضرها حيّة. فانتشر الخبر في يافا كلّها، فآمن بالرّب عدد كبير من الناس"**[2].

ثالثا ـ تسخير الملائكة: وهي من الآيات والمعجزات التي انفرد بها الرسل، ويحكي سفر الأعمال قصة خروج بطرس من السجن بفضل الملائكة التي أرسلها الرّب لأجله تخليصه من بطش اليهود، حيث جاء فيه ما نصّه "**وكان بطرس في الليلة التي عزم هيرودس أن يعرضه بعدها للشعب نائما بين حارسين، وكان مقيّدا بسلسلتين، وعلى الباب جنود يحرسون السّجن. وظهر ملاك الرّب بغتة، فسطع نور في داخل السجن. وضرب الملاك بطرس على جنبه، فأيقظه وقال له: قم سريعا. فانحلت السلسلتان عن يديه...فاجتازا الحرس الأول والثاني، ووصلا إلى الباب الحديدي الذي يواجه المدينة، فانفتح من تلقائه. وخرجا حتى قطعا شارعا واحدا، ففارقه الملاك في**

([1]) ـ سفر أعمال الرسل:12/5 ـ 16. كما وردت هذه المعجزة(شفاء المرضى) في الإصحاح الثالث من هذه السفر في حديثه عن شفاء بولس لرجل كسيح (أعرج) تحت عنوان (شفاء الكسيح). ينظر:1/3 ـ 10.

([2]) ـ أع:36/9 ـ 42.

الحال.فأفاق بطرس من غفلته وقال:الآن تأكّد لي أن الرّب أرسل ملاكه فأنقذني من يد هيرودس"[1].

وهكذا نرى كيف ارتبطت المعجزات بالرسل، فكانت إحدى الخصائص والصفات التي تميّزوا بها، وإن كان سفر أعمال الرسل يجعل النصيب الأكبر منها للرسول بطرس، وهذا باعتباره رئيس هيئة الرسل.

المطلب الخامس ـ مغفرة الذنوب: وهي من الصفات أو بالأحرى من السلطات التي منحها الرّب يسوع لجماعة الرسل، وذلك بعد قيامته من الأموات وتكليفهم بالرسالة، فأصبحت بذلك ذنوب العباد مرهونة بهؤلاء الرسل. جاء في سفر يوحنا ما نصّه "**فقال لهم**(لتلاميذه الاثني عشر) **يسوع ثانية:سلام عليكم. كما أرسلني الآب أرسلكم أنا.قال هذا ونفخ في وجوههم، وقال لهم: خذوا الروح القدس. من غفرتم له خطاياه تغفر له، ومن منعتم عنه الغفران يمنع عنه"**[2].

ورغم أن النص واضح وصريح في تخصيص هذه الصفة بالرسل، وأنها من الصفات والخصائص التي تميّزوا بها، إلا أن المسيحية اعتبرتها ميثاقا للكنيسة وخدّامها[3]، فانسحب سلطان مغفرة الذنوب بعد ذلك على الباباوات، وأصبحت لديهم سلطة مغفرة الذنوب، بل وأصبح هذا الأمر مسلّمة من المسلّمات، على اعتبار أن الباباوات هم نوّاب المسيح وخلفاء الرّسل، فحُقّ لهم أن يتوارثوا هذا السلطان إلى منتهى الدهر!!!

([1]) ـ سفر أعمال الرسل:6/12 ـ 11.

([2]) ـ سفر يوحنا:21/20 ـ 23.

([3]) ـ متى هنري: التفسير الكامل للكتاب المقدّس، مرجع سابق، ج1، ص 788.

الباب الثاني

الفصل الثاني ـ نظرة المسيحية للإساءة للأنبياء

ونتيجة لذلك ظهر في الفكر المسيحي ما يسمى ب"صكوك الغفران"[1] الذي كانت الكنيسة تملكه وتمنحه لمن تشاء، وتمنعه عن من تشاء[2]، ثمّ تطوّر الأمر بعد ذلك لتصبح هذه المغفرة في القرن السادس عشر (16م) تمنح بصكوك تباع وتشترى بالمال، ولها باعة متجوّلون في الطرقات، مثل أي سلعة معروضة في الأسواق، فكان متاحا لأي إنسان أن يشتري هذا الصك الذي لا يمنع صاحبه من ارتكاب المعاصي والموبقات، بل كان بمثابة جواز المرور إلى النعيم المقيم!!![3]

هذه بعض الصفات والخصائص التي تميّز بها الرسل في المسيحية وانفردوا بها كما جاءت في نصوص العهد الجديد، والتي أهّلتهم لأن يكونوا في منزلة مساوية لأنبياء العهد القديم، وهذا ما صرّح به لوقا حينما ساوى بين الأنبياء والرسل فقال:"**ولذلك قالت حكمة الله: أرسل إليهم الأنبياء والرسل فيقتلون منهم ويضطهدون**"[4].

بل إن مكانة رسل المسيح لتسمو على مكانة أنبياء العهد القديم، وذلك وفق المفهوم المسيحي الذي يجعل من المسيح إلها متجسّدا ومعلنا عن نفسه في صورة حيّة مشاهدة، فيكون الرسل قد تلقّوا التكليف منه مباشرة، بخلاف أنبياء العهد القديم الذين تلقّوا الوحي لا بمعاينة ومباشرة الرّب، وإنما بطرق غير مباشرة، وهذا ما أشار إليه بولس بقوله:"**فنحن نتصرّف بجرأة، فما نحن كموسى الذي كان يضع قناعا على وجهه لئلا يرى بنو إسرائيل نهاية ما يزول**"[5].

([1]) ـ الصك: الوثيقة، ويجمع على صكوك. ينظر: دائرة المعارف الكتابية:29/7.

([2]) ـ وقد مُنح هذا السلطان للكنيسة الكاثوليكية وأقرّ في المجمع الثاني عشر بروما سنة 1215م. ينظر:عبد الرزاق ألارو:مصادر النصرانية، دار التوحيد ـ الرياض، ط1: 2007، ج1، ص 829.

([3]) ـ استعملت الكنيسة صكوك الغفران في بادئ الأمر لتشجيع المسيحيين من أجل محاربة المسلمين في الحروب الصليبية، ثم أصبح بعد ذلك سلعة تباع وتشترى. ينظر: جاد المنفلوطي: تأريخ المسيحية (المسيحية في العصور الوسطى)، دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية ـ القاهرة، ص 88.

([4]) ـ سفر لوقا:49/11.

([5]) ـ رسالة كورنثوس الثانية:12/3 ـ 13.

وهذا إن دلّ على شيء فإنّما يدلّ على مقام الرسولية "المقدّس" في المسيحية، نتيجة الخصائص التي تميّز بها الرسل، والسلطات التي مُنحت لهم من طرف الرّب يسوع، والتي جعلت هذه المنزلة "المقدّسة" لا تقتصر على الحياة الدنيا فحسب، بل امتدّت إلى الآخرة، حيث أن الرسل يختلفون عن بقية الناس يوم الدينونة، وأنهم يكونون على اثني عشر عرشا، ويقومون بمحاسبة أسباط بني إسرائيل[1]، وهذا ما أشار إليه سفر متى "**وقال له بطرس:ها نحن (الرسل) تركنا كلّ شيء وتبعناك، فماذا يكون نصيبنا؟ فأجاب يسوع: الحقّ أقول لكم: متى جلس ابن الإنسان على عرش مجده عند تجديد كلّ شيء، تجلسون أنتم الذين تبعوني على اثني عشر عرشا لتدينوا عشائر إسرائيل الاثني عشر**"[2].

(1) ـ موسى الشيخي: تقديس الأشخاص عند النصارى وآثاره، مرجع سابق، ص 229.
(2) ـ سفر متى:19/27 ـ 28.

المبحث الثالث

وظائف الرسل في المسيحية

لما كانت المسيحية متمّمة للديانة اليهودية، كان من الطبيعي أن تتلقّى نبوات العهد القديم بالقبول والتسليم، كونها(أي المسيحية) حلقة في سلسلة نبوّات بني إسرائيل.

ومن هنا فإن الحديث عن وظائف الرسل في المسيحية ينبغي أن يسبقه بيان لمهام أنبياء العهد القديم وفق المنظور المسيحي، بناء على الاعتبار سالف الذكر[1].

هذا وقد قسّمت هذا المبحث إلى مطلبين: جعلت الأول للحديث عن مهام أنبياء العهد القديم كما تراها المسيحية، وجعلت الثاني للحديث عن مهام الرسل كما صرّحت بذلك نصوص العهد الجديد.

المطلب الأول ـ مهام أنبياء العهد القديم: تختزل المسيحية وظيفة أنبياء العهد القديم في محور واحد، ألا وهو التبشير بمجيء المسيح، حيث ترى بأن الهدف من بعثتهم هو التمهيد لمجيء المسيح، الذي فيه تجسّدت الأحداث والنبوّات[2]. يقول إبراهيم مطر[3]:"ولا تقتصر أهمية أنبياء العهد القديم على كونهم تنبّأوا عن المسيح فحسب، بل الأكثر عن كونهم مهّدوا الطريق إليه، وقد وجدت النبوة عند العبرانيين هدفها الأعلى وتحقّقت الآمال فيما يتعلّق بملكوت السماء عن طريق المسيح"[4].

([1]) ـ ونقصد به إيمان المسيحية بأنبياء العهد القديم.

([2]) ـ قاموس الكتاب المقدّس، ص 636.

([3]) ـ وهو أحد المفكّرين المسيحيين، من مسيحيي مصر.

([4]) ـ إبراهيم مطر: الأنبياء والنبوة، ص 29.

الباب الثاني

الفصل الثاني ـ نظرة المسيحية للإساءة للأنبياء

وعديدة هي نصوص العهد الجديد التي حصرت مهام أنبياء بني إسرائيل في التمهيد لمجيء المسيح، جاء في سفر لوقا في حديث الرّب يسوع لتلاميذه ما نصّه "**لا بدّ أن يتمّ لي كلّ ما جاء عنّي في شريعة موسى، وكتب الأنبياء والمزامير**"[1].

وتحصي دائرة المعارف الكتابية عدة مئات من النبوّات في العهد القديم عن الرّب يسوع، تتعلّق بولادته وحياته وصفاته وعمله ووفاته...وغيرها من الأمور المتعلّقة به.

وفيما يلي جدول يوضّح موضوع النبوّات عن المسيح في العهد القديم، وتحقّقها في العهد الجديد[2]:

موضوع النبوات	نبوات العهد القديم	تحقّقها في العهد الجديد
1 ـ مكان ولادة المسيح	سفر ميخا:2/5	سفر متى:1/2 ـ 6
2 ـ صفات والدة المسيح	سفر اشعيا:14/7	سفر متى:18/1 ـ 25
3 ـ دخول المسيح أورشليم منتصرا	سفر زكريا:9/9	سفر متى:1/21 ـ 9
4 ـ الإساءة إلى المسيح من طرف قومه	سفر اشعيا:1/53 ـ 3 سفر المزامير:22/118	سفر متى:3،4/26 سفر يوحنا:37/12 ـ 43
5 ـ خيانته من طرف أحد أتباعه	سفر المزامير:10/41	سفر متى:14/26 ـ 16، 47 ـ 50 سفر لوقا:3/22 ـ 6
6 ـ محاكمة المسيح وإدانته	سفر اشعيا:8/53	سفر متى:1،2/27 سفر لوقا:1/23 ـ 25
7 ـ صمته أمام متّهميه	سفر اشعيا:6/50	سفر متى:12/27 ـ 14 سفر مرقس:3/15، 4 سفر لوقا:8/23 ـ 10

(1) ـ سفر لوقا:44/24.

(2) ـ ينظر: التفسير التطبيقي للكتاب المقدّس، 2260. دائرة المعارف الكتابية:21/7 ـ 22.

8 ـ تحمّله الأذى من أعدائه	سفر اشعيا:6/50	سفر متى:67/26، 30/27 سفر مرقس:65/14
9 ـ موته مصلوبا على الصليب	سفر المزامير:14/22 ـ 17	سفر متى:35/27 ـ 37 سفر مرقس:20/15 ـ 25
10 ـ تعذيبه مع المجرمين	سفر اشعيا:12/53	سفر متى:38/27 سفر مرقس:27/15 ـ 28 سفر لوقا:32/23 ـ 34
11 ـ قيامته من بين الأموات	سفر المزامير:10/16	سفر متى:1/28 ـ 10 سفر أعمال الرسل:22/2
12 ـ صعوده إلى السماء وجلوسه عن يمين الله	سفر المزامير:1/110	سفر مرقس:19/16 سفر لوقا:50/24 ـ 51

وهكذا نرى كيف وظّفت المسيحية نبوّات العهد القديم المتعلّقة بالمسيح للدلالة على أن المقصد من بعثة أنبياء بني إسرائيل هو التمهيد لمجيء المسيح.

المطلب الثاني ـ وظائف الرسل: ارتبطت وظيفة الرسل في المسيحية بمسألة اختيارهم من طرف الرّب يسوع، حيث حدّد لهم في خطاب التكليف طبيعة المهمّة التي انتدبهم لها، ألا وهي الكرازة (التبشير) بالإنجيل[1].

ومن النصوص الدالّة على الإطار العام لوظيفة الرسل، ما جاء في سفر متى "**فدنا منهم يسوع وقال لهم:نلت كلّ سلطان من السماء والأرض. فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم، وعمدّوهم باسم الآب والابن والروح القدس، وعلّموهم أن يعملوا بكلّ ما أوصيتكم به**"[2].

(1) ـ الأنبا يؤانس: الكنيسة المسيحية في عصر الرسل، مرجع سابق، ص 136.
(2) ـ سفر متى:18/28 ـ 20.

الباب الثاني

الفصل الثاني ـ نظرة المسيحية للإساءة للأنبياء

وجاء في سفر مرقس ما نصّه "**وظهر آخر مرّة لتلاميذه الأحد عشر، وهم يتناولون الطعام فلامهم على قلّة إيمانهم، وقساوة قلوبهم، لأنهم ما صدّقوا الذين شاهدوه بعدما قام. وقال لهم اذهبوا إلى العالم كلّه، وأعلنوا البشارة إلى الناس أجمعين**"[1].

وهذان النصان يحدّدان وظيفة الرسل كما أوصى بها المسيح، المتمثّلة في التبشير برسالته لجميع الأمم[2]. ويرى متى هنري ـ بناء على النصين سالفي الذكر ـ بأنه كان لزاما على الرسل المناداة بالإنجيل في كلّ مكان، وبذل أقصى طاقتهم من أجل أن تؤثّر التعاليم المسيحية في دساتير الأمم، وتعمّ جميع الأرض[3].

وقد كان التبشير بالإنجيل يدور حول محورين اثنين[4]:

أولا ـ الحديث عن موت المسيح وقيامته، وبيان فضله وسماحته وأثرها في الخلاص من الإثم والخطيئة.

ثانيا ـ التعريف بالفريضة الافتتاحية (المعمودية) التي بها يصبح الإنسان مؤمنا بتعاليم المسيح[5].

([1]) ـ سفر مرقس:14/16 ـ 15.

([2]) ـ يستند المسيحيون في اثبات دعوى عالمية الديانة المسيحية بهذا النص الذي بيّن فيه المسيح امتداد الإرسالية (**فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم**)، وهذا ما يتناقض مع نصوص أخرى تحدّد مجال الدعوة في دائرة اليهود!!! جاء في سفر متى (5/10 ـ 7) ما نصّه "**وأرسل يسوع هؤلاء التلاميذ الاثني عشر وأوصاهم قائلا:لا تقصدوا أرضا وثنية، ولا تدخلوا مدينة سامرية، بل اذهبوا إلى الخراف الضالة من بني إسرائيل، وبشرّوا في الطريق بأن ملكوت السماوات قد اقترب**".

([3]) ـ متى هنري: التفسير الكامل للكتاب المقدّس، مرجع سابق، ج1، ص 298،379.

([4]) ـ المرجع نفسه، ص 379. الكنيسة القبطية: الديداخي (أي تعليم الرسل)، مرجع سابق، ص 137.

([5]) ـ تعتبر المعمودية بمثابة عهد وعقد يصبح بموجبه الإنسان مسيحيا مؤمنا بالكتاب المقدّس، مسلّما لما جاء فيه، ملتزما بوصايا السيد المسيح (الأوامر والنواهي)، وهذا ما نجده عند الرسول "فيلبس" الذي عمّد وزير ملكة الحبشة. ينظر:سفر الأعمال:26/8 ـ 39.

الباب الثاني

الفصل الثاني ـ نظرة المسيحية للإساءة للأنبياء

ولتسهيل مهمّة الرسل في التبشير بالإنجيل، نجد المسيح يؤيّدهم بآيات ومعجزات، جاء في سفر مرقس ما نصّه"**وأما التلاميذ فذهبوا يبشّرون في كلّ مكان، والرّب يعينهم ويؤيّد كلامهم بما يسانده من الآيات**"[1].

وقد أخذ التبشير بتعاليم المسيح صورا متعدّدة وأشكالا متنوّعة، يمكن إجمالها فيما يأتي[2]:

1 ـ الخطب: وقد كانت الخطب من الوسائل التي استخدمها الرسل في أداء مهمّتهم، حيث كانوا ينتهزون الفرص للترويج لتعاليم المسيح، وهذا ما نجده في غير موضع في سفر أعمال الرسل، ومن ذلك:

أ/ خطبة بطرس مع بقية التلاميذ في أورشليم: حيث جاءت للتعريف بالرّب يسوع، وبتعاليمه التي تقود إلى الخلاص، جاء في سفر أعمال الرسل ما نصّه "**فوقف بطرس مع التلاميذ الأحد عشر، ورفع صوته وقال لهم:أيّها اليهود، ويا جميع المقيمين في أورشليم، أصغوا إلى كلامي...فمن دعا باسم الرّب يخلص...فليعلم بنو إسرائيل كلّهم علم اليقين أن الله جعل يسوع هذا الذي صلبتموه أنتم ربّا ومسيحا. فلما سمع الحاضرون هذا الكلام، وخزتهم قلوبهم، فقالوا لبطرس وسائر الرسل، ماذا يجب علينا أن نعمل أيها الإخوة؟ فقال لهم بطرس: توبوا وليتعمّد كلّ واحد منكم باسم يسوع المسيح، فتغفر خطاياكم....**"[3].

ب/ خطبة بطرس ويوحنا في الهيكل: وهي الخطبة التي حملت تأنيبا لليهود على الإساءة العظيمة للرّب يسوع، وتذكيرهم بقيامته من بين الأموات، وختمت هذه الخطبة بالوصية بالتوبة، جاء في سفر الأعمال ما نصّه "**وبينما الرجل يلازم بطرس ويوحنا تدافع الناس كلّهم في حيرة نحو الرواق**

---

(1) ـ سفر مرقس:20/16.

(2) ـ استخلصت هذه الصور والأشكال من سفر أعمال الرسل، باعتباره السفر الذي تحدّث بالتفصيل عن وظائف الرسل.

(3) ـ سفر الأعمال:14/2 ـ 39.

الذي يقال له رواق سليمان. فلّما رآهم بطرس على هذه الحال قال لهم: يا بني إسرائيل، ما بالكم تتعجّبون مما جرى...فتوبوا وارجعوا تغفر خطاياكم. فتجيء أيام الفرح من عند الرّب"[1].

ج/ خطبة فيلبس: وهي الخطبة التي ألقاها الرسول فيلبس على أهل مدينة السامرة، حيث جاء فيها "**وأخذ المؤمنون الذين تشتّتوا ينتقلون من مكان إلى آخر مبشّرين بكلام الله. فنزل فيلبس إلى مدينة في السامرة وبدأ يبشّر فيها بالمسيح. وأصغت الجموع بقلب واحد إلى أقواله، لأنها سمعت بعجائبه أو شاهدتها. فكانت الأرواح النجسة تخرج من أناس كثيرين...**"[2].

2 ـ المواعظ: تعتبر الموعظة وسيلة من الوسائل التي استخدمها الرسل في أداء مهمّتهم في التبشير بتعاليم المسيح، حيث كانوا يستغلّون تنقّلاتهم إلى المدن والقرى، وأماكن تجمّع الناس لوعظهم (فرادى وجماعات)، ومن هذه المواعظ:

أ/ موعظة بطرس مع بقية الرسل في أورشليم : وهي الموعظة التي أثمرت دخول الآلاف في المسيحية، جاء في سفر الأعمال "**وكان بطرس يناشدهم ويعظهم بكلام آخر ويقول:تخلّصوا من هذا الجيل الفاسد. فالذين قبلوا كلامه تعمّدوا، فانضمّ في ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف نفس. وكانوا يداومون على الاستماع إلى تعاليم الرسل وعلى الحياة المشتركة**"[3].

ب/ موعظة بطرس لأهل قيصرية: وقد كانت هذه الموعظة بناء على طلب أحد أبناء قيصرية، حيث ذكّرهم بطرس ببشارة المسيح، وفضله على البشرية، جاء في سفر الأعمال تحت عنوان (موعظة بطرس) ما نصّه: "**فقال بطرس: أرى أن الله في الحقيقة لا يفضّل أحدا على أحد. فمن خافه**

---

(1) ـ أع:11/3 ـ 20. 1/4 ـ 2.
(2) ـ أع:4/8 ـ 7.
(3) ـ سفر الأعمال:40/2 ـ 42.

من أيّة أمّة كانت وعمل الخير كان مقبولا عنده. أرسل كلمته إلى بني إسرائيل يعلن بشارة السلام بيسوع المسيح الذي هو ربّ العالمين"[1].

3 ـ الصلاة: ونقصد بالصلاة "الدعاء"، حيث استغلّ الرسل الدعاء لنشر تعاليم المسيح، ومن ذلك دعاء بطرس ويوحنا لأهل السامرة "**فلّما سمع الرسل في أورشليم أن السامريين قبلوا كلام الله، أرسلوا إليهم بطرس ويوحنا، فلمّا وصلا إلى السامرة صلّيا لهم حتى ينالوا الروح القدس، لأنه ما كان نزل بعد على أحد منهم، إلا أنهم تعمّدوا باسم الرّب يسوع**"[2].

هذه بعض الصور والأشكال التي تعبّر عن وظيفة الرسل في المسيحية، والمتمثّلة في الترويج لتعاليم المسيح، كما جاءت في نصوص العهد الجديد. وهي الوظيفة التي صرّح بها السيد المسيح في خطاب التكليف، عقب قيامته من بين الأموات.

وبهذا نرى بأن وظيفة الرسل في المسيحية اقتصرت على جانب واحد، دون غيره من الجوانب الأخرى، وهو الجانب الديني الصرف، تقيّدا بأمر الرّب يسوع. يقول يوسابيوس القيصري[3]:"تمّموا وصيّة المخلّص، ووزّعوا مقتنياتهم على المحتاجين، وبدأوا يقومون برحلات طويلة، ويتمّمون خدمة التبشير، إذ كانوا قد امتلأوا رغبة في الكرازة بالمسيح لمن لم يسمعوا بعد كلمة الإيمان"[4].

([1]) ـ أع:34/10 ـ 36.

([2]) ـ أع:14/8 ـ 16.

([3]) ـ يوسابيوس القيصري (263 ـ 339م): يُعتبر يوسابيوس القيصري أب التاريخ الكنسي ومؤسس فكرة نشر أقوال الآباء. يُعتبر عمله "التاريخ الكنسي" أساسًا قامت عليه مدرسة المؤرخين الكنسيين في العالم كله. تأثر يوسابيوس القيصرى بآريوس وكان هذا واضحا في كتاباته عن لاهوت يسوع في تاريخ الكنيسة. ينظر: تادرس يعقوب ملطي: قاموس آباء الكنيسة وقدّيسيها، كنيسة الشهيد مارجرجس ـ مصر، 2001، ص 480.

([4]) ـ يوسابيوس القيصري:تاريخ الكنيسة، مرجع سابق، ص 56.

الباب الثاني

الفصل الثاني ـ نظرة المسيحية للإساءة للأنبياء

وتُدخل المسيحية (تأسيس الكنيسة) ضمن الأعمال التي قام بها الرسل، على اعتبار أن التبشير بملكوت الله الذي جاء في خطاب تكليف المسيح للرسل يحمل معنى تأسيس الكنيسة، وهذا ما أشار إليه صاحب كتاب (مصادر الوحي الإنجيلي) حين قال:"إن الكنيسة التي يؤسّسها الرسل بتأييد الروح القدس هي ملكوت الله الذي بشّر به يسوع في الإنجيل، والذي ظلّ المسيح بعد قيامه أربعين يوما يكلّم رسله في شؤون ملكوت الله[1]، وذكر لوقا هذا في فاتحة سفر الأعمال هو البرهان على أنه يرى ملكوت الله في كنيسة الرسل التي يؤرّخ لتأسيسها وانتشارها في كتابه"[2].

والكنيسة التي تتحدّث عنها المسيحية وترى بأن تأسيسها يرجع إلى عهد الرسل[3]، ويدخل ضمن أعمال الرسل، لا تعني ذاك البناء الذي يجتمع فيه المسيحيون لأداء شعائرهم وطقوسهم، وإنما تعني بها جماعة المؤمنين الأوائل (الرسل) الذين نشروا تعاليم المسيح[4]، ثمّ تطوّرت بعد ذلك للدلالة على المكان الذي يجتمع فيه المسيحيون لأداء العبادة. يقول عوض سمعان[5]:"وعن طريق خدمات الرسل الشفوية والتحريرية آمن كثير من اليهود والأمم بالمسيح إيمانا حقيقيا في جهات متفرّقة من العالم، وساروا طبقا لما تلقّوه من الرسل، من جهة العبادة والخدمة والسلوك، فمن ثمّ وإن كانت نشأت كنائس في بلاد متعدّدة، لكن هذه الكنائس كانت كنيسة الله الواحدة في إيمانها وعبادتها ومسلكها"[6].

وقد أطلق المسيحيون على الكنيسة اسم "الكنيسة الواحدة المقدّسة الجامعة الرسولية"، حيث يشير لفظ (الواحدة): إلى الجسد الواحد الذي تكوّنت منه الكنيسة، وهم جماعة الرسل، ويشير لفظ

([1]) ـ جاء في سفر أعمال الرسل (3/1) ما نصّه "و**كلّمهم على ملكوت الله**".

([2]) ـ يوسف الحداد: مصادر الوحي الإنجيلي، مرجع سابق، ص 253.

([3]) ـ وبالتحديد يوم الخمسين (يوم العنصرة). ينظر: الأنبا يؤانس: الكنيسة المسيحية في عهد الرسل، مرجع سابق، ص 66.

([4]) ـ المرجع نفسه، ص553.

([5]) ـ وهو أحد القساوسة المعاصرين، له العديد من المؤلفات في اللاهوت المسيحي.

([6]) ـ عوض سمعان: الكهنوت، مرجع سابق، ص 455، 456.

الباب الثاني

الفصل الثاني ـ نظرة المسيحية للإساءة للأنبياء

(المقدّسة): لتقديس المسيح لجماعة الرسل الذين تكوّنت منهم الكنيسة، أما لفظ (الجامعة) فلأنها عمومية بالنسبة للزمان والمكان والأشخاص، كما يشير لفظ (الرسولية) إلى الرسل الذين أسّسوها[1].

وقد أثار عمل الرسل المتمثّل في التبشير بتعاليم المسيح، حفيظة جماعات من رجال الدين والملوك، الذين رأوا في عمل الرسل تهديدا مباشرا لمكانتهم الدينية، وزعامتهم السلطوية، فتصدّوا لهؤلاء الرسل، واضطهدوهم، بل ووصل بهم الأمر إلى اعتقالهم وقتلهم، كما هو الحال مع الرسول يعقوب بن زبدي أخ يوحنا، والرسول بطرس، اللّذين تعرّضا للقتل والسجن (على التوالي) من طرف الملك هيرودس، جاء في سفر الأعمال ما نصّه "**وفي ذلك الوقت أخذ الملك هيرودس يضطهد بعض رجال الكنيسة (الرسل). وقتل بحدّ السيف يعقوب أخا يوحنا. فلمّا رأى أن هذا يرضي اليهود، قبض أيضا على بطرس، وكان ذلك في أيام الفطير، وبعدما قبض عليه ألقاه في السّجن...**"[2].

كما نجد رجال الدين (الكهنة) يتعرّضون للرسل بالاضطهاد، جاء في السفر نفسه:"**واشتدّت نقمة رئيس الكهنة وأتباعه من شيعة الصدوقيين فأمسكوا الرسل، وألقوهم في السّجن العام**"[3].

([1]) ـ ينظر: يوحنا سلامة: اللآلئ النفيسة في شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة، مرجع سابق، ج1، ص 32.

([2]) ـ سفر أعمال الرسل:1/12 ـ 4.

([3]) ـ أع:17/5 ـ 18.

الباب الثاني

الفصل الثاني ـ نظرة المسيحية للإساءة للأنبياء

المبحث الرابع

الإساءة إلى الرسل في المسيحية

تحدثت في المبحثين السابقين عن صفات الرسل ووظائفهم، كما وردت في نصوص العهد الجديد، والتي عزّزت من مكانتهم "المقدّسة" في الديانة المسيحية.

لكن وعلى الرغم من هذه المنزلة "المقدّسة" التي يحظى بها الرسل، والأهمية العظمى التي يتمتّعون بها، سواء من ناحية صفاتهم، أو من ناحية وظائفهم، والتي حفلت بها نصوص العهد الجديد، فإننا نجد بعض النصوص الأخرى تورد أخبارا تقدح وتطعن في الرسل، وتسيء إلى تلك المنزلة "المقدّسة" وتدنّس مقام الرسولية ، وتنتقص من قيمته وهيبته وقدسيته، إما من خلال انتحال شخصيات لصفة الرسولية، أو من خلال اضطهاد الرسل لبعضهم البعض، أو من خلال انحراف جماعة الرسل عن المهمّة التي كلّفهم بها الرب يسوع، أو من خلال إساءة الرسل للرّب.

المطلب الأول ـ انتحال بعض الشخصيات صفة الرسولية: من مظاهر الإساءة لجماعة الرسل في المسيحية انتحال بعض الشخصيات لصفة الرسولية، حيث أطلقت نصوص العهد الجديد اسم "الرسول" على عدّة شخصيات لم يرد لها ذكر في قائمة التلاميذ الذين عيّنهم المسيح بنفسه[1]، ولا ينطبق عليها أي من شرطي الرسل كما حدّدتها المسيحية، وهما[2]:

أولا ـ أن يكون قد اتّصل بالمسيح وعاشره، وتلقّى تعاليمه منه مباشرة.

ثانيا ـ أن يكون المسيح قد استدعاه إلى هذه الخدمة.

([1]) ـ وهم كالآتي: سمعان(بطرس)، أندراوس، يعقوب بن زبدي، يوحنا، فيلبس، برتلماوس، توما، متى، يعقوب بن حلفي، تدّاوس، سمعان الغيور، يهوذا الأسخريوطي.

([2]) ـ ينظر: قاموس الكتاب المقدّس، ص 275.

وهذه الشخصيات هي:

1 ـ بولس: واسمه شاول، لكنّه اشتهر ببولس، ولد من أبوين يهوديين بطرسوس جنوبي آسيا الصغرى، وذلك بعد ميلاد المسيح بسنوات، سنة 5 أو 6م. ولما كان والده من الفرقة الفرّيسية[1] نشأ هو الآخر على أصول ومبادئ هذه الفرقة، متحمّسا لشريعة آبائه،كان كثير التجوال ممّا جعله يُلمّ بالكثير من الثقافات واللغات المجاورة[2]، اهتدى إلى المسيحية في احدى سفرياته إلى دمشق بعد رؤيا الرّب يسوع، حينما أعلن له الرّب يسوع ذاته، جاء في سفر أعمال الرسل ما نصّه"**وبينما هو يقترب من دمشق سطع حوله بغتة نور من السماء، فوقع إلى الأرض، وسمع صوتا يقول له: شاول، شاول، لماذا تضطهدني؟ فقال شاول: من أنت يا رب؟ فأجابه الصوت: أنا يسوع الذي أنت تضطهده. صعب عليك أن تقاومني. فقال وهو مرتعب خائف: يا رب، ماذا تريد أن أعمل؟ فقال له الرّب: قم وادخل المدينة، وهناك يقال لك ما يجب أن تعمل...**"[3].

هذا وقد احتلّ بولس مكانة كبيرة، وحيّزا واسعا في الديانة المسيحية لم يلحقها أي رسول من الرسل الاثني عشر، وهذا بوصفه رسولا من جماعة الرسل.

وبلغة الأرقام نجد أن عدد الرسائل المنسوبة إليه، إضافة إلى سفر أعمال الرسل ـ الذي يتحدّث أغلبه عنه ـ يعادل تقريبا ما كتب في الأناجيل مجتمعة، أي أن ما كتب عن بولس يعادل نصف أسفار العهد الجديد!!!

وإذا ما قارنّا بين رسائله ورسائل العهد الجديد فسنجد بأن عدد رسائله يبلغ أربعة عشر (14) رسالة من بين واحد وعشرين (21) رسالة هي مجموع رسائل العهد الجديد، مما يعني أن بولس قد حظي

([1]) ـ وهي احدى الفرق اليهودية.

([2]) ـ ينظر تفصيل ذلك: الأنبا يؤانس: الكنيسة في عصر الرسل، مرجع سابق، ص 434 وما بعدها.

([3]) ـ سفر أعمال الرسل: 3/9 ـ 9.

بثلثي رسائل العهد الجديد. ثم إذا ما قارنّا بين ما كتب عنه في سفر أعمال الرسل الذي يفترض أن يغلب عنه الحديث عن حياة الرسل وأعمالهم ونحو ذلك، إذا ما قارنّا بين ما كتب عنهما (أي بولس والرسل) فسنجد أن الحديث عنه أخذ ثلثي هذا السفر!!![1]

وقد انسحبت هذه "القدسية" التي حظي بها بولس في أسفار العهد الجديد تحت لقب "الرسول" على كتابات المسيحيين، الذين نجدهم لما يكتبون عن جماعة الرسل يخصّصون بولس بالحديث، وكأنه واحد من هذه الجماعة، أما غيره فلا يكاد أن يذكر، فنجد على سبيل المثال صاحب كتاب (مختصر تاريخ الكنيسة)[2] في تناوله لجماعة الرسل، يتحدّث عمّن يعتقد أنهم من الرسل في أربع عشرة (14) صفحة، بمعدّل صفحة وسدس الصفحة لكل رسول، بينما تحدّث عن بولس (بوصفه رسولا من الرسل) في واحد وأربعين (41) صفحة!!! وهذا المثال يبيّن حجم بولس بين جماعة الرسل، التي أصبح رئيسا لها، هذا دون أن ننسى إفراد علماء المسيحيين بولس بمؤلّفات مستقلّة تحت مظلّة "الرسول"، بينما لا نجد شيئا من ذلك لغيره من أفراد هذه الجماعة[3].

وهكذا نرى كيف احتلّ بولس مساحة كبيرة، وحيزا واسعا من نصوص العهد الجديد حتى أصبح من الشخصيات "المقدّسة"، كلّ ذلك تحت عباءة "الرسولية"[4].

ويرى المسيحيون بأن بولس قد حاز صفة "الرسولية" يوم تراءى له الرّب يسوع، وكلّفه بالبشارة، في الحادثة سالفة الذكر، وهي الحادثة التي اشتهرت بحادثة دمشق[1].

([1]) ـ موسى الشيخي: تقديس الأشخاص عند النصارى وآثاره، مرجع سابق، ص 232.

([2]) ـ وهو أندرومار.

([3]) ـ المرجع نفسه، ص 232.

([4]) ـ من الأمور التي تثير انتباه الدارس لتاريخ الرسل في المسيحية، بل وتصيبه بالدهشة، ويقف مستغربا أمامها، قضية احتلال بولس لهذه المساحة الكبيرة في السفر الذي يتحدّث عن حياة وأعمال ووظائف الرسل، ألا وهو سفر أعمال الرسل، في مقابل احجامه وعدم إشارته على الإطلاق للرسل المتّفق على رسوليتهم من أمثال: أندراوس، برتلماوس، لباوس...وغيرهم!!!

وقد تحدّث بولس نفسه عن هذه الميزة التي تميّز بها، والتي أهّلته لأن يدخل في جماعة الرسل[2]، ويصبح لا كفرد من هذه الجماعة فحسب، وإنما رئيسا لها، فقال :"**مني أنا بولس، رسول لا من الناس، ولا بدعوة من إنسان، بل بدعوة من يسوع المسيح والله الآب الذي أقامه من بين الأموات**"[3]. وجاء في موضع آخر من نفس الرسالة التي كتبها إلى أهل غلاطية تحت عنوان (كيف صار بولس رسولا) "**فاعلموا أيها الإخوة أن البشارة التي بشّرتكم بها غير صادرة عن البشر، فأنا ما تلقّيتها ولا أخذتها عن إنسان، بل عن وحي من يسوع المسيح**"[4].

ويؤكّد أصحاب الكتاب المقدّس على هذه الخاصية التي تميّز بها بولس، من أجل تبرير استحقاقه لوصف الرسول، وتمتّعه بالقدسية التي أضفيت عليه لاحقا بقولهم:"وإنه من المؤكّد أيضا أن الرّب يسوع لم يتكلّم فقط مع بولس، بل أيضا ظهر له فرآه مرأى العين...وبينما لا يتّضح الشكل الذي رآه بولس فيه، إلا أنه كان أكيدا واضحا مما جعله يتحقّق أنه يسوع وابن الله الحي"[5].

وترى المسيحية أن رؤية بولس للرّب يسوع الذي تراءى له في تلك الحادثة، كانت كافية لعدم احتكاك بولس بالرسل الإثني عشر، فلم يعد بولس بحاجة إلى أن يذهب إلى هيئة الرسل، فضلا عن أن يستشيرهم أو يأخذ عنهم، حيث صرّح بولس بنفسه عن ذلك قائلا:"**ولكن الله بنعمته اختارني وأنا في بطن أمّي فدعاني إلى خدمته، وعندما شاء أن يعلن ابنه فيّ لأبشّر به بين الأمم، ما**

([1]) ـ اشتهرت بذلك نسبة للمكان الذي وقعت فيه، وقد أوردها سفر أعمال الرسل في ثلاثة مواضع. ينظر: 3/9 ـ 9، 6/22 ـ 11، 26/ 12 ـ 18.

([2]) ـ هوارد مارشال: التفسير الحديث للكتاب المقدّس (العهد الجديد: سفر أعمال الرسل)، مرجع سابق، ص 171.

([3]) ـ رسالة غلاطية:1/1.

([4]) ـ رسالة غلاطية:11/1 ـ 12.

([5]) ـ قاموس الكتاب المقدّس، ص 197.

استشرت بشرا، ولا صعدت إلى أورشليم لأرى الذين كانوا رسلا قبل، بل ذهبت على الفور إلى بلاد العرب، ومنها عدت إلى دمشق"[1].

وهكذا نرى كيف وظّفت المسيحية هذه الحادثة التي كان لها ما بعدها، كونها تمثّل مرحلة مفصلية في الديانة المسيحية، لتبرير دخول بولس في جماعة الرسل، واستحقاقه لقب "الرسولية"، ليصبح فيما بعد رئيسا للرسل، حيث أرسل لجميع الأمم[2]، بخلاف الرسل الاثني عشر الذي أرسلوا لليهود فقط.
يقول بولس متحدّثا عن هذه الميزة التي تميّز بها :" **أنا أصغر المؤمنين جميعا أعطاني الله هذه النعمة لأبشّر غير اليهود بما في المسيح من غنى لا حدّ له** "[3].

ويؤكّد أندروملر على هذا التميّز الذي خصّ به بولس نفسه بقوله :"وإن كانا كلاهما (بطرس وبولس) منقادين بالروح القدس، لكن كان الأول رسول اليهود العظيم، والثاني رسول الأمم العظيم"[4].

ولما كان بولس رسولا لجميع الأمم فإن نشاطه التبشيري ـ كما يرى المسيحيون ـ تميّز عن نشاط بقية الرسل الآخرين بالكثافة، يقول أصحاب الكتاب المقدّس:" ومع أنه (أي بولس) لم يكن من الاثني عشر، إلا أنه جاهد وتعب أكثر منهم جميعا، وكرّز (بشّر) في بلاد أكثر، وكتب رسائل أكثر"[5].

وجاء أيضا في كتاب (تاريخ الأمة القبطية) :"وامتاز بولس الذي لم يكن من الاثني عشر بأعظم عمل تبشيري في الديانة المسيحية"[6].

---

(1) ـ غل:15/1 ـ 17.
(2) ـ التفسير التطبيقي للكتاب المقدّس، ص 2496، 2524.
(3) ـ رسالة أفسس:8/3.
(4) ـ أندروملر: مختصر تاريخ الكنيسة، مرجع سابق، ص 41.
(5) ـ قاموس الكتاب المقدّس، ص 403.
(6) ـ لجنة التاريخ القبطي: تاريخ الأمة القبطية، مرجع سابق، ص 46.

الباب الثاني

الفصل الثاني ـ نظرة المسيحية للإساءة للأنبياء

ورغم استشهاد المسيحيين بحادثة ترائي الرّب يسوع لبولس للدلالة على رسولية بولس، ودخوله في جماعة الرّسل، بل وتميّزه عليها بنشاطه التبشيري الكثيف، الذي ـ كما رأينا ـ لم يقتصر على اليهود فحسب، بل تعدّاه إلى بقيّة الأمم، تظلّ هذه الحادثة التي حاز من خلالها بولس لقب الرسول، تطرح أكثر من علامة استفهام[1]، يمكن أن نجملها في النقاط الآتية[2]:

أ/ ورودها في ثلاث روايات من سفر واحد: حيث وردت هذه الحادثة في سفر أعمال الرسل:

الرواية الأولى :" **وبينما هو يقترب من دمشق سطع حوله بغتة نور من السماء، فوقع إلى الأرض، وسمع صوتا يقول له: شاول، شاول، لماذا تضطهدني؟ فقال شاول: من أنت يا رب؟ فأجابه الصوت: أنا يسوع الذي أنت تضطهده. صعب عليك أن تقاومني. فقال وهو مرتعب خائف: يا رب، ماذا تريد أن أعمل؟ فقال له الرّب: قم وادخل المدينة، وهناك يقال لك ما يجب أن تعمل، وأما رفاق شاول فوقفوا حائرين يسمعون الصوت ولا يشاهدون أحدا...**"[3].

الرواية الثانية: "**وبينما أقترب من دمشق سطع فجأة حولي عند الظهر نور باهر من السماء فوقعت إلى الأرض، وسمعت صوتا يقول لي:شاول، شاول، لماذا تضطهدني؟ فأجبت من أنت يا رب؟ قال: أنا يسوع الناصري الذي تضطهده. وكان الذين معي يرون النور ولا يسمعون صوت من يخاطبني. فقلت ماذا أعمل يا رب؟ فقال لي الرّب :قم وادخل إلى دمشق، وهناك**

([1]) ـ وهذا إذا تجاوزنا مسألة عدم أحقّية بولس للقب الرسول، بناءا على شروط الرسول آنفة الذكر، وعدم ورود اسمه ضمن قائمة تلاميذ المسيح.

([2]) ـ موسى الشيخي: تقديس الأشخاص عند النصارى وآثاره، مرجع سابق، ص 21.

([3]) ـ سفر أعمال الرسل: 3/9 ـ 9.

الباب الثاني

الفصل الثاني ـ نظرة المسيحية للإساءة للأنبياء

يقال لك ما يجب أن تعمل، وكنت فقدت بصري من شدّة ذلك النور الباهر، فقادني رفاقي بيدي حتى دخلت دمشق"[1].

الرواية الثالثة: "**فسافرت إلى دمشق وبيدي سلطة وتفويض من رؤساء الكهنة، وفي الطريق عند الظهر رأيت أيها الملك نورا من السماء أبهى من شعاع الشمس يسطع حولي وحول المسافرين معي. فوقعنا كلّنا إلى الأرض، وسمعت صوتا يقول لي بالعبرية:شاول، شاول، لماذا تضطهدني؟ صعب عليك أن تقاومني. فقلت: من أنت يا رب؟ قال الرّب: أنا يسوع الذي تضطهده أنت. قم وقف على قدميك لأني ظهرت لك لأجعل منك خادما لي وشاهدا على هذه الرؤيا التي رأيتني فيها، وعلى غيرها من الرؤى التي سأظهر فيها لك. سأنقذك من شعب إسرائيل ومن سائر الشعوب التي سأرسلك إليهم لتفتح عيونهم فيرجعوا من الظلام إلى النور، ومن سلطان الشيطان إلى الله، فينالوا بإيمانهم بي غفران خطاياهم وميراثا مع القدّيسين"**[2].

ونلاحظ بأن هذه الحادثة على أهميتها لم ترد إلا في سفر واحد ألا وهو سفر أعمال الرسل، فلم ترد في الأناجيل الأربعة، ولا حتى في رسائل بولس التي كتبها بنفسه، والتي يفترض أن يتحدّث فيها عن تجربة اصطفائه من طرف الرّب يسوع. وهذا أحد أوجه الانتقادات التي توجّه لهذه الحادثة المهمّة، ليس في تاريخ بولس فحسب، وإنما في تاريخ الديانة المسيحية، كونها تمثّل فيصلا بين مرحلتين: مسيحية ما قبل بولس، ومسيحية ما بعد بولس[3].

([1]) ـ أع:6/22 ـ 11.

([2]) ـ أع:12/26 ـ 18.

([3]) ـ لذلك نجد الكثير من الباحثين في تاريخ المسيحية وفي الديانة المسيحية بصفة عامة يجعلون من حادثة اعتناق بولس للمسيحية مرحلة مفصلية، فتجدهم يتحدّثون عن عقائد وشرائع المسيحية في فترة ما قبل بولس، وعقائد وشرائع المسيحية في فترة ما بعد بولس، مما يجعل منه المؤسّس الفعلي للمسيحية في شكلها الحالي.

ب/ التناقض الظاهر بين هذه الروايات الثلاث: فنجد في الرواية الأولى إثبات سماع رفقاء بولس لصوت الرّب يسوع (**وأما رفاق شاول فوقفوا حائرين يسمعون الصوت ولا يشاهدون أحدا**)، بينما الرواية الثانية تنفي ذلك (**وكان الذين معي يرون النور ولا يسمعون صوت من يخاطبني**)، ويستحيل الجمع بين رواية تثبت السماع ورواية تنفي السماع!!!

كذلك نجد الرواية الأولى تصرّح بأن بولس ـ من شدّة نور الرّب يسوع ـ سقط على الأرض وحده دون رفقائه الذين كانوا واقفين (**فوقع إلى الأرض**)، (**فوقعت إلى الأرض**)، بينما الرواية الثالثة تؤكّد سقوطه ورفقاءه على الأرض (**فوقعنا كلّنا إلى الأرض**). ولا يمكن كذلك الجمع بين هاتين الروايتين المتعارضتين!!!

ج/عدم إشارتها لرسولية بولس: من جملة الاعتراضات التي توجّه لهذه الحادثة التي يستدلّ بها المسيحيون على رسولية بولس، أنها لا تدلّ على ذلك، أي أن وجه الدلالة على رسولية بولس منتف فيها، حيث أن تفاصيلها لا تكفي لإثبات رسولية بولس، فكلّ ما فيها أنها تتحدّث عن واقعة وقعت لبولس في طريقه إلى دمشق، وسماعه لصوت شخص يخبره بما يجب أن يفعل.

وإذا سلّمنا بأن هذه الحادثة تدلّ على رسولية بولس، فما الفائدة من تكليفه بالرسالة من طرف الرّب يسوع وأمره ـ في نفس الوقت ـ بالذهاب إلى دمشق من أجل الأخذ عن غيره (**قم وادخل إلى دمشق، وهناك يقال لك ما يجب أن تعمل**)، وبعبارة أخرى: ما معنى أن يأخذ بولس عن غيره وهو رسول مكلّف بالرسالة!!!

د/ عدم ترحيب تلاميذ المسيح به: كذلك من جملة علامات الاستفهام والأسئلة التي لا جواب لها عن هذه الحادثة: لماذا لم يذهب بولس لتلاميذ المسيح بعد هذه الرؤية مباشرة، ويخبرهم بتكليفه بالرسالة ويتشاور وينسّق معهم؟ حيث نجده يذهب لدمشق، ويترك أورشليم مقر تلاميذ المسيح، ولم

يذهب إليها إلا بعد ثلاث سنوات[1]!!! بل لماذا لم يرحّب به تلاميذ المسيح، حينما جاءهم بعد ذلك؟؟[2].

هـ/ عدم حصول دلالتها على الإجماع في المسيحية: بالرغم من استدلال المسيحيين بهذه الحادثة للدلالة على رسولية بولس، إلا أن هذا الأمر ليس محل إجماع في الأوساط المسيحية، حيث نجد بعض علماء المسيحية ينفي دلالتها على الرسولية، فنجد على سبيل المثال صاحب كتاب (قصة الحضارة) يفسّر هذه الحادثة ويبيّن بأنها تدلّ على"ما قاساه (بولس) من التعب في سفره الشاق الطويل في شمس الصحراء اللافحة، أو لعلّ ومضة برق في السماء ناشئة من شدّة الحرارة، لعلّ شيئا من هذا أو ذاك كلّه قد أثّر في جسم ضعيف ربّما كان مصابا بالصرع، وفي عقل مصاب بالشكّ والإجرام، فدفع بالعملية التي كانت تجري في عقله الباطن إلى غايتها"[3].

وغير بعيد عن ذلك ذهب الفيلسوف الفرنسي "رينان"[4] وغيره، حيث رأوا بأن هذه الحادثة كانت بسبب ضربة شمس أدّت بشاول إلى الهلوسة[5].

هذه بعض الاعتراضات والانتقادات الموجّهة لهذه الحادثة، والتي تسقط رسولية بولس التي يحاول المسيحيون إلصاقها به، ومنحها له من خلال هذه الحادثة.

---

(1) ـ كما جاء في رسالته لأهل غلاطية(18/1) "**وبعد ثلاث سنوات صعدت إلى أورشليم لأرى بطرس**".

(2) ـ كما جاء في سفر أعمال الرسل (26/9) "**ولما وصل شاول إلى أورشليم حاول أن ينضمّ إلى التلاميذ، فكانوا كلّهم يخافون منه، ولا يصدّقون أنه تلميذ**".

(3) ـ ول ديورانت: قصة الحضارة، ترجمة: محمد بدران، دار الجيل ـ بيروت، ط1: 1992، ج11، ص 252 ـ 253.

(4) ـ إرنست رينان: فيلسوف ومؤرّخ فرنسي ولد في مدينة تريبه عام 1823م، حصل على درجة الدكتوراة من جامعة السوربون عام 1852م، وقرأ الكتب النقدية لتاريخ المسيح والأناجيل فتبين له أنَّ أسس النصرانية واهية من الناحية التاريخية ، وكان أول من اتجه إلى نقد الأبحاث المتعلقة بالمسيح في فرنسا، وله كتاب حياة المسيح وكتب أخرى عن أصول المسيحية، توفي عام1892 م.
ينظر: عبد الرحمن بدوي: موسوعة الفلسفة، المؤسسة العربية للنشر ـ بيروت، ط1: 1984، ج1، ص 548.

(5) ـ محمد الشرقاوي: دراسات في الملل والنحل، دار الفكر العربي ـ بيروت، ط1: 1993، ص31. نقلا عن:
Lion Levison, Lif of St. Paul, P 22-23

إلا أنه ومع التسليم بهذه الحادثة، وقبول الاستدلال بها على رسولية بولس، تظل الشروط التي وضعتها المسيحية لاستحقاق لقب الرسول عائقا أمام دخول بولس في جماعة الرسل، واستحقاقه هذا اللقب، فهو لم يلتق المسيح طول حياته، ولم ينتدب من قبله لهذه الرسالة، كما أن اسمه لم يرد ضمن قائمة تلاميذ المسيح الاثني عشر !!!

ولا ندري كيف استطاع بولس الإفلات من هذه الشروط التي وضعها علماء المسيحية، وتجاوز قدسية نصوص أناجيلهم، وانتحل صفة الرسولية، وحظي ب"التقديس" في الأوساط المسيحية، متجاوزا ومتخطّيا شخصيات يفترض أنها أحق به من هذا الوصف، ألا وهم تلاميذ المسيح، الذين اشهروا في الفكر المسيحي بالرسل الإثني عشر!!!

وهذا مظهر من مظاهر إساءة المسيحية إلى الرسل التي حفلت بها نصوص أسفار العهد الجديد، لتصبح بعد ذلك مسلّمة من المسلّمات عند المسيحيين، ويصبح بولس بعدها شخصية لها وزنها وثقلها في الفكر المسيحي، ولها مكانتها في الديانة المسيحية، تحت غطاء الرسولية، التي هي منه براء.

2 ـ برنابا: واسمه الحقيقي يوسف كما جاء في سفر أعمال الرسل "**وهكذا عمل يوسف، وهو لاوي قبرصي الأصل لقّبه الرسل ببرنابا**"[1]، وبرنابا اسم أرامي معناه "ابن الوعظ"، حيث اشتهر بتعزيته الناس في مصائبهم فلقّب بذلك. اعتنق المسيحية في عصر الرسل، ثم أصبح من المبشّرين بها[2].

ولم يعرف عن برنابا إلا نشاطه التبشيري في سفرياته مع بولس، وهي السفرّيات التي تحدّث عنها سفر أعمال الرسل بشيء من التفصيل، ومن ذلك سفره إلى قبرص للتبشير بكلام الله " **فلمّا وصلا**

(1) ـ سفر أعمال الرسل:36/4.
(2) ـ قاموس الكتاب المقدّس، ص 120.

(**برنابا وبولس**) **إلى سلاميس بشّرا بكلام الله في مجامع اليهود**"[1]. وكذلك سفره إلى أنطاكية للسبب نفسه "**فقال بولس وبرنابا بجرأة:كان يجب أن نبشّركم أنتم أولا بكلمة الله**"[2]. كما سافر مع بولس إلى أيقونية للتبشير بكلام الله "**ودخل بولس وبرنابا كعادتهما مجمع اليهود في أيقونية، وتكلّما كلاما جعل كثيرا من اليهود واليونانيين يؤمنون**"[3].

وهكذا نرى كيف تعرّضت أسفار العهد الجديد لنشاط برنابا التبشيري، وسفريّاته مع بولس، وهذا بصفته رسولا من الرسل، ولا ندري كيف تجاوزت المسيحية شروط الرسول المدوّنة في مصادرها، لتطلق على هذه الشخصية لقب الرسول، بالرغم من عدم توفّره على شرطي الرسول، حيث أنه لم يلتق المسيح طول حياته، ولم ينتدب من قبله للرسالة،كما أن اسمه لم يرد ضمن قائمة تلاميذ المسيح الاثني عشر !!!

وهذا مظهر آخر من مظاهر الإساءة المتعدّدة للرسل التي حفلت بها نصوص العهد الجديد.

3 ـ متياس: وهو أحد أفراد الرسل الاثني عشر في المسيحية، حيث حاز على لقب الرسول بعد أن جُرّد منه يهوذا الأسخريوطي نتيجة خيانته سيّده المسيح. وقد تحدّث سفر أعمال الرسل عن هذه الحادثة التي أصبح متياس[4] بعدها أحد الرسل الاثني عشر، تحت عنوان (اختيار خلف يهوذا)، حيث جاء فيه ما نصّه "**فاقترح الإخوة اثنين منهم هما: يوسف المدعو بارسا الملقّب بيوستس، ومتياس، ثمّ صلّوا فقالوا: يا رب أنت تعرف ما في القلوب. أظهر لنا من اخترت من**

([1]) ـ سفر أعمال الرسل:5/13.

([2]) ـ أع:46/13.

([3]) ـ أع:1/14.

([4]) ـ لم تتحدّث أسفار العهد الجديد عن عمل متياس مطلقا، بالرغم من أنه رسول من الرسل في العرف المسيحي !!!

هذين الرجلين ليقوم بالخدمة والرسالة مقام يهوذا الذي تركهما ومضى ليلقى مصيره. ثمّ اقترعوا فأصابت القرعة متياس، فانضمّ إلى الرسل الأحد عشر "[1].

وبناءا على هذا الاختيار أصبح متياس في نظر المسيحيين أحد الرسل الاثني عشر الذين امتلأوا بعد ذلك من الروح القدس يوم الخمسين نظير سائر الرسل[2].

وإذا تجاوزنا الطريقة التي تمّ بها اختيار متياس، والتي وجّهت لها الكثير من الانتقادات والاعتراضات[3]، فإن عدم توفّر متياس على شرطي الرسول يجعل منه ـ كسابقيه ـ شخصية منتحلة لصفة الرسولية، التي تحاول المسيحية إطلاقها عليه، فهو ـ كبولس وبرنابا ـ لم يلتق المسيح طول حياته، ولم ينتدب من قبله للرسالة، كما أن اسمه لم يرد ضمن قائمة تلاميذ المسيح الاثني عشر !!!

هذه هي أسماء الشخصيات التي حازت على صفة الرسولية في المسيحية، بالرغم من عدم أهليتها لذلك، وهو ما يعدّ انتحالا لهذه الصفة، وتعدّيا صارخا وصريحا على مقام الرسولية، وانتقاصا من قيمته، وتدنيسا لقدسيته، تورّطت فيه المسيحية، وأساءت فيه إلى مقدّس من المقدّسات.

المطلب الثاني ـ اتّصافهم بأوصاف دنيئة: من بين أوجه ومظاهر الإساءة التي تعرّض لها الرسل في المسيحية اتّصافهم بأوصاف ذميمة وقبيحة تتناقض ومقام الرسولية الذي يعدّ مقاما مقدّسا بنص العهد الجديد.

وعديدة هي الأوصاف الدنيئة التي اتّصف بها الرسل في أسفار العهد الجديد، وتدور حول سوء الأدب مع الرّب يسوع، والخيانة، والظلم... وغير ذلك، حيث نجد أسفار العهد الجديد تصف غير واحد من جماعة الرسل بالوقوع في هذه السلوكيات التي دنّست مقام الرسولية. ومن هؤلاء:

([1]) ـ أع:1/23.

([2]) ـ الأنبا يؤانس: الكنيسة المسيحية في عصر الرسل، ص 433.

([3]) ـ وهي الاعتراضات التي سنتعرّض لها في مطلب مستقلّ، لأنها تعدّ مظهرا آخر من مظاهر الإساءة للرسل في المسيحية.

الباب الثاني

الفصل الثاني ـ نظرة المسيحية للإساءة للأنبياء

أولا ـ بولس: لا تعتبر المسيحية ـ كما مرّ معنا ـ بولس أحد الرسل فحسب، بل كبير هذه الجماعة ورئيسها، حيث حظي بهالة من التقديس في الأوساط المسيحية، لكنّ في مقابل ذلك نجد أسفار العهد الجديد تصفه بعدّة أوصاف تقدح في رسوليته، وهي:

1 ـ اضطهاد المسيحيين: حيث كان بولس من ألدّ أعداء المسيحية، وأبلغهم كيدا لها، وأكثرهم إيذاءً لمعتنقيها، بل لم تسلم منه حتى بيوت العبادة، وهذا ما حكاه سفر أعمال الرسل في غير موضع، ومن ذلك:"**وكان شاول (بولس) يسعى إلى خراب الكنيسة، فيذهب من بيت إلى بيت، ويخرج منه الرجال والنساء ويلقيهم في السجن**"[1].

ولم يسلم من ظلم بولس حتى تلاميذ المسيح أنفسهم، وهو الظلم الذي تحدّث عنه سفر أعمال الرسل، حيث جاء فيه ما نصّه "**أما شاول فكان ينفث صدره تهديدا وتقتيلا لتلاميذ الرّب**"[2].

ويصوّر لنا أحد الرجال في حواره مع الرّب يسوع، الذي حاوره في رؤيا منامية مدى اضطهاد بولس للرسل القدّيسين فيقول للرّب يسوع :"**فأجابه حنانيا: يا رب أخبرني كم أساء هذا الرجّل إلى قدّيسيك في أورشليم، وهو الآن وله سلطة من رؤساء الكهنة أن يعتقل كل من يدعو باسمك**"[3].

2 ـ التجديف على الرّب: وهي الصفة التي أقرّ بها بولس، حيث اعترف بإساءته للرّب المسيح كما جاء في رسالته إلى تيموثاوس، حيث قال :"**أنا الذي جدّف عليه (أي الرّب) واضطهده وشتمه فيما مضى**"[4].

([1]) ـ سفر أعمال الرسل:3/8.

([2]) ـ أع: 1/9.

([3]) ـ سفر أعمال الرسل:13/9 ـ 14.

([4]) ـ رسالة تيموثاوس الأولى:13/1.

هكذا نجد أسفار العهد الجديد تصف بولس بصفات، الواحدة منها تكفي في إسقاط أهليته للرسالة.

ورغم أن المسيحية تعتبر أن هذه الصفات الدنيئة والسلوكيات الذميمة التي اتّصف بها بولس كانت قبل الرسالة(قبل مرحلة الاصطفاء)، أي قبل أن يكون رسولا، إلا أن هذا التبرير مخالف للمنطق السليم، إذ كيف لرجل مسيء لدعوة المسيح إساءة بالغة، ومضطهد لرسله اضطهادا كبيرا ـ باعترافه هو ـ يتحوّل من مسيء للمسيحية إلى مبشّر بها، ورسول من رسلها، بل وإلى رئيس لهيئة رسلها!!!

يعلّق محمد أبو زهرة[1] على هذا التحوّل المفاجئ فيقول :"يعجب الذين درسوا الرسالات وعرفوا أحوال رجالها، وأدوارهم فيقولون: كيف ينتقل رجل من كفر بديانة إلى اعتقاد شديد بها طفرة من غير سابق تمهيد؟ ولكن ذلك العجب يزول إن كان الانتقال مقصورا على مجرّد الانتقال من الكفر إلى الإيمان، فإن لذلك نظائر وأشباها، بل العجب كلّ العجب أن ينتقل شخص من الكفر المطلق بدين إلى الرسالة في الدين الذي كفر به، وناوأه وعاداه. فإن ذلك ليس له نظير، وليس له مشابه"[2].

وليس محمد أبو زهرة أول المستغربين من تحوّل بولس المفاجئ، فقد استغرب قبله تلاميذ المسيح أنفسهم، واندهشوا لهذا التحوّل المفاجئ، وقد عبّروا عن ذلك من خلال رفضهم التعامل ـ أول الأمر ـ مع بولس حينما جاءهم يقدّم نفسه كرسول من الرسل. ورد في سفر أعمال الرسل ما نصّه **"ولما وصل شاول إلى أورشليم حاول أن ينضمّ إلى التلاميذ، فكانوا كلّهم يخافون منه، ولا يصدّقون أنه تلميذ"**[3].

([1]) ـ محمد أبو زهرة (1898 ـ 1974): عالم ومفكر وباحث مصري من كبار علماء الشريعة الإسلامية والقانون في القرن العشرين. وكان يُطلق عليه الأزهر الثاني؛ لمكانته الرفيعة .وقد سيطرت عليه روح احترام الحرية والتفكير، وكره السيطرة والاستبداد. له العديد من المؤلفات في الفقه والتاريخ وعلوم القرآن ومقارنة الأديان، وغير ذلك.

([2]) ـ محمد أبو زهرة: محاضرات في النصرانية، ص 90.

([3]) ـ أع:26/9.

الباب الثاني

الفصل الثاني ـ نظرة المسيحية للإساءة للأنبياء

ومن خلال ما سبق يتّضح لنا كيف طعن بولس في المسيحية طعنة مزدوجة، وأساء إليها إساءة مضاعفة، مرّة بانتحاله صفة الرسولية، كما مرّ معنا في المطلب الأول، ومرّة ثانية باتّصافه بهذه الأوصاف الدنيئة التي تقدح في رسوليته، وتسيء إلى مقام الرسولية.

ثانيا ـ بطرس: واسمه الحقيقي "سمعان"، واسم أبيه "يونا"، ويقال بأن السيد المسيح هو من سمّاه بطرس التي تعني باليونانية صخر أو حجر، وقد اختاره المسيح ليكون رسولا من رسله[1].

ويرى أصحاب الكتاب المقدّس أن حماس بطرس ونشاطه وغيرته أهّلته لأن يبرز ويكون على رأس التلاميذ الاثني عشر، فيذكر اسمه دائما أولا عند ذكر أسماء الرسل[2].

ورغم هذه المكانة المتميّزة التي حظي بها بطرس أمام تلاميذ المسيح ورسله الاثني عشر، إلا أن أسفار العهد الجديد تصفه بصفات تقدح في أهليته للرسالة، حيث جاء في سفر متى في تأنيب السيّد المسيح له ما نصّه "**فالتفت (الرّب يسوع) وقال لبطرس: ابتعد عنّي يا شيطان! أنت عقبة في طريقي، لأن أفكارك هذه أفكار البشر لا أفكار الله**"[3].

فهذه أوصاف ثلاث لبطرس: شيطان، عقبة، أفكاره غير أفكار الله، ونلاحظ أن كلّ واحدة منها تكفي لأن تطعن في رسوليته، ذلك أنه من غير المعقول أن يحمل الرسالة شخص يتّصف بهذه الصفات.

ثالثا ـ يهوذا الأسخريوطي: وقد لقّب بالأسخريوطي تمييزا له عن يهوذا الآخر (أخا يعقوب) الذي هو بدوره أحد الرسل الاثني عشر. ولا يروي العهد الجديد شيئا عن حياته ودعوته، وقد أصبح اسمه رمزا للخيانة، حيث يذكر اسمه في ذيل قائمة الرسل مقترنا بهذا اللّقب الذميم[4].

([1]) ـ قاموس الكتاب المقدّس، ص 174.

([2]) ـ المرجع نفسه، ص 175.

([3]) ـ سفر متى:23/16.

([4]) ـ قاموس الكتاب المقدّس، ص 724.

الباب الثاني

الفصل الثاني ـ نظرة المسيحية للإساءة للأنبياء

وتعتبر المسيحية يهوذا الأخريوطي أحد الرسل الاثني عشر الذين سمّاهم المسيح كما جاء في سفر متى "**ودعا يسوع تلاميذه الاثني عشر وأعطاهم سلطانا يطردون به الأرواح النجسة، ويشفون الناس من كلّ داء ومرض. وهذه أسماء الرسل الاثني عشر: أوّلهم سمعان الملقّب ببطرس وأخوه أندراوس، ويعقوب بن زبدي وأخوه يوحنا، وفيلبس وبرتولماوس، وتوما ومتى جابي الضرائب، ويعقوب بن حلفى، وتدّاوس، وسمعان الوطنيّ الغيور، ويهوذا الأسخريوطي الذي أسلم يسوع. وأرسل يسوع هؤلاء التلاميذ وأوصاهم قال: لا تقصدوا أرضا وثنية، ولا تدخلوا مدينة سامرية...**"[1].

وهذا النص يتحدّث عن رسولية يهوذا الأسخريوطي إلى جانب صفة من الصفات الذميمة، ألا وهي الخيانة (**ويهوذا الأسخريوطي الذي أسلم يسوع**)، والتي دنّست مقام الرسولية.

كما نجد هذا السفر يتحدّث عن تفاصيل خيانة يهوذا وتسليمه الرّب يسوع لأعدائه، حيث جاء فيه تحت عنوان (خيانة يهوذا) ما نصّه "**وفي ذلك الوقت ذهب أحد التلاميذ الاثني عشر، وهو يهوذا الملقّب بالأسخريوطي إلى رؤساء الكهنة، وقال لهم: ماذا تعطوني لأسلّم إليكم يسوع؟ فوعدوه بثلاثين من الفضة. وأخذ يهوذا من تلك الساعة يترقّب الفرصة ليسلّم يسوع**"[2].

وهكذا نرى كيف اتّصف يهوذا بهذه الصفة الدنيئة التي تقدح وتطعن وتسيء إلى مقام الرسولية، المتمثّلة في الوشاية بالرّب يسوع، وخيانته، بالرغم من أنه كان أحد تلاميذه الذين اختارهم بنفسه[3]!!! وهذا ما يجعل من هذه الصفة الذميمة ذات إساءة مزدوجة: فهي إساءة لمقام الرسولية

([1]) ـ سفر متى:1/10 ـ 8. 27/19 ـ 28. سفر مرقس:28/10 ـ 31. سفر لوقا:28/18 ـ 30.

([2]) ـ مت:14/26 ـ 16. مر:10/14 ـ 11. لو:3/22 ـ 6.

([3]) ـ متى هنري: التفسير الكامل للكتاب المقدّس، مرجع سابق، ص 258.

من جهة، وإساءة إلى الرّب يسوع من جهة أخرى، على اعتبار أن خيانة يهوذا له تدلّ على قدح في اختياره!!

فكيف يختار المسيح تلميذا يعلم بخيانته؟ لا شك أن هذا الأمر فيه إساءة بالغة أيضا للرّب يسوع[1].

وهكذا نرى كيف أساءت المسيحية إلى مقام الرسولية، من خلال وصفها لجماعة الرسل بصفات ذميمة ودنيئة تقدح وتطعن في رسوليتهم، وتنتقص من هيبتهم. وهذا مظهر آخر من مظاهر الإساءة إلى الرسل.

المطلب الثالث ـ انحرافهم عن وظيفتهم: رأينا فيما سبق كيف أن وظيفة الرسل في المسيحية ارتبطت بمسألة اختيارهم من طرف الرّب يسوع، حيث حدّد لهم في خطاب التكليف طبيعة المهمّة التي انتدبهم لها، ألا وهي الكرازة (التبشير) بالإنجيل[2]، وألزمهم عدم تجاوزها، كما حدّد لهم إطار هذه المهمّة، وأنها خاصة ببني إسرائيل دون غيرهم، جاء في سفر متى ما نصّه "**وأرسل يسوع هؤلاء التلاميذ الاثني عشر وأوصاهم قال: لا تقصدوا أرضا وثنية، ولا تدخلوا مدينة سامرية، بل اذهبوا إلى الخراف الضالة من بني إسرائيل، وبشّروا في الطريق بأن ملكوت الله قد اقترب**"[3].

وهذا النص صريح في تحديد مجال دعوة الرسل، وإطار مهمّتهم المحدّد ببني إسرائيل دون سائر الأمم الأخرى الوثنية، لكن الرسل خالفوا وصيّة من أرسلهم، ونهاهم عن التبشير بين الأمم، حيث عمدوا إلى توسيع مجال الدعوة وإخراجها من دائرة اليهود إلى العالمية، فراحوا يبشّرون في مناطق عديدة، وراحوا يدعون أناسا من غير بني إسرائيل وهذا ما تحدّث عنه سفر أعمال الرسل الذي يحكي عمل

([1]) ـ كما أن انتخاب متياس خلفا ليهوذا الأسخريوطي ـ الذي أخرج من جماعة الرسل بعد هذه الخيانة ـ من طرف التلاميذ الأحد عشر فيه اعتداء على سلطان المسيح في تعيين الرسل!!! وهذه إساءة أخرى تضاف إلى الإساءات سالفة الذكر.

([2]) ـ الأنبا يؤانس: الكنيسة المسيحية في عصر الرسل، مرجع سابق، ص 136.

([3]) ـ سفر متى:5/10 ـ 7. سفر لوقا:9/10 ـ 11.

الرسل، وجهودهم التبشيرية، وكيف أنهم أساءوا إلى السيد المسيح من خلال تجاوزهم لنصّ التكليف، فها هو بطرس ويوحنا يبشّران في السامرة "**وسمع الرسل في أورشليم أن السامريين قبلوا كلام الله، فأرسلوا إليهم بطرس ويوحنا، فلمّا وصلا إلى السامرة صلّيا لهم حتى ينالوا الروح القدس**"[1].

وهاهو فيلبس يبشّر خارج بني إسرائيل "**وأما فيلبس فوجد نفسه في أشدود، ثمّ سار مبشّرا في المدن كلّها حتى وصل إلى قيصرية**"[2].

وهكذا نرى كيف تجاوز الرسل مجال الدعوة الذي حدّده الرّب يسوع ببني إسرائيل دون غيرهم، فبشّروا في مناطق ومدن محظورة، جاعلين وصيّة المسيح وراء ظهورهم!!!

ولم يكتف الرسل بتجاوز إطار المهمّة الذي حدّده الرّب يسوع فحسب، بل غيّروا طبيعة التكليف نفسه الذي تلقّوه، وجوهر رسالته، وهو "الدعوة للتوبة والتبشير باقتراب الملكوت"، وراحوا يروّجون لمذهب جديد لخّصه بولس بقوله :"**أذكّركم أيها الإخوة بالبشارة التي حملتها إليكم وقبلتموها ولا تزالون ثابتين عليها، وبها تخلصون إذا حفظتموها كما بشّرتكم بها، وإلا فأنتم آمنتم باطلا. سلّمت إليكم قبل كلّ شيء ما تلقّيته، وهو أن المسيح مات من أجل خطايانا كما جاء في الكتب، وأنه دفن وقام في اليوم الثالث كما جاء في الكتب**"[3].

وهكذا نرى كيف انحرف الرسل عن جوهر رسالتهم من خلال التأسيس للجماعة المسيحية على غير ما أراد السيد المسيح، فأنشئوا دعوة جديدة غير رسالة الملكوت التي بشّر بها المسيح في الإنجيل[4]،

([1]) ـ سفر أعمال الرسل:14/8 ـ 15.

([2]) ـ أع: 40/8.

([3]) ـ رسالة كورنثوس الأولى:15/ 1 ـ 4.

([4]) ـ وذلك حينما قال كما جاء في سفر متى (17/4) :"**توبوا ، لأن ملكوت السماوات اقترب**".

وقد عبّر "أرنست رينان" عن ذلك في عبارته الساخرة :"بشّر المسيح بملكوت الله، فجاءت الكنيسة!!!"[1].

ولا شكّ أن تجاوز الرسل لوصيّة السيّد المسيح ـ إضافة إلى كونه إساءة له ـ يعدّ أيضا إساءة إلى جماعة الرسل أنفسهم، وتدنيسا لمقام الرسولية الذي ورّطت المسيحية نفسها فيه، إذ كيف ينحرف الرسل عن وصيّة من أرسلهم، ويتجاوزوا حدود مهمّتهم؟؟؟ وهذا مظهر آخر من مظاهر الإساءة إلى الرسل في المسيحية.

وهكذا نرى كيف تدنّس مقام الرسولية في المسيحية، والذي يفترض أنه مقام مقدّس، وهذا بسبب جملة من السلوكيات الدنيئة، والتجاوزات المشينة، والانحرافات الفظيعة التي وقع فيها الرسل ،كما صوّرتها أسفار العهد الجديد، ابتداء من تقمّص شخصيات لصفة الرسولية، والتي تتناقض مع شروط الرسول، مرورا باتّصاف الرسل بصفات تقدح وتطعن في رسوليتهم، من قبيل الظلم والكذب والخيانة... وصولا إلى انحرافهم عن مجال دعوتهم، وجوهر رسالتهم، كما مرّ معنا في هذا المطلب.

إن مظاهر الإساءة سالفة الذكر تبيّن وتوضّح لنا نظرة المسيحية لمقدّس من مقدّساتها، وكيف أن المسيحية لا تجد حرجا في نسبة تلك السلوكيات والانحرافات التي تنتقص من هيبة مقام الرسولية، إلى جماعة الرسل، وهذا ما أدّى إلى تشكّل صورة نمطية سلبية عن مقام الرسولية في مخيال المسيحيين، وهو ما يدفعنا إلى التساؤل الآتي: إذا كانت المسيحية نفسها ـ بنصوص كتابها المقدّس ـ دنّست مقام الرسولية، من خلال إساءتها للرسل، فعلى أي أساس يستند علماؤها في إدانة الإساءات المتعدّدة والمتكرّرة التي يتعرّض لها الأنبياء والمرسلون، وعلى رأسهم النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)؟؟؟

(1) ـ يوسف الحداد: تاريخ الكنيسة، مرجع سابق، ص553.

وبعبارة أخرى: كيف تدين المسيحية للإساءات التي يتعرّض لها مقام النبوة، باعتباره مقدّسا من المقدّسات، والذي يقابله مقام الرسولية عندها، ونصوص أسفارها المقدّسة مليئة بأمثالها من الإساءات؟؟؟ لا شكّ أن هذا الأمر يندرج ضمن التناقضات الكثيرة والمتعدّدة التي حفلت بها الديانة المسيحية.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الباب الثاني

الفصل الثالث ـ نظرة الإسلام للإساءة للأنبياء

المبحث الأول

مفهوم النبوة في الإسلام

المطلب الأول ـ تعريف النبي لغة: إن الناظر والمتأمّل في معاجم وقواميس اللغة يلحظ بأنّها تكاد تتّفق على أن لفظ "النبي" فيه ـ من حيث الاشتقاق اللغوي ـ احتمالان:

أولا ـ أن يكون اللفظ مشتقّا من النبأ وهو الخبر، فيكون النبي هو المنبئ، لإنبائه عن الله تعالى، جاء في لسان العرب"النبأ: الخبر، والجمع أنباء، وإن لفلان نبأ، أي: خبرا. والنبي المخبر عن الله، وهو فعيل بمعنى فاعل. قال الفرّاء: النبي هو من أنبأ عن الله"[1].

ثانيا ـ أن يكون اللفظ مشتقّا من النبوّة والنباوة، وهي الارتفاع عن الأرض، أو المكان المرتفع، يقول صاحب كتاب لسان العرب: "والنبوّة الارتفاع، قال ابن سيده: النبو العلو والارتفاع وقد نبا، والنبوة والنباوة والنبي: ما ارتفع من الأرض، وفي الحديث:فأتي بثلاثة قرصه[2]، فوضعت على نبي، أي على شيء مرتفع من الأرض"[3].

وجاء في معجم مقاييس اللغة "النون والباء والحرف المعتلّ، أصل صحيح يدلّ على ارتفاع في الشيء عن غيره، أو تنح عنه، ويقال: أن النبي (صلى الله عليه وسلم) اسمه من النّبوه، وهو الارتفاع، كأنّه مفضّل على سائر الناس برفع منزلته"[4].

([1]) ـ ابن منظور: لسان العرب:162/1.

([2]) ـ القرصه بوزن العنبة، جمع قرص، وهو الرغيف، كحجر وجحره. ينظر: ابن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: محمد عبد الحميد، مطبعة مصطفى بابي الحلبي ـ القاهرة، 1939، مج4، ص 40.

([3]) ـ ابن منظور: لسان العرب:163/1.

([4]) ـ ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، دار الفكر ـ بيروت، ط1: 1994، ص1009.

وهكذا نرى بأن لفظ النبي ـ بناء على الاشتقاق اللغوي ـ لا يخرج عن معنيين اثنين، هما: الخبر، والارتفاع عن الأرض. وهناك معنى ثالث يضاف إلى هذين المعنيين الناتجان عن الاشتقاق اللغوي، وهو "الطريق"، جاء في تهذيب اللغة "قال الكسائي:النبي: الطريق، والأنبياء طرق الهدى"[1]. وجاء في لسان العرب "قال أبو معاذ النحوي:سمعت أعرابيا يقول: من يدلّني على النبيّ، أي الطريق"[2].

وبناء على هذه الدلالات اللغوية الثلاث للفظ النبي يتّضح بأن النبي صاحب مقام رفيع، رفعة الوظيفة التي يقوم بها، وهي الإخبار عن الله، فالأنبياء هم أشرف الخلق، لأنهم الطرق التي يهتدي بها الناس، وتوصلهم إلى معرفة ربّهم.

المطلب الثاني ـ تعريف النبي اصطلاحا: تعدّدت وتباينت تعريفات النبيّ والنبوة في اصطلاحات علماء الإسلام، ومن ذلك:

أولا ـ تعريف ابن تيمية[3]: حيث عرّف النبي بقوله: "فالنبي هو الذي ينبئه الله، وهو ينبئ بما أنبأه الله به، فإن أرسل مع ذلك إلى من خالف أمر الله ليبلّغه رسالة من الله فهو رسول، وأمّا إذا كان يعمل بالشريعة قبله، ولم يرسل هو إلى أحد يبلغه عن الله رسالة، فهو نبي وليس برسول"[4].

ثانيا ـ تعريف الزمخشري[1]: حيث عرّف النبي بخاصّية من خصائصه، وهي المعجزة، فقال:"الرسول هو الذي يوحى إليه بكتاب خاص به، بينما النبيّ هو صاحب المعجزات"[2].

([1]) ـ أبي منصور الأزهري: تهذيب اللغة، تحقيق: أحمد مخيمر، دار الكتب العلمية ـ بيروت، ط1: 2004، ج11، ص 394.

([2]) ـ ابن منظور: لسان العرب:163/1.

([3]) ـ ابن تيمية(661 ـ 728) : هو الإمام الموسوعي، شيخ الإسلام في عصره، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام اشتهر بابن تيمية، ولد بحرّان (منطقة بتركيا حاليا)، برع في عدّة فنون منها المنطق والأصول والفقه والحديث والتفسير والعقائد والفرق...ومؤلفاته شاهدة على موسوعية فكره، من أهم مؤلفاته: "منهاج السنة النبوية"، "مجموعة الفتاوى الكبرى"، "الصارم المسلول في الرد على شاتم الرسول صلى الله عليه وسلم"، وغيرها. ينظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء:289/22.

([4]) ـ ابن تيمية: النبوات، تحقيق: عبد العزيز الطويان، مكتبة أضواء السلف ـ الرياض، ط1: 2000، ج2، ص 714

ثالثا ـ تعريف الألوسي[3]: حيث عرّفه بقوله "يراد بالرّسول من بعث بشرع جديد، وبالنبيّ من بعث لتقرير شرع من قبله"[4].

وبناء على هذه التعريفات الاصطلاحية للنبي، يمكننا أن نقول بأن النبوّة هي "موهبة من الله تعالى، ونعمة منه إلى عبده، وهي قول الله تعالى لمن اصطفاه من عباده: أرسلناك وبعثناك وبلّغ عنّا"[5]. وهذا التعريف الاصطلاحي للنبوة الذي يجعل منها "هبة واصطفاء"، يتّسق مع الدلالة اللغوية للفظة النبي التي ترجع إلى النبأ أي:الخبر.

كما عرّفت النبوة ـ أيضا ـ بأنّها "رفعة مخصوصة يستحقّها الرسول إذا قبل الرسالة وتكفّل بأدائها، والصبر على عوارضها"[6]. وهذا التعريف ينظر إلى النبوة على أنّها "رفعة وارتقاء"، بناءً على دلالتها اللغوية "النبوة والنباوة" بمعنى الارتفاع.

إن الشيء الملفت للانتباه في هذه التعريفات الاصطلاحية المتعدّدة للنبي والنبوة هو تباينها، ومردّ ذلك إلى تعدّد الاشتقاق اللغوي، حيث كان لاختلاف مصدر اشتقاق الكلمة أثر على هذه

([1]) ـ الزمخشري (467 ـ 538): هو العلامة المفسّر واللغوي المعتزلي أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد الزمخشري الخوارزمي، برع في الآداب والبلاغة العربية والمعاني والبيان. له تفسير للقرآن العظيم وهو (الكشاف). ينظر: سير أعلام النبلاء:151/20.

([2]) ـ تفسير الزمخشري:122/2.

([3]) ـ الألوسي (1217 ـ 1270): هو الإمام العلامة المفسّر الفقيه المحدّث الأديب الشاعر محمود شهاب الدين أبو الثناء الحسيني الآلوسي، ولد بآلوس بمحافظة الأنبار العراقية حاليا، تقلّد الإفتاء في عهد الدولة العثمانية ، كان شافعي المذهب. له عدة تصانيف منها: "روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني"، "غرائب الاغتراب"، "الرسالة اللاهورية"، وغيرها. ينظر: محمد بهجت: أعلام العراق، المطبعة السلفية ـ العراق، ص 28.

([4]) ـ تفسير الألوسي:173/17.

([5]) ـ أبو الثناء الأصفهاني: شرح طوالع الأنوار، القاهرة، ط1: 1323، ص 199.

([6]) ـ القاضي عبد الجبار: المغني في أبواب التوحيد والعدل، تحقيق:محمود الخضيري، ومحمد قاسم، القاهرة، 1965، ج15، ص 16.

التعريفات، فمن راعى جانب المكانة والمنزلة في النبيّ، عرّف النبوّة بما يفيد الرفعة والعلو التي يخصّ الله بها بعض عباده، ومن راعى وظيفة النبيّ، مال إلى تعريف النبيّ بالمنبئ (المخبر)، والنبوّة بالإخبار[1].

كما نرى أيضا أن التعريفات الاصطلاحية للنبي والنبوة تتداخل مع تعريفات الرسول والرسالة[2]، حيث ارتبط تعريف النبي بالرسول، لما لهما من علاقة وطيدة. وعليه فإنه لا يمكن الحديث عن مفهوم النبي بمعزل عن مفهوم الرسول، كما أن مفهوم النبي لا يتّضح إلا ببيان الفرق بينه وبين الرسول.

وقد اختلف علماء الإسلام في بيان الفرق بين النبي والرسول، هل يطلقان على مدلول واحد؟ أم يطلقان على مدلولين مختلفين؟ وانقسموا في ذلك إلى فريقين:

الفريق الأول: وهم أكثر المعتزلة[3]، وبعض الشيعة[4]، حيث ذهبوا إلى أنه لا فرق بين النبي والرسول، فهما كلمتان مترادفتان بمعنى واحد، فكلّ نبي يسمّى رسولا، وكلّ رسول يسمّى نبيّا، فهو رسول بالنظر إلى ما بينه وبين الناس، وهو نبيّ بالنظر ما بينه وبين الله، وكلاهما متلازمان، مستدلّين على ذلك بقوله تعالى ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيّٖ﴾ [سورة الحج:52]

وهذه الآية أثبتت لهما (أي النبي والرسول) الإرسال، وبذلك لا يكون النبي إلا رسولا، والرسول إلا نبيا[5]، كما أن الفصل بين النبي والرسول في هذه الآية لا يدلّ ـ حسب أصحاب هذا الرأي ـ على

([1]) ـ عبد الراضي عبد المحسن: المعتقدات الدينية لدى الغرب، مرجع سابق، ص 398. علي مبروك:النبوة من علم العقائد إلى فلسفة التشريع، مرجع سابق، ص 17 ـ 20.

([2]) ـ تدور مدلولات الرسول في اللغة حول التوجيه والانبعاث والإرسال. ينظر: ابن منظور: لسان العرب: 281/11. الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، مرجع سابق، ص 284.

([3]) ـ يقول القاضي عبد الجبار في ذلك:"وإذا عرفت ذلك فاعلم أنه لا فرق في الاصطلاح بين الرسول والنّبي". ينظر:القاضي عبد الجبار:شرح الأصول الخمسة، تحقيق: عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة ـ القاهرة، ط3: 1996، ص567.

([4]) ـ وقد لخّص مقولتهم الطبرسي بقوله "إذ يستدلّ على نفي الفرق بين النبي والرسول اصطلاحا بأن الله تعالى خاطب نبيّه مرّة بلفظ النبيّ، ومرّة بلفظ الرسول مما يدلّ على أنهما بمعنى واحد". ينظر: الفضل الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن، دار المعرفة ـ بيروت، 1986، ج7، ص 144.

([5]) ـ القاضي عياض: الشفا بتعريف حقوق المصطفى، تحقيق: حسين نبيل، دار الأرقم ـ بيروت، ج1، ص 221.

التمييز بينهما، "لأن مجرّد الفصل لا يدلّ على اختلاف الجنسين: ألا ترى أنه تعالى قد فصل بين النبي محمد وغيره من الأنبياء، ولم يدل ذلك على أنه من غير الأنبياء"[1]. ولذا لا يعقل ـ في نظر أصحاب هذا الرأي ـ التمييز بينهما وهما يرتبطان بجهة واحدة.

وهذا القول الذي يجعل دلالة النبي والرسول واحدة، مخالف لنصوص قرآنية ونبوية دلّت على اختلاف معنى اللفظين، وهذا ما سنتحدّث عنه في عرضنا لأدلّة الفريق الثاني.

الفريق الثاني: وهم جمهور أهل السنة[2]، وبعض المعتزلة[3]، حيث ذهبوا إلى اختلاف معنى اللفظين، وأن النبي غير الرسول، لأن اختلاف الأسماء يدلّ على اختلاف المسمّيات، وبذلك يكون كلّ رسول نبيّ ولا عكس، فالأنبياء أعمّ، والنبوة نفسها جزء من الرسالة، فالرسالة تتناول النبوة وغيرها، بخلاف النبوة التي لا تتناول الرسالة[4].

وقد استدلّ أصحاب هذا الرأي بجملة من الأدلّة، أهمّها:

1 ـ قوله تعالى ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيّٖ﴾ [سورة الحج:52]

وهذه الآية تدلّ على المغايرة بين الرسول والنبي من خلال عطف النبي على الرسول، يقول الزمخشري في تفسيره لهذه الآية:"دليل بيّن على تغاير الرسول والنبيّ"[5].

([1]) ـ القاضي عبد الجبار: شرح الأصول الخمسة، ص 568.

([2]) ـ عبد القاهر البغدادي: الفرق بين الفرق، دار المعرفة ـ بيروت، ط4: 2008، ص 301. علي القاري:منح الروض الأزهر في شرح الفقه الأكبر، دار البشائر الإسلامية ـ بيروت، ط1998:1، 197.

([3]) ـ ويمثّلهم الزمخشري الذي فرّق بين النبي والرسول من خلال تعريفه للنبي سالف الذكر (تفسير الزمخشري:122/2)، حين قال "الرسول هو الذي يوحى إليه بكتاب خاص به، بينما النبيّ هو صاحب المعجزات".

([4]) ـ ابن أبي العز الحنفي: شرح العقيدة الطحاوية، المكتب الإسلامي ـ بيروت، ط8: 1984، ص 167. محمد السفاريني: لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، مؤسسة الخافقين ـ دمشق، 1982، ج1، ص 49.

([5]) ـ تفسير الزمخشري:203/4. أبو الحسن الماوردي: النكت والعيون، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية ـ بيروت، ج4، ص 35. تفسير الألوسي:172/17.

2 ـ قوله تعالى في حقّ نبيّه موسى ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مُوسَىٰٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصٗا وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا﴾ [سورة مريم:51]، فوصف موسى (عليه السلام) بالنبوّة والرسالة يدلّ على أن الرسالة أمر زائد على النبوّة[1].

3 ـ تمييز النبي (صلى الله عليه وسلم) بين الأنبياء والرسل، وذلك في معرض جوابه على سؤال عددهم، حيث قال (عن عدد الأنبياء) "**مائة ألف وعشرون ألفا**"، وعن عدد الرسل:"**ثلاثمائة وثلاثة عشر جمّا غفيرا**"[2].

وقد انصرف أصحاب هذا الرأي في تحديد الفرق بينهما إلى عدّة أقوال، أشهرها قولان[3]:

القول الأول: النبي من أوحي إليه ولم يؤمر بالبلاغ، والرسول من أوحي إليه بشرع وأمر بالبلاغ[4].
ونلاحظ أن أصحاب هذا القول حصروا الفرق بين النبيّ والرسول في البلاغ، فجعلوا الرسول مبلّغا، والنبيّ غير ذلك!!! وهذا القول عليه عدّة اعتراضات، وهي:

1 ـ دلّت العديد من الآيات القرآنية على أن الله أرسل الأنبياء كما أرسل الرسل، أي أنهم يشتركون في الإرسال، ومن هذه الآيات:

أ/ قوله تعالى ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيّٖ﴾ [سورة الحج:52]

(1) ـ عمر سليمان الأشقر: الرسل والرسالات، دار النفائس ـ الأردن، ط12: 2004، ص 12.
(2) ـ أخرج ابن حبان في صحيحه (كتاب البر والإحسان: باب ماجاء في الطاعات وثوابها، رقم:361) من حديث أبي ذر الغفاري، وذكر حديثا طويلا، وفيه: قال: قلت: يا رسول الله كم الأنبياء؟ قال:"**مئة ألف وعشرون ألفا**"، قلت: يا رسول الله كم الرسل منهم؟ قال:"**ثلاث مئة وثلاثة عشر**".
(3) ـ عديدة هي الآراء والأقوال التي حدّدت الفرق بين النبي والرسول، إلا أنني أجملتها في قولين رئيسيين مشهورين.
(4) ـ وهذا القول هو قول جمهور العلماء. ينظر: ابن الهمام: المسامرة في شرح المسايرة، المكتبة الأزهرية ـ القاهرة، ط1: 2006، ج2، ص 83. ابن أبي العز الحنفي: شرح العقيدة الطحاوية، مرجع سابق، ص 158. علي القاري:منح الروض الأزهر في شرح الفقه الأكبر، ص 179.

ب/ وقال سبحانه ﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ﴾ [سورة الزخرف:6]

ج/ وقال أيضا ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [سورة الأحزاب:45]

فهذه الآيات صريحة في أن الإرسال لا يتعلّق بالرسل فحسب، وإنما الأنبياء يشتركون في ذلك، وإذا كان الفارق بينهما هو الأمر بالبلاغ، فالإرسال يقتضي من النبيّ البلاغ، فلا معنى للإرسال من دون بلاغ، وحينها يصبح ترك البلاغ كتمانا لوحي الله، ولا يعقل "أن يوحي الله إلى نبيّ بشرع، ثمّ لا يأمره بتبليغه، لأن الشرع أمانة وعلم وأداء واجب، وكتمان العلم نقص ورذيلة"[1].

2 ـ قوله (صلى الله عليه وسلّم):"**عرضت عليّ الأمم، فجعل يمرّ النبيّ معه الرّجل، والنبيّ معه الرجلان، والنبيّ معه الرهط، والنبيّ وليس معه أحد...**"[2]. وهذا الحديث يدلّ على أن الأنبياء مأمورون بالبلاغ، لكنّهم يتفاوتون في مدى الاستجابة لهم.

وبهذا نرى بأن القول الذي يحصر الفرق بين النبي والرسول في البلاغ لا يستقيم، للاعتراضات سالفة الذكر.

القول الثاني: الرسول من أوحي إليه بشرع جديد، والنبيّ هو المبعوث لتقرير شرع من قبله[3].

وهذا القول الذي يحدّد الفرق بين النبي والرسول في "الإتيان بشرع جديد وتقرير شرع سابق" هو التعريف المختار للفظ النبي والرسول، الذي تطمئن إليه النفوس، والذي سلم ـ في حدود اطّلاعي ـ من أي اعتراض[4].

([1]) ـ محمود الشرقاوي: الأنبياء في القرآن الكريم، دار الشعب ـ القاهرة، 1970، ص 9 ـ 10. شيبة الحمد عبد القادر: الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة، شركة المدينة للطباعة ـ السعودية، ص05. عمر سليمان الأشقر: الرسل والرسالات، مرجع سابق، ص 13.

([2]) ـ صحيح البخاري: كتاب (الطب)، باب (من لم يَرق)، رقم(5752).

([3]) ـ تفسير الألوسي:157/7. ينظر أيضا: أبو الحسن الماوردي: أعلام النبوة، دار الكتب العلمية ـ بيروت،ط1: 1986، ص34.

([4]) ـ عمر سليمان الأشقر:الرسل والرسالات، ص 13. محمود الشرقاوي: الأنبياء في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص 10. علي مبروك: النبوة من علم العقائد إلى فلسفة التاريخ، ص 31 ـ 33.

وقد كان أنبياء بني إسرائيل من بعد موسى الذين بعثوا بشريعته مأمورين أن يبلّغوا قومهم وحي الله كما في قوله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا ۖ قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ۖ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة البقرة:246]

فكانت وظيفة أنبياء بني إسرائيل تتمثّل في تعليم قومهم، وإرشادهم، بالإضافة إلى سياسة شؤون حياتهم، كما هو الحال مع الأنبياء: داود وسليمان وزكرياء ويحي، فهؤلاء جميعا أنبياء، وقد كانوا يقومون بسياسة بني إسرائيل والحكم بينهم، وإبلاغهم الحقّ[1]، كما جاء في الحديث "**كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلّما هلك نبيّ خلفه نبيّ**..."[2].

إن الاختلاف الحاصل بين العلماء في تحديد الفرق بين النبي والرسول، والقول بأن النبّوة جزء من الرسالة، وبأن كلّ رسول نبي ولا عكس، لا يعني الانتقاص من مقام النبوة، وتجريده من القداسة، ذلك أن مقام النبوة يشترك مع مقام الرسالة في جوهر القداسة، فالنبي ـ كما الرسول ـ يعدّ سفير الله لعباده، ومبلّغا رسالته سبحانه لخلقه، فاشتركا معا في نزول الوحي عليهما، ومن هنا استمدّا القداسة، وعليه فإن الأفكار التي يزعم أصحابها التفريق بين الأنبياء والرسل من ناحية القداسة، وبأن القداسة والقدسية للرسل لا للأنبياء، وبأن مقام النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) مقدّس كرسول لا كنبيّ، لا

(1) ـ عمر سليمان الأشقر: الرسل والرسالات، ص 14.

(2) ـ صحيح البخاري: كتاب الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، رقم(3455).

تستقيم، لأنها تتعارض وتتناقض ـ كما رأينا ـ مع مقام النبوة الذي يشترك مع مقام الرسالة في جوهر القداسة.

وإذا تجاوزنا مسألة الفرق بين النبي والرسول، والخلاف المشهور في تحديد ذلك، والتي لا تنفي ـ كما رأينا ـ عنهما صفة القداسة، فإننا نجد القرآن الكريم يذكر في مواضع عدّة بعض أسماء الأنبياء والرسل، حيث بلغ عدد الأنبياء والرسل المذكورين خمسة وعشرين ما بين نبي ورسول، ورد ذكر سبعة منهم في مواضع متفرّقة، وهم: آدم، هود، شعيب، إدريس، ذا الكفل، ومحمد (عليه وعليهم السلام)، وورد ذكر ثمانية عشر منهم في موضع واحد من سورة الأنعام، وهم: إبراهيم، إسحاق، يعقوب، نوح، داود، سليمان، أيوب، يوسف، موسى، هارون، زكريا، يحي، عيسى، إلياس، إسماعيل، اليسع، يونس، لوط. قال تعالى ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[سورة الأنعام:83 ـ 86]

إن إكتفاء القرآن الكريم بذكر خمسة وعشرين اسما من الأنبياء والرسل، لا يعني حصرهم في هذا العدد، فقد أشار تعالى إلى أنهم جمّ غفير، قال سبحانه ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [سورة فاطر:24]، أي أن كلّ أمّة من الأمم السالفة إلا كان فيها نبي أو رسول[1]، كما أن عدم ذكر أسمائهم جميعا لا ينفي وجودهم، قال تعالى ﴿وَرُسُلًا قَدْ

(1) ـ تفسير الطبري:361/19. تفسير ابن كثير:318/11. وقد مرّ معنا حديث أبي ذر الغفاري الذي يتحدّث عن عدد الأنبياء والرسل، وفيه: قال: قلت: يا رسول الله كم الأنبياء؟ قال:"**مئة ألف وعشرون ألفا**"، قلت: يا رسول الله كم الرسل منهم؟ قال:"**ثلاث مئة وثلاثة عشر**".

﴿قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [سورة النساء: 164]

والمؤمن مطالب بالإيمان بالأنبياء والرسل جميعا، سواء الذين ذكروا بأسمائهم، فيتعيّن الإيمان بهم تفصيلا، أي يتعيّن الإيمان بكل واحد منهم كشخص، أو الذين أشار إليهم الله تعالى في محكم تبيانه، فيتعيّن الإيمان بهم جملة، بمعنى التصديق بأن هناك أنبياء ورسل غير المذكورين في الكتاب العزيز، لأنه سبحانه قد أخبر عنهم، كما مرّ معنا في الآية سالفة الذكر.

ورغم دلالة الآيات القرآنية على فرضية ووجوب الإيمان بالأنبياء والرسل جميعا، إلا أنهم ليسوا بدرجة واحدة من الفضل والمكانة، بل بعضهم أفضل من بعض، قال تعالى ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ۚ﴾ [سورة البقرة:253]

وقال أيضا ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ﴾ [سورة الإسراء:55]

وأفضل هؤلاء من سمّاهم القرآن الكريم ب(أولي العزم من الرسل)، وهم قادة الأنبياء وسادتهم، وقد ذكرهم الله بالثناء العاطر، وأمر رسوله محمد (صلى الله عليه وسلم أن يقتدي بهم في جهادهم وصبرهم، فقال عزّ من قائل ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾[سورة الأحقاف:35]

وقد سمّوا ب(أولي العزم) لأن عزائمهم كانت قوية، وابتلاءهم كان شديدا، وجهادهم كان شاقا ومريرا[1].

([1]) ـ إن وصف أولي العزم من الرسل بالعزيمة القوية، والجهاد الشاق، والصبر على الأذى، لا يعني نفي هذه الصفات عن غيرهم من الأنبياء والرسل، فكلّ الأنبياء والرسل تعرّضوا للأذى وصبروا على ذلك، وهذا ما أشارت إليه العديد من الآيات القرآنية، قال تعالى﴿ يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ ۚ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [سورة يس:30]، وقال في موضع آخر ﴿ كَذَٰلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴾ [سورة الذاريات:52]، وقال أيضا ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِي الْمُرْسَلِينَ ﴾ [سورة الأنعام:34]، لكنّ المقصود من ذلك أن أولي العزم من الرسل كانوا أبلغ من غيرهم

ويأتي على رأس الأنبياء والرسل محمدّ (صلى الله عليه وسلم)، الذي هو آخر الأنبياء بعثة، كما أن القرآن الكريم هو آخر الكتب السماوية، فقد ختم الله تعالى بالقرآن الكريم الوحي، وختم بمحمّد (صلى الله عليه وسلم) النبوة والرسالة، قال تعالى ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ [سورة الأحزاب:40]

وعديدة هي الأدلّة التي تثبت أفضلية النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) على سائر الأنبياء والرسل، ومن ذلك[1]:

1 ـ أخذ جميع الأنبياء العهد على الإيمان به: فما من نبيّ من الأنبياء إلا وأخذ العهد والميثاق على الإيمان بمحمّد(صلى الله عليه وسلّم)، ومناصرته واتّباعه إن أدركه في حياته، وحثّ قومه على ذلك[2]، قال تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [سورة آل عمران:81]، فهذا العهد والميثاق دليل على جليل قدر النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) ، وعظيم منزلته، وشرفه مقامه مع النبيين [3].

2 ـ خطابه تعالى للنبي محمد (صلى الله عليه وسلم) بوصف النبوة والرسالة: وقد أشار القاضي عياض[4] في كتابه (الشفاء بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم) إلى هذا المنزع اللطيف

=في الاتّصاف بهذه الصفات، وهي الصفات التي أهّلتهم لبلوغ هذا المقام. وهناك خلاف شهير بين العلماء في تحديد أولي العزم من الرسل، فمن قائل بأنهم جميع الرسل، ومن قائل بأنهم خمسة (وهو المشهور)، وهم: نوح، إبراهيم، موسى، عيسى، ومحمد (صلى الله عليه وسلم). ينظر تفصيل ذلك: تفسير الطبري:176/21 ـ 177. تفسير القرطبي:233/19 ـ 236.

([1]) ـ محمد علي الصابوني: النبوة والأنبياء، مؤسسة مناهل العرفان ـ بيروت، ط3: 1985، ص 17.

([2]) ـ فكان كلّ الأنبياء يشيرون إلى بعثته ورسالته (صلى الله عليه وسلم). ينظر: تفسير ابن كثير:100/3.

([3]) ـ محمد رشيد رضا: تفسير المنار، دار المنار ـ مصر، ط3: 1367، ج3، ص 351.

([4]) ـ القاضي عياض (476هـ ـ 544هـ): هو أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض السبتي اليحصبي، يعود نسبه إلى احدى القبائل العربية باليمن. توزعت حياته بين القضاء والإقراء والتأليف، هذا الأخير الذي خلّد ذكراه، حيث جاءت مصنّفاته ترجمة لاهتماماته، حيث برع في الحديث والأصول والفقه واللغة والتأريخ والسيرة النبوية. من أشهر مؤلّفاته:

من القرآن الكريم في بيانه لأفضلية الرسول (صلى الله عليه وسلم) على سائر الرسل الكرام، وبيانه أنه أشرفهم وأفضلهم، حيث خاطب الله الرسل وناداهم بأسمائهم، فقال عزّ من قائل في حقّ نوح (عليه السلام) ﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَۚ وَأُمَمٞ سَنُمَتِّعُهُمۡ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [سورة هود:48]

وقال في شأن إبراهيم (عليه السلام) ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ١٠٤ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [سورة الصافات:104 ـ 105]

وقال في نداء موسى (عليه السلام) ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [سورة الأعراف:144]

وقال سبحانه في خطابه الموّجه لعيسى (عليه السلام) ﴿وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ﴾ [سورة المائدة:116]

وهكذا كان الخطاب الإلهي لبقية الأنبياء بأسمائهم إلا خاتم الرسل (صلى الله عليه وسلم)، فقد خاطبه تعالى بوصف النبوة تارة، وبوصف الرسالة تارة أخرى، إظهارا لعظيم قدره، وإبرازا لعلّو مكانته، وجلال فضله، فقال سبحانه:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا﴾ [سورة الأحزاب:45]

وقال سبحانه في موضع آخر مخاطبا نبيّه محمّد(صلى الله عليه وسلم) قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡۛ﴾ [سورة المائدة:41]

"إكمال المعلم بفوائد صحيح مسلم" ، "الإعلام بحدود قواعد الإسلام"، "مذاهب الحكام في نوازل الأحكام". ينظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان:483/3.

وغيرها من المواضع التي جاء فيها الخطاب والنداء الإلهي موجّها للنبي محمد (صلى الله عليه وسلم) بوصف النبوة أو الرسالة، ولا نجد في كتاب الله آية واحدة تخاطب النبي(صلى الله عليه وسلم) باسمه الصريح (يا محمّد)، مثل ما جاء في خطاب الأنبياء، وهذا من ألطف الإشارات إلى عظيم قدره(صلى الله عليه وسلم)، ودليل من جملة أدلّة إلى أنه أفضل الأنبياء والرسل على الإطلاق[1].

3 ـ قوله (عليه الصلاة والسلام) في معرض حديثه عن علوّ منزلته على سائر الأنبياء والرسل، وهي المنزلة التي أعطاه الله إياها في الدنيا والآخرة:"**أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا، فأيّما رجل من أمّتي أدركته الصلاة فليصلّ، وأحلّت لي المغانم ولم تحلّ لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس عامّة**"[2].

إن القول بتفضيل بعض الأنبياء على بعض لا يعني التفريق بينهم، فقد بيّن سبحانه وتعالى ـ كما مرّ معنا ـ بأنه فضّل بعض النبيين على بعض، قال تعالى ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ۚ﴾ [سورة البقرة:253]

وقال أيضا ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ﴾ [سورة الإسراء:55]، وكان محمد (صلى الله عليه وسلم) أفضلهم، إلا أن هذه الأفضلية لا تعني الانتقاص من منزلتهم، ومقامهم المقدّس، كما لا تعني الإيمان ببعضهم والكفر بالبعض الآخر، وإنما

([1]) ـ القاضي عياض: الشفاء بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم، مرجع سابق، ج1، ص45 ـ 46.

([2]) ـ صحيح البخاري: كتاب التيمّم، الباب الأول، رقم (335). وقريب من هذا الحديث ما جاء في صحيح مسلم(كتاب المساجد، باب ابتناء مسجد النبي صلى الله عليه وسلم، رقم 523) من حديث أبي هريرة(رضي الله عنه) أنه صلى الله عليه وسلم قال:"**فضّلت على الأنبياء بستّ:أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرّعب، وأحلّت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض طهورا ومسجدا، وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بيّ النبيّون**". وعديدة وكثيرة هي الأحاديث التي جاءت فيها الخصال التي فضّل بها النبي (صلى الله عليه وسلّم) على سائر الأنبياء، وقد أوصلها بعضهم إلى ستّين خصلة. ينظر: سعيد النيسابوري: مناحل الشفا ومناهل الصفا بتحقيق كتاب شرف المصطفى، تحقيق: نبيل الغمري، دار البشائر الإسلامية ـ مكة المكرّمة، ط1: 2003، ج4، ص 243.

هي أفضلية في بعض الخصائص والفضائل[1] التي لا ينبغي أن تفضي إلى تخيير وتفريق بينهم بناء على هذا التفاضل، لذلك أمر الله سبحانه بالإيمان بالرسل جميعا، وعدم التفريق والتخيير بينهم، قال جلّ جلاله ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [سورة البقرة:136]

وقال في آية أخرى ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [سورة البقرة:285]

وبيّن سبحانه وتعالى بأن التكذيب بواحد من الرسل يعدّ تكذيبا بالرسل جميعا، وهو ما يتنافى مع الإيمان، قال تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾ [سورة النساء:150]

ومن هنا نجد النبي (صلى الله عليه وسلم) يحذّر من التفضيل بين الأنبياء، إذا كان التفضيل يوهم نقص المفضول، أو الحطّ من منزلته[2]، قال (عليه الصلاة والسلام):"**لا تفضّلوا بين أنبياء**

([1]) ـ حيث أن هناك من الأنبياء من فضّل بأشياء خاصّة لا توجد عند غيره، فمن الأنبياء من خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته، ومنهم من كان كليم الله، ومنهم من كان خليل الله، ومنهم من رفعه الله مكانا عليّا، ومنهم من أوتي الحكم صبيّا، ومنهم من أعطي شطر الحسن، ومنهم من كان صيامه أفضل الصيام...وهكذا فكلّ نبي تميّز عن غيره بجملة من الخصال، وهي الخصال التي لا تتعلّق بجوهر النبوة والرسالة، فإن الأنبياء والرسل فيها على حدّ واحد، إذ هي شيء واحد لا يتفاضل، وإنما التفاضل في الخصال والخصائص سالفة الذكر. ينظر: القاضي عياض: الشفاء بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم، مرجع سابق، ج1، ص227.

([2]) ـ ينظر تفصيل ذلك:علي القاري:مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، تحقيق: جمال عيتاني، دار الكتب العلمية ـ بيروت، ط1: 2001، ج10، ص 421.

الله..."[1]. وهذا النهي الصّريح عن التفضيل بين الأنبياء غرضه تربية المسلم على الإيمان بهم (عليهم السلام) دون تخيير بينهم في ذلك[2].

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

([1]) ـ صحيح البخاري: كتاب الأنبياء، باب قوله تعالى(وإن يونس لمن المرسلين...وهو مليم)، رقم (3414). صحيح مسلم: كتاب الفضائل، باب من فضائل موسى (عليه السلام)، رقم(2374).

([2]) ـ إن الأحاديث سالفة الذكر التي تبيّن فضل النبي (صلى الله عليه وسلم) على إخوانه الأنبياء والمرسلين لا تتعارض البتة مع هذا الحديث (**لا تفضّلوا بين أنبياء الله**)، الذي ينهى فيه النبي (عليه الصلاة والسلام) من التفضيل بين الأنبياء، ذلك أن التفضيل المنهي عنه هو التفضيل الذي يوهم انتقاص المفضول، وإلا فالتفاضل بين الأنبياء، وفضله (صلى الله عليه وسلم) عليهم، ثابت بالنصوص التي أوردناها، ولا تناقض بينها وبين النصوص التي تنهى عن التفضيل بينهم (عليهم السلام).

المبحث الثاني
صفات الأنبياء في الإسلام

الأنبياء صفوة البشر، وخيرة الله في خلقه، قال تعالى ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ﴾ [سورة الحج:75]، وهذا الاصطفاء الإلهي للأنبياء كان لأجل أداء مهمّة كبيرة، ووظيفة عظيمة، تتمثّل في تبليغ رسالته سبحانه لخلقه، قال تعالى ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا﴾ [سورة الأحزاب:39]، وأداء هذه المهمّة "المقدّسة" يقتضي أن يتّصف صاحبها بالصفات الحسنة والأخلاق الفاضلة، يقول الشهرستاني[1]: "فكما يصطفيهم في الخلق قولا بالرسالة والنبوة، يصطفيهم في الخلق فعلا بكمال الفطرة، ونقاء الجوهر، وصفاء العنصر، وطيب الأخلاق"[2].

والقرآن العظيم مليء بالآيات التي نجد فيها الذكر العاطر، والثناء المجيد على هذه الصفوة المختارة من البشر، ومن ذلك:

قوله تعالى ﴿وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِمۡ فِعۡلَ ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِۖ وَكَانُواْ لَنَا عَٰبِدِينَ﴾ [سورة الأنبياء:73]

وقال سبحانه ﴿وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ ٤٥ إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ ذِكۡرَى ٱلدَّارِ ٤٦ وَإِنَّهُمۡ عِندَنَا لَمِنَ ٱلۡمُصۡطَفَيۡنَ ٱلۡأَخۡيَارِ ٤٧ وَٱذۡكُرۡ إِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ وَكُلّٞ مِّنَ ٱلۡأَخۡيَارِ﴾ [سورة ص:45 ـ 48]

([1]) ـ الشهرستاني (ت549هـ): هو أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أحمد الشهرستاني نسبة إلى بلدة شهرستان، شيخ أهل الكلام والحكمة والفلسفة. برع في الفقه، واشتهر بالتأليف في الفرق والملل وعلم الكلام. من مؤلّفاته: "الملل والنحل"، "نهاية الإقدام في علم الكلام"، وغيرها. ينظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ج20، ص 286 ـ 288.

([2]) ـ الشهرستاني: نهاية الأقدام في علم الكلام، مكتبة الثقافة الدينية ـ القاهرة، ط1: 2009، ص 462.

وهكذا نجد القرآن الكريم حينما يتحدّث عن الأنبياء الكرام، يصفهم بأسمى الصفات العالية، وينعتهم بأكمل الأوصاف...كلّ ذلك من أجل الإشارة لعلوّ شأنهم، ورفعة مكانتهم، وسموّ الرسالة التي بعثوا من أجلها، فكانوا هداة العالم، وقادة البشرية[1].

وعديدة هي الصفات الواجبة في حقّ الأنبياء، والتي تعدّ من ألزم اللوازم، ومن أهم الضروريات[2]، وهي الصفات التي سنتحدّث عن كلّ واحدة منها في مطلب مستقلّ.

المطلب الأول ـ البشرية: لما كان الأنبياء سفراء الله لخلقه من أجل تبليغ رسالته لعباده، ولما كان أهل الأرض من البشر، اقتضت حكمته سبحانه وتعالى ورحمته أن يكون هذا السفير (الوسيط) من جنس المرسل إليهم(البشر)، ومن عالمهم (عالم الإنسان)، لذلك بعث الله الرسل من البشر، قال تعالى ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [سورة التوبة:128]، فكانت البشرية صفة من الصفات الضرورية للأنبياء، وهذا ما صرّح به القرآن الكريم، حينما خاطب الله تعالى نبيه محمد(صلى الله عليه وسلم) للتأكيد على هذه الصفة أمام المشركين[3]، قال سبحانه ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ [سورة فصلت:6]

وتظهر هذه الصفة واضحة جليّة كواحدة من الصفات الواجبة في حقّ الأنبياء من خلال استقراء سيرة ومسيرة الأنبياء في القرآن الكريم، والتي حفلت بالعديد من السمات والغرائز التي لا تنفكّ عن البشرية، وهي[4]:

1 ـ الأكل والشرب والتزاوج والموت: فكون الأنبياء يأكلون ويشربون فيه دلالة على بشريتهم، وأنه يجري عليهم ما يجري على البشر، قال تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ

(1) ـ أبو الحسن الندوي: النبوة والأنبياء في ضوء القرآن، الدار السعودية للنشر ـ السعودية، ط3: 1387، ص 16.

(2) ـ ويعبّر عنها علماء الكلام ب "شرائط النبوة"، للدلالة على وجوب اتّصاف الأنبياء بها. ينظر: محمد سعيد رمضان البوطي: كبرى اليقينيات الكونية، دار الفكر ـ دمشق، ط35: 2015، ص 202.

(3) ـ تفسير الطبري: 378/20. تفسير الزمخشري: 368/5.

(4) ـ إن الغرض من ذكر هذه السمات والغرائز هو التأكيد على بشرية الأنبياء، وأنه يجري عليهم ما يجري على سائر البشر، فهي من مقتضيات بشريّتهم.

فَسْـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ۝٧ وَمَا جَعَلۡنَٰهُمۡ جَسَدٗا لَّا يَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُواْ خَٰلِدِينَ ﴾ [سورة الأنبياء:7 ـ 8]، وقال أيضا﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمۡ لَيَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشُونَ فِي ٱلۡأَسۡوَاقِۗ وَجَعَلۡنَا بَعۡضَكُمۡ لِبَعۡضٖ فِتۡنَةً أَتَصۡبِرُونَۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرٗا ﴾ سورة الفرقان:20]، فهذه الآيات التي تتحدّث عن طعام وشراب الأنبياء تثبت لهم صفة البشرية[1].

كما جاءت الآيات القرآنية مبيّنة زواج الأنبياء وإنجابهم للذّريّة والأولاد كبقية البشر، قال تعالى ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلٗا مِّن قَبۡلِكَ وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَذُرِّيَّةٗۚ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأۡتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ لِكُلِّ أَجَلٖ كِتَابٞ ﴾ [سورة الرعد:38]

كما يأتي على الأنبياء ما يأتي على البشر، وهو الموت، قال تعالى في خطابه لنبيّه محمّد (صلى الله عليه وسلم) ﴿إِنَّكَ مَيِّتٞ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ [سورة الزمر:30]

2 ـ التعرّض للبلاء: حفل القرآن الكريم بالعديد من الآيات التي تتحدّث عن تعرّض الأنبياء لأشدّ أنواع الابتلاءات، ومن ذلك:

أ/ سجن نبي الله يوسف(عليه السلام): قال تعالى حكاية عنه البلاء الذي تعرّض له يوسف(عليه السلام) ﴿فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجۡنِ بِضۡعَ سِنِينَ﴾ [سورة يوسف:42]

ب/مرض نبي الله أيوب(عليه السلام): قال تعالى على حكاية عن الضرّ الذي لحق نبيّه أيوب(عليه السلام) ﴿وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [سورة الأنبياء:83]

ج/ إلقاء إبراهيم (عليه السلام) في النار: قال تعالى في معرض حديثه عن الأذى الذي تعرّض له سيدنا إبراهيم(عليه السلام) ﴿قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ﴾ [سورة الأنبياء:68]

([1]) ـ تفسير ابن كثير:393/9.

وهكذا نجد الكثير من الآيات القرآنية التي تتحدّث عن سيرة الأنبياء تطرّقت لمسألة الأذى الذي كانوا يتعرّضون له في سبيل تبليغ دعوتهم، وهو من مقتضيات بشريّتهم(عليهم السلام)[1].

3 ـ الاشتغال بأعمال البشر: يحدّثنا القرآن الكريم عن الأعمال التي كان يمارسها الأنبياء والمهن التي كانوا يشتغلون بها، ومن أبرزها "رعي الغنم"، وهي المهنة التي اشتغل بها أكثر الأنبياء، كما جاء ذلك في حديث النبي (صلى الله عليه وسلم) حينما سئل عن رعي الغنم؟ فأجاب قائلا: "**وهل من نبي إلا وقد رعاها**"[2].

وإلى جانب رعي الغنم مارس الأنبياء مهنة التجارة، كما هو الحال مع النبي (صلى الله عليه وسلم)[3]، ومهنة الحدادة، كما هو الحال مع نبي الله داود (عليه السلام)[4]، كما مارس الأنبياء مهنة النجارة، كما هو الأمر بالنسبة لنبي الله زكريا[5]. فكلّ هذه المهن، أو الأشغال اليدوية، تثبت وتؤكّد على بشرية الأنبياء.

4 ـ عدم النفع والضر: فالأنبياء ـ كسائر البشر ـ لا يملكون لأنفسهم ولا لغيرهم نفعا ولا ضرّا، قال تعالى ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ [سورة الأعراف:188]

([1]) ـ بل إن تعرّض الأنبياء للأذى كان من مقتضيات نبوتهم، والذي هو سنة جارية في حقّ ورثتهم(العلماء)، وفي حقّ كلّ من سار على نهجهم، وقد تحدّثنا في مقدّمة الفصل الثاني من الباب الأول عن أنواع الأذى الذي تعرّض له الأنبياء، فليراجع.

([2]) ـ أخرج البخاري في صحيحه (كتاب:الأنبياء، باب:يعكفون على أصنام لهم، رقم:3406) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: "كنا مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) نجني الكباث(ثمر الأراك)، وإن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: "**عليكم بالأسود منه، فإنه أطيبه**"، قالوا: أكنت ترعى الغنم؟ قال: "**وهل من نبي إلا وقد رعاها**".

([3]) ـ البوطي: فقه السيرة النبوية، دار الفكر ـ دمشق، ط34: 2011، ص 67.

([4]) ـ وقد أخبر القرآن الكريم عن مهنة نبي الله داود الذي اشتغل بالحدادة، فقال تعالى ﴿وَعَلَّمۡنَٰهُ صَنۡعَةَ لَبُوسٖ لَّكُمۡ لِتُحۡصِنَكُم مِّنۢ بَأۡسِكُمۡۖ فَهَلۡ أَنتُمۡ شَٰكِرُونَ﴾ [سورة الأنبياء:80]

([5]) ـ وقد أخبر عن ذلك النبي (صلى الله عليه وسلم) حين قال: "**كان زكرياء نجارا**". ينظر: صحيح مسلم: كتاب الفضائل، باب من فضائل زكرياء عليه السلام، رقم (2379).

وهكذا نرى كيف أن هذه الغرائز من أكل، وشرب، وتزاوج، وألم، وعطش، وفرح، وحزن...وغيرها من السمات الأخرى اللصيقة بحياة الأنبياء، تؤكّد على صفة البشرية كواحدة من الصفات الواجبة في حقّهم، وهي الصفة التي اقتضتها طبيعة النبوة ذاتها من خلال جانبين:

أولا ـ من جانب وظيفة النبي: فالنبي مبلّغ وحي الله لخلقه، وهو التبليغ الذي يستلزم التفسير والإيضاح، والتبشير والإنذار، والذي بدوره يستدعي الاحتكاك بالبشر، والاجتماع بهم، والأخذ عنهم، ومحاورتهم...من أجل الوصول بهم رويدا رويدا إلى الاقتناع بما جاءهم به من عند الله، وكلّ ذلك لا يكون مع غير البشر، فلو كان النبي المبعوث للناس من الملائكة لما استطاع البشر الاجتماع به، والأخذ عنه، بل لو جاءهم الملك بصورته "الملكية" الحقيقية التي خلقه الله عليها لفزعوا وصعقوا، وولوا الأدبار هربا وخوفا منه[1].

ثانيا ـ من جانب المدعوّين (البشر): حيث أن الإنسان لا يمكنه الأخذ عن مخلوق لا ينتمي لعالمه، كما لا يمكنه الاجتماع به، فضلا عن تصديقه والإيمان بما جاء به، فلو كان الأنبياء من الملائكة لما تقبّل الناس دعواهم، لأنهم ينتمون إلى غير جنس البشر[2]، ولكان للناس حجّة في عدم اتّباع الرسل، وعدم الاقتداء والتأسّي بهم، لأن طبيعتهم تختلف عن طبيعة البشر[3].

ومن هنا نجد القرآن الكريم يشير إلى أن صفة البشرية ضرورة اقتضتها طبيعة النبوّة، هذه الأخيرة التي فرضت التماثل بين المرسل(النبي) والمرسل إليهم (البشر)، فلو كان سكان الأرض من الملائكة لبعث الله إليهم نبيا ملكا، قال تعالى ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ

([1]) ـ وهذا ما حصل مع النبي (صلى الله عليه وسلم) حينما رأى ملك الوحي جبريل (عليه السلام) على صورته الملكية في غار حراء، جالسا على كرسيه، وقد ملأ بأجنحته (الستمائة) ما بين السماء والأرض، ففزع النبي (صلى الله عليه وسلم) وارتعد ورجع إلى أهله وهو يقول:"زملوني، زمّلوني". ينظر: صحيح البخاري(كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، رقم 3، 4).

([2]) ـ تفسير القرطبي:8/327 ـ 328.

([3]) ـ فالإنسان خلق من الطين، وركّب من عقل وشهوة، فإن سما عقله على شهوته ارتقى عند ربّه، وإن طغت شهوته على عقله كان دون الحيوان منزلة، بخلاف الملائكة التي خلقت من نور، وقهرت على طاعة الله، فهي تعبد الله ولا تعصيه أبدا، قال تعالى ﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [سورة التحريم:6]

﴿ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾ قُل لَّوْ كَانَ فِي ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا﴾ [سورة الإسراء:94 ـ 95]، فلما كان سكان الأرض من البشر فرحمة الله وحكمته اقتضت أن يكون رسلهم من جنسهم، قال تعالى ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [سورة التوبة:128]

إن القول ببشرية الأنبياء، وإثبات هذه الصفة لهم، ينزع عنهم طابع التأليه، وهو الانحراف والزيغ الذي وقع فيه الكثير من أتباع الديانات السابقة للإسلام، حينما ألّهوا مؤسّس الديانة، كما هو شأن البوذيين الذين ألّهوا بوذا، وجعلوه إلها يعبد، وكذلك الحال بالنسبة للمسيحيين الذين ألّهوا المسيح عيسى(عليه السلام)، وآمنوا به أقنوما من أقانيم الإله، إلى جانب الآب والروح القدس !!!

وهذا ما رفضه الإسلام، حينما أكّد القرآن ـ في غير موضع ـ على بشرية الأنبياء، وأنه يجري عليهم ما يجري على سائر البشر. وهنا تكمن أهمّية الحديث عن "البشرية" باعتبارها صفة من الصفات الضرورية الواجبة في حقّ الأنبياء .

المطلب الثاني ـ الذكورة: فالنبوة خاصة بالرجال دون النساء، وقد اتّفق العلماء على أن الذكورة شرط في النبي[1]، ودليل ذلك:

قوله تعالى ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِم﴾ [سورة يوسف:109]

فصيغة الحصر تدلّ على أن النبوة من الرجال لا من النساء، يقول السفاريني: "قوله تعالى ﴿إِلَّا رِجَالًا﴾، فأثبت الرسالة للرجال الموحى إليهم، وأشعر بنفي ذلك عن غيرهم، فلا تكون أنثى نبيّة خلافا لأهل التوراة الزاعمين نبوة مريم ابنة عمران أخت موسى"[2].

([1]) ـ تفسير ابن كثير:92/8. تفسير الطبري:380/13. ابن حجر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق: عبد العزيز بن باز، دار المعرفة ـ بيروت، ج6، ص 471 ـ 473.

([2]) ـ السفاريني: لوامع الأنوار البهية، ج2، ص 266.

فحصر النبوة في الرجال دون النساء يرجع إلى طبيعة مقام النبوة الذي يتنافى مع طبيعة المرأة، فالنبوة "عبئ ثقيل، وتكليف شاق لا تتحمّله طبيعة المرأة الضعيفة[1]، لأنه يحتاج إلى مجاهدة ومصابرة، ولهذا كان جميع الرسل في محنة قاسية مع أقوامهم، وابتلوا ابتلاء شديدا في سبيل تبليغ دعوة الله"[2].

وهناك حكمة أخرى من حصر النبوة في الرجال دون النساء، تتعلّق بمسألة قبول المجتمع لنبوّة المرأة، فالمعروف أن المرأة مستضعفة عند الرجال، ولما كانت كذلك فإن المجتمع يستثقل قيادتها للنفوس[3]، لذلك لما تنبّأت سجاح بنت المنذر[4] في عهد أبي بكر الصدّيق (رضي الله عنه)، رفض المجتمع نبوّتها، واستهجن ذلك، وهو ما يفهم من قول شاعرهم[5]:

أضحت نبيّتنا أنثى نساء بها ... ولم تـزل أنـبـيـاء الله ذكرانـــا

فلعنـــــة الله والأقوام كلّهم ... على سجاح ومن بالإفك أغرانا

هذا وقد شذّ عن القول بذكورة الأنبياء بعض العلماء، منهم: أبو الحسن الأشعري[6]، والقرطبي[7]، وابن حزم[8]، حيث ذهبوا إلى أن الذكورة ليست صفة من صفات الأنبياء، ولا تعتبر شرطا من شروط النبوة، فأجازوا بذلك نبوّة المرأة، وقالوا بنبوّة مريم، وأمّ موسى، وحواء، وسارة، وهاجر[9]، وآسية، وأثبتوا لهن نبوّة خاصة[10]،مستدلّين على ذلك بما يلي:

([1]) ـ فالمرأة يطرأ عليها ما يعطّلها عن وظائف النبوة ومهامها، كالحيض والنفاس والولادة، وما يصاحبه من اضطرابات نفسية، وآلام وأوجاع...وكل ذلك يعدّ عائقا أمام القيام بأعباء الرسالة وتكاليفها. ينظر تفصيل ذلك: الأشقر: الرسل والرسالات، ص 82 ـ 83.

([2]) ـ الصابوني: النبوة والأنبياء، ص 12.

([3]) ـ التحرير والتنوير:67/13.

([4]) ـ سجاح بنت المنذر: وهي من النساء الشريفات في قومها بني حنيفة، ادّعت النبوة، ثم تزوجت مسيلمة الكذاب، فاتبعه قومها، ثم حاربه أبو بكر الصدّيق حتى قتله على يد وحشي (قاتل حمزة)، فأسلمت بعد ذلك، وحسن إسلامها. ينظر: تفسير الزمخشري: 329/3.

([5]) ـ وهو قيس بن عاصم، ينظر: تفسير الزمخشري:329/3.

([6]) ـ ابن الهمام:المسامرة شرح المسايرة:82/2.

([7]) ـ تفسير القرطبي:126/5 ـ 129.

([8]) ـ ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل:12/5 ـ 13.

([9]) ـ وقد أسقط القرطبي نبوّة سارة وهاجر، اللتين لم يتحدّث عن نبوّتهما. ينظر: تفسير القرطبي: 126/5 ـ 129.

([10]) ـ وهي النبوة التي لا تبليغ فيها، حيث تكون قاصرة على صاحبها، فحصروا بذلك النبوة في الوحي دون التبليغ!!!

1 ـ وحي الله إلى أمّ موسى، قال تعالى ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [سورة القصص:7]

2 ـ إرساله تعالى جبريل(عليه السلام) إلى السيدة مريم ومخاطبتها، قال تعالى ﴿فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا﴾ [سورة مريم:17 ـ 19]

ويرى أصحاب هذا الرأي بأن كلّ من جاءه الملك عن الله بحكم من أمر أو نهي أو إعلام فهو نبي، وقد تحقّق في أم موسى ومريم شيء من هذا، وفي غيرهما أيضا، فقد تحقّق في حواء وسارة، وهاجر وآسية بنصّ القرآن[1].

3 ـ اصطفاء مريم على العالمين، قال تعالى ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [سورة آل عمران:42]، وبقوله (صلى الله عليه وسلم): "**كَمَل من الرجال كثير، ولم يَكمل من النساء إلا مريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون**..."[2]. فقالوا بأن اصطفاء مريم يدلّ على نبوّتها، كما أن الكمال يعني التناهي والتمام، ولا شكّ أن أكمل نوع الإنسان الأنبياء، وإذا تقرّر هذا فإن الكمال المذكور في الحديث يعني به النبوّة[3].

وهذا الرأي الذي يقول بنبوّة المرأة عليه عدّة اعتراضات، نجملها فيما يلي[4]:

([1]) ـ وكأني بهم نظروا إلى المعنى اللغوي للوحي (الإعلام). ينظر:ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل:12/5 ـ 13.

([2]) ـ صحيح البخاري: كتاب (الفضائل)، باب (فضل عائشة رضي الله عنها)، رقم (3769).

([3]) ـ تفسير القرطبي: 126/5 ـ 129. ابن حجر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج6، ص 471.

([4]) ـ الأشقر: الرسل والرسالات، ص 86 ـ 88.

الفصل الثالث ـ نظرة الإسلام للإساءة للأنبياء

1 ـ تجريد النبي من الإرسال والتبليغ ، وحصره في مجرّد الوحي (الإعلام والإخبار) لا يستقيم، لتعارضه مع قوله تعالى ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيّٖ﴾ [سورة الحج:52]، فهذه الآية أثبتت الإرسال للنبي كما الرسول[1].

2 ـ إرسال الملائكة للبشر، أو تبشيرهم، والحديث معهم، لا دلالة فيه على النبوّة، فقد ورد في القرآن الكريم حديث الملائكة مع زوج إبراهيم (عليه السلام)، وهي ليست نبيّة قطعا، ولم يقل أحد بنبوّتها، قال تعالى ﴿وَلَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُنَآ إِبۡرَٰهِيمَ بِٱلۡبُشۡرَىٰ قَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجۡلٍ حَنِيذٖ ٦٩ فَلَمَّا رَءَآ أَيۡدِيَهُمۡ لَا تَصِلُ إِلَيۡهِ نَكِرَهُمۡ وَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۚ قَالُواْ لَا تَخَفۡ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمِ لُوطٖ ٧٠ وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ فَضَحِكَتۡ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ ٧١ قَالَتۡ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٞ وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عَجِيبٞ ٧٢ قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ﴾[سورة هود:69 ـ 73]، كما ثبت في بعض الأحاديث إرسال الله ملائكته للبشر[2]، ولم يقل أحد بأن المرسل إليهم أنبياء.

([1]) ـ ينظر: الفرق بين النبي والرسول في المبحث الأول من هذا الفصل.

([2]) ـ لم يثبت رؤية أحد من البشر لملك من الملائكة على صورته الحقيقية، إلا النبي (صلى الله عليه وسلم) الذي رأى جبريل (عليه السلام) ـ كما مرّ معنا ـ على صورته الحقيقية مرّة واحدة في غار حراء، أما رؤية الملائكة في شكلها البشري فقد ثبت ذلك في القرآن ـ كما في الحوار الذي دار بين زوج إبراهيم (عليه السلام) والملائكة ـ وصحيح السنّة، كما في حديث جبريل(عليه السلام)، فقد أخرج مسلم في صحيحه (كتاب: الإيمان، باب: بيان الإيمان والإسلام والإحسان، رقم:8) من حديث عمر بن الخطاب(رضي الله عنه)أنه قال: بينما نحن جلوس عند رسول الله(صلى الله عليه وسلم) ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منّا أحد... ثمّ انطلق فلبثت مليّا، ثم قال: **يا عمر، أتدري من السائل؟** قلت: الله ورسوله أعلم، قال: **فإنه جبريل، أتاكم يعلمّكم أمر دينكم**". كما ثبت أن الله بعث ملكا للأبرص والأقرع والأعمى من بني إسرائيل من أجل اختبارهم، ينظر (صحيح البخاري: كتاب الأنبياء، باب حديث أبرص وأعمى وأقرع في بني إسرائيل، رقم 3464). كما ثبت أيضا إرسال الله لملك من الملائكة لرجل يزور أخا له في الله في قرية أخرى، فسأله عن سبب زيارته له، فلمّا أخبره أنه يحبّه في الله، أعلمه أن الله قد بعثه إليه ليخبره أن الله يحبّه، ينظر (صحيح مسلم: كتاب البرّ والصلة والآداب، باب في فضل الحبّ في الله، رقم 2567).

3 ـ وحي الله تعالى لأم موسى لا يثبت نبوّتها، فإن من الوحي ما يقع مناما، وقد يذكر الوحي مع غير العاقل، كالوحي للنحل، قال تعالى ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ [سورة النحل:68]، فالوحي هنا بمعنى "الإلهام"، قال ابن عباس: "وأوحى ربّك إلى النحل، قال: ألهمها"[1].

4 ـ أن اصطفاء الله لمريم لا حجّة فيه على نبوّتها، فقد صرّح تعالى بأنه اصطفى غير الأنبياء، قال سبحانه ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾ [سورة فاطر:32]، كما اصطفى سبحانه آل إبراهيم، وآل عمران على العالمين، ومن آلهما من ليس بنبيّ جزما، قال تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [سورة آل عمران:33]

5 ـ وصف الله تعالى لمريم بالصدّيقة، في مقام الثناء عليها، والإخبار بفضلها لا غير، قال تعالى ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۖ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [سورة المائدة:75]، وهذا الوصف هو أعلى وصف لها، فلو كان هناك وصفا أعلى من ذلك لوصفها به، ولم يأت خبر نبوّتها، ولا نبوّة غيرها من النساء في نصّ قرآني ولا في حديث نبوي صحيح واحد.

وبهذه الاعتراضات تسقط نبوّة المرأة، ويترجح الرأي القائل بحصر النبوّة في الرجال، وبأن صفة الذكورة هي من الصفات الضرورية للأنبياء.

المطلب الثالث ـ السلامة من النقائص: ونقصد بالسلامة من النقائص أن يسلم النبي من كلّ عاهة وأذى، ومن كلّ نقيصة وعيب، سواء في خَلقه، أو خُلقه، أو أصله، أو عقله، ذلك أن طبيعة النبوة تقتضي أن يكون النبي أكمل أهل زمانه في أربعة جوانب:

([1]) ـ جلال الدين السيوطي: الدرر المنثور في التفسير بالمأثور، دار الفكر ـ بيروت، ط1: 1993، ج5، ص 143.

الجانب الأول: الكمال الخلقي، الجانب الثاني: الكمال الخلقي، الجانب الثالث: الكمال العرقي، الجانب الرابع: الكمال العقلي.

أولا ـ الكمال الخَلقي: ونقصد بالكمال الخَلقي السلامة الحسّية للنبي من أي تشوّه في خلقته، أو إعاقة في جسده تعيقه عن أداء مهمّته، وتؤدّي إلى انفضاض الناس عنه، فالله سبحانه وتعالى حفظ أنبياءه من كلّ عيب منفّر، وسلّمهم من كلّ مرض شائن من شأنه أن يدفع النفوس إلى النفور منهم، وما روي في بعض كتب التفسير عن نبي الله أيوب (عليه السلام)، من أنه مرض، واشتدّ به المرض حتى تعفّن جسده، وأصبح الدود يخرج من جسده، حتى نفر أقرب الناس منه، فإن هذا من الإسرائيليات التي تسلّلت إلى كتب التفسير، والتي تتنافى مع طبيعة النبوّة التي تقتضي أن يكون النبيّ سليما من العيوب الخَلقية، كما أن الآيات القرآنية التي تحدّثت عن مرض سيدنا أيوب (عليه السلام) لم تشر إلى على الإطلاق ـ تصريحا أو تلميحا ـ إلى شيء من ذلك، وإنّما ذكرت تضرّعه وصبره على ما حلّ به من بلاء، إلى أن كشف الله ضرّه، قال تعالى ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ﴾ [سورة الأنبياء:83 ـ 84]، فالضرّ أو المرض الذي أشارت إليه الآية القرآنية، الذي مسّ سيدنا أيوب (عليه السلام) هو كغيره من الأمراض والأعراض التي تمسّ وتعتري سائر البشر وسائر الأنبياء، مثله مثل الألم والغضب والحزن والجوع والعطش والموت...وغيرها من الأعراض البشرية التي هي من مقتضيات بشريّة الأنبياء، كما تحدّثنا عن ذلك في صفة البشرية، وليس في ذلك شيء ينقص من قدرهم، أو يزري بمقامهم.

وأما عقدة لسان سيدنا موسى (عليه السلام) فقد كانت قبل الإرسال، وقد دعا حينها موسى ربّه بأن يزيلها عنه حتى لا تعيقه عن أداء مهمّته ﴿وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى﴾ [سورة طه:27 ـ28]، وقد استجاب الله دعاءه وأزال ما به من عقدة في لسانه

حال إرساله، قال تعالى ﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة يونس:89]

وقد أشار النبي (صلى الله عليه وسلم) إلى كمال الأنبياء الخَلقي، وذلك في معرض حديثه عن الاتّهامات التي طالت نبيّ الله موسى (عليه السلام)، حيث اتّهمه بنو إسرائيل بعيب خَلقي، وهو منه براء، فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله(صلى الله عليه وسلم): "**إن موسى كان رجلا حييّا ستّيرا لا يرى من جلده شيء استحياءً منه، فآذاه من آذاه من بني إسرائيل، فقالوا: ما يستتر هذا التستّر إلا من عيب بجلده: إما برص، وإما أدرة[1]، وإما آفة، وإن الله أراد أن يبرئه مما قالوا لموسى، فخلا يوما وحده، فوضع ثيابه على الحجر، ثمّ اغتسل، فلّما فرغ أقبل إلى ثيابه ليأخذها، وإن الحجر عدا بثوبه، فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر، فجعل يقول: ثوبي حجر، ثوبي حجر، حتى انتهى إلى ملأ من بني إسرائيل فرأوه عريانا، أحسن ما خلق الله، وأبرأه مما يقولون، وقام الحجر، فأخذ ثوبه فلبسه، وطفق بالحجر ضربا بعصاه، فوالله إن بالحجر لندبا من أثر ضربه، ثلاثا أو أربعا، أو خمسا، فذلك قوله** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا﴾ [سورة الأحزاب:69]"[2].

يقول ابن حجر العسقلاني معقّبا على الحديث: "وفيه أن الأنبياء في خَلقهم وخُلقهم على غاية الكمال، وأن من نسب نبيّا إلى نقص في خلقه فقد آذاه، ويخشى على فاعله الكفر"[3].

ثانيا ـ الكمال الخُلقي: ونقصد به سلامة الأنبياء في طبائعهم وأخلاقهم من كلّ ما يشين ويقدح، وقد بلغوا في هذا مبلغا عظيما، ولا أدلّ على ذلك من ثناء الله على أخلاقهم، كما

([1]) ـ الأدرة بضمّ الهمزة وسكون الدال: انتفاخ الخصية.

([2]) ـ صحيح البخاري: كتاب (الأنبياء)، باب (﴿ وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ﴾ [سورة البقرة: 58])، رقم (3404).

([3]) ـ ابن حجر: فتح الباري:438/6.

هو الحال مع خليله إبراهيم (عليه السلام) الذي قال فيه ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ﴾ [سورة هود:75]

كما أثنى على نبيّه إدريس (عليه السلام)، حينما وصفه بالصدق فقال سبحانه﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾ [سورة مريم:56]

وأشار إلى خلق الأمانة الذي كان يتّصف به نبيّه موسى (عليه السلام) فقال جلّ في علاه على لسان ابنة الرجل الصالح ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾ [سورة القصص:26]

وأثنى على نبيّه إسماعيل (عليه السلام) بصدق الوعد فقال سبحانه ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾ [سورة مريم:54]

وأثنى جلّ جلاله على خلق خاتم الأنبياء والمرسلين (صلى الله عليه وسلم) ثناءً عطرا، فقال سبحانه ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [سورة القلم:4]

فقد وصف خلق نبيّه محمد (صلى الله عليه وسلم) بأنّه عظيم، وأكّد ذلك بثلاثة مؤكّدات: أكّد ذلك بالإقسام عليه بنون والقلم وما يسطرون، وتصديره بإنّ، وإدخال اللام على الخبر[1].

واتّصاف الأنبياء بفضائل الأخلاق له أثر كبير في هداية الناس، والتفافهم من حولهم، ذلك أن الإنسان يؤمن بالعين قبل أن يؤمن بالأذن، فالقدوة ـ بالتحلّي بجميل الأخلاق ـ قبل الدعوة، وهذا ما نجده مع النبي (صلى الله عليه وسلم) الذي تأثّر بأخلاقه الفاضلة خلق كثير ، فكانت سببا في حبّهم له، وإيمانهم به، فهذا صفوان بن أمية يقول: "والله لقد أعطاني رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ما أعطاني، وإنه لأبغض الناس إليّ، فما برح يعطيني حتى إنه لأحبّ الناس إليّ"[2].

([1]) ـ تفسير التحرير والتنوير:63/29.

([2]) ـ صحيح مسلم: كتاب (الفضائل)، باب (ماسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم)، رقم (2313).

وفي صحيح مسلم عن أنس (رضي الله عنه) أن رجلا سأل النبي (صلى الله عليه وسلم) غنما بين جبلين فأعطاه إياه، فأتى قومه فقال: أي قوم! أسلموا، فوالله إن محمّدا ليعطي عطاءً ما يخاف الفقر"[1].

وهكذا نرى أن الكمال الخلقي للنبي أو الرسول يساهم في انقياد الناس إليه، ويدفعهم إلى الإيمان به، وصدق رسول الله (عليه الصلاة والسلام) حين قال: "**إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم ولكن يسعهم منكم بسط الوجه، وحسن الخلق**"[2].

ثالثا ـ الكمال العرقي: ونقصد به سلامة الأنبياء من الطعن في أصولهم وأنسابهم، يقول ابن الهمام[3] في بيانه لسلامة الأنبياء من هذا الجانب: "والسلامة من دناءة الآباء ومن غمز الأمّهات، أي: الطعن بذكرهن بما لا يليق"[4]، ذلك أن أي نقيصة في أصولهم تعدّ قدحا في نبوّتهم، قال تعالى ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [سورة الشعراء:219]، وقد ذكر القرطبي في تفسيرها وجوها فيها: "قال مجاهد وقتادة: في المصلّين، وقال ابن عباس: أي في أصلاب الآباء آدم ونوح وإبراهيم حتى أخرجه نبيّا..."[5].

([1]) ـ صحيح مسلم: كتاب (الفضائل)، باب (ماسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم)، رقم (2312).

([2]) ـ مسند البزار: كتاب (الأدب والبّر والصّلة)، رقم (9319)، وحسّنه الألباني (صحيح الترغيب والترهيب، كتاب الأدب وغيره، باب الترغيب في الخلق الحسن، رقم 2661).

([3]) ـ ابن الهمام (ت861هـ): هو محمد بن عبد الواحد بن عبد الحميد بن مسعود السيواسي ثم الاسكندري، كمال الدين المعروف بابن الهمام، وهو من علماء الحنفية في أصول الديانات والتفسير والفرائض والفقه والحساب واللغة والمنطق. من أشهر كتبه: "فتح القدير" في فقه الحنفية، وكتاب "المسايرة في العقائد المنجية في الآخرة"، وغير ذلك. ينظر: خير الدين الزركلي: الأعلام، دار العلم للملايين ـ بيروت، ط15: 2002، ج6، ص255.

([4]) ـ ابن الهمام: المسامرة في شرح المسايرة:80/2.

([5]) ـ تفسير القرطبي:85/16.

فالرسل ذو أنساب كريمة[1]، فجميع الرسل بعد نوح(عليه السلام) من ذرّيته، كما أن جميع الرسل من بعد إبراهيم(عليه السلام) من ذرّيته، قال تعالى ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ [سورة الحديد:26]

فالله سبحانه وتعالى يختار لرسالته من كان شريف النسب في قومه، وقد صحّ عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه قال: "**بعثت من خير قرون بني آدم، قرنا فقرنا، حتى كنت من القرن الذي كنت منه**"[2].

ومن هنا يتبيّن بأن النبوّة مختصّة بأشرف أفراد النوع البشري، وهذا ما أشار إليه النبي (صلى الله عليه وسلم) في معرض بيانه لشرف نسبه: "**إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشا من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم**"[3].

رابعا ـ الكمال العقلي: ونقصد به سلامة العقل من الضعف والنقص، فوظيفة النبوة تقتضي أن يكون الأنبياء على درجة من النباهة والذكاء والفطنة، لإقامة الحجّة بالدليل والبرهان على أقوامهم، يقول اللقاني[4] في بيانه لمعنى الفطنة : "الفطانة بمعنى التفطّن والتيقظ لإلزام الخصوم وإحجاجهم، وطرق إبطال دعواهم الباطلة، والظاهر اختصاص هذا الجواب بالرسل[5] لقوله تعالى ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة الأنعام:83]، وقوله تعالى ﴿يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا﴾ [سورة هود:32]

([1]) ـ وهذا بخلاف اليهودية التي تطعن في أنساب أنبيائها، وتتّهمهم في أصولهم، وترى بأنها غير نقيّة وغير طاهرة!!! وقد تحدّثنا عن ذلك في الفصل الأول من هذا الباب (الثاني)، فليراجع.

([2]) ـ صحيح البخاري: كتاب (المناقب)، باب(صفة النبي صلى الله عليه وسلم)، رقم(3557).

([3]) ـ صحيح مسلم: كتاب(الفضائل)، باب(فضل نسب النبي صلى الله عليه وسلم، وتسليم الحجر عليه قبل النبوة)، رقم(2276).

([4]) ـ اللقاني(ت 1041هـ): هو إبراهيم بن إبراهيم بن حسن اللقاني، برهان الدين، متصوّف مصري مالكي، لقّب باللّقاني نسبة إلى (لقانة) من البحيرة بمصر. له العديد من المؤلفات، من أشهرها: "جوهرة التوحيد" في علم العقائد، و "حاشية على مختصر خليل" في الفقه المالكي وغير ذلك. ينظر: الزركلي: الأعلام:28/1.

([5]) ـ لا فرق بين الأنبياء والرسل في الاختصاص بهذه الصفة، فكلاهما مرسل إلى قوم ومكلّف بالبلاغ.

وقوله تعالى ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ [سورة النحل:125]، والمغفّل الأبله لا تمكنه إقامة الحجّة"[1].

والمتتبّع لمسيرة الأنبياء الدعوية في تعاملاتهم مع أقوامهم يلمح رشد عقولهم، ودهاءهم في دعوتهم لهم، وقوّة حجّتهم في سبيل إقناعهم، ومن هؤلاء خليل الرحمن إبراهيم (عليه السلام)[2] الذي وصفه ربّه فقال ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ إِبۡرَٰهِيمَ رُشۡدَهُۥ مِن قَبۡلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ﴾ [سورة الأنبياء:51]، فقوّة الحجّة والحقّ من خلال النظر والاستدلال التي تميّز بها إبراهيم (عليه السلام)[3] والتي عبّرت عنها الآية ب"الرشد" أهّلته لمحاججة قومه بعد ذلك، قال تعالى ﴿وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ﴾ [سورة الأنعام:83]، وهي المحاججة التي سجّلها القرآن الكريم، قال تعالى ﴿فَجَعَلَهُمۡ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرٗا لَّهُمۡ لَعَلَّهُمۡ إِلَيۡهِ يَرۡجِعُونَ ٥٨ قَالُواْ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥٩ قَالُواْ سَمِعۡنَا فَتٗى يَذۡكُرُهُمۡ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبۡرَٰهِيمُ ٦٠ قَالُواْ فَأۡتُواْ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعۡيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡهَدُونَ ٦١ قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلۡتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ٦٢ قَالَ بَلۡ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمۡ هَٰذَا فَسۡـَٔلُوهُمۡ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ٦٣ فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٦٤ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمۡ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ٦٥ قَالَ أَفَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يَضُرُّكُمۡ ٦٦ أُفّٖ لَّكُمۡ وَلِمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ [سورة الأنبياء:58 ـ 67]

([1]) ـ محمد البناوي: حاشية ابن الأثير على إتحاف المريد شرح جوهرة التوحيد (للشيخ عبد السلام اللقاني المالكي)، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية ـ بيروت، ط1: 2001، ص 214.

([2]) ـ تخصيص الحديث عن هذه الصفة بإبراهيم (عليه السلام)، كان من باب ضرب المثال لا الحصر، فهي لا تدلّ على استئثاره بها دون سائر الأنبياء، فكلّ الأنبياء تميّزوا بكمال عقولهم، وما يعنيه ذلك من حكمة، ونباهة، وذكاء، من أجل إقامة الحجّة على أقوامهم.

([3]) ـ تفسير ابن كثير:411/9. تفسير القرطبي:215/14.

ونلاحظ كيف استطاع إبراهيم (عليه السلام) بفطنته وذكائه أن يقيم الحجّة على قومه، والوصول بهم إلى فساد معتقدهم المتمثّل في عبادة الأصنام، التي لم تكن تملك لنفسها نفعا ولا ضرا، فضلا عن نفع وضرّ غيرها، وهي الحجّة التي لم يستطع قومه مقارعتها بمثيلتها، ولم يجدوا من سبيل لمواجهته إلا بإلقائه في النار، مما يدلّ على ضعف منطقهم، في مقابل قوّة منطق إبراهيم (عليه السلام).

كما نلمس هذه الصفة التي تميّز بها نبي الله إبراهيم (عليه السلام) ـ كغيره من الأنبياء ـ المتمثّلة في نباهته وذكائه من خلال محاججته ل "النمرود"، الذي نازع الله في ملكه، وزعم أنه إله يعبد من دون الله، فدحضّ إبراهيم (عليه السلام) ادّعاءه بما آتاه الله من قوة نظر واستدلال، قال تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [سورة البقرة:258]

وهكذا نرى كيف سلم الأنبياء من العيوب والنقائص الخَلقية والخُلقية والعرقية والعقلية، حيث جرت حكمة الله تعالى الأزلية أن يختار للرسالة أكمل الناس خَلقا وخُلقا، وأشرفهم نسبا، وأرشدهم عقلا، ليظهر ضياء الحقّ، وتعلو دعوة الله، قال تعالى ﴿وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ۘ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ۗ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌۢ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَمْكُرُونَ﴾ [سورة الأنعام:124]

وقد عاش الأنبياء بين أقوامهم دون أن يُعيَّروا بشيء من طرفهم، فلو كانت فيهم أي مذمّة، أو منقصة، أو عيب، لسارع أقوامهم إلى التشهير بهم، ولاستغلّوا ذلك في دعوة الناس للانفضاض عنهم، فكان هذا دليلا على سلامتهم من العيوب والنقائص.

المطلب الرابع ـ الأمانة: وهي من جملة الصفات الضرورية واللازمة التي تقتضيها طبيعة النبوّة، ومعنى الأمانة أن يكون النبي صادقا في تبليغ رسالة ربّه، دون زيادة أو نقص، ودون تحريف أو تبديل، فأي شيء من ذلك يعدّ خيانة للمهمّة التي كلّف بها من طرف ربّه.

ونجد الأنبياء في تبليغهم رسالة ربّهم يستحضرون خلق الأمانة الذي اشتهروا به بين أقوامهم، فما من نبيّ إلا وقدّم نفسه لقومه بقوله ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾[سورة الشعراء: 107]، فكانوا يوظّفون رصيدهم الأخلاقي الذي يأتي على رأسه خلق الأمانة، وما تعنيه من صدق في الأقوال والأفعال، من أجل استمالة أقوامهم، للتصديق بما جاءوا به، ذلك أن الأمانة دليلٌ على صدق النبي فيما يُخبر به[1].

ومن هنا نجد النبي (صلى الله عليه وسلم) الذي كان معروفا بين قومه بالصدق والأمانة، وكان يلقّب ب "الصادق الأمين"، يوظّف هذا الخلق الذي اشتهر به في عرضه لرسالة الإسلام على قومه، فحينما أمره الله تعالى بالجهر بالدعوة صعد (صلى الله عليه وسلم) جبل الصفا فجعل ينادي: يا بني فهر، يا بني عدي ـ لبطون قريش ـ حتى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولا لينظر ما هو، فجاء أبو لهب، وقريش، فقال:"**أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادي تريد أن تغير عليكم، أكنتم مصدّقي؟**" قالوا: نعم، ما جرّبنا عليك إلا صدقا. قال:"**فإنّي نذير لكم بين يدي عذاب شديد**". فقال أبو لهب: تبّا لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا؟ ثمّ قام، فنزلت﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ﴾ [سورة المسد: 1 ـ 2][2].

والشاهد من هذه الحادثة أنه (صلى الله عليه وسلم) لما أمره ربّه تعالى بالجهر بالدعوة، وفي سبيل اقناع قومه للإيمان بما جاء به، ذكّرهم أولا بخلقه الذي كانوا يشهدون له به، ألا وهو الصدق والأمانة، حتى إذا أعلمهم بالدعوة الجديدة صدّقوه في ذلك، لإقرارهم بصدقه، حيث استنطقهم بصدقه، وألزمهم بتصديقه، ذلك أن المنطق السليم يقول: لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله!!!

وهذا فن من الفنون التي أعطاها الله لأنبيائه عموما، وأكرم بها نبيّه محمّد (صلى الله عليه وسلم) على وجه الخصوص، ألا وهو فن الاستثمار في الرصيد الأخلاقي الذي يشتهر به النبي والرسول بين قومه، وتوظيف ذلك في خدمة الدعوة وتبليغ الرسالة.

([1]) ـ تفسير التحرير والتنوير:158/19.

([2]) ـ صحيح: أخرجه مسلم، كتاب (الإيمان)، باب (في قوله تعالى "**وأنذر عشيرتك الأقربين**")، رقم (355).

وبهذا نرى بأن الأمانة من الصفات الضرورية والواجبة في حقّ الأنبياء، ذلك أن طبيعة النبوّة تستلزم أن يكون النبي ذو سيرة حسنة، مشهود له فيها بالصدق، وذو تاريخ بعيد عن الكذب والخيانة، لأنه لو لم يكن النبي كذلك، لما أصبح هناك ثقة فيما ينقله من أخبار الوحي، إذ يحتمل أن يكون ذلك من الأمور التي جاء بها من تلقاء نفسه، أو اخترعها من بنات أفكاره ثم نسبها إلى الجهة العلوية. لذلك نجد القرآن الكريم يحكم ذلك الحكم الفاصل، في حقّ كل من يفتري على الله، أو يكذب على لسانه، فيقول في حقّ سيد المرسلين، في معرض ردّه القوّي على متّهميه (صلى الله عليه وسلم) ـ زورا وبهتانا ـ بالكذب فيما يخبرهم به من وحي السماء، حينما اتّهموه تارة بأنه شاعر، وتارة بأنه كاهن، وتارة أخرى بأنه ساحر...فقال سبحانه جلّ في علاه ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [سورة الحاقة:44 ـ 48]

فهذه الآيات تتحدّث عن وجوب اتّصاف الأنبياء بخلق الأمانة، وهو ما يفهم من الرّد القوّي والمزلزل على المشركين، الذين اتّهموا النبي (صلى الله عليه وسلم) بالكذب في دعواه، يقول صاحب (الظلال): "وفي النهاية يجيء ذلك التهديد الرهيب لمن يفتري على الله في شأن العقيدة، وهي الجدّ الذي لا هوادة فيه، يجيء لتقرير الاحتمال الواحد الذي لا احتمال غيره، وهو صدق الرسول (صلى الله عليه وسلم)، وأمانته فيما أبلغه إليهم أو يبلغه...ومفاد هذا القول من الناحية التقريرية أن محمّدا (صلى الله عليه وسلم) صادق فيما أبلغهم، وأنه لو تقوّل بعض الأقاويل، التي لم يوح بها إليه لأخذه الله فقتله على هذا النحو الذي وصفته الآيات، ولما كان هذا لم يقع فهو (صلى الله عليه وسلم) لا بدّ صادق..."[1].

المطلب الخامس ـ العصمة: من الصفات الضرورية والواجبة في حقّ الأنبياء، بل من المزايا التي امتازوا بها عن بقيّة البشر، بعدهم عن اقتراف الذنوب والمعاصي، واجتنابهم لكلّ ما يخلّ بالمروءة، أو يهدر الكرامة، أو يحطّ من قدر الإنسان...فهم أكمل الناس خلقا، وأطهرهم نفسا، وأعطرهم سيرة، لأنهم القدوة للبشر، بل هم الأسوة الحسنة للإنسانية، لذلك أمرنا الله تعالى بالاقتداء بهم، والتخلّق

([1]) ـ سيد قطب: في ظلال القرآن، دار الشروق ـ بيروت، ط15: 1988، مج6، ج29، ص 3689.

بأخلاقهم، والسير على منهاجهم في جميع شؤون الحياة[1]، قال تعالى ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ﴾ [سورة الأنعام:90]

وقال أيضا ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [سورة الأحزاب:21]

فبعد أن اصطفاهم الله تعالى، وهداهم إلى فضائل الأخلاق، وصفات الكمال، وعصمهم من كلّ ما يشين وينفّر، أمر الله البشر باتّباع هديهم، والتخلّق بأخلاقهم.

ولا شكّ أن الترغيب على الاقتداء بشخص، والحثّ على التأسي به يدلّ على سمو منزلته، ونبل أخلاقه، فالاقتداء لا يكون إلا للأسمى والأفضل والأكمل والأحسن.

وعصمة الأنبياء من كلّ ما يشين وينفّر هي عقيدة من عقائد الإسلام، فهي مرتبطة بواجب الوجوب سبحانه وتعالى، فالأنبياء هم عنوان كلمة الله، والمبلّغون لها إلى أممهم وأقوامهم، وهم "النموذج" المجسّد لمنظومة القيم والأخلاق الدينية في واقع الحياة، بل هم حلقة الوصل بين الأرض والسماء[2]، لذلك كان من لوازم الإيمان الإسلامي "وجوب الاعتقاد بعلوّ فطرة الأنبياء والمرسلين، وصحّة عقولهم، وصدقهم في أقوالهم، وأمانتهم في تبليغ ما عهد إليهم أن يبلّغوه، وعصمتهم في كلّ ما يشوّه المسيرة البشرية، وسلامة أبدانهم ممّا تنبو عنه الأبصار، وتنفر منه الأذواق السليمة، وأنهم منزّهون عمّا يضاد شيئا من هذه الصفات المتقدّمة"[3].

وسنتناول في هذا المطلب ـ بإذن الله تعالى ـ مفهوم العصمة، وأدلّة وجوبها سمعا وعقلا، ومدى اتّصاف الأنبياء بها، واختلاف العلماء في ذلك.

الفرع الأول ـ مفهوم العصمة:

أولا ـ العصمة لغة: جاء في معجم مقاييس اللغة:"العين والصاد والميم أصل واحد، يدلّ على إمساك، ومنع، وملازمة، والمعنى في ذلك كلّه معنى واحد، من ذلك العصمة: أن يعصم الله تعالى عبده من سوء يقع فيه، واعتصم العبد بالله تعالى إذا امتنع، واستعصم التجأ"[4].

([1]) ـ الصابوني: النبوة والأنبياء، ص 51.

([2]) ـ محمد عمارة: بين العصمة والازدراء الأنبياء في القرآن الكريم والكتاب المقدّس، ص 12.

([3]) ـ محمد عبده: الأعمال الكاملة، دراسة وتحقيق: محمد عمارة، دار الشروق ـ القاهرة، 2006، ص26.

([4]) ـ ابن فارس: معجم مقاييس اللغة: 272/2 ـ 273.

وجاء في تاج العروس:"عصمه يعصمه عصما : منعه ووقاه، وقوله تعالى ﴿قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ﴾ [سورة هود:43]، أي يمنعني من تغريق الماء"[1].

وهكذا نرى بأن العصمة في معانيها اللغوية تدور حول: المنع والحفظ والملازمة.

ثانيا ـ العصمة اصطلاحا: عرّفت العصمة بتعاريف كثيرة، إلا أنها متقاربة، ومن ذلك: "أنها ملكة اجتناب المعاصي مع التمكّن منها"[2]، كما عرّفت العصمة كذلك بأنها "لطف من الله تعالى يحمل صاحبه على فعل الخير، ويزجره عن فعل الشّر، مع بقاء الاختيار تحقيقا للابتلاء"[3]، لأنه لولا الاختيار لما كان للابتلاء معنى، ولما استحقّ المعصوم ثوابا ومدحا، ولامتنع تكليفه بالأوامر والنواهي.

وعصمة الأنبياء التي نحن بصدد الحديث عنها، تلك التي تتعلق بصدور الذنوب والمعاصي منهم، وهي محلّ خلاف بين علماء الإسلام في مدى اتّصاف الأنبياء بها.

الفرع الثاني ـ مستند عصمة الأنبياء: تعتبر صفة العصمة من الصفات الضرورية للأنبياء، وقد دلّ على وجوبها في حقّهم نصوص من النقل والعقل، منها[4]:

أولا ـ من النقل: جاءت العديد من الآيات القرآنية للدلالة على وجوب عصمة الأنبياء، ومن ذلك:

1 ـ قوله تعالى عن يوسف ﴿وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾ [سورة يوسف:24]

يقول صاحب معالم التنزيل: "ومعنى ﴿ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾: المختارين للنبوة، ودليله:﴿إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ ذِكۡرَى ٱلدَّارِ﴾ [سورة ص:46]، وقرأ الآخرون بكسر اللام، أي المخلِصين لله الطاعة والعبادة"[1].

([1]) ـ الزبيدي: تاج العروس، تحقيق: إبراهيم الترزي، المجلس الوطني للفنون والآداب ـ الكويت، ط1: 2000، ج33، ص 100.

([2]) ـ عبد الرؤوف المناوي: التوقيف على مهمّات التعاريف، تحقيق: عبد الحميد حمدان، دار عالم الكتب ـ القاهرة، ط1: 1990، ص 242.

([3]) ـ على القاري: منح الروض الأزهر في شرح الفقه الأكبر، مرجع سابق، ص 177.

([4]) ـ وهذه الأدلّة تتعلّق بعصمة الأنبياء من الذنوب والمعاصي عموما، دون تفريق بين الكبائر والصغائر، على أن يأتي تفصيل ذلك في حدّ العصمة ووقتها واختلاف العلماء في ذلك.

فالنبي إما مخلَص، أي مختار للنبوة من الله تعالى، وإما مخلِص، وهو الذي تجرّد لله تعالى بالطاعة والعمل الصالح.

2 ـ قوله تعالى ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾ [سورة النساء:64] فحصر تعالى غاية الإرسال بطاعة الرسول، وهي لا تنحصر في رسول دون آخر، وإنما تستغرق كلّ رسول لقوله ﴿مِن رَّسُولٍ﴾

يقول صاحب كتاب (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان): "يخبر تعالى خبرا في ضمنه الأمر والحثّ على طاعة الرسول والانقياد له. وأن الغاية من إرسال الرسل أن يكونوا مطاعين، ينقاد لهم المرسل إليهم في جميع ما أُمروا به ونهوا عنه، وأن يكونوا معظمين تعظيم المطيع للمطاع"[2].

وفي هذا إثبات عصمة الرسل فيما يبلّغونه عن الله، وفيما يأمرون به وينهون عنه، لأن الله أمر بطاعتهم مطلقا، فلو لم يكونوا معصومين من الخطأ والزلل والرذائل ونحو ذلك، لما أمر سبحانه بذلك مطلقا.

3 ـ قوله تعالى ﴿وَلَقَدۡ صَدَّقَ عَلَيۡهِمۡ إِبۡلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [سورة سبأ:20]، فاستثنى سبحانه وتعالى فريقا معصوما من نزغات الشياطين، وهم الأنبياء، فهم أولى الناس دخولا في هذا الاستثناء، واستحقاقا للعصمة من غيرهم، يقول الفخر الرازي: "فهؤلاء الذين لم يتّبعوا إبليس إما أن يقال: إنهم الأنبياء أو غيرهم، فإن كانوا غيرهم لزم أن يكونوا أفضل منهم، لقوله تعالى ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ﴾ [سورة الحجرات:13]، وتفضيل غير النبي على النبي باطل بالإجماع. فوجب القطع بأن أولئك الذين لم يتّبعوا إبليس هم الأنبياء عليهم الصلاة

([1]) ـ الحسين البغوي: معالم التنزيل، تحقيق: محمد النمر، عثمان ضميرية، سليمان الحرش، دار طيبة للنشر ـ الرياض، ط4: 1997، ج4، ص 234.

([2]) ـ عبد الرحمن السعدي: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق، مؤسسة الرسالة ـ بيروت، ط1: 2000، ص 184.

والسلام، وكل من أذنب فقد اتّبع إبليس، فدلّ هذا على أن الأنبياء صلوات الله عليهم ما أذنبوا"[1].

ثانيا ـ من العقل: استدلّ العلماء كذلك بالمعقول في إثباتهم لعصمة الأنبياء، وأنها من الصفات الضرورية والواجبة في حقّهم التي يقتضيها العقل، ومن ذلك[2]:

1 ـ نفي العصمة عن الأنبياء نقض للغرض من بعثتهم، لأنه يجعل ثقة النبي في مهب الريح، ومتى كان كذلك انتفت فائدة البعثة !!!

2 ـ لما كان النبي يبلّغ رسالة ربّه كانت متابعته واجبة، فإذا فعل معصية فإما أن تجب متابعته (وهذا هو الأصل لوجوبها)، أو لا تجب. وعدم متابعته باطل لانتفاء فائدة البعثة، أما متابعته ـ مع تجويز ارتكابه المعاصي ـ فهي باطلة كذلك، لأن المعصية لا يجوز فعلها.

3 ـ أنه إذا فعل معصية وجب الإنكار عليه لعموم وجوب النهي عن المنكر، وهذا يعني إيذاءه، وهو منهي عنه، قال تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [سورة الأحزاب:57]

4 ـ لو جاز عليهم أن يخونوا الله تعالى ـ وحاشاهم ذلك ـ بفعل محرّم أو مكروه، للزم أن يكون ذلك المحرّم أو المكروه طاعة، لأن الله تعالى أمرنا بطاعتهم واتّباعهم في أقوالهم وأفعالهم من غير تفصيل.

هذه بعض الأدلّة ـ السمعية والعقلية ـ التي تثبت عصمة الأنبياء في الإسلام، وتوجب لهم هذه الصفة، وهي من أهم الصفات الضرورية التي تؤكّد على منزلتهم السامية، ومقامهم الرفيع الذي اختصّهم الله به دون سائر البشر، وهو ما يدفع الناس للاقتناع بهم، والتصديق بدعوتهم، والالتفاف من حولهم، والإيمان بما جاءوا به، وهو ما يجعلنا نقول بأن الغرض من بعثتهم إنما يحصل بالعصمة. إلا أن العصمة التي نقصدها، والتي أوردنا الأدلّة على وجوبها في حقّ الأنبياء، ليست على إطلاقها، فهي لا تعني عدم وقوعهم في الذنوب والمعاصي، فقد أخبر القرآن الكريم بوقوع الأنبياء في بعض

([1]) ـ الفخر الرازي: عصمة الأنبياء، منشورات الكتبي ـ العراق، 1406، ص 13.

([2]) ـ المرجع نفسه، ص 9 ـ 15.

الذنوب والمعاصي، بصرف النظر عن وقتها (قبل النبوة، بعد النبوة)، أو عن درجتها (منفّرة[1]، غير منفّرة)، وهو ما يطرح إشكالا يتعلّق بحدودها وضوابطها[2].

وفي تقديري أن الإجابة على هذا الإشكال تكون أولا بتحديد أقسام العصمة، من خلال التفريق بين دوائر أربعة للمعاصي: دائرة الاعتقادات، دائرة التبليغ، دائرة الأحكام والفتيا، دائرة الأفعال، وتكون ثانيا من خلال تحديد درجة المعصية ذاتها، من حيث كونها منفرة، أو غير منفّرة، وهذا ما سنتطرّق إليه ـ بإذن الله تعالى ـ في الفرع الثالث من هذا المطلب.

الفرع الثالث ـ حدود العصمة وضوابطها: بعدما تحدّثنا عن مفهوم العصمة، وأدلّة وجوبها في حقّ الأنبياء، كان لا بدّ ـ تكملة لذلك ـ من الحديث عن حدودها وضوابطها، وهذا من أجل ضبط مفهوم واضح ودقيق لها لا يتناقض مع ما ورد في القرآن الكريم من أخبار تتعلق ببعض سقطات الأنبياء، ولا ينفي عنهم هذه الصفة أو يجرّدهم منها، أو يمسّ بمنزلتهم السامية، أو يدنّس مقامهم "المقدّس".

والحديث عن هذه الضوابط يدفعنا إلى الحديث عن أقسام العصمة، والتي قسّمها الرازي[3] إلى أربعة أقسام[4]:

القسم الأول ـ جانب الاعتقادات: وقد اتّفقت الأمة على عصمة الأنبياء من الكفر والشرك، وعبادة الأصنام، والضلال، سواء قبل النبوّة أو بعدها، فهو غير جائز في حقّهم[5]، وقد نقل غير

([1]) ـ ونقصد بالمنفّرة تلك التي تخلّ بالمروءة، وتقدح بالكرامة والشرف، وتبعث في النفس اشمئزازا يؤدّي إلى سقوط فاعلها من عيون الناس، والنفور عن قوله والإقبال منه.

([2]) ـ من جملة التساؤلات ـ المنطقية ـ التي تطرح في هذه الحالة: هل تنفي هذه المعاصي العصمة عن الأنبياء، وتجرّدهم منها؟ أم أن لهذه المعاصي تأويلا آخر؟ وكيف نوفّق بين وقوع الأنبياء في مستنقع المعصية، كما أخبر بذلك القرآن الكريم، وبين العصمة بوصفها من الصفات الضرورية والواجبة في حقّهم؟ هذا ما سنحاول الإجابة عنه في هذا المطلب.

([3]) ـ الرازي: هو أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن، فخر الدين التميمي البكري الرازي المعروف بالفخر الرازي الإمام المفسّر، الفقيه الشافعي. من مؤلفاته: "مفاتيح الغيب" في التفسير، و "لوامع البيّنات في شرح أسماء الله تعالى والصفات"، وغيرها. ينظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء: 500/21.

([4]) ـ الرازي: عصمة الأنبياء، ص 7.

([5]) ـ ولم يشذّ عن هذا الرأي إلا بعض الخوارج الذين جوّزا وقوع الأنبياء في الكفر، لأن الذنب عندهم كفر(بناء على مفهوم الذنب عندهم). كما نجد الحشوية يقولون بجواز ذلك في حقّ الأنبياء، ولا شك أن هذا من عقائد اليهودية التي تسرّبت إلى هذه

واحد الإجماع على ذلك، يقول الآمدي[1]: "فما كان منها كفرا فلا نعرف خلافا بين أهل الشرائع في ذلك"[2].

القسم الثاني ـ جانب التبليغ: وقد اتّفقت الأمة كذلك على عصمة الرسل في تحمّل الرسالة وفي تبليغها[3]، فهم لا ينسون شيئا أوحاه الله إليهم[4]، قال تعالى ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾ [سورة الأعلى:6]، وقال سبحانه ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [سورة النجم:3 ـ 4]

الفرقة المنحرفة، ذلك أن اليهودية تجوّز كل المعاصي في حقّ الأنبياء بما فيها الكفر، باستثناء الكذب في التبليغ. وهذه الأقوال الشاذة تناقضها سيرة الأنبياء التي كانت حربا على الكفر، وثورة على الشرك والانحرافات العقائدية، وهو ما دلّت عليه الآيات القرآنية، قال تعالى﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [سورة النحل:36]
ينظر تفصيل هذه الأقوال الشاذة: الشهرستاني: الملل والنحل، دار الكتب العلمية ـ بيروت، ط2: 1992، ج1، ص115. ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج1، ص 393. الرازي: المحصول في علم الأصول، دار الكتب العلمية ـ بيروت، 1988، ج1، ص 501.

([1]) ـ الآمدي (ت 631هـ): سيف الدين أبو الحسن علي بن أبي علي بن محمد بن سالم بن محمد التغلبي، المشهور بالآمدي نسبة إلى منطقة آمد بديار بكر بتركيا ، كان حنبليا ثم أصبح شافعيا لمخالطته علماء الشافعية ببغداد، تفنّن في الأصول والفقه والفلسفة وعلم الكلام. من أشهر كتبه: "الإحكام في أصول الأحكام"، و "غاية المرام في علم الكلام". ينظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء:365/22.

([2]) ـ علي الآمدي: الأحكام في أصول الأحكام، مطبعة الحلبي ـ مصر، 1378، ج1، 170. الجرجاني: شرح المواقف، دار الكتب العلمية ـ بيروت، ط1: 1419، ص 134. عضد الدين الإيجي: المواقف، دار عالم الكتب ـ بيروت، ص 358.

([3]) ـ وهذا هو الجانب الوحيد الذي أثبتت فيه اليهودية العصمة للأنبياء، فهم يقولون بعصمة الأنبياء في التبليغ فقط، أما ما عدا ذلك فيجوز في حقّهم الوقوع في المعاصي ولو كانت كفرا!!!

([4]) ـ والنسيان المقصود به هنا هو نسيان تبليغ الرسالة، أما النسيان في غير البلاغ، وفي غير التشريع، فهو من الأعراض البشرية التي لا يسلم منها أي بشر، بما فيهم الأنبياء، ولا ينافي ذلك العصمة في التحمّل والتبليغ. وقد ثبت النسيان للأنبياء ـ من غير التبليغ ـ كما هو الحال مع سيدنا آدم (عليه السلام) الذي قال عنه نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم) في معرض حديثه عن قصة خلقه(عليه السلام): "...**ونسي آدم فنسيت ذرّيته**"، ينظر(سنن الترمذي: كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة الأعراف، رقم 3076)، وكنسيانه (عليه الصلاة والسلام) حينما صلى الظهر ركعتين، ينظر(صحيح البخاري: كتاب السهو، باب إذا سلّم في ركعتين أو في ثلاث فسجد سجدتين مثل سجود الصلاة، رقم1227)، بل نجده (عليه الصلاة والسلام) يصرّح بطروء النسيان عليه فيقول: "**ولكن إنما أنا بشر مثلكم أنسى كما تنسون، فإذا نسيت فذكّروني**"، ينظر(صحيح البخاري:كتاب الصلاة، باب التوجه إلى القبلة حيث كان، رقم401). وهذا النسيان كغيره من الأعراض البشرية الأخرى مثل الخوف والحزن والغضب.. وغير ذلك، والتي لا تنافي عصمتهم، وإنما تؤكّد بشريّتهم.

كما أن الرسل لا يكتمون شيئا أوحاه الله إليهم، ذلك أن الكتمان خيانة، ويستحيل ذلك على الرسل، قال تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [سورة المائدة:67] فعدم عصمتهم في التبليغ يطعن في ثقتهم بالأداء، وهذا ما لا يجوز وقوعه منهم سهوا أو عمدا[1]، وفي ذلك يقول الرازي: "اعلم أن النبي يجب أن يكون صادقا في كلّ ما أخبر عنه، لأنه تعالى صدّقه، ومصدّق الله صادق"[2].

القسم الثالث ـ جانب القضاء والفتيا: وقد أجمعت الأمّة على أن الأنبياء معصومون من الخطأ في القضاء والفتيا والأحكام على سبيل العمد، أو اتّباع الهوى، لقوله تعالى ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا﴾ [سورة النساء:65]، يقول الرازي في تفسير هذه الآية: "دلّت هذه الآية على أن الأنبياء معصومون من الخطأ في الفتوى وفي الأحكام، لأنه تعالى أوجب الانقياد لحكمهم وبالغ في ذلك الإيجاب"[3].

إلا أن عصمة الأنبياء في هذا القسم لا تعني عدم خطئهم في إصابة الحقّ، فقد ثبت أنهم اجتهدوا في قضايا عرضت عليهم، وجانبوا فيها الصواب، لأنهم لا يعلمون الغيب، فهم يحكمون بناءا على ما

([1]) ـ وقد نقل الإجماع في ذلك أكثر من واحد. ينظر: ابن تمية: منهاج السنة النبوية، تحقيق: محمد رشاد، دار الكتب العلمية ـ بيروت، ط1: 1986، ج1، ص 471. السفاريني: لوامع الأنوار البهية:304/2. القاضي عبد الجبار: المغني في أبواب التوحيد والعدل، دار الكتب العلمية ـ بيروت، 2000، ج15، ص 380 ـ 386. عضد الدين الإيجي: المواقف، مرجع سابق، ص 358. القاضي عياض: الشفا، ص 745.

([2]) ـ تفسير الرازي: 192/21.

([3]) ـ المرجع نفسه:130/10.

ورد إليهم، ووفق ما يبدو لهم[1]، ومن ذلك عدم إصابة نبي الله داود (عليه السلام) في الحكم، وتوفيق الله لابنه سليمان (عليه السلام) في تلك المسألة[2].

فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) أنه سمع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: "**كانت امرأتان معهما ابناهما، جاء الذئب فذهب بابن احداهما، فقالت صاحبتها: إنّما ذهب بابنك، وقالت الأخرى: إنّما ذهب بابنك، فتحاكمتا إلى داود، فقضى به للكبرى، فخرجتا على سليمان بن داود، فأخبرتاه، فال: ائتوني بالسّكين أشقّه بينهما، فقالت الصغرى: لا تفعل يرحمك الله، هو ابنها، فقضى به للصغرى**"[3].

وقد وضّح الرسول (صلى الله عليه وسلم) هذه القضيّة وجلاّها، فقد روت أم سلمة زوجه(عليه الصلاة والسلام): "أن النبي (صلى الله عليه وسلم) سمع خصومة بباب حجرته، فخرج إليهم، فقال:" **إنّما أنا بشر، وإنّه يأتيني الخصم، فلعلّ بعضكم أن يكون أبلغ من بعض، فأحسب أنّه صدق، فأقضي له بذلك، فمن قضيت له بحق مسلم، فإنّما هي قطعة من النّار، فيأخذها أو ليتركها**"[4].

القسم الرابع ـ جانب الأفعال: وقد اتّفق علماء الأمّة على عصمة الأنبياء فيما يقع في أفعالهم من الفواحش، والكبائر والموبقات، وغيرها من الأفعال المنفّرة[5]، واختلفوا بعد ذلك في الأفعال غير المنفّرة (الصغائر غير المنفّرة) على قولين رئيسيين:

([1]) ـ فأخطاءهم في هذه الحالة لا تتناقض مع عصمتهم، لأنها مبنية عن اجتهاد، لا عن تعمّد وهوى. ينظر تفصيل ذلك: الزرقاني: مناهل العرفان، تحقيق: فؤاد زمرلي، دار الكتاب العربي ـ بيروت، ط1: 1995، ج2، ص 302 ـ 306.

([2]) ـ الأشقر: الرسل والرسالات، ص 103.

([3]) ـ صحيح البخاري: كتاب (أحاديث الأنبياء)، باب (قوله تعالى ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ ﴾[سورة ص:30])، رقم (3727).

([4]) ـ صحيح البخاري: كتاب (المظالم)، باب (إثم من خاصم في الباطل)، رقم (2458).

([5]) ـ القاضي عياض: الشفا، ص 784. التفتازاني: شرح العقائد النسفية، مكتبة المدينة ـ باكستان، ط2: 2012، ص 307 ـ 309. أبو الحسن الأشعري: مقالات الإسلاميين، المكتبة العصرية ـ بيروت، 1990، ج1، ص 297. ابن الهمام: المسامرة في شرح المسايرة:84/2.

القول الأول ـ تجويز الذنوب غير المنفّرة في حقّهم على سبيل العمد، وإليه ذهب أكثر المعتزلة[1]، يقول القاضي عبد الجبّار[2]: "أما الصغائر التي لا حظّ لها في تقليل الثواب دون التنفير فإنها مجوزة على الأنبياء، ولا مانع يمنع، لأن قلّة الثواب مما لا يقدح في صدق الرسل، ولا في القبول منهم"[3].
وبه قال الطبري[4]، والسمرقندي[5]، والجويني[6]، والسنوسي، وغيرهم[7].

القول الثاني ـ تجويز الذنوب غير المنفّرة في حقّهم على سبيل السهو والنسيان، لا العمد، وبه قال كثير من العلماء[8]، وإليه ذهب الرازي فقال: "الذي نقول به أنه لم يقع منهم ذنب على سبيل القصد لا صغيرا ولا كبيرا، أما السهو فقد يقع منهم، لكن بشرط أن يتذكروه في الحال، وينبّهوا غيرهم على أن ذلك كان سهوا"[9].

واستدلّ الرازي على رأيه هذا بقوله تعالى ﴿وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ﴾ [سورة المائدة:49]، فقال: "هذه الآية تدلّ على أن الخطأ والنسيان جائزان على الرسول، والتعمّد في مثل هذا غير جائز على الرسول، فلم يبق إلا الخطأ والنسيان"[10].

([1]) ـ تفسير الرازي:80/3. القاضي عبد الجبار: شرح الأصول الخمسة، تحقيق: عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة ـ القاهرة، ط3: 1996، ص 573.

([2]) ـ القاضي عبد الجبار (ت415هـ): هو أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار بن أحمد بن الخليل المعتزلي الأسدآبادي، ولد في خراسان، من عرب همدان، لقّبه المعتزلة بقاضي القضاة، وهو لقب لم يطلقوه على سواه، من كبار فقهاء الشافعية. له تصانيف كثيرة، من أشهرها: "تنزيه القرآن عن المطاعن"، "شرح الأصول الخمسة"، "المغني في أبواب التوحيد والعدل"...وغيرها. ينظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء:245/17.

([3]) ـ القاضي عبد الجبار: شرح الأصول، 575.

([4]) ـ القاضي عياض: الشفا، ص 786.

([5]) ـ أبو منصور السمرقندي: شرح الفقه الأكبر، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ـ قطر، ص 39.

([6]) ـ أبو المعالي الجويني: غياث الأمم في التياث الظلم، تحقيق: فؤاد عبد المنعم، مصطفى حلمي دار الدعوة ـ الاسكندرية، ص72.

([7]) ـ السنوسي: شرح السنوسية، مطبعة جريدة الإسلام ـ مصر، 1316هـ، ص 252.

([8]) ـ يذكر ابن تيمية بأن هذا الرأي هو قول أكثر علماء الإسلام، بل لم ينقل عن السلف خلافه، وإن لم يفرّق بين العمد والسهو. ينظر: ابن تيمية: مجموع الفتاوى، دار الوفاء ـ مصر، ط3: 2005، ج4، ص 195.

([9]) ـ الرازي: المحصول في علم الأصول، ج1، ص502.

([10]) ـ تفسير الرازي:13/12.

وهكذا نرى بأن علماء الإسلام متّفقون على عصمة الأنبياء في تحمّل الرسالة وتبليغها، وكذا عصمتهم من الانحرافات العقائدية، وكلّ الأفعال المشينة التي تقدح في مروءتهم، وتحطّ من كرامتهم، والتي تنفر منها العقول السليمة والفطر المستقيمة[1]، باستثناء بعض المخالفات غير المنفّرة التي وقعت منهم ـ سهوا أو عمدا ـ والتي لا تزري بمناصبهم، ولا تنافي عصمتهم[2]، وإنّما تؤكّد بشريتهم، وهي المخالفات التي أوردها القرآن الكريم صراحة، ومن ذلك:

1 ـ معصية سيدنا آدم (عليه السلام) بأكله من الشجرة التي نهاه الله عن الأكل منها، قال تعالى ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ﴾ [سورة طه:116 ـ 121]

والآية صريحة وواضحة في الدلالة على وقوع آدم في معصية ربّه.

2 ـ مخالفة سيدنا نوح (عليه السلام) في دعاءه ربّه في ابنه (غير المؤمن)، قال تعالى على لسان نبيّه نوح (عليه السلام) ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾ [سورة هود:45]، والدليل على أن رجاء سيدنا كان ذنبا، لومه سبحانه وتعالى على مقالته هذه، وإعلامه بأن ابنه ليس من أهله، وأن هذا الرجاء هو عمل غير صالح ﴿قَالَ

([1]) ـ نشأ الأنبياء بين أقوامهم المشركين المعاندين، ولم يسجّل على أحد منهم ما يخدش المروءة والعرض عند العقلاء، ولو كان شيء من ذلك، لعيّرهم به أقوامهم، وكان ذلك ذريعة للتنفير عنهم، والاحتجاج به عليهم، وفي هذا دليل على أنهم ما وقعوا في أي ذنب أو معصية منفّرة.

([2]) ـ ذهب الشيعة إلى أن الأنبياء معصومون من الكبائر والصغائر مطلقا، فلا يجوز أن يقع منهم ذنب صغيرا كان أم كبيرا لا عمدا ولا سهوا ولا على جهة التأويل، وقولهم هذا كان من أجل التمهيد للقول بعصمة الأئمة. ينظر: محمد رضا المظفر: عقائد الإمامية، دار الزهراء ـ العراق، ط3: 1980، ص 41.

﴿يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾[سورة هود:46]، كما أن استعاذة سيدنا نوح (عليه السلام) مما وقع فيه بعد تلقّيه اللوم الإلهي، وطلبه عفو ربّه، يعدّ دليلا آخر على وقوعه في الذنب، حيث قال ﴿رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [سورة هود:47]

3 ـ قتل موسى للرجل القبطي، في سبيل نصرة أحد شيعته ﴿وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [سورة القصص:15]

والدليل على أن هذا الفعل يعدّ معصية، اعتراف موسى نفسه بأنه من عمل الشيطان، وطلبه عفو ربّه بعد ذلك﴿ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[سورة القصص:16]

4 ـ معاتبة المولى سبحانه وتعالى لنبيّه محمد (صلى الله عليه وسلم) في غير موضع، ومن ذلك:

أ ـ معاتبته (عليه الصلاة والسلام) بسبب تحريمه على نفسه ما أحلّ الله له، قال تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ۖ تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [سورة التحريم:1]، وقد نزلت هذه الآية بسبب تحريم النبي (صلى الله عليه وسلم) لشراب على نفسه، أو تحريم مارية القبطية من أجل إرضاء زوجته حفصة[1].

(1) ـ اختلف المفسّرون في الحلال الذي كان الله عزّ وجلّ أحلّه لرسوله، فحرّمه (صلى الله عليه وسلم) على نفسه ابتغاء مرضات أزواجه، فقال بعضهم: كان ذلك مارية مملوكته القبطية، حرّمها على نفسه بيمين أنه لا يقربها، طلبا بذلك رضا حفصة. وقال آخرون: بل كان ذلك شرابا يشربه. ينظر: تفسير الطبري:83/23 ـ 89.

ب ـ معاتبته (عليه الصلاة والسلام) لعبوسه بوجه الأعمى عبد الله ابن أم مكتوم وإعراضه عنه، وذلك بسبب إنشغاله (صلى الله عليه وسلم) بمشركي قريش الذين كانوا عنده وطمع في إسلامهم، فعاتبه الله تعالى على هذا السلوك[1]، قال سبحانه ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ﴾ [سورة عبس: 1 ـ 4]

ج ـ معاتبته (عليه الصلاة والسلام) في أسرى بدر، حيث قبل النبي (صلى الله عليه وسلم) منهم الفدية من أجل إطلاق سراحهم[2]، فأنزل الله سبحانه قوله ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنۡيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ۝٦٧ لَّوۡلَا كِتَٰبٞ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمۡ فِيمَآ أَخَذۡتُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ۝٦٨ فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمۡتُمۡ حَلَٰلٗا طَيِّبٗاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [سورة الأنفال: 67 ـ 69]

هذه بعض الأمثلة التي تصرّح ببعض الأخطاء والزّلات التي وقع فيها الأنبياء، والتي نكتفي بذكرها عن غيرها، وإلا فقد ورد في القرآن مغاضبة يونس لقومه، وخروجه من غير إذن ربّه، وفعل أولاد نبي الله يعقوب (عليه السلام) بأخيهم يوسف (عليه السلام) في إلقائه في غيابة الجبّ، قبل أن يصطفيهم الله تعالى ويجعلهم أنبياء...وكلّها مخالفات لا تنفي عصمتهم على الإطلاق[3]، لأنهم ما أقرّوا عليها، وما أخرّوا التوبة منها، بل نجدهم يسارعون إلى التوبة، فكانوا بعد التوبة أكمل منهم قبلها، وهذا ما سجّله القرآن الكريم الذي ذكر ذنوب الأنبياء مقرونة بالتوبة والاستغفار[4]، كما هو الحال مع نبي الله آدم (عليه السلام) وزوجه اللذين لما عصيا ربّهما بادرا مباشرة إلى التوبة قائلين ﴿رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [سورة الأعراف: 23]

([1]) ـ تفسير القرطبي: 69/22 ـ 73.

([2]) ـ تفسير ابن كثير: 119/7.

([3]) ـ يستعظم البعض أن ينسب إلى الأنبياء صغائر الذنوب التي أخبرت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية بوقوعها منهم، ظانا بأنها طعن في نبوّة الأنبياء، وقدح في عصمتهم، فتجده يتعسّف ويتحمّل في تأويل النصوص، وهو التأويل الذي يصل إلى تحريف آيات الكتاب، كما يقول ابن تيمية. ينظر: ابن تيمية: مجموع الفتاوى: 173/10.

([4]) ـ المرجع نفسه: 173/10 ـ 175.

وهذا نبي الله موسى (عليه السلام) الذي سارع إلى التوبة من ربّه بسبب قتله للرجل القبطي، قائلا ﴿ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي ﴾[سورة القصص:16]

كما نجد نبي الله يونس (عليه السلام) لما أحسّ بتقصيره تجاه ربّه طلب عفوه ومغفرته﴿وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّٰلِمِينَ ﴾ [سورة الأنبياء:87]

فكان بعد خروجه من بطن الحوت وتوبته أعظم درجة منه قبل أن يقع فيما وقع فيه، قال سبحانه ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَّوْلَا أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [سورة القلم:48 ـ 50]،وهذا بخلاف لحظة التقام الحوت، فإنه قال﴿فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ [سورة الصافات:142]، ففي هذه اللحظة كان "مليما"، والمليم هو الذي فعل ما يلام عليه.

فكانت حاله بعد قوله ﴿أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّٰلِمِينَ ﴾ [سورة الأنبياء:87]، أرفع من حاله قبل أن يكون ما كان، ذلك أن العبرة بكمال النهاية، لا بما جاء في البداية، والأعمال بخواتيمها.

وكذلك الحال مع نبي الله داود (عليه السلام) الذي ما كاد يشعر بخطيئته حتى خرّ راكعا مستغفرا ﴿فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴾ [سورة ص:24]

وبهذا نرى بأن ذنوب الأنبياء التي وقعوا فيها لا تنافي الكمال ـ كما قد يتوهّم البعض ـ وليست نقصا أو عيبا بعد توبة التائب منها، لأن التوبة تغفر الحوبة، ولا تنافي الكمال، ولا يتوجّه إلى صاحبها اللوم، بل إن التوبة تقوّي علاقة الإنسان بربّه سبحانه، فيكون العبد ـ في كثير من الأحيان ـ بعد توبته من معصيته خيرا منه قبلها، وقد قال بعض السلف: "كان داود عليه السلام بعد التوبة

خيرا منه قبل الخطيئة"، وقال آخر: "لو لم تكن التوبة أحبّ الأشياء إليه لما ابتلى بالذنب أكرم الخلق عليه"[1].

وإذا تأملنا في النصوص القرآنية والنبوية التي تتحدّث عن التوبة، فإننا سنجد بأن التوبة من أحبّ الأعمال إلى الله، وأن التائب من الأصناف التي يحبّها الله، قال تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [سورة البقرة:222]

وقال سبحانه مبيّنا مثوبة التائبين ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [سورة الفرقان:70]

كما بيّن النبي (صلى الله عليه وسلم) موقع التوبة عند الله سبحانه وتعالى فقال: **"الله أفرح بتوبة العبد من رجل نزل منزلا وبه مهلكة، ومعه راحلته عليها طعامه وشرابه، فوضع رأسه فنام نومة، فاستيقظ وقد ذهبت راحلته، حتى اشتدّ عليه الحرّ والعطش، أو ما شاء الله، قال أرجع إلى مكاني، فرجع فنام نومة ثمّ رفع رأسه، فإذا راحلته عنده"**[2].

فهذه النصوص ـ وغيرها ـ تبيّن بأن التوبة من الذنوب والمعاصي ليست عيبا أو نقصا في الإنسان، بل على العكس من ذلك، فهي تبيّن قيمة الإنسان الرفيعة عند ربّه، لأنه سريع الأوبة والرجوع إليه سبحانه كلّما أحسّ بتقصير، أو وقع في ذنب.

وبهذا تكون توبة الأنبياء من الذنوب والمعاصي التي صدرت عنهم دليلا على كمالهم، يرفع من شأنهم، لأنها تدلّ على نجاحهم في جهادهم لأنفسهم، واتّباعهم للأحسن والأفضل، فكانت التوبة بذلك دليل كمال لا ينافي عصمتهم، وإنما يؤكّد بشريّتهم أمام الخلائق لئلا يرفعوهم فوق المستوى البشري، ويحملونهم من صفات الألوهية ما لا يمكن أن يتّصفوا به، فهم عبيد مخلوقون لله. وهذا يعني أن العصمة لا تلازم الأنبياء في كلّ أمورهم، فقد تقع منهم المخالفة الصغيرة، بحكم كونهم بشرا، ولكن رحمة الله تتداركهم، فينبّههم إلى خطئهم، ويوفّقهم للتوبة منها، وعدم الإصرار عليها. يقول

([1]) ـ ابن تيمية: مجموع الفتاوى:172/10.

([2]) ـ صحيح البخاري: كتاب (الدعوات)، باب (التوبة)، رقم (6308).

مصطفى المراغي[1] في تقديمه لكتاب (حياة محمد): "إن الوحي لا يلازم الأنبياء في كلّ عمل يصدر عنهم، وفي كلّ قول يبدر منهم، فهم عرضة للخطأ، يمتازون عن سائر البشر بأن الله لا يقرّهم على الخطأ بعد صدوره، ويعاتبهم عليه أحيانا"[2].

وبهذا تسقط شبهة من ينفي العصمة عن الأنبياء مخافة التأسي بهم (الذي هو واجب) في المعاصي، وهي شبهة مردودة على أصحابها، لأن المعصية أو المخالفة التي وقع فيها الأنبياء ظاهرة وليست خفيّة، فلو كانت خفيّة لصحّ كلامهم، بحيث تختلط على البشر الطاعة بالمعصية، أمّا وأن الله نبّه أنبياءه إلى ما وقع منهم من مخالفات، ووفّقهم إلى الإسراع في التوبة منها، فإن ما أوردوه لا يصلح دليلا وحجّة يحتجّون بها على نفي هذه المعاصي الصريحة، وحينها يكون التأسّي بهم في عدم الإصرار على المعصية، وسرعة التوبة منها[3].

هذه هي أهمّ الصفات الضرورية والواجبة في حقّ الأنبياء، والتي أوجبها النقل واقتضاها العقل، وإنما لزمت لهم هذه الصفات، لأنهم لو انحطّت فطرهم عن فطر أهل زمانهم، أو مسّ عقولهم شيء من الضعف، لما كانوا أهلا لهذا الاختصاص الإلهي، وهو اختصاصهم بالوحي، والكشف لهم عن أسرار علم الله، ولو لم تسلم أبدانهم من المنفّرات لكان انزعاج الناس لمرآهم حجّة، ولو فسدت أو قبحت طبائعهم وأخلاقهم لضعفت الثقة بهم، ولو لم تصدق أقوالهم وأفعالهم لاتّهموا بالخيانة والكذب فتذهب الحكمة من بعثتهم.

وإضافة إلى هذه الصفات الخمس التي تحدّثنا عنها في هذا المبحث، أضاف آخرون صفة الصدق والفطانة والتبليغ، وقد رأيت بأن الصدق له صلة وطيدة بالأمانة فدمجته معها، كما دمجت الفطانة مع السلامة من العيوب والنقائص، لاقتضاء هذه الأخيرة للفطانة، ليبقى التبليغ الذي رأيته أقرب إلى

([1]) ـ المراغي (ت1945م): هو محمد بن مصطفى بن محمد بن عبد المنعم المراغي نسبة إلى المراغة بصعيد مصر، وهي البلدة التي ولد فيها، عالم من علماء الأزهر الشريف، شغل منصب شيخ الأزهر في الفترة من 1928 إلى حين استقالته في 1930، ثم تولّى المشيخة مرة ثانية سنة 1935 إلى حين وفاته. من أشهر مؤلفاته: "تفسير سورة الحجرات" ، "الأولياء والمحجورين"، وغيرها من المؤلفات. ينظر: الزركلي: الأعلام:103/7.

([2]) ـ محمد حسنين هيكل: حياة محمد، مؤسسة هنداوي ـ مصر، 2012، ص 15.

([3]) ـ ابن تيمية: مجموع الفتاوى:171/10.

الوظيفة منه إلى الصفة، فأدرجته في مبحث وظائف النبوة الذي سأتحدّث عنه في المبحث الثالث من هذا الفصل بإذن الله تعالى.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثالث

وظائف الأنبياء في الإسلام

خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان في أحسن صورة، وأودع فيه طاقات عظيمة، ومواهب جليلة، وفضّله عن غيره من المخلوقات بملكة العقل، قال تعالى ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [سورة الإسراء:70]

إلا أن هذه المواهب والطاقات والملكات تظلّ ـ بمفردها ـ قاصرة عن الوصول إلى الحق الذي لا ينحصر في عالم الشهادة فحسب، وإنما يتعدّاه إلى عالم الغيب، وقد أثبت الواقع صحّة ذلك، حيث ضلّ وهلك الكثير من الأمم والشعوب التي لم تغن عنها هداية العقول شيئا، قال تعالى:

﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِن مَّكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُم مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [سورة الأحقاف:26]

وإذا ثبت قصور العقل عن إدراك الحقّ، والوصول إليه، أصبحت الحاجة ماسّة لهداية السماء (الوحي) من أجل حراسة العقول وحمايتها من التيه أو الزيغ والضلال، فالوحي للعقل كنور الشمس أو الضوء للعين، فإذا حجب العقل عن الوحي لم ينتفع الإنسان بعقله، كما أن المبصر لا ينتفع بعينه إذا عاش في الظلمة، فإذا أشرقت الشمس، وانتشر ضوءها انتفع بناظريه، وكذلك أصحاب العقول إذا أشرق الوحي على عقولهم وقلوبهم أبصرت واهتدت[1].

(1) ـ الأشقر: الرسل والرسالات، ص 41.

وهنا تكمن الحاجة إلى الرسل، من حيث كون بعثتهم ضرورة بشرية، وهي الضرورة التي يراها ابن القيّم بأنها: "أعظم من ضرورة البدن إلى روحه، والعين إلى نورها، والروح إلى حياتها، فأيّ ضرورة وحاجة فرضت فضرورة العبد إلى الرسل فوقها بكثير"[1].

ولما كان الأنبياء وسائط بين الله وخلقه، ارتبطت وظيفتهم بالتبليغ، قال تعالى ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾ [سورة الأحزاب:39]

وقد جاءت الآيات القرآنية لتذكير الأنبياء بعنوان مهمّتهم ووظيفتهم، ألا وهي البلاغ، قال تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ [سورة المائدة:67]

وقال سبحانه ﴿فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [سورة آل عمران:20]

كما نجد الأنبياء يذكّرون أقوامهم بعنوان مهمّتهم، قال تعالى على لسان أنبيائه ﴿قَالُوا۟ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [سورة يس:16 ـ 17]

وقد أخذ هذا العنوان الذي يعكس وظيفة الأنبياء صورا عدّة، أجملتها في ثلاثة صور، وهي: تصحيح التصورات الخاطئة، الدعوة إلى مكارم الأخلاق، سياسة الأمّة. وهذه هي المحاور الثلاثة الكبرى التي دار عليها عمل الأنبياء.

المطلب الأول ـ تصحيح التصوّرات الخاطئة: وهذه هي الوظيفة الأساسية التي تقوم عليها الوظائف الأخرى، بل هي المهمّة الكبرى التي بعث الله لأجلها الرسل الكرام، وتتمثّل أساسا في تعريف الخلق بالخالق، وربطهم به سبحانه وتعالى، وتخصيص العبادة له دون سواه.

([1]) ـ ابن القيّم: زاد المعاد، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعبد القادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة ـ بيروت، ط27: 1994، ج1، ص 69.

وقد ارتبط تعلّق البشر بالمخلوقات منذ وجود الإنسان في الأرض، واتّخذ هذا التعلّق أشكالا متنوّعة، فمنهم من عبد الشجر، ومنهم من عبر الحجر، ومنهم من عبد البشر، ومنهم من عبد مظاهر الطبيعة التي كان يرى فيها القوّة والعظمة... وغيرها من المخلوقات الأخرى التي عبدها الإنسان، واتّخذها إلها يعبد، وهي في حقيقة الأمر مخلوقات خلقها الله سبحانه، وسخّرها من أجل خدمته، قال تعالى ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [سورة لقمان:20]

فغياب التصور الصحيح عن الوجود والكون والحياة، أدخل الإنسان في متاهات الضلال والتيه والزيغ، وأفقده السيادة على الكون التي أرادها الله له، وانحطّ به إلى مرتبة العبودية والخضوع للمخلوقات، سواء كانت جمادا، أم نباتا، أم حيوانا، أم إنسانا، أم غير ذلك، وجعل البشر يستغلّون بعضهم البعض في أبشع صور الاستغلال، وأسوأ مظاهر العبودية...فكانت الحاجة ماسة لتصحيح هذه التصوّرات الخاطئة، والمعتقدات الفاسدة، وهي المهمّة التي اضطلع بها الأنبياء، فجاءت دعواتهم ثورة على هاتيك التصوّرات الخاطئة، وهو ما نستشفّه من خلال الأصل الذي قامت عليه هذه الدعوات، ألا وهو التوحيد، وما يعنيه من ربط الخلق بالخالق، ودعوتهم إلى عبادة الله الواحد الأحد، قال تعالى ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ﴾ [سورة النحل:36]

وقال تعالى ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ﴾ [سورة الشورى:13]

قال ابن كثير: "والدّين الذي جاءت به الرسل كلّهم هو عبادة الله وحده لا شريك له، كما قال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [سورة الأنبياء:25]"[1].

(1) ـ تفسير ابن كثير:262/12.

ولما كان أصل رسالات الأنبياء واحد، نجد القرآن الكريم يجدّد تأكيده لخاتم الرسل محمد (صلى الله عليه وسلم) بضرورة اتّباع هذا الأصل وتبليغه للناس ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [سورة النحل:123]

وملّة سيدنا إبراهيم (عليه السلام) هي التوحيد، كما دلّت على ذلك هذه الآية التي نفت عن سيدنا إبراهيم نقيضه(الشرك).

وقد كان هذا الأصل (التوحيد) موضوع ومحلّ وصيّة، يوصي بها الأنبياء أبنائهم، قال تعالى ﴿وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[سورة البقرة:132]

وكذلك الحال بالنسبة لنبيّ الله يعقوب (عليه السلام) الذي أوصى بها بنيه، قال سبحانه:

﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي ۖ قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [سورة البقرة:133]

وهكذا نرى كيف أن التصوّر الذي جاء به الأنبياء واحد، وهو تعبيد الناس لربّهم وحده، وتحريرهم من عبودية البشر التي أثقلت كاهلهم، وهو التصوّر الذي تعاقبوا به جميعا، من لدن سيدنا نوح (عليه السلام) إلى خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم)، فما من نبيّ إلا ورفع هذا الشعار، وقال لقومه ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾[سورة الأعراف:59، 65، 73، 75]، وهو شعار يؤكّد على وحدة العقيدة السماوية على مدار التاريخ.

وفي سبيل الإيمان بهذا التصوّر الجديد، نجد الأنبياء يستعملون أساليب شتى في ذلك، وهي الأساليب التي بيّنتها الآيات القرآنية في معرض حديثها عن مسيرة الأنبياء الدعوية مع أقوامهم، ومن أبرز وأهمّ هذه الأساليب:

أولا ـ الترغيب والترهيب: ويسمّى أيضا بالوعد والوعيد، كما يسمى بالتبشير والإنذار، وهو الأسلوب الذي قصر القرآن الكريم مهمّة الرسل عليه في بعض آياته، وهذا لارتباطه الوثيق بمهمّتهم

(عليهم السلام)، قال تعالى ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ [سورة الكهف:56]، وتبشير الرسل وإنذارهم لأقوامهم قسمان: دنيوي وأخروي.

1 ـ الدنيوي: حيث يبشّرون الطائعين بالحياة الطيّبة في الدنيا، قال تعالى ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ [سورة طه:123]، في مقابل تخويف العصاة والمعاندين بالشقاء الدنيوي، قال تعالى ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [سورة طه:124]

2 ـ الأخروي: حيث تجدهم يبشّرون الطائعين بالجنة ونعيمها، قال تعالى﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [سورة النساء:13]، ويخوّفون العصاة من عذاب الآخرة، قال تعالى ﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [سورة النساء:14]

والمتأمّل لدعوات الأنبياء، وأساليبهم في استمالة أقوامهم، يجد بأن دعواتهم قد اصطبغت بهذا الأسلوب، ألا وهو التبشير والإنذار، الذي كان أسلوبا مشتركا لديهم جميعا، فما من نبيّ إلا وبشّر قومه وأنذرهم، وفي هذا دلالة على أهمية هذا الأسلوب في الدعوة إلى الله، وأنه أحد مفاتيح النفس البشرية، ذلك أن النفس "مطبوعة على طلب الخير لذاتها، ودفع الشّر عنها، فإذا بصّر الرسل النفوس بالخير العظيم الذي يحصّلونه من وراء الإيمان والأعمال الصالحة، فإن النفوس تشتاق إلى تحصيل ذلك الخير، وعندما تبيّن لها الأضرار العظيمة التي تصيب الإنسان من وراء الكفر والضلال فإن النفوس تهرب من هذه الأعمال"[1].

ثانيا ـ الدعوة إلى إعمال العقل في الآيات الكونية: وهو من أهم الأساليب التي استعملها بعض الأنبياء في دعوة أقوامهم إلى التصديق بما جاءوا به، حيث كان كلّ نبي يستعمل أسلوب دعوته بناء على طبائع قومه، وطبيعة انحرافهم.

([1]) ـ الأشقر: الرسل والرسالات، ص 48.

ونجد هذا الأسلوب مع نبي الله إبراهيم (عليه السلام)، الذي كان قومه يعبدون الأصنام، فأراد توجيههم إلى عبادة الله وحده انطلاقا من مظاهر الطبيعة الحسيّة المشاهدة، وهو الأسلوب الذي تحدّث عنه القرآن الكريم، قال تعالى ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْـَٰٔفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [سورة الأنعام:76 ـ 79]

فسيدنا إبراهيم (عليه السلام) انطلق بقومه من خلال دعوتهم إلى إعمال وظائف العقل من تفكّر وتأمّل في مظاهر الطبيعة التي كانوا يؤمنون بها، ليصل بهم في النهاية إلى إبطال تأليههم للعناصر الكونية من خلال الاستدلال بأفول الكوكب والقمر والشمس، ذلك أن ما يغيب لا يستحقّ أن يكون إلها يعبد، لأنه لا يغني عن عباده فيما يحتاجونه حين مغيبه[1].

هذه أهم الأساليب التي استعملها الأنبياء في سبيل تصحيح تصوّرات أقوامهم الفاسدة، وتحريرهم من عبادة المخلوقات إلى عبادة ربّ المخلوقات، ومن ذلّ عبودية البشر إلى عزّ وشرف عبودية ربّ البشر.

وقد واجه الأنبياء في سبيل أداء هذه المهمّة الكبيرة، والوظيفة العظيمة التي تقوم عليها المهام والوظائف الأخرى، مواجهة شرسة من طرف أقوامهم، وصلت إلى حدّ القتل، كما قال تعالى ﴿لَقَدْ

(1) ـ يذهب البعض إلى أن ما قام به نبي الله إبراهيم (عليه السلام) هو ذاته منهج الشك الذي اشتهر به الفيلسوف الفرنسي "ديكارت" ومن قبله "أبو حامد الغزالي"، وهذا خطأ كبير، لأن الأنبياء أيقن من غيرهم، فإبراهيم (عليه السلام) كان موقنا بربه غير شاك فيه، وهذا ما حكاه القرآن ﴿ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ ﴾ [سورة البقرة:260]
فسيدنا إبراهيم (عليه السلام) كان موقنا بربه، لكنه أراد الإنتقال من علم اليقين (مجرد الإيمان والتسليم) إلى عين اليقين (معاينة ما يؤمن ويسلّم به).

﴿أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ [سورة المائدة:70]

وفي هذا دلالة على أهمية وقيمة التصوّر الجديد الذي جاء به الأنبياء والرسل، والذي يقوم على أساس الحرية، والإخاء، والمساواة بين البشر، فكلّ الناس عباد الله، وكلّهم أبناء أب واحد، وأمّ واحدة، فهم إخوة لبعضهم البعض، وليس بعضهم أربابا لبعض. ولهذا كان الرسول (صلى الله عليه وسلم) يختم دعوته إلى الملوك والأمراء من أهل الكتاب بهذه الآية الكريمة التي تمثّل عنوان الإسلام[1]

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [سورة آل عمران:64]

وهكذا نرى كيف كانت وظيفة الأنبياء موحّدة، من لدن سيدنا نوح (عليه السلام) إلى سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم)، حيث اشتركوا جميعا في دعوة أقوامهم إلى عقيدة واحدة، فأصبحوا بهذا التصوّر المشترك الذي حملوه لأقوامهم إخوة، حتى وإن اختلفوا في الزمان وتفصيل الشرائع، وفي حديث الإسراء كان الأنبياء يرحّبون بالنبي (صلى الله عليه وسلم) بقولهم: "مرحبا بالأخ الصالح، والنبيّ الصالح"[2]. وفي حديث أبي هريرة (رضي الله عنه) أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: "**أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة، والأنبياء إخوة لعلّات، أمّهاتهم شتى ودينهم واحد**"[3]، والعَلّات ـ بفتح العين ـ الضرائر، وأولاد العلّات: بنو الرجل من نسوة شتى[4]، فشبّه النبي (صلى الله عليه وسلّم) دين الأنبياء الذي اتّفقوا عليه من التوحيد، وهو عبادة الله وحده لا شريك له، والإيمان به، وبملائكته وكتبه ورسله، ولقائه بالأب الواحد، لاشتراكهم جميعا فيه، وهو الدين الذي شرّعه الله لأنبيائه كلّهم، وهذا هو دين الإسلام الذي أخبر الله أنه دين أنبيائه ورسله،

([1]) ـ يوسف القرضاوي: كيف نتعامل مع القرآن، مؤسسة الرسالة ـ بيروت، ط1: 2001، ص85.

([2]) ـ صحيح البخاري: كتاب (مناقب الأنصار)، باب (المعراج)، رقم (3887).

([3]) ـ صحيح البخاري: كتاب (الأنبياء)، باب (قوله تعالى ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ ﴾ [سورة مريم:16])، رقم (3443).

([4]) ـ فتح الباري:489/6.

من أولهم نوح (عليه السلام) إلى خاتمهم محمد (صلى الله عليه وسلم)، فهو بمنزلة الأب الواحد، وأما شرائع الأعمال والمأمورات فقد تختلف، فهي بمنزلة الأمّهات الشتّى، فإن لقاح تلك الأمّهات من من أب واحد، كما أن مادة تلك الشرائع المختلفة من دين واحد متّفق عليه[1].

المطلب الثاني ـ الدعوة إلى مكارم الأخلاق: وهي من المهام الرئيسية والوظائف الكبرى التي قام بها الأنبياء، واشتغلوا عليها، ودارت عليها مسيرتهم الدعوية، فبعد أن قاموا بثورة على مستوى التصوّرات والمعتقدات، حين دعوا أقوامهم إلى عبادة الله وحده، ونبذ ما كانوا يعبدون من أوثان وأصنام ونحو ذلك، جاءت دعوتهم كذلك ثورة على مستوى الأخلاق، حيث دعوا أقوامهم إلى مكارم الأخلاق وفضائلها، وترك رذائلها، مبيّنين لهم مفاسد هذه الأخيرة، وآثارها المدمّرة على الفرد والمجتمع، وكذا عواقبها الوخيمة في الدنيا والآخرة، وهذا من أجل تزكية نفوسهم وتطهيرها وتنميتها، قال تعالى ﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ﴾ [سورة البقرة:151]

وعمل الأنبياء على مستوى الأخلاق ليس أقلّ شأنا من عملهم على مستوى التصوّرات والمعتقدات، فكلاهما مكمّل للآخر، بل إننا لو نظرنا إلى التوحيد الذي هو أساس عمل الأنبياء لوجدنا بأنه ذو صبغة خلقية، حيث أن جوهره عدل، والعدل فضيلة خلقية، ونقيض التوحيد شرك، والشرك رذيلة خلقية، يقول تعالى على لسان لقمان الحكيم ﴿وَإِذۡ قَالَ لُقۡمَٰنُ لِٱبۡنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾ [سورة لقمان:13]، وذلك لأنه وضع للعبادة في غير موضعها، وتوّجه بها إلى من لا يستحقّها[2]، وهذا ما يدلّ على أن مسألة الأخلاق ليست من الوظائف الثانوية[3]، بل هي ـ إلى جانب العقيدة ـ من الوظائف الرئيسية التي اشتغل عليها الأنبياء، ودارت عليها دعوتهم، وقد أشار النبي (صلى الله عليه وسلم) إلى الحيّز الذي تحتلّه الأخلاق في دعوة الأنبياء، وذلك حين لخّص الهدف الأسمى من بعثته، والغاية العظمى من رسالته في الدعوة إلى مكارم

([1]) ـ ابن القيّم: بدائع الفوائد، تحقيق: علي العمران، دار عالم الفوائد ـ السعودية، ج3، ص 1611.

([2]) ـ يوسف القرضاوي: أخلاق الإسلام، مركز دراسات التشريع الإسلامي والأخلاق ـ الدوحة، ط1: 2017، ص 50.

([3]) ـ أضف إلى ذلك فالأخلاق هي ثمار للإيمان السليم.

الأخلاق فقال: "**إنما بعثت لأتمّم صالح الأخلاق**"[1]. فحصر مهام النبوّة في الجانب الأخلاقي وفي محور الأخلاق يدلّ على مدى المساحة التي تحتلها الأخلاق في مسيرة الأنبياء الدعوية.

وإذا كانت دعوة الأنبياء موحّدة على مستوى التصوّرات والمعتقدات، فإنها كانت كذلك على مستوى الأخلاق، حيث دعا جميع الأنبياء أقوامهم إلى فضائلها، ونبذ رذائلها، وهذا ما أشار إليه النبي (صلى الله عليه وسلم) حين قال: "**إن مما أدرك الناس من كلام النبوّة الأولى: إذا لم تستح فاصنع ما شئت**"[2]. قال ابن حجر[3] في تعليقه على هذا الحديث: "قوله (من كلام النبوّة) أي: مما اتّفق عليه الأنبياء، أي: مما ندب إليه جميع الأنبياء، ولم ينسخ فيما نسخ من شرائعهم، لأنه أمر أطبقت عليه العقول"[4].

وإذا تأمّلنا في سيرة الأنبياء والمرسلين (عليهم السلام)، نجد أنهم ما فتئوا يدعون إلى إصلاح المجتمع وتنقيته من شوائب الأخلاق الفاسدة، والسلوكيات الذميمة التي كانت منتشرة في أوساطه، وهذا ما نجده مع غير واحد من الأنبياء، ومنهم: لوط، وشعيب وهود وصالح ومحمد(عليهم الصلاة والسلام).

أولا ـ نبي الله لوط (عليه السلام) ومحاربته للشذوذ الجنسي: كان من أسوأ السلوكيات والأخلاق المنتشرة لدى قوم لوط (عليه السلام) ارتكاب الفاحشة[5]، قال تعالى على لسان نبيّه لوط في تحذيره لقومه من ذلك:

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾

([1]) ـ أخرجه أحمد: رقم(8952)، وصحّحه الألباني (السلسلة الصحيحة، رقم 45).

([2]) ـ صحيح البخاري: كتاب (الأنبياء)، باب (54)، رقم (3483).

([3]) ـ ابن حجر العسقلاني(773 ـ 852هـ / 1372 ـ 1449م): أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني، أبو الفضل، شهاب الدين بن حجر من أئمة العلم والتاريخ. أصله من عسقلان (بفلسطين)، ولد وتوفي بالقاهرة، كان حافظ الإسلام في عصره. له عدة تصانيف أهمها: "فتح الباري في شرح صحيح البخاري"، "الإصابة في تمييز أسماء الصحابة"، "الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة".ينظر: الزركلي: الأعلام: 178/1.

([4]) ـ فتح الباري:523/6.

([5]) ـ الفاحشة: الفحش والفحشاء والفاحشة، القبيح من القول والفعل، وجمعها الفواحش، وهو كلّ ما يشتدّ قبحه. ينظر: لسان العرب:325/6.

[سورة الأعراف:80]

وفي خضمّ هذا الفعل الشنيع نجد نبيّ الله لوط (عليه السلام) يقوم بإصلاح ما وقع في مجتمعه من فساد، وتقويم ما صدر عن أفراده من انحراف، حيث نلمس أثره في ذلك من خلال خطابه لقومه الذي يتضمّن أمورا أربعة:

1 ـ استنكاره لهذا الفعل الشنيع: لم ينكر نبي الله لوط (عليه السلام) على قومه هذا السلوك المشين ببيان حرمته، وإنما أنكر عليهم ذلك ببيان شناعته وفظاعته، حيث خاطبهم على سبيل الاستفهام، وهو استفهام تقريع وتوبيخ[1]، وهذا لما للاستفهام من وقع على نفس المستنكر عليه.

2 ـ إبرازه لفظاعة الجرم بذكر سبقهم فيه: حيث ذكّرهم أن فعلهم هذا لم يكن معهودا عند الأمم السابقة، وفي ذلك زيادة توبيخ وإنكار وتعظيم لجرمهم هذا، يقول الطبري في تفسيره لقوله تعالى ﴿مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ : "قال عمرو بن دينار: مارؤي ذكر على ذكر حتى كان قوم لوط"[2]. وقال القرطبي: "لم يكن اللواط في أمّة قبل قوم لوط"[3]. وقال الألوسي: "أي ما عملها أحد قبلكم في زمن من الأزمان، فالباء للتعدية"[4]. فاستحداث قوم لوط لهذا الفعل الشنيع جعل منهم قدوة سوء لغيرهم.

3 ـ بيانه لفظاعة الجرم بذكر طبيعته: حيث بيّن لهم أن إتيان الرجال من دون النساء هو فعل شنيع، وقد جاءت (إنّ واللام) للتأكيد على بشاعته، وزيادة التوبيخ والتفظيع عليه، يقول ابن عاشور[5]: "وقوله ﴿مِّن دُونِ النِّسَاءِ﴾زيادة في التفظيع وقطع للعذر في فعل هذه الفاحشة"[1].

([1]) ـ تفسير الألوسي:169/8. الشعراوي: قصص الأنبياء، دار الكتب العلمية ـ بيروت، ج2، ص 653.

([2]) ـ تفسير الطبري: 305/10.

([3]) ـ تفسير القرطبي:277/9.

([4]) ـ تفسير الألوسي:169/8.

([5]) ـ ابن عاشور(ت1973م): هو محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن محمد بن محمد الشاذلي بن عبد القادر بن محمد ابن عاشور، عالم وفقيه تونسي، أصوله منحدرة من الأندلس، من أدارسة المغرب العربي، تعلّم بجامع الزيتونة، إلى أن أصبح من كبار علمائها. له عدّة مؤلّفات في الفقه والأصول والتفسير والحديث، أشهرها: "التحرير والتنوير" في التفسير، و "مقاصد الشريعة"، وغيرها من المؤلّفات. ينظر: إيّاد الطبّاع: محمد الطاهر ابن عاشور علّامة الفقه وأصوله والتفسير وعلومه (سلسلة علماء ومفكّرون معاصرون، لمحات من حياتهم وتعريف بمؤلّفاتهم)، دار القلم ـ دمشق، ط1: 2005، ص25 وما بعدها.

4 ـ وصفهم لهذا الجرم بالإسراف: وهذا لمضاعفة التأكيد على شناعته، حيث أن الإسراف يعني مجاوزة حدّ الفطرة والشريعة، لأنه فعلٌ في غير ما أحلّ الله [2].

وقد بيّن صاحب تفسير "التحرير والتنوير" وجه تسمية هذا الفعل الشنيع ب"الإسراف"، لاشتماله على مفاسد كثيرة، منها[3]:

أ ـ استعمال الشهوة المخلوقة في الإنسان في غير ما ركّبت عليه، فالله خلق الإنسان وركّب فيه الشهوة من أجل بقاء النوع البشري بقانون التناسل، والذي لا يكون إلا في القناة المحدّدة شرعا، فإذا انحرف الإنسان عن هذه القناة كان ذلك اعتداءً على الفطرة.

ب ـ تغيير الطبيعة التي خلق عليها الرجل، حيث أن المفعول به يصير في غير المنزلة التي وضعها الله فيها بخلقته.

ج ـ امتهان المفعول به، حيث يكون آلة لقضاء شهوة غيره، على خلاف ما وضع الله في نظام الذكورة والأنوثة من قضاء الشهوتين معا.

د ـ قطع النسل أو تقليله، حيث أن هذا الفعل يجلب أضرارا جسيمة للفاعل والمفعول بسبب استعمال محلين في غير ما خلقا له، وعدم التناسل منه.

وهكذا نرى كيف كان لنبيّ الله لوط (عليه السلام) دور في إصلاح فساد قومه، وتقويم شرودهم عن الطبيعة، وشذوذهم عن الفطرة، وهو الدور الذي يؤكّد على البعد الاجتماعي لوظائف الأنبياء في الإسلام.

ثانيا ـ نبيّ الله شعيب (عليه السلام) ومحاربته للغشّ في المعاملة: من السلوكيات المشينة التي كانت منتشرة لدى قوم مدين التطفيف في الكيل، حيث كانوا يغشّون في الميزان، ويهضمون حقوق الناس، مما جعل نبيّ الله شعيب (عليه السلام) يعمل جاهدا لعلاج هذا الداء الذي استشرى في مجتمعه حتى اشتهر به قومه أكثر من سائر المعاصي، قال تعالى ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ

([1]) ـ تفسير التحرير والتنوير: 231/8.

([2]) ـ برهان الدين البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي ـ القاهرة، ج7، ص 454 ـ 455. تفسير المنار:513/8.

([3]) ـ تفسير التحرير والتنوير:232/8.

يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ قَدۡ جَآءَتۡكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡۖ فَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ وَلَا تَقۡعُدُواْ بِكُلِّ صِرَٰطٖ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبۡغُونَهَا عِوَجٗاۚ وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ كُنتُمۡ قَلِيلٗا فَكَثَّرَكُمۡۖ وَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾ [سورة الأعراف:85 ـ 86]

وهذه الآية تتحدّث عن الدور الاجتماعي الذي لعبه سيدنا شعيب (عليه السلام)، الذي كان حريصا على هداية قومه، من خلال دعوتهم إلى ترك التعامل المذموم في التجارة[1]، لما فيه من ظلم للناس، وأكل لأموالهم بغير حقّ، والتي تعدّ إفسادا في الأرض يستوجب العقوبة الإلهية.

وقد تضمّن عمل نبي الله شعيب (عليه السلام) في سبيل إصلاح فساد مجتمعه ثلاثة أصول[2]:

1 ـ حفظ حقوق المعاملة المالية: وذلك في قوله ﴿فَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ﴾ فالأمر بإيفاء الكيل يرجع إلى حفظ حقوق المشتري، لأن البائع قد يحمله الطمع على تطفيف الكيل، فيبيع الشيء الناقص بثمن الشيء الوافي.

وأما النهي عن بخس الناس أشياءهم فيرجع إلى حفظ حقوق البائع، لأن المشتري هو الذي يبخس ثمن البائع ليهيّئه لقبول الغبن في ثمن شيئه. وعليه يكون الأمر بإيفاء الكيل موجّها للبائع، والنهي عن بخس الناس أشياءهم موجّها للمشتري[3].

([1]) ـ وهذا بعد دعوتهم لعبادة الله وحده، وهو ما يفهم من قوله ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥ﴾.

([2]) ـ تفسير التحرير والتنوير:244/8 ـ 246.

([3]) ـ يذهب الطاهر ابن عاشور (التحرير والتنوير:246/8) إلى أن معنى الأمر في الآية غير معنى النهي، فكلاهما له معنى خاص، فالأمر للبائع، والنهي للمشتري، وليس النهي تعليلا للأمر كما ذهب إلى ذلك الكثير من المفسّرين.

2 ـ حفظ نظام الأمّة: وذلك في قوله ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾، فكلّ تعطيل لمصالح الأمّة يعدّ فسادا يستلزم النهي عنه.

3 ـ حفظ حقوق حرّيّة الاستهداء: وذلك في قوله ﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ﴾، حيث نهى قومه عن التعرّض بأيّ سوء أو أذى لمن يريد الهداية والدخول في دعوته من الناس.

وعلى هذه الأصول الثلاثة دارت وظيفة نبي الله شعيب (عليه السلام) الاجتماعية، في سبيل إصلاح فساد مجتمعه، وتقويم انحرافه عن نظام الاجتماع البشري، وهو ما يؤكّد على الدور الاجتماعي الذي لعبه الأنبياء في دعوة أقوامهم إلى الفضائل وترهيبهم من الرذائل.

ثالثا ـ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وإتمامه لبناء الأنبياء: لم يكن النبي (صلى الله عليه وسلم) نشازا عن دعوة إخوانه من الأنبياء والمرسلين، حيث كانت دعوته متّفقة مع دعوة سلفه من قبله في الأصول (التوحيد)، ومكمّلة لها في الشرائع والأخلاق، وهو ما يفهم من قوله (عليه الصلاة والسلام): ""**إنما بعثت لأتمّم صالح الأخلاق**"[1]. وحصرُ النبي (صلى الله عليه وسلم) رسالته في هذه المهمّة الأخلاقية يدلّ على المنزلة الكبيرة، والمساحة الشاسعة التي تحتلّها الأخلاق في الدعوة التي جاء بها(عليه الصلاة والسلام)، وهي التي قامت على الأخلاق، حتى عُرفت وعُرّفت بها[2]، وفي

(1) ـ سبق تخريجه، ينظر (ص 52).

(2) ـ إن اشتهار دعوة الإسلام بالأخلاق كان نتيجة طبيعية لاتّصاف صاحبها (صلى الله عليه وسلم) بالأخلاق الفاضلة والدعوة إليها حتى قبل بعثته، حتى أنه كان ينادى عليه بها، فكانت دليلا على نبوّته.

ذلك يقول ابن القيّم[1]: "الدين كلّه هو الخلق، فمن زاد عليك في الخلق فقد زاد عليك في الدين"[2].

وحتى نتعرّف على الدور الاجتماعي الكبير الذي لعبه النبي (صلى الله عليه وسلم) من خلال الدعوة إلى مكارم الأخلاق، ونبذ رذائلها وفواحشها، وكذا الإضافات التي جاء بها في سبيل إتمام البناء الأخلاقي الذي شيّده الأنبياء من قبله، لا بدّ من الوقوف أولا على الحالة الأخلاقية التي كانت تعيشها البشرية قبيل مجيئه (عليه الصلاة والسلام)، وهي الحالة التي عمّت فيها الرذائل من سفك للدماء، وأكل للأموال، وهتك للأعراض...وهو ما نستشفّه من قول الصحابي الجليل جعفر بن أبي طالب[3] في حديثه مع النجاشي ملك الحبشة، حين قال: "أيها الملك، كنا قوما أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، يأكل القوي منّا الضعيف، فكنّا على ذلك، حتى بعث الله إلينا رسولا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحّده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكفّ عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنة..."[4].

([1]) ـ ابن القيّم (691 ـ 751هـ): هو العلامة الحنبلي تلميذ شيخ الإسلام ابن تيمية، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي، إمام الجوزية، وابن قيّمها، برع في الفقه والأصول والتفسير والنحو، وكان عالما بعلم السلوك والتصوّف. كان شديد الحبّ للعلم والكتابة والمطالعة والتأليف. من أشهر مؤلفاته: "هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى"، "الداء والدواء"، "زاد المعاد في هدي خير العباد"، وغيرها. ينظر: ابن رجب الحنبلي: ذيل طبقات الحنابلة، مكتبة العبيكان ـ السعودية، ط1: 2005، ج5، ص175.

([2]) ـ ابن القيّم: مدارج السالكين، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي ـ بيروت، ط3: 1996، ج2، ص 294.

([3]) ـ جعفر بن أبي طالب (ت08هـ): هو أبو عبد الله ابن عمّ الرسول (صلى الله عليه وسلم)، أخو علي بن أبي طالب، وهو أسنّ من علي بعشر سنين، هاجر الهجرتين، استشهد بمؤتة في قتاله للروم. ينظر: سير أعلام النبلاء:206/1.

([4]) ـ الصلابي: السيرة النبوية، دار اليقين ـ المنصورة، ط1: 2004، ج1، ص 358.

والشاهد من هذا الخطاب الذي عرض فيه جعفر بن أبي طالب (رضي الله عنه) العناوين الكبرى لدين الإسلام، حديثه عن الرذائل التي عمّت المجتمعات البشرية، حتى اشتهرت بها[1]، إلى أن جاء النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) فصحّح هذا الانحراف، وقوّم هذا الاعوجاج، متمّما بذلك بناء إخوانه الأنبياء من قبله. كما أننا نجد هذا الصحابي في عرضه للإسلام، عرّفه بفضائل الأخلاق، وفي ذلك دلالة كبيرة على الموقع الذي تحتلّه الأخلاق في دين الإسلام.

إن المتأمّل لمسيرة النبي (صلى الله عليه وسلم) الدعوية، يجد بأن حياته كلّها كانت ثورة على رذائل الأخلاق، وحثّا على فضائلها، وهذا ما نستشفّه من خلال ملمحين:

1 ـ إبراز البعد الأخروي للأخلاق: نجد النبي (صلى الله عليه وسلم) في سبيل ترسيخ الأخلاق الفاضلة في النفوس، يبيّن الدرجة العالية، والمنزلة الرفيعة لصاحب الخلق الفاضل، وكذا الجزاء الكبير الذي أعدّه الله له، وكثيرة هي الأحاديث التي بيّنت ذلك، منها: قوله (عليه الصلاة والسلام): "**ما من شيء يوضع في الميزان أثقل من حسن الخلق، وإن صاحب حسن الخلق ليبلغ به درجة صاحب الصوم والصلاة**"[2].

وقال (صلى الله عليه وسلم): "**أكثر ما يدخل الناس الجنة تقوى الله وحسن الخلق**"[3].

كما بيّن النبي (عليه الصلاة والسلام) منزلة صاحب الخلق الحسن فقال: "**إن من أحبّكم إليّ، وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا**"[4].

وهكذا نجده (عليه الصلاة والسلام) يعطي للأخلاق بعدا أخرويا، من خلال ربط فضائلها بالأجر والثواب، والمنزلة الرفيعة، وهذا من أجل توكيدها في النفوس.

2 ـ شمولية الأخلاق للدين والدنيا: جاءت الأحاديث النبوية الشريفة مبيّنة متانة الأواصر التي تربط الدين بالخلق، وشمولية الأخلاق لجميع نواحي الحياة، ومن ذلك:

([1]) ـ وقولنا بأن البشرية كانت غارقة في رذائل الأخلاق، لا ينفي عنها الفضائل، فقد كانت بعض الفضائل منتشرة من قبيل الجود والكرم، والمروءة، والعفو، وحماية الجار، والوفاء بالعهد...وغيرها من الفضائل التي جاء النبي (صلى الله عليه وسلم) لينمّيها ويقوّيها ويوجّهها الوجهة الحسنة.

([2]) ـ أخرجه الترمذي: كتاب (البّر والصلة)، باب (ما جاء في الإحسان والعفو)، رقم (2003).

([3]) ـ أخرجه الترمذي: كتاب (البر والصلة)، باب (ما جاء في الإحسان والعفو)، رقم (2004).

([4]) ـ أخرجه الترمذي: كتاب (البر والصلة)، باب (ما جاء في معالي الأخلاق)، رقم (2018).

أ/ربط الإيمان بالأخلاق: وكثيرة هي الأحاديث النبوية الشريفة التي بيّن فيها النبي (صلى الله عليه وسلم) أن الأخلاق هي ثمار الإيمان الصادق، ومنها قوله (عليه الصلاة والسلام): "**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت**"[1].

وقوله (عليه الصلاة والسلام): "**الإيمان بضع وستّون شعبة، أعلاها: لا إله إلا الله، وأدناها: إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان**"[2].

وغيرها من الأحاديث النبوية التي دعا فيها النبي (صلى الله عليه وسلم) إلى مكارم الأخلاق، وربطها بالإيمان، حتى يعطي للأخلاق بعدا إيمانيا، وحتى يبيّن أنها ثمار الإيمان الصادق.

2 ـ ربط العبادات بالأخلاق: نجد النبي (صلى الله عليه وسلم) في حثّه على الأخلاق الفاضلة، ودعوته للتخلّق بها، يربطها بالعبادات الشعائرية من صلاة وصوم وحج، مبيّنا بأن هذه الأخيرة ليست مجرّد طقوس، أو جثّة بلا روح، وإنّما هي شعائر ذات أهداف أخلاقية واضحة، فإذا جرّدت من ذلك فقدت معناها، وجوهر مهمّتها، فيقول (صلى الله عليه وسلم) عن الصلاة: "**كم من قائم ـ أي الليل بالتهجّد ـ ليس له من قيامه إلا السهر**"[3].

ويقول عن الصيام: "**من لم يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه**"[4].

فإبرازه (عليه الصلاة والسلام) للبعد الأخلاقي للعبادات، غرضه جعل المسلم دائم التخلّق بفضائلها.

3 ـ ربط المعاملات بالأخلاق: جاء الجمّ الغفير من الأحاديث النبوية الشريفة التي تدعو إلى "أخلقة" شؤون الحياة، وإلى ضرورة التحلّي بالأخلاق الفاضلة، سواء في دنيا المال والتجارة، أو في دنيا الحكم والسياسة، بل وحتى في دنيا المعارك والحروب، ذلك أن التجرّد من الأخلاق يفقد نظام

([1]) ـ أخرجه البخاري (الأدب المفرد، رقم 6138).

([2]) ـ أخرجه البخاري: كتاب (الإيمان)، باب (أمور الإيمان)، رقم (9).

([3]) ـ أخرجه أحمد، رقم (8856). وصحّحه الألباني (صحيح الجامع، رقم 8501).

([4]) ـ أخرجه البخاري: كتاب (الصوم)، باب (من لم يدع قول الزور والعمل به في الصوم)، رقم (1903).

الحياة توازنه، فالسياسة دون أخلاق نفاق، والتجارة دون أخلاق غش وطمع وربا، وكذلك الحال بالنسبة لجميع نواحي الحياة، وهذا ما يجعل الأخلاق فريضة شرعية وضرورة بشرية.

وهكذا نرى كيف كانت دعوة النبي (صلى الله عليه وسلم) ثورة أخلاقية، ترغيبا في الفضائل، وترهيبا من الرذائل والفواحش، ولو جمعنا أقواله (عليه الصلاة والسلام) في ذلك، لخرجنا بسفر لا يعرف مثله، ومن هنا وجدنا من يعتبر بأن الإسلام رسالة أخلاقية، وأن الأخلاقية خصّيصة من خصائص الإسلام العامة مع الربانية والشمولية والإنسانية، وغيرها من الخصائص[1]، وهذا ـ لربما ـ ما يفسّر قصر النبي (صلى الله عليه وسلم) بعثته على إتمام مكارم الأخلاق حين قال: "**إنّما بعثت لأتمّم صالح الأخلاق**"[2]، فكانت دعوته إلى مكارم الأخلاق تكملة للبناء والجهد الذي قام به إخوانه الأنبياء من قبله (عليهم السلام).

المطلب الثالث ـ سياسة الأمّة: من الوظائف التي قام بها الأنبياء بناءً على الأمر الإلهي بالبلاغ، سياسة الأمة، ونقصد بها قيادتها في السلم والحرب، وتعليم أفرادها، وتدبير شؤون حياتهم، والحكم بينهم وفق مراد الله سبحانه، قال تعالى ﴿فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ﴾ [سورة المائدة:48]

والمطالع والمتأمّل في مسيرة الأنبياء، يلحظ أن الأنبياء لم يعيشوا في عزلة عن أقوامهم يبلّغون إليهم وحي الله من برج عالي!! وإنما عاشوا لأقوامهم، فجعلوا الإنسان هدفهم، وانصبّت جهودهم نحوه، من أجل هدايته والأخذ بيده، وهو الأمر الذي استلزم مخالطته، والاحتكاك به، وتعليمه، وعيش آلامه وآماله وتطلّعاته...وكلّ هذه الأمور تثبت للأنبياء هذه الوظيفة.

وقد جاءت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية للإشارة إلى هذه المهمّة التي اضطلع بها الأنبياء، ألا وهي سياسة أممهم، ومن ذلك:

1 ـ الحكم بين الناس: وهي احدى الصور والمظاهر التي تثبت للأنبياء هذه الوظيفة، وتؤكّد على الدور الاجتماعي الذي قاموا به في مجتمعاتهم، ومن ذلك تحاكم متخاصمين إلى نبيّ الله داود (عليه السلام) ، قال تعالى ﴿وَهَلۡ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلۡخَصۡمِ إِذۡ تَسَوَّرُواْ ٱلۡمِحۡرَابَ ٢١ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُۥدَ

([1]) ـ ينظر: القرضاوي: أخلاق الإسلام، مرجع سابق، ص 49.

([2]) ـ سبق تخريجه، ينظر(ص52).

فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَىٰ سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴾ [سورة ص:21 ـ 22]

فتحاكم المتخاصمين إلى نبي الله داود (عليه السلام) تبيّن بأنه كان مرجعا في قومه[1]، لذلك جاءه التذكير الإلهي بعد حادثة التقاضي بضرورة الحكم بالحقّ بين الناس، وعدم اتّباع الهوى، قال تعالى ﴿ يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴾ [سورة ص:26]

ومن ذلك أيضا قضاء رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لرجلين تحاكما إليه، وهي الحادثة التي سجّلها القرآن الكريم، والتي تكشف عن الدور الاجتماعي الذي كان يلعبه النبي (عليه الصلاة والسلام) في مجتمعه، قال تعالى ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ ۚ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا ﴾ [سورة النساء:105]

فهذه الآية نزلت في خصومة وقعت بالمدينة، بسبب سرقة درع لرجل من الأنصار، وكان المتّهم فيها طعمة بن أبيرق[2]، فلما رفعت القضية إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وسمع المتّهم بذلك، أخذ الدرع الذي سرقه ووضعه في بيت رجل يهودي بريء، من أجل نفي التهمة عنه، ثم اشتكى بعدها أهله وعشيرته إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من الاتّهام الذي لفّق لأحد أفرادهم وهو منه بريء، وبأن الضحية لفّق له التهمة دون بيّنة ولا تثبّت، فلام النبي (صلى الله عليه وسلم) أهل الضحيّة على ذلك، وحذّرهم من اتّهام الأشخاص دون تثبّت، فنزلت هذه الآية التي ثبّتت التهمة

([1]) ـ يعتبر نبي الله داود (عليه السلام) من الأنبياء الذين جمعوا بين الملك والنبوّة، حيث كان ملكا على بني إسرائيل، قال تعالى في معرض الحديث عن الصراع بين داود (عليه السلام) وجالوت ﴿ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ ﴾ [سورة البقرة:251]

([2]) ـ طعمة بن أبيرق: وهو من أهل بيت يقال لهم بنو أبيرق: بشر ومبشّر وبشير، وكان بشير رجلا منافقا، يقول الشعر يهجو به أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم). ينظر: تفسير الطبري:459/7.

لطعمة بن أبيرق، وأمرت النبي (صلى الله عليه وسلم) بأن يحكم بين الناس وفق مراد الله سبحانه، بصرف النظر عن معتقداتهم وأديانهم[1].

والشاهد من هذه الحادثة التي سجّلها القرآن العظيم، أنه (عليه الصلاة والسلام) كان يقوم بدور القاضي في الحكم بين الناس، مما يدلّ على المنزلة التي كان يتمتّع بها في مجتمعه، حيث كان مرجعا يرجع إليه الناس في نزاعاتهم، حتى أن اليهود كانوا يتحاكمون إليه عند الاختلاف، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك، قال تعالى ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ ۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ۖ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا ۖ وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [سورة المائدة:42]

وهذه الآية تحكي استفتاء اليهود رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في عقوبة الزاني، فأفتاهم بما هو موجود عندهم في التوراة، ألا وهو الرجم[2]. وقد أكّد الله سبحانه وتعالى على تحاكم اليهود إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بعد هذه الآية مباشرة، فقال جلّ في علاه ﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[سورة المائدة:43]

وهكذا نرى كيف كان النبي (صلى الله عليه وسلم) يقوم بدور القاضي في الحكم بين الناس، وهو الدور الذي يؤكّد على الوظيفة المحورية للأنبياء في مجتمعاتهم، ذلك أنهم لم يعيشوا بمعزل عن قضايا أممهم وأقوامهم، وإنما كانوا يعيشون بينهم، ويعالجون قضاياهم ومشاكلهم، وما هذا التحاكم والاستفتاء إلا خير شاهد على ذلك.

2 ـ قيادة أقوامهم في الحروب والمعارك: وهذه صورة أخرى توضّح الدور الاجتماعي الذي كان يقوم به الأنبياء، حيث نجدهم يقودون أقوامهم حال المعارك والحروب، وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم مع

([1]) ـ تفسير ابن كثير:4/259 ـ 266.

([2]) ـ تفسير الطبري:8/435 ـ 437. صحيح البخاري: كتاب (المناقب)، باب (قول الله تعالى﴿ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [سورة البقرة:146])، رقم(3635).

غير واحد من الأنبياء، فهذا نبي الله داود (عليه السلام) يشرف على تجهيز جيشه لقتال عدوّه "جالوت"، ويجعل من الملك "طالوت" قائدا على الجيش، إلى أن تمّ له النصر، قال تعالى ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ﴾ [سورة البقرة:251]

وهذا الدور الذي قام به نبي الله داود (عليه السلام)، نجده مع النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) الذي قاد معارك كثيرة ضدّ أعدائه، حيث كان قاضيا ومصلحا ومعلّما حال السلم، وقائدا وزعيما لا يشقّ له غبار حال المعارك والحروب، حتى أن القرآن الكريم كان يتوجّه إليه بالخطاب أحيانا بوصفه "رجل حرب"، نستشفّ ذلك من قوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِاْئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ [سورة الأنفال:65]

كما نجد هذا الدور في قوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [سورة الأنفال:70]

وهكذا نرى كيف قاد الأنبياء أقوامهم لقتال أعدائهم، وهو الدور الذي يُثبت أنهم كانوا قادة وزعماء حال الحرب، كما كانوا مصلحين وقضاة ومعلّمين حال السلم.

3 ـ تعليم أممهم: وهو من الأدوار التي قام بها الأنبياء، بناء على الأمر الإلهي بالبلاغ، وهو الدور الذي يعكس مدى اهتمام النبيّ بقومه، ومدى حرصه عليهم[1]، قال تعالى ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى

[1] ـ وقد كان الأنبياء حريصين على هداية أقوامهم، قال تعالى ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [سورة التوبة:128]

ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [سورة آل عمران:164]

فالتعليم أحد الأدوار التي قام بها الأنبياء مع أقوامهم، والتي تدخل ضمن الوظيفة الكبرى المتمثّلة في سياسة الأمّة، وهو من مستلزمات البعثة، ذلك أنه لا يمكن تصوّر بعثة دون بلاغ، ولا يمكن تصوّر بلاغ دون تعليم. والتعليم الذي قام به الأنبياء خاصّ بالشرائع التي شرّعها الله لكلّ أمّة[1]، حيث كان الأنبياء يعلّمون أقوامهم تلك الشرائع، وهذا ما أشار النبي (صلى الله عليه وسلم) في معرض حديثه عن أنبياء بني إسرائيل، حين قال: " **كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلّما هلك نبيّ خلفه نبيّ**..."[2].

وهكذا نرى كيف عاش الأنبياء وسط مجتمعاتهم، من أجل تنظيم شؤون حياتهم، ورعاية مصالحهم، وما هذه الأدوار الاجتماعية المتعلّقة بالفتيا، والقضاء، وإصلاح ذات البين، والتعليم، وغيرها من الأدوار الاجتماعية إلا خير شاهد على ذلك.

ومن خلال هذه المحاور الثلاثة (العقائد، الأخلاق، الشرائع) التي اشتغل عليها الأنبياء، نلمح خاصيتين تميّزت بهما وظائف النبوّة في الإسلام:

1 ـ تعدد وظائف النبوّة: لم تنحصر أدوار الأنبياء في الإسلام في جانب دون آخر، فلم يكن دور الأنبياء مقتصرا على تصحيح المعتقدات والتصوّرات فحسب، وإنّما كانت لهم أدوار اجتماعية وسياسية تتعلّق بالدعوة إلى مكارم الأخلاق، ونبذ رذائلها، ومحاربة الآفات الاجتماعية، وقيادة أممهم حال السلم والحرب، وقد كان تغليب النبيّ لجانب على آخر، أو التركيز على جانب أكثر من الجانب الآخر، يخضع لطبيعة البيئة، وتحدّيات المرحلة، حيث كان العصر الذي يعيش فيه النبيّ يترك طابعه على نبوّته، فيشكّل له تجربته النبويّة، ويحدّد له وظائفه. ولعلّ هذا هو السبب في اختلاف التجارب النبويّة وتنوّعها، رغم الوحدة الأساسية التي تجمعها.

([1]) ـ حيث كان لكلّ أمّة شريعة خاصّة بها، قال تعالى ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾[سورة المائدة:48]

([2]) ـ صحيح البخاري: كتاب الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، رقم(3455).

2 ـ تكامل وظائف الأنبياء: لم تكن المهام التي قام بها الأنبياء ـ رغم تنوّعها ـ مستقلّة عن بعضها البعض، بل إنّها كوّنت في النهاية وحدة وظائفية تربط بعضها ببعض في سلسلة واحدة ذات حلقات متعدّدة[1].

وبهذه الوظائف المتعدّدة والمتكاملة أصبح الأنبياء منارات للهدى والخير لأقوامهم، وهذا ما يدلّ على محوريّتهم داخل مجتمعاتهم من جهة، وعلى شمولية وظيفتهم لنواحي الحياة من جهة أخرى. كلّ ذلك من أجل إقامة الحجّة على البشرية، وحتى لا يكون للناس من عذر يوم القيامة، قال تعالى في معرض حديثه عن أنبيائه ورسله ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [سورة النساء:165]

(1) ـ أحمد المشرقي: النبوة في الأديان الكتابية، دار الجيل ـ بيروت، ط1: 2004، ص 87.

المبحث الرابع

الإساءة للأنبياء في الإسلام

إن الحديث عن موقف الإسلام في أي مسألة من المسائل تنبع من نظرته له، ذلك أن الحكم على الشيء فرع عن تصوّره، ومن هنا فإن موقف الإسلام من الإساءة للمقدّسات عموما وللأنبياء خصوصا تنبع من نظرته للنبوّة والأنبياء، فلا يمكن أن نفهم موقف الإسلام من الإساءة إليهم، إلا بعد الحديث عن نظرته لمقام النبوة ولمكانة الأنبياء.

وعليه سيدور الحديث في هذا المبحث حول مطلبين:

المطلب الأول ـ مكانة الأنبياء في الإسلام

المطلب الثاني ـ حكم الإساءة للأنبياء

المطلب الأول ـ مكانة الأنبياء في الإسلام: تحدّثنا في المباحث السابقة من هذا الفصل عن مفهوم النبوّة، وصفات الأنبياء، ووظائفهم، ورأينا كيف أن الأنبياء في الإسلام يحظون بمنزلة رفيعة، ومقام "مقدّس"، وهذا للاعتبارات الآتية:

أولا ـ الاصطفاء الإلهي: فالأنبياء بشر اصطفاهم الله تعالى، واختارهم من بين خلقه لتبليغ رسالته إليهم، قال تعالى ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ﴾ [سورة الحج:75]

ثانيا ـ التميّز البشري: على الرغم من أن الأنبياء ينتمون إلى النوع البشري، ومن جنس البشر، إلا أنهم يتميّزون عنهم بجملة من الصفات والخصائص أهّلتهم لبلوغ هذه المنزلة "المقدّسة"، ومن أهمّها وأبرزها العصمة، والتي جعلت منهم قدوة، ومثلا أعلى للبشر، قال تعالى ﴿وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِمۡ فِعۡلَ ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِۖ وَكَانُواْ لَنَا عَٰبِدِينَ﴾ [سورة الأنبياء:73]

الباب الثاني

الفصل الثالث ـ نظرة الإسلام للإساءة للأنبياء

ثالثا ـ شرف الوظيفة: يعدّ الأنبياء سفراء الله في أرضه، ووسائطه للبشر، والمبلّغون لوحيه ورسائله، ولما كانوا كذلك فإنهم نالوا شرف هذه المنزلة بشرف مهام النبوّة ووظائفها.

ونتيجة لهذه الاعتبارات الثلاثة، التي تجعل من مقام النبوّة مقاما مقدّسا[1]، نجد الإسلام يجعل الإيمان بالأنبياء والرسل ركنا من أركان الإيمان، وأصلا من أصوله، في إشارة إلى منزلة الأنبياء المقدّسة، قال تعالى ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران:84]

وفي حديث جبريل(عليه السلام) لما سأل النبي (صلى الله عليه وسلم) عن الإيمان، أجابه (عليه الصلاة والسلام) بقوله: "**أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشرّه**"[2]. ونلاحظ كيف أدرج النبي (عليه الصلاة والسلام) الإيمان بالرسل ضمن أركان الإيمان الستّة، بحيث لا يكون الإنسان مؤمنا إلا إذا آمن بجميع الأركان، وأي كفر بركن واحد يجعل صاحبه خارج دائرة الإيمان والمؤمنين[3]، قال تعالى ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [سورة النساء:136]

كما أن عدم الإيمان بالرسل، أو عدم الإيمان ببعضهم يجعل صاحبه خارج دائرة الإيمان، حتى ولو كان مؤمنا بالله، لأن الإيمان بالرسل هو من مقتضيات الإيمان بالله، فإذا انتفى الإيمان بالرسل، انتفى الإيمان بالله، قال تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾[سورة النساء:150] ، يقول القرطبي في تفسيره لهذه الآية: "نصّ سبحانه على أن التفريق بين الله ورسله كفر، وإنّما كان كفرا لأنّ

---

(1) ـ فقدسية الأنبياء في الإسلام مستمدّة من هذه الاعتبارات الثلاث.

(2) ـ صحيح مسلم: كتاب (الإيمان)، باب (بيان معرفة الإيمان، والإسلام، والقدر، وعلامة الساعة)، رقم(1).

(3) ـ تفسير المنار:5/459 ـ 460.

الله فرض على الناس أن يعبدوه بما شرعه على ألسنة الرسل، فإذا جحدوا الرسل ردّوا عليهم شرائعهم، ولم يقبلوها منهم، فكانوا ممتنعين من التزام العبودية التي أمروا بالتزامها، فكان كجحد الصانع سبحانه، وجحد الصانع كفر لما فيه من ترك التزام الطاعة والعبودية، وكذلك التفريق بين الله ورسله"[1]. فهذا الارتباط الوثيق بين الإيمان بالله والإيمان بالرسل، جعل الأنبياء يحظون بهذه المنزلة المقدّسة.

إن من مقتضيات الإيمان بالرسل، عدم التفريق بينهم، وقد بيّن سبحانه وتعالى ذلك حين قال، في معرض حديثه عن الإيمان الصحيح الذي يتّصف به عباده المؤمنين﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمۡ يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ أُوْلَٰٓئِكَ سَوۡفَ يُؤۡتِيهِمۡ أُجُورَهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ [سورة النساء:152]

وإذا كان الإسلام يعتبر الإيمان بالأنبياء جميعا من أوجب الواجبات[2]، لأنه ركن من أركان الإيمان، وأساس من أساساته، والتفريق بينهم محرّم، والإيمان ببعضهم والكفر بالبعض الآخر يجعل صاحبه خارج دائرة الإيمان، فإنه يعتبر ـ نتيجة لذلك ـ التطاول على أحدهم، أو الإساءة إليه ـ يعني بالضرورة ـ تطاولا عليهم جميعا، وإساءة إلى مقام النبوة الذي يقفون عليه، وهذا لاشتراكهم في ثلاثة أصول ومبادئ:

1 ـ وحدة المصدر: ونقصد بذلك أن اصطفاء الأنبياء، وتكليفهم بالرسالة يرجع إلى مصدر واحد، ألا وهو الله جلّ جلاله، حيث أوحى سبحانه إلى جميع أنبيائه ورسله عن طريق ملك الوحي جبريل (عليه السلام)، وأمرهم بتبليغ رسالته لخلقه.

وقد جاءت الآيات القرآنية لبيان هذا الأصل الذي يشترك فيه جميع الأنبياء من آدم إلى محمد (عليهم الصلاة والسلام)، قال تعالى:

([1]) ـ تفسير القرطبي:205/7. تفسير الألوسي:4/6 ـ 5.

([2]) ـ والقول بوجوب الإيمان بالأنبياء يقتضي احترامهم وتبجيلهم جميعا، فذلك من باب أولى.

﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا﴾ [سورة النساء:163]

وقال سبحانه ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾ [سورة النحل:36]

وقال أيضا ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَنزَلۡنَا ٱلۡحَدِيدَ فِيهِ بَأۡسٞ شَدِيدٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ﴾ [سورة الحديد:25]

ونلاحظ أن كلمات "أوحينا"، "بعثنا"، "أرسلنا"، "أنزلنا"، كلّها توحي بأن الأنبياء يرجعون إلى مصدر واحد، وينطلقون من مشكاة واحدة.

ويؤكّد على هذا المبدأ أيضا، آية أخرى في موضوعها، وهي الآية التي كان النبي (صلى الله عليه وسلم) يذكرها في رسائله إلى الملوك في دعوتهم للإسلام، وهي قوله تعالى ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران:64]

فالنبي (صلى الله عليه وسلم) في عرضه لدين الإسلام على ملوك ورؤساء العالم، كان يذكّرهم ـ من خلال هذه الآية ـ بالأصل الجامع الذي يرجع إليه جميع الأنبياء، ويشتركون فيه، وينطلقون منه، وهو الأصل المتّفق عليه عند جميع الناس[1].

ولما كان مصدر الأنبياء واحدا، كانت وظائفهم ـ تبعا لذلك ـ واحدة، حيث اشتركوا في تبليغ ما كلّفوا به من الدعوة إلى توحيد الله، والحثّ على مكارم الأخلاق، ورعاية مصالح البشر.

2 ـ تكامل الرسالات: الأنبياء والرسل وان اختلفت أعدادهم، وتباعدت أزمانهم وعصورهم، فهم إخوة متضامنون متكافلون، لأنهم يخرجون من مشكاة واحدة، ويؤدّون رسالة واحدة، وفي ذلك يقول النبي (صلى الله عليه وسلم) في تصويره لقوّة الرابطة التي تجمع بين الأنبياء: "**أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة، والأنبياء إخوة لعلّات، أمّهاتهم شتى ودينهم واحد**"[2].

ولما كان الأنبياء إخوة جاءت رسالاتهم متكاملة، فلم يكن بينها أدنى تناقض، أو تنافر، قال تعالى ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِىٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِىٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ﴾ [سورة الشورى:13]

كما أشار النبي (صلى الله عليه وسلم) إلى هذا التكامل بين الرسالات السماوية بقوله: "**إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله، إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون: هلا وُضعت هذه اللبنة؟ فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين**"[3].

([1]) ـ تفسير ابن كثير:82/3 ـ 84. عبد الحق ابن عطية: المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام محمّد، دار الكتب العلمية ـ بيروت، ط1: 2001، ج1، ص 448. أحمد المراغي: تفسير المراغي، مطبعة مصطفى البابي ـ مصر، ط1: 1946، ج3، ص 174 ـ 175. تفسير المنار:325/3 ـ 328.

([2]) ـ صحيح البخاري: كتاب (الأنبياء)، باب (قوله تعالى ﴿وَٱذۡكُرۡ فِى ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ﴾ [سورة مريم:16])، رقم (3443).

([3]) ـ صحيح البخاري: كتاب (المناقب)، باب (خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم)، رقم (3535).

3 ـ وحدة الدين: لما كان مصدر الرسالات واحد، وغايتها واحدة، كان من المنطقي أن يكون دين الأنبياء واحد من لدن سيدنا آدم إلى محمد (صلى الله عليه وسلم)، فجميعهم دعا إلى دين واحد "لا تختلف أصوله ولا تتعدد أغراضه كشجرة واحدة جذورها وروحها توحيد الله، وجذعها عبادته وحده دون سواه، وأغصانها أنظمته وشرائعه المحققة لسعادة البشرية، وثمارها وأزهارها قد تتعدد أشكالها وألوانها وطعومها حسب الأمزجة المختلفة والأزمنة المتغيّرة والمصالح المتجددة"[1].

وقد عنون القرآن الكريم للدين الموحد بكلمة (الإسلام)، والإسلام في لغة القرآن "ليس اسما لدين خاص، وإنما هو اسم للدين المشترك الذي هتف به كل الأنبياء، وانتسب إليه كل أتباع الأنبياء"[2]، وهذا المعنى نجده في آيات كثيرة:

فنبي الله نوح (عليه السلام) قال لقومه ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[سورة يونس:72]

وبهذا أوصى نبي الله إبراهيم (عليه السلام) بنيه، وكذلك الحال بالنسبة لحفيده يعقوب(عليه السلام) الذي أوصى بنيه من بعده بدين الإسلام، قال تعالى ﴿وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [سورة البقرة: 132 ـ 133]

كما نجد نبي الله موسى (عليه السلام) يقول لقومه ﴿يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾ [سورة يونس: 84]

ونجد الحواريين يقولون لعيسى ﴿آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾

(1) ـ وهبة الزحيلي: نظام الإسلام، دار ابن قتيبة . بيروت، ط2: 1993، ص 55.

(2) ـ عبد الله دراز: الدين، مطبعة الحرية ـ بيروت، ص 175.

[سورة آل عمران:52]

بل إن فريقا من أهل الكتاب حين سمعوا القرآن ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلِهِۦ مُسۡلِمِينَ﴾ [سورة القصص:53]

وهكذا نرى أن الإسلام شعار عام يدور على ألسنة الأنبياء جميعا، ومن هنا فإن الدين الذي جاء به سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) ليس دينا جديدا ـ في جوهره ـ وإنما هو دين الأنبياء من قبله[1]، ومن الآيات التي تؤكد على هذا المعنى قوله تعالى ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [سورة العنكبوت: 46]

وفي آية أخرى نجد القرآن الكريم يتحدث عن جوهر دعوة الأنبياء جميعا، قال تعالى ﴿مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدۡ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبۡلِكَۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٖ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٖ﴾[سورة فصلت: 43]

والمتأمل للقرآن الكريم، يجد أن كلمة "الدين" لم تأت بصيغة الجمع "أديان" على الإطلاق[2]، وإنما هو دين واحد (عقيدة واحدة) تعددت رسالاته ورسله، فالذي تلقاه خاتم الأنبياء (محمد صلى الله عليه وسلم) هو في جوهره ما تلقاه الرسل من قبله، ذلك أن جوهر وروح الرسالات السماوية واحد ألا وهو التوحيد كما دلّ على ذلك قوله تعالى ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾[سورة النحل:36]

وقوله تعالى ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [سورة الأنبياء:25]

([1]) ـ عبد الله دراز: الدين ، مرجع سابق، ص 176.

([2]) ـ عائشة عبد الرحمن: القرآن وقضايا الإنسان، دار المعارف . القاهرة، ص 100.

الفصل الثالث ـ نظرة الإسلام للإساءة للأنبياء

وبما أن السنة النبوية هي التطبيق العملي للبلاغ القرآني، رأينا احتفاء رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بكل الأنبياء والرسل، فالوحي الذي جاء به هو ذاته الوحي الذي أوحاه الله إلى سلفه من أصحاب الرسالات، فالأنبياء جميعا أبناء دين واحد وشرائع متعددة، وفي ذلك يقول (صلى الله عليه وسلم): "...**والأنبياء إخوة لعلّات، أمّهاتهم شتى ودينهم واحد**"[1].

إن هذه المبادئ الثلاثة (وحدة المصدر، تكامل الرسالات، وحدة الدين) تشكّل الأساس الذي يقوم عليه مقام النبوّة في الإسلام[2]، وهو المقام الذي جعل الإيمان بالأنبياء والرسل جميعا ـ دون تفريق ـ عقيدة من عقائد الإسلام، تستلزم احترامهم وتعظيمهم وتبجيلهم، وتحظر وتحرّم التطاول على أحدهم أو الإساءة إليه، لأنه يعدّ انتهاكا لما يجب تعظيمه، وتطاولا على مقام النبوّة الذي يجمعهم، بل هو تطاول على أصل من أصول الإيمان، وعقيدة من عقائد الإسلام، ومقدّس من مقدّساته، وأي إساءة إلى مقدّس من مقدّساته، هي بالضرورة إساءة لجميع المقدّسات.

ومن خلال ما سبق يتبيّن لنا أن الأنبياء في الإسلام يتمتّعون بمنزلة مقدّسة، وهي المنزلة التي نستشفّها من خلال:

أ/ اصطفاءهم الإلهي

ب/ تميّزهم البشري (العصمة)

ج/ شرف وظيفتهم (تبليغ وحي الله)

وهذه الأمور الثلاثة أهّلتهم لأن يكونوا ركنا من أركان الإيمان، وعقيدة من عقائد الإسلام، أوجبت في حقّهم الإيمان والاحترام والتقدير، وحرّمت في حقّهم الإساءة والتطاول، وهذا ما سنتحدّث عن حكمه في المطلب الثاني من هذا المبحث.

المطلب الثاني ـ حكم الإساءة للأنبياء: تحدّثنا في المطلب السابق عن مركزية الأنبياء في المنظومة العقدية الإسلامية، ورأينا كيف أن الإسلام بلغ من تقديسه للأنبياء أن جعل الإيمان بهم من

([1]) ـ سبق تخريجه، ص 299.

([2]) ـ وهذا بصرف النظر عن التفاضل بينهم، لأنه تفاضل في الخصائص والفضائل، ولا علاقة له بمقام النبوة. وقد تحدّثنا عن ذلك في المبحث الأول من هذا الفصل، فليراجع.

مستلزمات الإيمان الإسلامي، وعقيدة من العقائد الثابتة، وهذا وحده كاف للدلالة على المنزلة التي يحظى بها الأنبياء في دين الإسلام.

ومن هنا فإن الحديث عن حكم الإساءة للأنبياء في الإسلام، هو حديث عن حكم الإساءة لمقدّس من المقدّسات.

وتعتبر الإساءة للأنبياء سنة من السنن الجارية التي تدخل ضمن سنّة كونية، ألا وهي "سنّة التدافع"، قال تعالى ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾[سورة الأنعام:112]

يقول ابن كثير[1] في تفسير هذه الآية: "وكما جعلنا لك يا محمّد أعداء يخالفونك، ويعادونك، ويعاندونك، جعلنا لكلّ نبي قبلك أعداء، فلا يحزنك ذلك كما قال تعالى ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِي الْمُرْسَلِينَ﴾ [سورة الأنعام:34]، وقال تعالى ﴿مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾ [سورة فصلت:43]، وقال تعالى ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ [سورة الفرقان:31]. وقال ورقة بن نوفل[2] لرسول الله (صلى الله عليه وسلم): إنه لم يأت أحد بمثل ما

(1) ـ ابن كثير(701 ـ 774هـ/1302 ـ 1373م): إسماعيل بن عمر بن كثير بن صو بن درع القرشي البصروي ثم الدمشقي، حافظ ومؤرخ وفقيه، ولد بالشام. من أهم كتبه: "تفسير القرآن العظيم"، "البداية والنهاية"، "طبقات الفقهاء الشافعيين". ينظر: الزركلي: الأعلام: 320/1.

(2) ـ ورقة بن نوفل: وهو ابن عمّ خديجة (رضي الله عنها) زوج النبي (صلى الله عليه وسلم)، اختلف العلماء في صحبته، وهل يعدّ من الصحابة أم لا؟ ينظر: الزركلي: الأعلام: 115/8.

جئت به إلا عودي[1]. وقوله﴿شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ﴾[سورة الأنعام:112] بدل من﴿عَدُوّٗا﴾أي: لهم أعداء من شياطين الإنس والجنّ..."[2].

وقال ابن عاشور: "...وأن عداوة أمثالهم لمثله سنّة من سنن الله تعالى في ابتلاء أنبيائه كلّهم، فما منهم أحد إلا كان له أعداء، فلم تكن عداوة هؤلاء للنبي (صلى الله عليه وسلم) بدعا من شأن الرسل. فمعنى الكلام: ألست نبيّا؟ وقد جعلنا لكلّ نبيّ عدوّا"[3].

وقد تحدّثنا في الفصل الأول من الباب الأول عن معاني الإساءة، وقلنا أنه يعبّر عنها بعدّة ألفاظ، منها: السبّ، والشتم، والإهانة، والتطاول، والأذى، الطعن، الازدراء، السخرية، القذف، التجديف، التهكّم، الاستخفاف...وغير ذلك من الألفاظ والمصطلحات التي تشترك في معنى واحد، ألا وهو إيقاع الضرر، والذي يأخذ أشكالا متعدّدة، مثل الرسوم الكاريكاتورية، أو العروض المسرحية، أو الأفلام السينمائية، أو المقالات، أو حرق الصور، ونحو ذلك، وكلّها تعبّر عن الإساءة.

وقبل الحديث عن حكم الإساءة للأنبياء في الإسلام كان لا بدّ من بيان آثار الإساءة التي تتعلّق بها عدّة حقوق:

أولا ـ حقّ الله جلّ جلاله: حيث أن أي انتقاص أو سخرية أو استهزاء بالأنبياء هي إساءة بالضرورة لله سبحانه وتعالى الذي أرسل الرسل وأنزل معهم الكتب، فكان الطعن في الرسول طعنا في المرسل، وإنكارا لكلامه وأمره وخبره وكثير من صفاته، يقول ابن تيمية: "لأن حقّ الأنبياء تابع لحقّ الله، وإنّما عظّمت الوقيعة في أعراضهم لما يتضمّن ذلك من الكفر والوقيعة في دين الله وكتابه ورسالته"[4].

ثانيا ـ حقّ الأنبياء (عليهم السلام): فالأنبياء من حيث كونهم أشخاص وبشر يؤذيهم ما يؤذي البشر، ذلك أن الإنسان يتأذّى بالكلمة أكثر مما يتأذّى بالاعتداء على جسده أو ماله، وقد تحدّثنا

([1]) ـ صحيح البخاري: كتاب (التعبير)، باب (أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة)، رقم (6982).

([2]) ـ تفسير ابن كثير: 138/6.

([3]) ـ التحرير والتنوير: 8/8.

([4]) ـ ابن تيمية: الصارم المسلول، ص 328.

في المبحث الثاني من هذا الفصل، وقلنا أن الأنبياء يعتريهم ما يعتري البشر من الحزن والخوف والألم، ونحو ذلك.

ثالثا ـ حقّ جمهور المؤمنين: ونقصد بهم الذين يؤمنون برسالة الأنبياء، ويعيشون لها وبها، ويحيون من أجلها، ويموتون عليها، ولا شكّ أن الإساءة للأنبياء تعدّ تطاولا صارخا على حقّ هؤلاء المؤمنين في حرّية المعتقد، واعتداء على مشاعرهم، لما للأنبياء من قداسة عندهم، وهي القداسة التي تجعل الإساءة إليهم، أو لآبائهم، أو لأبنائهم أهون من الإساءة للأنبياء.

ولما كانت الإساءة للأنبياء اعتداء على حقّ الله سبحانه وتعالى، وتعدّيا على حقوق المؤمنين، وتطاولا على شخص النبيّ، اعتبرها الإسلام جرما عظيما، وفعلا شنيعا، وهذا ما نستشفّه من خلال الآيات القرآنية التي تناولت حكم الإساءة، ومن ذلك:

1 ـ قوله تعالى ﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [سورة التوبة:61]

وهذه الآية تحكي عن الإساءة التي كان يتعرّض لها النبي (صلى الله عليه وسلم) من طرف المنافقين، حيث اتّهموه بأنه "كالأذن في تلقّي المسموعات، لا يردّ منها شيئا، وهو كناية عن تصديقه بكلّ ما يسمع من دون تمييز بين المقبول والمردود"[1].

كما تحدّثت هذه الآية بعد ذلك عن عواقب إيذاء النبي (صلى الله عليه وسلم)، والحكم المترتّب عن هذا الجرم الشنيع، وهو العذاب الأليم. ولا شكّ أن عظم العقوبة يدلّ على عظم الجرم وشناعته وفظاعته.

ومن هنا كان أي فعل فيه الإساءة لمقام الأنبياء بأي وسيلة كانت، يعدّ جرما تترتّب عليه العقوبة سالفة الذكر[2].

([1]) ـ التحرير والتنوير:242/10.

([2]) ـ يستوي حكم الإساءة للأنبياء مع حكم الإساءة للنبي (صلى الله عليه وسلم)، ذلك أن الإساءة إليه (عليه الصلاة والسلام) هي إساءة لمقام النبوّة الذي يشترك فيه جميع الأنبياء. ينظر: القاضي عياض: الشفاء، ص302 .

2 ـ قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [سورة الأحزاب:57]

وهذه الآية تضمّنت وعيدا شديدا لمن آذى الله ورسوله (صلى الله عليه وسلم)[1]، بأيّ نوع من أنواع الأذى، كالاستهزاء والسخرية والتهكّم، وغير ذلك، وهو الوعيد المتمثّل في اللعنة في الدنيا والآخرة[2]، والعذاب المهين[3]، ولم يجئ العذاب المهين في القرآن الكريم إلا في حقّ الكفّار[4].

قال القرطبي: "وقد ميّز الله تعالى بين أذاه وأذى الرسول، وأذى المؤمنين، فجعل الأول كفرا، والثاني كبيرة"[5]. حيث "أطلق إيذاء الله ورسوله، وقيّد إيذاء المؤمنين والمؤمنات، لأن إيذاء الله ورسوله لا يكون إلا بغير حقّ أبدا، وأما إيذاء المؤمنين والمؤمنات، فمنه، ومنه"[6].

3 ـ قوله تعالى ﴿يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ﴾ [سورة التوبة:64 ـ 66]

فهذه الآية تدلّ صراحة على أن الاستهزاء بآيات الله، أو برسوله (صلى الله عليه وسلم) هو كفر، يجعل صاحبه خارج دائرة الإيمان. يقول ابن تيمية: "فهؤلاء لما تنقّصوا النبي (صلى الله عليه وسلم)

([1]) ـ والقرن بين أذى الله ورسوله كان للإشارة إلى أن أذى الرسول (صلى الله عليه وسلم) يغضب الله تعالى، وبالتالي فهو أذى لله.

([2]) ـ واللعن هو الإبعاد عن رحمة الله تعالى، وتحقير الملعون، فهم في الدنيا محقرون، ومحرومون من لطف الله وعنايته، وفي الآخرة محقرون بالإهانة في الحشر في النار. ينظر: التحرير والتنوير:104/22.

([3]) ـ والعذاب المهين هو عذاب جهنّم، وسمّي بالمهين لأنه مشوب بتحقير وخزي، فضرره وأذاه نفسي معنوي، ولا شكّ أن الضرر النفسي أشدّ إيلاما من الضرر الجسدي. ينظر: التحرير والتنوير:104/22.

([4]) ـ ابن تيمية: الصارم المسلول، ص 57. وقد ذكر(ابن تيمية) الأدلّة على استحقاق الكفار للعذاب المهين، وأنه خاصّ بهم، بخلاف العذاب العظيم الذي يشملهم وغيرهم. ينظر(ص 403 ـ 404 من المرجع نفسه).

([5]) ـ تفسير القرطبي:226/17.

([6]) ـ تفسير الزمخشري: 97/5.

حيث عابوه والعلماء من أصحابه، واستهانوا بخبره، أخبر الله أنهم كفروا بذلك إن قالوه استهزاء، فكيف بما هو أغلظ من ذلك؟"[1].

وقد نزلت هذه الآية في غزوة تبوك، لما قال بعض المنافقين ممّن كان مع النبي (صلى الله عليه وسلم) على سبيل الاستهزاء والتهكّم: "أيرجوا هذا الرجل أن يفتح قصور الشام وحصونها، هيهات هيهات له ذلك، فأطلع الله نبيّه على ذلك، فقال نبي الله (صلى الله عليه وسلّم): احبسوا عليّ الركب، فأتاهم فقال: قلتم كذا وكذا، فقالوا: يا رسول الله، إنما كنّا نخوض ونلعب، فأنزل الله هذه الآية"[2].

قال أبو بكر بن العربي: "لا يخلو أن يكون ما قالوه من ذلك جدا أو هزلا، وهو كيف ما كان كفر، فإن الهزل بالكفر كفر، لا خلاف فيه بين الأمّة، فإن التحقيق أخو العلم، والهزل أخو الباطل والجهل"[3].

وهكذا نرى أن الإسلام يعتبر الإساءة للمقدّسات عموما، وللأنبياء على وجه الخصوص بأيّ شكل من الأشكال ناقض من نواقض الإسلام. وقد بيّن الله سبحانه وتعالى في آيات كثيرة أن هذا الفعل (الإساءة للمقدّسات) من أخلاق وصفات غير المسلمين (من الكفار والمنافقين)، ومن ذلك:

قوله تعالى ﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِي يَذۡكُرُ ءَالِهَتَكُمۡ وَهُم بِذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ هُمۡ كَٰفِرُونَ﴾ [سورة الأنبياء:36]

وقال تعالى ﴿وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ فَأَمۡلَيۡتُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ثُمَّ أَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ﴾ [سورة الرعد:32]

وقال في موضع آخر ﴿ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمۡ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُواْ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَرُسُلِي هُزُوًا﴾ [سورة الكهف:106]

([1]) ـ ابن تيمية: الصارم المسلول، ص 32 ـ 33.

([2]) ـ علي الواحدي: أسباب النزول، تحقيق: كمال زغلول، دار الكتب العلمية ـ بيروت، ط1: 1991، ص 255.

([3]) ـ ابن العربي: أحكام القرآن، تحقيق: محمد عطا، دار الكتب العلمية ـ بيروت، ط3: 2003، ج2، ص 543.

إن هذه الآيات التي ترتّب الوعيد الشديد، من اللعن، والعذاب النفسي والجسدي على الاستهزاء والسخرية بآيات الله وبرسوله (صلى الله عليه وسلم)، وتبيّن بأن فعل الإساءة ناقض من نواقض الإسلام، وبأنه من صفات الكفار والمنافقين، تعبّر عن موقف الإسلام من الإساءة للمقدّسات عموما، ولمقام الأنبياء خصوصا، وكيف أن الإسلام يعتبر الإساءة جرما عظيما، وفعلا شنيعا، لأنه مساس بمقدّس من المقدّسات، وما هذه الأحكام المترتّبة عليه إلا خير دليل على ذلك.

إن الحديث عن حكم الإساءة للأنبياء في الإسلام يدفعنا إلى الحديث عن حكم فاعلها(المسيء)[1]، والذي يختلف بحسب المسيء الذي ينقسم إلى قسمين: مسلم، وغير مسلم.

أولا ـ المسلم: لما كان فعل الإساءة ـ كما مرّ معنا في الآيات سالفة الذكر ـ من أفعال المنافقين والكفار، نصّ فقهاء الإسلام على ردّة المسلم المسيء للأنبياء(عليهم السلام)، كون فعله هذا يعدّ ناقضا من نواقض الإسلام، وقد نقل غير واحد الإجماع على وجوب قتله إذا تعمّد الإساءة، أو جاء فعله بنيّة الإساءة، يقول ابن المنذر[2]:"...وأجمع عوام أهل العلم على وجوب القتل على من سبّ النبي (صلى الله عليه وسلم)"[3].

وقال إسحاق بن راهويه[4]: "أجمع المسلمون على أن من سبّ الله، أو سبّ رسوله (صلى الله عليه وسلم)، أو دفع شيئا مما أنزل الله، أو قتل نبيّا من أنبياء الله: أنه كافر بذلك، وإن كان مقرّا بكلّ ما أنزل الله"[5].

([1]) ـ وهذا من أجل بيان خطورة فعل الإساءة، وهذا ما نستشفّه من خلال الأحكام المترتّبة على المسيء، والتي تدلّ على فظاعة جرم الإساءة للأنبياء.

([2]) ـ ابن المنذر: هو الإمام الحافظ العلامة، شيخ الإسلام، أبو بكر محمد بن إبراهيم المنذر النيسابوري الفقيه، نزيل مكة، توفي سنة (318هـ). ينظر: الذهبي: ميزان الاعتدال، دار المعرفة ـ بيروت، ج3، ص 450.

([3]) ـ ابن المنذر: الإقناع، تحقيق: عبد الله الجبرين، مطابع الفرزدق ـ الرياض، ط1: 1988،ج2، ص 584. ابن حزم: المحلى، دار المنيرية ـ القاهرة، 1352هـ، ج11، ص415 وما بعدها.

([4]) ـ بن راهويه: هو أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن مخلد، الحنظلي المروزي، ثم النيسابوري الحافظ، توفي سنة (238هـ). ينظر: محمد البغدادي: طبقات الحنابلة، تحقيق: محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية ـ القاهرة، ط1: 1370، ج1، ص109.

([5]) ـ ابن تيمية: الصارم المسلول، ص 513.

وقال الفضيل بن عياض: "اعلم وفّقنا الله وإياك أن جميع من سبّ النبي (صلى الله عليه وسلم)، أو عابه، أو ألحق به نقصا في نفسه أو نسبه أو دينه، أو خصلة من خصاله، أو عرّض به، أو شبّهه بشيء على طريق السبّ له، أو الإزراء عليه، أو التصغير لشأنه، أو الغضّ منه، والعيب له فهو ساب له، والحكم فيه حكم الساب يقتل...وهذا كلّه إجماع من العلماء وأئمة الفتوى من لدن الصحابة ـ عليهم الرضوان ـ إلى هلمّ جرّا"[1].

وإذا تجاوزنا مسألة استتابة المسلم المسيء للأنبياء وكيفية قتله (هل يقتل حدّا أم كفرا)، واختلاف الفقهاء في ذلك[2]، فإن إجماعهم على كفره وردّته يدلّ على فظاعة جرم الإساءة وشناعته، ذلك أن عظم العقوبة يدلّ على عظم الفعل.

ثانيا ـ غير المسلم: وغير المسلم صنفان: حربي ومعاهد.

1 ـ الحربي[3]: والحربي هو من يحارب المسلمين أو ينتسب إلى قوم محاربين للمسلمين سواء كانت المحاربة فعلية، أم كانت متوقعة[4].

والأصل في هذه التسمية قوله تعالى ﴿لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [سورة الممتحنة: 8 ـ 9]

([1]) ـ القاضي عياض: الشفا، ص 932. كما نقل الإجماع على قتل المسلم المسيء للأنبياء ابن تيمية في كتابه (الصارم المسلول، ص547).

([2]) ـ ينظر تفصيل ذلك: نخبة من العلماء: الموسوعة الفقهية الكويتية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ـ الكويت، 1427، ج24، ص136.

([3]) ـ الحربي في اللغة: نسبة إلى الحرب، وهو العدو المحارب، يقال: أنا حرب لمن حاربني أي: عدو، ينظر: ابن منظور: لسان العرب: 303/1.

([4]) ـ محمد سلام مذكور: المدخل للفقه الإسلامي، دار النهضة. القاهرة، ص 64.

فالحربي إذا صدرت منه الإساءة لمقام الأنبياء بأيّ شكل من الأشكال، فقد نصّ فقهاء الإسلام على قتله، إلا إذا أسلم، يقول محمد بن سحنون[1]: "ولو بذل الحربي الجزية على إظهار السّبّ للأنبياء (عليهم السلام)، لم نقبله، وحلّ لنا دمه، فكذلك يحل دمه بالسبّ الطارئ، ويسقط القتل في السبّ بإسلامه"[2].

ويقول ابن القيّم في تدليله على حكم قتل الحربي المسيء للأنبياء (عليهم السلام)، وهذا في تعليقه على قوله تعالى ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [سورة البقرة:193]، "فمدّ قتالهم إلى أن ينتهوا عن أسباب الفتنة، وهي الشرك، وأخبر أنه لا عدوان إلا على الظالمين، والمجاهر بالسبّ والعدوان على الإسلام غير منته، فقتاله واجب إذا كان مقدورا عليه، وقتله مع القدرة حتم، وهو ظالم فعليه العدوان الذي نفاه عمن انتهى، وهو القتل والقتال، وهو بحمد الله في غاية الوضوح"[3].

واستدلّ الفقهاء على قتل الحربي المسيء للأنبياء (عليهم السلام) بحثّ النبي (صلى الله عليه وسلم) على قتل كعب بن الأشرف اليهودي الذي كان يهجوه (صلى الله عليه وسلم) وأصحابه، فقال (عليه الصلاة والسلام): "**من لكعب بن الأشرف؟ فإنه قد آذى الله ورسوله**..."[4].

والمعروف عن كعب بن الأشرف أنه كان من أشدّ الشخصيات اليهودية عداوة للإسلام والمسلمين، وكان متحالفا مع المشركين في قتالهم للمسلمين، ويذكر القاضي عياض عدّة مكائد قام بها هذا اليهودي في سبيل محاربته للدعوة الإسلامية، منها[5]:

1 ـ رثى قتلى مشركي قريش ببدر.

2 ـ التحريض على محاربة النبي (صلى الله عليه وسلم)، والإعانة على ذلك.

([1]) ـ بن سحنون: هو الإمام أبو عبد الله محمد بن سحنون المغربي المالكي، مفتي القيروان، توفي سنة (265هـ). ينظر: الذهبي: العبر في خبر من غبر، تحقيق: محمد زغلول، دار الكتب العلمية ـ بيروت، ج1، ص 381.

([2]) ـ شهاب الدين القرافي: الذخيرة، تحقيق: محمد بوخبزة، دار الغرب الإسلامي ـ بيروت، ط1: 1994، ج12، ص20.

([3]) ـ ابن القيّم: أحكام أهل الذّمة، دار رمادي للنشر ـ السعودية، ط1: 1997، ج2، ص 829.

([4]) ـ صحيح البخاري: كتاب (الجهاد والسير)، باب (الكذب في الحرب)، رقم (3031).

([5]) ـ القاضي عياض: الشفا، ص949. وينظر أيضا: ابن حجر: فتح الباري:285/7.

3 ـ زيارته لمكة، وإخبار مشركي قريش بأنه دينهم خير من دين الإسلام.

هذا فضلا عن هجائه للنبي (صلى الله عليه وسلم)، ومن معه من المؤمنين، وأذيّته المستمرة لنسائهم، فأمر النبي (صلى الله عليه وسلم) بقتله، فقتله الصحابي الجليل محمّد بن مسلمة[1].

يقول ابن تيمية: "فإنه لما ذهب إلى مكة ورجع إلى المدينة، لم يندب النبي (صلى الله عليه وسلم) المسلمين إلى قتله، فلما بلغه عنه الهجاء ندبهم إلى قتله، والحكم الحادث يضاف إلى السبب الحادث، فعلم أن ذلك الهجاء والأذى الذي كان بعد قفوله من مكة موجب لنقض عهده ولقتله"[2].

2 ـ المعاهد: والمعاهدون صنفان[3]:

أ . من لهم عهد دائم (الذميون)[4]: وهم أبناء الملل غير الإسلامية الذين حكم عقد الذمة (أي الأمان والحرمة والضمان) علاقتهم بالدولة الإسلامية والمسلمين[5]، وعلى هذا يمكن القول بأن عقد الذمة هو " عقد بمقتضاه يصير غير المسلم في ذمة المسلمين، أي: في عهدهم وأمانهم على وجه التأبيد، وله الإقامة في دار الإسلام على وجه الدوام"[6]. وهو ما يمكن تسميته بالتجنس في الوقت الحاضر[7].

([1]) ـ هو أبو عبد الرحمن، أو أبو عبد الله محمد بن مسلمة بن خالد بن عدي بن مجدعة بن حارثة بن الحارث بن خزرج بن عمرو بن عوف الأنصاري الأوسي، شهد المشاهد كلّها سوى تبوك بأمر النبي (صلى الله عليه وسلم)، اعتزل الفتنة، وتوفي بالمدينة سنة ثلاث وأربعين (43هـ)، وقيل ستّ وأربعين (46هـ)، وقيل سبع وأربعين (47هـ). ينظر: ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج5، ص 112 ـ 113.

([2]) ـ ابن تيمية: الصارم المسلول، ص79.

([3]) ـ يوسف القرضاوي: فتاوى معاصرة، المكتب الإسلامي . بيروت، ط1: 2000، ج2، ص 742.

([4]) ـ الذّمة (بكسر الذال) تطلق في اللغة على معان كثيرة ومختلفة منها: ا"لعهد" و"العقد"، يقال: رجل ذمي أي: رجل له عهد أو عقد، ينظر: ابن منظور: لسان العرب:111/5.، كما تطلق على "الأمان"، ولهذا سمي المعاهد ذميا لأنه أعطى الأمان على ذمة الجزية التي تؤخذ منه، كما تطلق على "الكفالة" و"الضمان"، ينظر: الفيومي: المصباح المنير: 225/1. كما تطلق على " الحق" و"الحرمة" فيقال: فلان له ذمة، أي حق، ينظر: الرازي: مختار الصحاح، ص 239.

([5]) ـ محمد عمارة: معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام، دار نهضة مصر . مصر،ص 115.

([6]) ـ عبد الكريم زيدان: أحكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام، مؤسسة الرسالة . بيروت، 1982، ص 22.

([7]) ـ ينظر: عبد القادر عودة: التشريع الجنائي الإسلامي، دار الكتاب العربي . بيروت، ج1، ص 307.

ب ـ من لهم عهد مؤقت (المستأمنون)[1]: وهم غير المسلمين الذين يقيمون في الديار الإسلامية أمدا قصيرا من غير أن يتخلوا عن رعيّتهم من غير المسلمين[2].

ولما كان المعاهدون مرتبطين بعهد وعقد مع المسلمين، فإن الإساءة لمقدّس من مقدّسات الإسلام يعتبر نقضا لهذا العهد، واعتداء على مشاعر المجتمع المسلم، ومن هنا نصّ فقهاء الإسلام على قتل المعاهد (ذمّيا كان أم مستأمنا) إذا أساء للأنبياء (عليهم السلام)، لأنه بفعله هذا نقض عهده وبرئت منه الذّمة[3]. يقول القرطبي: "أكثر العلماء على أن من سبّ النبي (صلى الله عليه وسلم) من أهل الذّمة، أو عرّض، أو استخفّ بقدره، أو وصفه بغير الوجه الذي كفر به فإنه يقتل، فإنا لم نعطه الذمّة والعهد على هذا. إلا أبا حنيفة والثوري وأتباعهما من أهل الكوفة فإنهم قالوا: لا يقتل، لأنّ ما هو عليه من الشرك أعظم، ولكن يؤدّب ويعزّر"[4].

واستدلّ الفقهاء على قتل المعاهد المسيء للأنبياء (عليهم السلام) بعدّة أدلّة، منها:

قوله تعالى ﴿وَإِنْ نَّكَثُوٓاْ أَيْمَٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمْ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ﴾ [سورة التوبة:12]

والطعن في الدّين "أن ينسب إليه ما لا يليق به، أو يعترض بالاستخفاف على ما هو من الدّين، لما ثبت من الدليل القطعي على صحّة أصوله، واستقامة فروعه"[5].

فإذا صدر من المعاهد طعن في الدين، من استخفاف بربّ العالمين، أو انتقاص بالأنبياء والمرسلين انتقض عهده في المشهور من مذهب مالك[1]، والشافعي[2]، وأحمد[3]، باستثناء أبي حنيفة[4] الذي رأى بأن عهده لا ينقض، لأن ما هو عليه من الكفر والشرك أعظم[5].

([1]) ـ استأمنه: طلب منه الأمان والمستأمن (بكسر الميم الثانية) هو الطالب للأمان، ينظر: الفيومي: المصباح المنير: 34/1.

([2]) ـ محمد أبو زهرة: الجريمة والعقوبة في الفقه الإسلامي، دار الفكر العربي . القاهرة، ص 380.

([3]) ـ وهنا يجب التفريق بين كفر الذّمّي أو المعاهد برسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وبين سبّه، فإن كفره به لا ينقض العهد، ولا يبيح دمه باتّفاق الفقهاء، وأما سبّه له فإنّه ينقض العهد، ويوجب القتل. ينظر: ابن تيمية: الصارم المسلول، ص 533.

([4]) ـ تفسير القرطبي:125/10.

([5]) ـ ابن العربي: أحكام القرآن:460/2.

كما استدلّ الفقهاء أيضا على قتل المعاهد المسيء بحادثة "**قتل يهودية كانت تشتم النبي (صلى الله عليه وسلم)، وتقع فيه، فخنقها رجل حتى ماتت، فأبطل النبي (صلى الله عليه وسلم) دمها**"[6].

ومن المعلوم أن هذه المرأة كانت معاهدة بدلالة الرواية "يهودية...فأبطل دمها"، وهذا لا يكون إلا بعد أن كان دمها معصوما بالعهد والذّمة، فدلّ ذلك على قتل المعاهد المسيء.

إنّ تشديد الإسلام في أمر الإساءة من خلال الوعيد الشديد المترتّب على فعل الإساءة، وإدراجه ضمن نواقض الإسلام، بدلالة الآيات القرآنية سالفة الذكر، وكذا الأحكام "الشديدة" المترتّبة على المسيء، كما نصّ عليها فقاء الإسلام، كلّ هذا التشديد كان لبيان جرم الإساءة من جهة، وبيان خطورته من جهة أخرى، حيث أن الإساءة للأنبياء لا تعدّ مساسا بشخص النبيّ ومقامه فحسب، وإنما هي اعتداء على حقّ الله تعالى مرسل الرسل، كما أنها تطاول صارخ على عقيدة المسلمين، وإهانة لمشاعرهم ووجدانهم الجمعي، مما يجعل من الإساءة تهديدا للأمن الفكري والسلم الاجتماعي، يقول ابن تيمية في بيانه لخطورة فعل الإساءة: "ومما يوضّح ذلك أن سبّ النبي صلى الله عليه وسلم تعلّق به عدّة حقوق: حقّ الله سبحانه، من حيث كفر برسول، وعادى أفضل أوليائه، وبارزه

([1]) ـ يقول الإمام مالك: "...من شتم نبيّنا من أهل الذمّة، أو أحدا من الأنبياء قتل، إلا أن يسلم". ينظر: القاضي عياض: الشفا، ص 1034. ابن القيّم: أحكام أهل الذّمة:809/2.

([2]) ـ يقول الإمام الشافعي بعد حديثه عن الشروط التي تجب على أهل الذمة: "وعلى أن أحدا منكم إن ذكر محمّدا (صلى الله عليه وسلم)، أو كتاب الله، أو دينه بما لا ينبغي أن يذكره به، فقد برئت منه ذمّة الله، ثمّ ذمّة أمير المؤمنين، وجميع المسلمين، ونقض ما أعطى عليه الأمان، وحلّ لأمير المؤمنين ماله ودمه كما تحل أموال أهل الحرب ودماؤهم". ينظر: أحكام أهل الذّمة:805/2.

([3]) ـ يقول الإمام أحمد في ذلك: "كل من نقض العهد وأحدث في الإسلام حدثا مثل هذا (يعني السبّ)، رأيت عليه القتل، ليس على هذا أعطوا العهد والذمّة". ينظر: أحكام أهل الذّمة:796/2.

([4]) ـ حيث قال الإمام أبو حنيفة وأصحابه في ذلك: "لا يُنقض العهد بالسّبّ، ولا يقتل الذّمّي بذلك، لكن يعزّر على إظهار المنكرات التي ليس لهم فعلها". ورغم أن الحنفية يرون عدم انتقاض العهد بالسبّ، إلا أنهم أفتوا بقتل المعاهد المكثر من السبّ، حيث يقتل سياسة، وهذا من أصول مذهبهم. ينظر: ابن تيمية: الصارم المسلول، ص16. ابن القيم: أحكام أهل الذّمة:810/2.

([5]) ـ قلت: وينبغي التفريق بين الشرك أوالكفر، وبين المجاهرة بالإساءة للأنبياء التي تعتبر مساسا بمقدّسات المجتمع المسلم، وتهديدا للسلم الاجتماعي، وهذا لربما ما يفسّر تشدّد جمهور الفقهاء في مسألة المسيء للأنبياء (عليهم السلام).

([6]) ـ أخرجه أبو داود: كتاب (الحدود)، باب (الحكم فيمن سبّ النبي صلى الله عليه وسلم)، رقم (4362)، وصحّحه الألباني (إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، المكتب الإسلامي ـ بيروت، ط1: 1979، ج5، ص91).

بالمحاربة، ومن حيث طعن في كتابه ودينه، فإن صحتهما موقوفة على صحّة الرسالة، ومن حيث طعن في ألوهيته، فإن الطعن في الرسول طعن في المرسل، وتكذيبه تكذيب لله تعالى، وإنكار لكلامه وأمره وخبره وكثير من صفاته، وتعلّق به حقّ جميع المؤمنين من هذه الأمّة ومن غيرها من الأمم، فإن جميع المؤمنين مؤمنون به خصوصا أمّته، فإن قيام أمر دنياهم ودينهم وآخرتهم به، بل عامّة الخير الذي يصيبهم في الدنيا والآخرة بوساطته وسفارته، فالسبّ له أعظم عندهم من سبّ آبائهم وأبنائهم، وسبّ جميعهم"[1]. وهذا إن دلّ على شيء فإنّما يدلّ على منزلة الأنبياء في نفوس المؤمنين بهم.

ومن خلال ما سبق نرى بأن موقف الإسلام من الإساءة لمقام الأنبياء (عليهم السلام) يتّضح من خلال أمرين[2]:

أولا ـ جعل الإيمان بالأنبياء من مقتضيات الإيمان الإسلامي، حيث أن الإيمان بهم يعدّ ركنا من أركان الإيمان، وعقيدة من عقائد الإسلام، فكان المساس بهم يعدّ مساسا لأصل من أصول الدين، وفي ذلك بيان لمنزلتهم وموقعهم في الدين.

ثانيا ـ بيان فظاعة جرم الإساءة من خلال الوعيد الشديد، والأحكام "الشديدة" المترتّبة على فعل الإساءة والمسيء.

إن هذين الأمرين لا يعبّران عن موقف الإسلام من الإساءة للأنبياء فحسب، وإنما يعبّران عن الرؤية الإسلامية لمسألة الإساءة للرموز والمقدّسات، وهي الرؤية التي تقوم على أساس الاحترام والتوقير.

وهذا ما يفسّر عدم تسجيل أي إساءة من أي مسلم ـ على امتداد التاريخ ـ إلى أي نبيّ، أو رسول، أو رمز من رموز اليهودية والنصرانية، لأن الإسلام غرس في نفوس أتباعه "عقيدة" و"ثقافة" احترام وتوقير المقدّسات، وهذا بخلاف اليهودية والنصرانية اللتان تعتبران مدرسة في تكوين الثقافة الدينية لليهود والنصارى، وهي المدرسة التي أساءت لأنبيائها ورسلها غاية الإساءة، حينما صوّرتهم في صورة الفسقة، والكذبة، والقتلة، ومنتحلي الصفات...وغيرها من الصفات الذميمة والقبيحة التي ألصقتها

([1]) ـ ابن تيمية: الصارم المسلول، ص 293.

([2]) ـ وهذان الأمران يعتبران الأساس الذي بني عليه موقف الإسلام من الإساءة للأنبياء (عليهم السلام)، ويعبّران عن موقفه من ذلك.

هذه المدرسة بأنبيائها ورسلها، فجرّدتهم بذلك من أهم صفة تجب في حقّهم، ألا وهي العصمة، ومنعتهم من حقّ التقديس والاحترام والتوقير، فغرست في نفوس أتباعها "ثقافة" ازدراء المقدّسات. وهذا لربّما ما يفسّر تهافت الغربيين على الإساءة للمقدّسات، خاصة الإسلامية منها.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الباب الثاني

الفصل الثالث ـ نظرة الإسلام للإساءة للأنبياء

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الخـاتـمة

يعتبر موضوع الإساءة للمقدّسات الدينية من الظواهر القديمة المتجدّدة، التي تظهر في كلّ عصر بشكل جديد، وثوب جديد، مستخدمة أدوات جديدة، كما يعتبر موضوع الإساءة للمقدّسات من الموضوعات بالغة الحساسية في الساحة الفكرية (الإسلامية والغربية) المعاصرة، وهذا نتيجة التداخل بين المقدّس الديني وحرّيّة التعبير، هذه الأخيرة التي أضحت سمة من سمات عصرنا الحالي، الذي أصبح يطلق عليه "عصر الحرّيات"، و عصر حرّية التعبير على وجه الخصوص، حيث تربّعت حرّية التعبير فيه عرش الحرّيات، فأصبحت أم الحرّيات التي تعلو ولا يُعلى عليها!!! بل وأصبحت حرّية التعبير معيارا من المعايير التي تقاس بها ديمقراطية الدول، فالدول التي يتمتّع أفرادها بمساحة واسعة من حرّية التعبير تعتبر ديمقراطية، والدول التي تضيّق على حريّة التعبير تعتبر دولا دكتاتورية واستبدادية!!! وهذا إن دلّ على شي فإنما يدلّ على حجم ووزن حرّية التعبير في عالمنا اليوم، الذي هو عصر حرّية التعبير بامتياز.

هذا الواقع الجديد أفرز جملة من التحدّيات أهمّها وأبرزها موضوع الإساءة للمقدّسات الدينية عموما، وللأنبياء على وجه الخصوص، حيث أخذت شكلا جديدا مع مطلع القرن الحادي والعشرين تمثّل في تصدّر وسائل الإعلام المختلفة لموضوع الإساءة، هذه الأخيرة التي أخذت على عاتقها حملة الإساءة المعاصرة، والتي يرى فيها الفكر الغربي بأنها تدخل ضمن حرّية التعبير، ذلك أن الدين ـ وفق هذا المنظور ـ من الأمور الثانوية في حياة الإنسان وليس من الأمور الأساسية، فضلا عن أن يكون من الأمور المقدّسة، فهو شأن شخصي خالص، ولا يمكن لهذا الأمر الشخصي أن يكون قيدا لحرّية التعبير المقدّسة !!! وهو ما ولّد ردود أفعال قويّة من طرف المسلمين، وصلت إلى حدّ العنف في بعض الأحيان، حيث رأوا في المساس بمقدّساتهم إهانة لمشاعرهم، وتعدّيا صارخا على قيمهم.

ومن هنا رأينا كيف جاءت تشريعات الإسلام من أجل ضبط حرّية التعبير ـ دون أن يعني ذلك أي إلغاء أو مصادرة ـ بما يحفظ المقدّسات الدينية ويحميها من أي إساءة أو تطاول، ويجعل لها خصوصية الاحترام، ذلك أن المقدّسات الدينية ـ وفق الرؤية الإسلامية ـ لا تنفصل عن ذات الإنسان، بل هي

جزء من كيانه ووجدانه ومشاعره، فهي والحقوق المادية من طعام وشراب ولباس سواء بسواء، كلّ ذلك من أجل الحفاظ على الأمن والسلم المجتمعي، الذي إذا فُقد فقدت معه جميع الحرّيات.

هذا وقد رأينا كيف حفلت نصوص الكتاب المقدّس (بعهديه القديم والجديد) بكم هائل من الإساءات المختلفة للأنبياء والرسل، فدنّست بذلك مقام النبوّة والرسولية في اليهودية والمسيحية من جهة، وأسّست ل"ثقافة" ازدراء الأنبياء والرسل من جهة أخرى، فكانت هذه النصوص سبّاقة للتأسيس لهذه الثقافة.

وهذا بخلاف الإسلام الذي جاءت تشريعاته حماية للمقدّسات الدينية (ومنها الأنبياء)، من خلال اثبات عصمتهم، وجعل الإيمان بهم من مستلزمات الإيمان الإسلامي، فكان بذلك المساس بهم بأي شكل من الأشكال مساسا بعقيدة من عقائد الإسلام، وأصلا من أصوله.

نتائج البحث:

يمكن تلخيص نتائج البحث التي توصلت إليها في دراستي هذه في النقاط الآتية:

- ❖ أهميّة الدراسات الدينية المقارنة للوقوف على معالم العظمة التي اشتمل عليها الإسلام، فكما أن الشمس لا يعرف الناس قدرها إلا بدخول الظلام، كذلك كلّ حقّ لا تعرف قيمته إلا بمعرفة نقيضه.
- ❖ ضرورة تحديد المفاهيم وضبط المصطلحات وتمييز الألفاظ للوصول إلى معانيها وحقائقها، ومن ثمّ الحكم عليها بالسلب أو الإيجاب، بالقبول أو الرفض، ذلك أن الحكم على الشيء فرع عن تصوره.
- ❖ اشتمال مصطلح الإساءة لكلّ المعاني المذمومة التي يبغضها الإنسان ويكرهها، حيث يدور حول الأذى والضرر، الذي قد يكون حسّيا، كما قد يكون معنويا، ويأخذ أشكالا متنوّعة، ويعبّر عنه بألفاظ عديدة تقوم مقامه كالسخرية والاستهزاء والازدراء والتجديف...وغير ذلك.
- ❖ انتهاك المقدّسات الدينية في الفكر الغربي ذو الخلفية الليبرالية تحت مظلّة حرّية التعبير، مردّه إلى اعتبار الدين خارج دائرة المقدّس، الذي يستوجب الاحترام.

❖ تفريق الفكر الغربي بين الشخص والفكرة أو العقيدة التي يحملها، فحرّم الإساءة ل "ذات" الشخص، وأباح الإساءة للعقيدة أو الفكرة التي يحملها. وهذا ما يفسّر الإساءات الغربية المتكرّرة على مقدّسات المسلمين خاصة.

❖ رسم الإسلام حدودا فاصلة بين حرّية التعبير والمساس بمقدّسات الآخرين، دون أن يعني ذلك إلغاء حرّية التعبير أو مصادرتها، منطلقا في ذلك من اعتبار الكلمة أمانة، يتحمّل قائلها مسؤولية ما يصدر عنه، ومحرّما المساس بمشاعر الآخرين أو شرفهم أو سمعتهم أو كرامتهم، في حضرتهم أو غيبتهم، بأي شكل من الأشكال، وجعل ذلك من كبائر الذنوب التي تستوجب عقابا شديدا يلحق صاحبها.

❖ عدم تفريق الإسلام بين الإساءة لذات الشخص، وما يحمله من أفكار وعقائد ـ عكس الفكر الغربي الذي يفرّق بينهما ـ مردّه إلى النظرة التكريمية للإنسان (بصرف النظر عن دينه ولونه وعرقه ولغته)، التي تعتبره كلّا متكاملا، لا فرق بين شخصه ووجدانه أو مشاعره.

❖ تفريق الإسلام بين الإساءة للمقدّسات الدينية ونقدها، فالأول محرّم ومجرّم، والثاني جائز ومشروع، فهو آلية من آليات حرّية التعبير عن الرأي، لما فيه من بيان لحقيقة المقدّسات والمعتقدات، قصد إظهار ما فيها من حقّ أو باطل، ليتّخذ منها السامع موقفا بناء على ما يظهر له من ذلك الحق والباطل، فساحة التدافع في ذلك هي الحجة العقلية، أما التطاول على المعتقدات والمقدّسات وما في معناه فهو إيذاء لمشاعر المؤمنين بها، لا علاقة له بساحة الاحتجاج العقلي والنقد الموضوعي، وإنما هو باب واسع للاضطراب الاجتماعي.

❖ دقّة وواقعية التشريعات الإسلامية في ضبطها لحرّية التعبير عن الرأي من التشريعات الدولية والغربية، بما يحمي المجتمع من الفوضى والكراهية والتعصّب، وهو ما يؤهّلها حاليا أكثر من أي وقت مضى للعب دور فعّال في حلحلة النزاعات والصراعات التي تعيشها المجتمعات البشرية.

❖ استمداد المقدّسات في اليهودية والإسلام قدسيتها من الدّين، الذي يعتبر المسؤول عن تصنيف الأشياء إلى مقدّسة وغير مقدّسة، وهذا ما جعل منها (أي المقدّسات) ثابتة لا تتغيّر بتغيّر الزمان أو المكان أو الحال، كما جعل منها واضحة لا مبهمة، لأن مصدر القداسة واحد،

بخلاف المسيحية التي تعدّد فيها مصدر القداسة، حيث كان مشتركا بين الدّين ورجاله، هؤلاء الذين منحوا لأنفسهم سلطة التقديس، فحازت بذلك الكثير من الأشياء صفة القدسية والقداسة من جهتهم، وهذا ما جعل المقدّسات في المسيحية متغيّرة تتغيّر بتغيّر الزمان والمكان والحال، لأنها خاضعة لأمزجة وأهواء رجال الدين الذين أعطوا لأنفسهم حق تحديدها تضييقا وتوسعة.

- ❖ خلصت الدراسة إلى أن ظاهرة الإساءة لمقام النبوة ليست وليدة اللحظة الراهنة، وإنما هي ظاهرة قديمة تمتدّ جذورها إلى البدايات الأولى لبعثة الأنبياء، فهي حلقة من سلسلة طويلة، حيث تظهر في كلّ عصر في ثوب جديد، مستخدمة أدوات جديدة.
- ❖ تعدّد وتنوّع أساليب الإساءة لمقام النبوّة، والتي جمعت بين الإساءة النفسية (القولية) والجسدية (الفعلية).
- ❖ كثرة وتعدّد أشكال الإساءة للنبي (صلى الله عليه وسلم)، سواء أثناء حياته أو بعد مماته، والتي لا زالت مستمرّة إلى يوم الناس هذا، تعبّر عن قيمته ووزنه (عليه الصلاة والسلام) بين سائر الأنبياء، ومن هنا كانت الإساءة إليه إساءة لجميع الأنبياء، كما أنها إساءة لجميع المقدّسات في الإسلام، والتي تستمدّ قدسيتها من الدين الذي جاء به (صلى الله عليه وسلم).
- ❖ تزعّم وسائل الإعلام الغربية المرئية والسمعية والمكتوبة حملة الإساءة المعاصرة، مستغلّة تأثيرها وأثرها البليغ في توجيه الرأي العام الدولي، ودورها الكبير في صناعة الوعي وتزييفه، مستخدمة أحدث التقنيات في ذلك، وهذا تحت غطاء حرّية التعبير عن الرأي.
- ❖ تعدّد أسباب ودوافع الإساءة لمقام النبوة، ولعلّ أبرزها يتعلّق بالحساسية التاريخية بين الإسلام والغرب، التي تولدّت بفعل الفتوحات الإسلامية، وترسّخت في المخيال الغربي بفضل كتابات المستشرقين إلى أن أصبحت عقدة، تسمّى بعقدة الخوف من الإسلام (الإسلاموفوبيا).
- ❖ تطوّر دلالات مصطلح النبوّة في اليهودية، حيث ارتبط في كلّ مرحلة تاريخية بمعنى خاص، تبعا للظرف السياسي والاجتماعي للجماعة اليهودية، إلا أن القاسم المشترك لكلّ هذه المعاني هو ارتباطها بوظائف النبي.

- ظهور الكثير من الشخصيات والجماعات التي تدّعي النبوّة في الفكر اليهودي من قبيل "الأنبياء الكذبة"، و "النساء النبيّات"، و"جماعات الأنبياء"، في مقابل نزع هذه الصفة من شخصيات هامة في التاريخ الديني الإسرائيلي مثل داود وسليمان اللّذين يعتبران من الملوك، ونوح وإبراهيم وإسحاق ويعقوب ويوسف الذين يعدّون من الآباء، رغم تصريح التوراة بتلقيهم أشكالا مختلفة من الوحي الإلهي المصاحب للأنبياء، مردّه إلى اضطراب وغموض مفهوم النبوّة في اليهودية.
- انعكاس المفهوم المضطرب والغامض للنبوة الإسرائيلية على صفات الأنبياء، حيث اتّصفوا بصفات فظيعة، طعنت في مقامهم، وأساءت إلى منزلتهم، سواء في علاقتهم مع الله (كعبادة الأوثان وسوء الأدب مع الله)، أو في علاقتهم مع البشر (كالكذب والخيانة والزنا والدياثة والسرقة وسفك الدماء...) مما جعلهم أقرب إلى الشواذ وقطّاع الطرق منه إلى الأنبياء والرسل.
- شمولية وظائف النبي في اليهودية، والذي لم يكن مقتصرا على الجانب الديني الصرف، وإنما تعدّاه إلى الجوانب الحياتية الأخرى مثل الجانب السياسي والاجتماعي، ممّا جعل النبي في اليهودية رجل دين وسياسة، كما جعل منه مصلحا اجتماعيا.
- تصوير التوراة أنبياءها بصفات ذميمة وسلوكيات قبيحة دنّس مقام النبوّة المقدّس، وأسقط هيبة الأنبياء في مجتمعاتهم، وجرّدهم من أهم دافع للاقتداء والتأسّي بهم، ألا وهو العصمة، مما فتح الباب واسعا للكثير من الانحرافات في المجتمع الإسرائيلي عبر تاريخه الطويل، حتى أصبحت أمرا مألوفا، بحجّة وقوع الأنبياء فيها، وهو ما أدى في نهاية المطاف إلى تغييب أثرهم وتأثيرهم، وتحييد أدوارهم في المجتمع.
- عدم اقتصار إساءة اليهودية لمقام النبوّة في شخص الأنبياء فحسب، وإنّما تعدّته إلى الإساءة للقيم والفضائل في المجتمع، ذلك أن الطعن في القدوة والأسوة في المجتمع هو طعن مباشر في الفضائل، وهدم مباشر للقيم النبيلة، والأخلاق السامية.
- سن التوراة لثقافة التطاول على الأنبياء من خلال نعتها لهم بنعوت سيئة، وسلوكيات ذميمة، فكانت بذلك سبّاقة في التأسيس لظاهرة ازدراء المقدّسات.

❖ اضطراب وغموض مفهوم النبوة في المسيحية مردّه إلى التداخل الحاصل بينه وبين مفهوم الألوهية، إضافة إلى طبيعة الديانة المسيحية ذات المصادر المتعدّدة، والمرجعيات المختلفة.

❖ تعدّ حادثة موت المسيح وقيامته بعد ذلك من بين الأموات وانسكاب الروح القدس (روح النبوة) على تلاميذه فيما يسمّى ب "يوم العنصرة" مرحلة مفصلية في الفكر المسيحي، حيث أصبح للمسيح سلطانا إلهيا، جعل منه واهبا للنبوة، وباعثا للرسل، فانسحب مقام النبوّة على الرسل، وظهر مصطلح "الرسل" في المسيحية، الذي يقابل الأنبياء في اليهودية والإسلام، واشتهرت جماعة الرسل بدل الأنبياء، بالرغم من إيمان المسيحية بأنبياء العهد القديم.

❖ انحصار وظيفة الرسل في المسيحية في الجانب الديني الصرف، والمتمثّل في الكرازة (التبشير) بالإنجيل، دون أن يكون لهم أي دور سياسي واجتماعي كما هو الحال بالنسبة للأنبياء في اليهودية.

❖ تدنيس المسيحية لمقام الرسولية المقدّس بنصوص أسفارها، ابتداء من تقمّص شخصيات صفة الرسولية (كما هو الحال بالنسبة لبولس، وبرنابا، ومتياس) والتي تتناقض مع شروط الرسول، مرورا باتّصاف الرسل بصفات تقدح وتطعن في رسوليتهم، من قبيل التجديف على الرّب، والكذب، والخيانة... وصولا إلى انحرافهم عن مجال دعوتهم، وجوهر رسالتهم، وذلك حينما خالفوا تعاليم المسيح بعدم التبشير خارج دائرة اليهود.

❖ تصوير الكتاب المقدّس (بعهديه القديم والجديد) الأنبياء والرسل بجملة من السلوكيات الدنيئة، والتجاوزات المشينة، والانحرافات الفظيعة، يعكس موقف اليهودية والمسيحية من الإساءة وازدراء المقدّسات.

❖ وضوح مفهوم النبوّة في الإسلام ـ على خلاف اليهودية والمسيحية ـ والذي جعل مقام النبي في الإسلام مقاما رفيعا، رفعة الدور الذي يقوم به.

❖ تفريق علماء الإسلام بين النبي والرسول، وجعل النبوّة جزءا من الرسالة لا يترتّب عليه أي انتقاص لمقام النبوّة، كما أنه لا يعني ـ البتة ـ تجريد النبي من القداسة، ذلك أن النبي والرسول

كلاهما وسطاء بين الله وخلقه، وما يعنيه ذلك من نزول الوحي عليهما، فاشتركا بذلك في جوهر القداسة.

- ❖ تفضيل الإسلام بعض الأنبياء على بعض لا يعني الانتقاص من منزلة بعضهم ومقامهم المقدّس، وإنما هي أفضلية في بعض السمات والخصائص، ولا علاقة لها بجوهر النبوة والرسالة الذي هم فيه سواء، كما لا يترتّب على هذه الأفضلية أي تمييز فيما بينهم من ناحية الإيمان والكفر.
- ❖ وصف القرآن الكريم الأنبياء بأسمى الصفات العالية، وأكمل الأوصاف السامية، وجعلها من الصفات الضرورية الواجبة في حقّهم، ذلك أن طبيعة مهمّتهم ووظيفتهم تقضي أن يتّصف النبي بمحاسن الأخلاق وكمال الصفات، فهم أسوة وقدوة للبشر.
- ❖ اعتبر الإسلام العصمة من كلّ ما ينفّر أو يشين أهم الصفات الواجبة في حقّ الأنبياء، والتي تدفع غيرهم من البشر للتصديق بدعوتهم، والإيمان برسالتهم. ومن هنا فإن تجريد الأنبياء من هذه الصفة يجعل بعثتهم بلا معنى وبلا فائدة.
- ❖ إيراد القرآن الكريم لبعض سقطات الأنبياء يؤكّد بشريّتهم، وأن لهم حظّا من الذنوب والمعاصي، بناء على تركيبتهم الطينية الأرضية التي خلقوا منها، ولا يقدح في عصمتهم، فضلا عن نفيها عنهم، وتجريدهم منها، ذلك أن الأنبياء لم يصرّوا على الذنوب، بل سارعوا إلى التوبة منها، فكانوا بعد التوبة أكمل منهم قبلها، وهذا ما يجعل من التوبة دليلا على كمالهم البشري، يرفع من قيمتهم أمام البشر دون تأليه.
- ❖ شمولية وظائف الأنبياء في الإسلام، انطلاقا من تصحيح التصوّرات الفاسدة والمعتقدات الخاطئة، مرورا بالدعوة إلى مكارم الأخلاق، ووصولا إلى سياسة الأمّة. وهذا ما جعل منهم شخصيات محورية في الوسط المجتمعي.
- ❖ تمتّع الأنبياء بمنزلة مقدّسة في الإسلام نابع من اصطفائهم الإلهي، وتميّزهم البشري (عصمتهم)، وشرف وظيفتهم ومهمّتهم، وهي الأمور التي أهّلتهم لأن يكونوا ركنا من أركان الإيمان، وعقيدة من عقائد الإسلام، أوجبت لهم الإيمان والاحترام، وحرّمت في حقّهم الإساءة والتطاول.

❖ اعتبار التطاول على الأنبياء تطاولا على حقوق ثلاث جهات: على حقّ الله أولا (من حيث كونه مرسلا للأنبياء)، وعلى حقّهم (كأشخاص) ثانيا، وعلى حقّ المؤمنين برسالتهم ثالثا. ولما كان كذلك عدّه الإسلام جرما عظيما، وفعلا شنيعا، ورتّب عليه عقوبة شديدة.

❖ تشدّد الإسلام في حكم الإساءة وعقوبة المسيء مردّه إلى الموقع الذي يحتله الأنبياء في عقيدة الإسلام من ناحية، والى مساسه بحقوق ثلاث جهات من ناحية أخرى.

❖ خلصت الدراسة إلى أن الإسلام هو أحرص الأديان على احترام الرموز والمقدّسات، وهذا ما نستشفّه من خلال إيجابه لاحترامها وتبجيلها وتقديرها أولا، وتجريمه لازدرائها والتطاول عليها ثانيا.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

سورة البقرة

رأس الآية	رقم الآية	الصفحة
" وإذا قيل لهم اتّبعوا ما أنزل الله..."	170	127،15
"ولكم في القصاص حياة..."	179	17
"أياما معدودات..."	184	18
"لا إكراه في الدين"	256	19
"وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى..."	260	23
"ونحن نسبح بحمدك ونقدّس لك"	30	42،37
"وآتينا عيسى البينات..."	87	42
"وآتينا عيسى البينات وأيدناه بروح القدس..."	253	42
"قد نرى تقلب وجهك في السماء..."	144	79
"وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة..."	43	82
"ولولا دفع الله الناس..."	251	354،85
"ولقد آتينا موسى الكتاب..."	87	90
"ولما جاءهم كتاب من عند الله..."	89	130
"الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه..."	146	141
"ألم تر إلى الملإ من بني إسرائيل..."	246	294
"تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض..."	253	296
"قولوا آمنا بالله..."	136	300
"آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون..."	285	300
"وادخلوا الباب سجدا..."	58	313
"ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربّه..."	258	318
"إن الله يحبّ التوابين ويحبّ المتطهّرين"	222	334
"ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب..."	132	364،340
"أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت..."	133	340

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

"قال أو لم تؤمن..."	260	342
"كما أرسلنا فيكم رسولا منكم..."	151	344
"يعرفونه كما يعرفون أبناءهم..."	146	355
"فهزموهم بإذن الله..."	251	356
"وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة..."	193	374

سورة آل عمران

رأس الآية	رقم الآية	الصفحة
"إن في خلق السماوات والأرض..."	190	16
"كنتم خير أمة أخرجت للناس..."	110	24
"ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير..."	104	24
"وشاورهم في الأمر"	159	25
"إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة..."	96	77
"ضربت عليهم الذّلّة أينما ثقفوا..."	112	91
"ليس لك من الأمر شيء..."	128	104
"وقالت طائفة من أهل الكتاب..."	72	131
"وإذ أخذ الله ميثاق النبيئين..."	81	297
"وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك..."	42	309
"إن الله اصطفى آدم ونوحا..."	33	311
"فإن حاجوك فقل أسلمت وجهي لله..."	20	338
"قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء..."	64	362،343
"لقد منّ الله على المؤمنين..."	164	357
"قل آمنا بالله..."	84	360
"آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون"	52	365

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

سورة النساء

رأس الآية	رقم الآية	الصفحة
" يا أيها الناس اتّقوا ربكم ... "	01	40
" ومن قتل مؤمنا خطئا... "	92	58
"إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم..."	29	95
"ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب..."	51	131
"إن الذين يكفرون بالله ورسله..."	150	360،300
"ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل..."	164	296
"وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله..."	64	323
"فلا وربك لا يؤمنون..."	65	327
"ومن يطع الله ورسوله..."	13	341
"ومن يعص الله ورسوله..."	14	341
"إنا انزلنا إليك الكتاب بالحق..."	105	354
"رسلا مبشّرين ومنذرين..."	165	358
"إن الذين يكفرون بالله ورسله..."	136	360
"والذين آمنوا بالله ورسله..."	152	361
"إنا أوحينا إليك..."	163	362

سورة المائدة

رأس الآية	رقم الآية	الصفحة
"لعن الذين كفروا من بني إسرائيل..."	78	24
"إذ قال الله يا عيسى ابن مريم..."	110	42
"يا قوم أدخلوا الأرض المقدّسة..."	21	43

"يا أيها الذين آمنوا لا تحلّوا شعائر الله..."	02	44
"لقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل..."	70	85
"يا أيها الذين آمنوا أذكروا نعمة الله عليكم..."	11	105
"وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله..."	104	130
"يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم..."	57	131
"يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر..."	41	297
"وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم..."	116	297
"ما المسيح ابن مريم إلا رسول..."	75	311
"يا أيها الرسول بلّغ ما أنزل إليك من ربك..."	67	338،327
"واحذرهم أن يفتنوك..."	49	329
"لقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل..."	70	343
"فاحكم بينهم بما أنزل الله..."	48	353
"سماعون للكذب أكالون للسحت..."	42	355
"وكيف يحكّمونك وعندهم التوراة..."	43	355
"لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا..."	48	357

سورة الأنعام

رأس الآية	رقم الآية	الصفحة
"ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله..."	108	32،05
"ولقد أستهزئ برسل من قبلك..."	10	05
"قل سيروا في الأرض ثم أنظروا..."	11	18
"ولقد كذبت رسل من قبلك..."	34	296،97
"فقد كذبوا بالحق لما جاءهم..."	05	100
"ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس..."	07	101

"وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه..."	83	316،295
"وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن..."	124	318
"أولئك الذين هدى الله..."	90	321
"فلما جنّ عليه الليل..."	76	342
"وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا..."	112	367

سورة الأعراف

رأس الآية	رقم الآية	الصفحة
"أولئك كالأنعام بل هم أضل..."	179	16
"أعبدوا الله مالكم من إله غيره..."	65	22
" إن الذين تدعون من دون الله..."	134	34
"قال ألقوا فلما ألقوا سحروا أعين الناس..."	116	86
"قال الملأ الذين استكبروا من قومه..."	88	87
"ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين..."	130	88
"فعقروا الناقة وعتوا عن أمر ربهم..."	77	94
"قال يا موسى إني اصطفيتك على الناس..."	144	297
"قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا..."	188	305
"ربنا ظلمنا أنفسنا..."	23	323
"أعبدوا الله مالكم من إله غيره..."	59	340
"ولوطا إذ قال لقومه..."	80	345
"وإلى مدين أخاهم شعيبا..."	85	348

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

سورة الأنفال

رأس الآية	رقم الآية	الصفحة
"واتّقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة..."	25	25
"وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوّة..."	60	123،86
"وإذ يمكر بك الذين كفروا ..."	30	105
"ما كان لنبي أن يكون له أسرى..."	67	323
"يا أيها النبي حرّض المؤمنين على القتال..."	65	356
"يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى..."	70	356

سورة التوبة

رأس الآية	رقم الآية	الصفحة
" خذ من أموالهم صدقة ... "	103	18
" ومنهم الذين يؤذون النبيء..."	61	102،32
"وقالت اليهود عزير ابن الله..."	30	34
"إن عدّة الشهور عند الله..."	36	80
"لقد جاءكم رسول من أنفسكم..."	128	307،303
"يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة..."	64	370
"وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم..."	12	376

سورة يونس

رأس الآية	رقم الآية	الصفحة
" قل أنظروا ماذا في السماوات والأرض ... "	101	16
"ولو شاء ربك لآمن من في الأرض..."	99	19

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

"قال قد أجيبت دعوتكما فاستقيما..."	89	313
"وأمرت أن أكون من المسلمين..."	72	364
"يا قوم إن كنتم آمنتم بالله..."	74	364

سورة هود

رأس الآية	رقم الآية	الصفحة
"قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول..."	91	87
"ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية..."	64	92
"فعقروها فقال تمتّعوا في داركم..."	65	93،92
"قيل يا نوح اهبط بسلام منا..."	48	297
"ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى..."	69	310
"إن إبراهيم لحليم أواه منيب..."	75	314
"يا نوح قد جادلتنا..."	32	316
"قال سآوي إلى جبل يعصمني من الماء..."	43	322
"ونادى نوح ربّه..."	45	330
"قال يا نوح إنه ليس من أهلك..."	46	331
"قال رب إني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم..."	47	331

سورة يوسف

رأس الآية	رقم الآية	الصفحة
"فلبث في السجن بضع سنين..."	42	304
"وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا..."	109	307
"ولقد همّت به وهمّ بها..."	24	322

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

سورة الرعد

رأس الآية	رقم الآية	الصفحة
"أفلم ييأس الذين آمنوا..."	28	304
"ولقد أستهزئ برسل من قبلك..."	32	371

سورة إبراهيم

رأس الآية	رقم الآية	الصفحة
"الله الذي خلق السماوات والأرض..."	32	17
"وقال الذين كفروا لرسلهم..."	13	87

سورة الحجر

رأس الآية	رقم الآية	الصفحة
"فأسر بأهلك بقطع من الليل..."	65	91
"وجاء أهل المدينة يستبشرون..."	67	94
"وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر..."	06	101

سورة النحل

رأس الآية	رقم الآية	الصفحة
"وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر..."	12	16
"ولقد بعثنا في كل أمة رسولا..."	36	326،18
"أدع إلى سبيل ربك بالحكمة..."	125	317،22

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

"قل نزله روح القدس من ربك بالحق..."	102	42
"وأنزلنا إليك الذكر..."	44	82
"وأوحى ربك إلى النحل..."	68	311
"ثم أوحينا إليك أن اتّبع..."	123	340

سورة الإسراء

رأس الآية	رقم الآية	الصفحة
"ولا تقف ما ليس لك به علم..."	36	30
"ولقد كرمنا بني آدم..."	70	337،34
"سبحان الذي أسرى بعبده..."	01	78
"وإن كادوا ليستفزونك من الأرض..."	76	86
"ولقد آتينا موسى تسع آيات بيّنات..."	101	90
"وما منعنا أن نرسل بالآيات..."	59	93
"نحن أعلم بما يستمعون به..."	47	101
"وربك أعلم بمن في السماوات والأرض..."	55	296
"وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى..."	94	307

سورة الكهف

رأس الآية	رقم الآية	الصفحة
"فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر..."	29	20
"ولقد صرّفنا في هذا القرآن..."	54	23
"وما نرسل المرسلين إلا مبشّرين ومنذرين..."	56	341
"ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا..."	106	371

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

سورة مريم

رأس الآية	رقم الآية	الصفحة
"واذكر في الكتاب مريم..."	51	292
"فاتّخذت من دونهم حجابا..."	17	309
"واذكر في الكتاب إسماعيل..."	54	314
"واذكر في الكتاب إدريس..."	56	314

سورة طه

رأس الآية	رقم الآية	الصفحة
"إني أنا ربك فاخلع نعليك..."	12	43
"واحلل عقدة من لساني..."	27	312
"وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم..."	116	330
"فمن اتّبع هداي فلا يضل ولا يشقى..."	123	341
"ومن أعرض عن ذكري..."	124	341

سورة الأنبياء

رأس الآية	رقم الآية	الصفحة
"قالوا حرّقوه وانصروا آلهتكم..."	68	304،91
"ونجيناه ولوطا إلى الأرض..."	73	91
"ولقد استهزئ برسل من قبلك..."	41	97
"وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا..."	77	359،302
"وما أرسلنا قبلك إلا رجالا..."	07	304
"وأيوب إذ نادى ربّه..."	83	304

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

"وعلمناه صنعة لبوس لكم..."	80	305
"ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل..."	51	317
"فجعلهم جذاذا إلا كبيرا لهم..."	58	317
"وذا النون إذ ذهب مغاضبا..."	87	333
"وما أرسلنا من قبلك من رسول..."	25	365،339
"وإذا رءاك الذين كفروا..."	36	371

سورة الحج

رأس الآية	رقم الآية	الصفحة
"ذلك ومن يعظّم شعائر الله..."	32	44
"ما قدروا الله حقّ قدره..."	74	75
"إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله..."	25	77
"وما أرسلنا من رسول ولا نبيء..."	52	310،290
"الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس..."	77	359،302

سورة المؤمنون

رأس الآية	رقم الآية	الصفحة
"ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه..."	23	89

سورة النور

رأس الآية	رقم الآية	الصفحة
"إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا..."	19	31

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

"إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم..."	11 ـ 21	102

سورة الفرقان

رأس الآية	رقم الآية	الصفحة
"وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراه..."	04	101
"وما أرسلنا قبلك من المرسلين..."	20	304
"إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا..."	70	334
"وكذلك جعلنا لكلّ نبي عدوا من المجرمين..."	31	367

سورة الشعراء

رأس الآية	رقم الآية	الصفحة
"قالوا لئن لم تنته يا نوح..."	116	87
"قال لئن اتخذت إلها غيري..."	29	88
"قال إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون"	27	89
"قالوا إنما أنت من المسحّرين..."	153	92
"قال هذه ناقة لها شرب..."	155	93،92
"وأنذر عشيرتك الأقربين..."	214	100
"وتقلبك في الساجدين"	219	315
"إني لكم رسول أمين"	107	319

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

سورة النمل

رأس الآية	رقم الآية	الصفحة
"فما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوا آل لوط..."	56	87
"ولقد أرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحا..."	45	88

سورة القصص

رأس الآية	رقم الآية	الصفحة
"يا أبت استأجره..."	26	314
"ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها..."	15	331
"قال هذا من عمل الشيطان..."	16	331
"قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا..."	53	365

سورة العنكبوت

رأس الآية	رقم الآية	الصفحة
"ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن..."	46	365،22

سورة الروم

رأس الآية	رقم الآية	الصفحة
" أولم يسيروا في الأرض فينظروا... "	09	19

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

سورة لقمان

رأس الآية	رقم الآية	الصفحة
" ألم تروا أن الله سخّر لكم ... "	20	339
"وإذ قال لقمان لابنه..."	13	344

سورة الأحزاب

رأس الآية	رقم الآية	الصفحة
"سنة الله في الذين خلوا من قبل..."	62	18
"إن الذين يؤذون الله ورسوله..."	57	75
"يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبيّنة..."	30	80
"يا أيها النبي قل لأزواجك..."	59	82
"يا أيها النبيء إنا أرسلناك ..."	45	293
"ما كان محمد أبا أحد من رجالكم..."	40	297
"الذين يبلغون رسالات الله..."	39	338،302
"يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى..."	69	313
"لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة..."	21	321
"إن الذين يؤذون الله ورسوله..."	57	370،324

سورة سبأ

رأس الآية	رقم الآية	الصفحة
"ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتّبعوه..."	20	323

سورة فاطر

رأس الآية	رقم الآية	الصفحة
"الحمد لله فاطر السماوات والأرض..."	01	76
"إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا..."	24	295
"ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا..."	32	311

سورة يس

رأس الآية	رقم الآية	الصفحة
"يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول..."	30	85
"قالوا إنا تطيرنا بكم..."	18	89
وضرب لنا مثلا ونسي خلقه..."	78	99
"يا حسرة على العباد..."	30	296
"قالوا ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون..."	16	338

سورة الصافات

رأس الآية	رقم الآية	الصفحة
"ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون..."	26	101
"وإن إلياس لمن المرسلين..."	123	189
"وناديناه أن يا إبراهيم..."	104	298

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

سورة ص

رأس الآية	رقم الآية	الصفحة
"يا داوود إنا جعلناك خليفة في الأرض..."	26	354،15
"كتاب أنزلناه إليك مبارك..."	29	81
"وعجبوا أن جاءهم منذر منهم..."	04	89
"ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة..."	07	101
"واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب..."	45	302
"ووهبنا لداوود سليمان..."	36	328
"فاستغفر ربّه..."	24	333
"وهل أتاك نبأ الخصم ..."	21	354

سورة الزمر

رأس الآية	رقم الآية	الصفحة
"إنك ميّت وإنهم ميّتون..."	30	304

سورة غافر

رأس الآية	رقم الآية	الصفحة
" وما يستوي الأعمى والبصير..."	58	04

سورة فصلت

رأس الآية	رقم الآية	الصفحة
"ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك..."	43	365،97
"قل إنما أنا بشر مثلكم..."	06	303

سورة الشورى

رأس الآية	رقم الآية	الصفحة
"والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة..."	38	25
"شرع لكم من الدين..."	13	339

سورة الزخرف

رأس الآية	رقم الآية	الصفحة
"وكم أرسلنا من نبيء في الأولين..."	06	293

سورة الدخان

رأس الآية	رقم الآية	الصفحة
"إن شجرة الزقوم طعام الأثيم..."	43	99

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

سورة الجاثية

رأس الآية	رقم الآية	الصفحة
"وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض..."	13	17

سورة الأحقاف

رأس الآية	رقم الآية	الصفحة
"فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل..."	35	296
"ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه..."	26	337

سورة الفتح

رأس الآية	رقم الآية	الصفحة
"وهو الذي كفّ أيديهم عنكم..."	24	77

سورة الحجرات

رأس الآية	رقم الآية	الصفحة
"ولا يغتب بعضكم بعضا..."	12	31
"يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم..."	11	31
"إن أكرمكم عند الله أتقاكم..."	13	323

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

سورة ق

رأس الآية	رقم الآية	الصفحة
"ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد"	18	30

سورة الذاريات

رأس الآية	رقم الآية	الصفحة
"كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول..."	52	90،85

سورة النجم

رأس الآية	رقم الآية	الصفحة
"وما ينطق عن الهوى..."	03	326،82

سورة القمر

رأس الآية	رقم الآية	الصفحة
"إنا مرسلوا الناقة فتنة لهم..."	27	93،92
"فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر..."	29	94
"ولقد راودوه عن ضيفه..."	37	94

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

سورة الحديد

رأس الآية	رقم الآية	الصفحة
"لقد أرسلنا رسلنا بالبينات..."	25	362،76
"ولقد أرسلنا نوحا وإبراهيم..."	26	316

سورة المجادلة

رأس الآية	رقم الآية	الصفحة
"قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها..."	01	23

سورة الحشر

رأس الآية	رقم الآية	الصفحة
"هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس..."	23	41

سورة الجمعة

رأس الآية	رقم الآية	الصفحة
" يسبح لله ما في السماوات والأرض الملك القدوس ... "	01	41

سورة التحريم

رأس الآية	رقم الآية	الصفحة
"لا يعصون الله ما أمرهم..."	06	306

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

"يا أيها النبي لم تحرّم ما أحلّ الله لك..."	01	331

سورة القلم

رأس الآية	رقم الآية	الصفحة
"وإنك لعلى خلق عظيم..."	04	314
"فاصبر لحكم ربك..."	48	333

سورة الحاقة

رأس الآية	رقم الآية	الصفحة
"وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون..."	41	101
"ولو تقوّل علينا بعض الأقاويل..."	44	320

سورة النازعات

رأس الآية	رقم الآية	الصفحة
"إذ ناداه ربه بالواد المقدّس طوى..."	16	43

سورة عبس

رأس الآية	رقم الآية	الصفحة
"عبس وتولى أن جاءه الأعمى..."	01	332

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

سورة التكوير

رأس الآية	رقم الآية	الصفحة
" وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين ... "	10	30
"إنه لقول رسول كريم..."	19	101

سورة الأعلى

رأس الآية	رقم الآية	الصفحة
"سنقرئك فلا تنسى..."	06	326

سورة الشمس

رأس الآية	رقم الآية	الصفحة
"فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقياها..."	13	93

سورة الكوثر

رأس الآية	رقم الآية	الصفحة
"إنا أعطيناك الكوثر..."	01	99

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

سورة المسد

رأس الآية	رقم الآية	الصفحة
"تبّت يدا أبي لهب..."	01	103،100

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

سفر التكوين

طرف النص	الإصحاح	الفقرة	الصفحة
"ولما بلغ أبرام التاسعة والتسعين..."	17	01	57
"وأقيم عهدا أبديا بيني وبينك وبين نسلك..."	17	07	57
"فلما وصلوا إلى أرض كنعان..."	12	06	58
"وأقيم عهدي بيني وبينك وبين نسلك.."	17	08	59
" فتمّ خلق السماوات والأرض..."	02	01	61
" وبارك الله اليوم السابع وقدّسه..."	02	03	61
" أنموا وأكثروا واملأوا الأرض..."	01	28	63
" فاقترب إبراهيم وقال..."	18	23	159
"وانتقل إبراهيم من هناك..."	20	01	162
"إني قد علمت أنك امرأة حسنة..."	12	11	162
"وسأل أهل جرار..."	26	07	162
"وقال له: إذا هي امرأتك..."	26	09	162
"وناولت رفقة يعقوب..."	27	01	163
" هو ذا بلا دسم الأرض..."	27	10	163
"وخاف لوط أن يسكن في صوغر..."	19	30	165
" ثمّ رحل يعقوب من هناك..."	35	21	168
"ثمّ دعا يعقوب بنيه..."	49	01	168
"وكان نوح أول فلاح..."	09	20	170
"تعالي نسقي أبانا خمرا ونضاجعه..."	19	32	170
"فقدّم له فأكل..."	27	25	170
"فقال له يعقوب بعني اليوم..."	25	31	171
"وأخذت رفقة ثياب عيسو..."	27	15	171
"فبنى أبرام هناك مذبحا..."	12	07	177

" نبيّ يصلي لأجلك..."	20	07	178
"فلمّا سمع أبرام..."	14	14	193
"وكان نوح أول فلاح غرس كرما..."	09	20	207
"وقيل لتامار: ها حموك صاعد..."	38	12	209
"فحملت ابنتا لوط من أبيهما..."	19	36	210
"وعن دم كلّ إنسان أطلب حسابا..."	09	05	221

سفر الخروج

طرف النص	الإصحاح	الفقرة	الصفحة
"فرجع موسى إلى الرّب..."	05	22	02
"فمن مثلك يا رب بين كل الآلهة..."	15	11	53،39
"كل من عمل عملا في يوم السبت..."	31	15	61
"وقال الرّب لموسى: تصنع مغسلة..."	30	17	63
"ولما رأى الشعب أن موسى أبطأ..."	32	01	217،155
"لا تزن، لا تسرق..."	20	14	169
" فحمل الشعب عجينهم..."	12	34	205،172
"أبنوا لي مذبحا من تراب..."	20	24	176
" وأخذت مريم النبيّة..."	15	20	179
"فقال موسى للشعب اذكروا هذا اليوم..."	13	03	193
"وتكلّم الرّب فقال:أنا الرّب إلهك..."	20	01	216

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

سفر اللاويين

طرف النص	الإصحاح	الفقرة	الصفحة
"وجدّف على اسم الرّب ولعنه..."	24	11	03
"لتميّزوا بين المقدّس والمحلّل..."	10	10	39
" وقال الرّب لموسى :أوص بني إسرائيل..."	12	01	39
"ولا تفارقوا مدخل خيمة الاجتماع..."	08	33	40
" فاحفظوا وصاياي واعملوا بها..."	22	33	53
"لا يتزوّج الكاهن، لأن الكاهن مكرّس..."	21	08	53
" وكلّم الرّب موسى..."	19	02	56
"سبعة أيّام يكون لكم حفل مقدّس..."	23	06	61
"أنا الرّب إلهكم فتقدّسوا..."	11	44	62
"لا تتنجّسوا بشيء من هذا..."	18	24	63
" وكل من زنى بامرأة إسرائيلي..."	20	10	169

سفر العدد

طرف النص	الإصحاح	الفقرة	الصفحة
"وأن آباءنا نزلوا إلى مصر..."	20	15	02
"أما أنا فأقول لكم: لا تقاوموا ..."	5	39	02
"وأي أصيل أو دخيل خطأ عمدا..."	15	30	03
"وعندما انتهى موسى من نصب المسكن.."	7	1	38
"فاستجاب الرّب لهم وأظفرهم بالكنعانيين..."	21	03	39
" ويكون كلّ أيام نذره مقدّسا للرّب..."	06	08	40
"فقال الرّب لموسى وهارون مؤنّبا..."	20	12	54
"فلما سمع موسى الشعب..."	11	10	204،158

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

"فأرسلهم موسى للحرب..."	31	06	219
"وأقام بنو إسرائيل في شطّيم..."	25	01	224

سفر التثنية

طرف النص	الإصحاح	الفقرة	الصفحة
"فقال لي الرّب: أحسنوا..."	18	17	55
"يقيم لكم الرّب إلهكم نبيّا من بينكم..."	18	15	55
"فأنتم شعب مقدّس للرّب إلهكم..."	07	06	56
"وأنا قائم بين الرّب وبينكم..."	05	05	147
"إذ قام فيما بينكم متنبئ..."	13	02	149
"وقال الرّب لموسى..."	32	48	159
"وإن وجد رجل يضاجع امرأة لها زوج..."	22	22	169
"والرّب أراكم ذلك كلّه..."	04	35	174
"وقال موسى ومعه الكهنة اللاويون..."	27	09	214،175
"وإن لم تسمعوا كلام الرّب إلهكم..."	28	15	215،175
"لا يقتل الآباء بخطيئة البنين..."	24	16	207
"والرّب أراكم ذلك كلّه..."	04	16	215
"وإذا اقتربتم من مدينة لتحاربوها..."	20	10	220

سفر يشوع

طرف النص	الإصحاح	الفقرة	الصفحة
"فقال يشوع للشعب: لا تقدرون..."	24	19	53
"فقال الشعب ليشوع: كلا..."	24	21	57

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

"وأحرقوا المدينة وجميع ما فيها..."	26	24	60
" في ذلك الوقت بنى يشوع مذبحا..."	08	20	177
"ولما انتهى بنو إسرائيل..."	08	24	220
"واحتلّ يشوع في ذلك اليوم مقّيدة..."	10	28	221

سفر القضاة

طرف النص	الإصحاح	الفقرة	الصفحة
"ففعل بنو إسرائيل الشر..."	02	11	58
"وفي تلك الليلة ذاتها..."	06	25	177
"وكانت دبّورة النبيّة زوجة لفيدوت..."	04	04	193

سفر راعوث

طرف النص	الإصحاح	الفقرة	الصفحة
"فصارت راعوث زوجة لبوعز..."	04	13	210

سفر صموئيل الأول

طرف النص	الإصحاح	الفقرة	الصفحة
"كان فيما سبق إذا أراد أحد..."	09	09	147
"ثمّ تجيء إلى جبعة الله..."	10	05	178

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

سفر صموئيل الثاني

طرف النص	الإصحاح	الفقرة	الصفحة
" فأجاب داود..."	03	12	211،166
"وعند المساء قام داود وتمشّى..."	11	02	212،166
"فلمّا طلع الصباح..."	11	14	212،167
"فقال أمنون لتامار أدخلي الطعام..."	13	10	213،169
"وكان داود وجميع بني إسرائيل يرقصون..."	06	05	179
" فلماذا احتقرت كلامي..."	12	09	196
"فلمّا نهض داود في الصباح..."	24	11	196

سفر الملوك الأول

طرف النص	الإصحاح	الفقرة	الصفحة
"واختاروا رجلين سافلين..."	21	10	55
" ثمّ جاء رجلان سافلان..."	21	13	56
" فجمع ملك إسرائيل..."	22	06	148
"فجمع ملك إسرائيل..."	22	05	152
"وأحبّ سليمان الرّب..."	03	03	156
"وأحب سليمان فضلا عن ابنة فرعون..."	11	01	218،157
"فقال له أيضا أنا نبي مثلك..."	13	18	164
"وأخيرا خرج روح ووقف أمام الرّب..."	22	19	164
"فلما رأى أخاب إيليا..."	18	17	189
"فنهض إيليا أمام المجتمعين..."	18	21	190
"فلما كان الظهر راح..."	18	27	190

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

"فجمع ملك إسرائيل نحو أربع مئة رجل..."	22	06	196
"أنا وحدي بقيت نبيّا للرّب..."	18	22	198
"وإذا خطئوا إليك..."	08	46	213

سفر الملوك الثاني

طرف النص	الإصحاح	الفقرة	الصفحة
"وعمل القويم في نظر الرّب كجدّه داود..."	18	03	216،156
"وسقطت السامرة لأن بني إسرائيل خطئوا..."	17	07	180
" وأنذر الرّب إسرائيل ويهوذا..."	17	13	181
" فلم يسمعوا بل عاندوه كآبائهم..."	17	14	181
"وأزال يوشيا السحرة..."	23	24	182
"ولما سكن الملك في قصره..."	07	01	195

سفر أخبار الأيام الأول

طرف النص	الإصحاح	الفقرة	الصفحة
"قال: لا تمسّوا الذين اخترتهم..."	16	22	56
"وابنا فارص: حصرون وحامول..."	02	03	210

سفر أخبار الأيام الثاني

طرف النص	الإصحاح	الفقرة	الصفحة
"وتثبّت سليمان بن داود دعائم ملكه..."	01	01	156

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

سفر عزرا

طرف النص	الإصحاح	الفقرة	الصفحة
"وبعد أن تمّ هذا كلّه..."	09	01	09

سفر أيوب

طرف النص	الإصحاح	الفقرة	الصفحة
"شهور من البؤس نصيبي..."	07	03	160

سفر المزامير

طرف النص	الإصحاح	الفقرة	الصفحة
"إلى متى يا رب تنساني..."	13	01	160
"وأنا في الإثم ولدت..."	13	03	213

سفر اشعيا

طرف النص	الإصحاح	الفقرة	الصفحة
"فلما سمع اشعيا ما نقله إليه..."	37	5	03
"لذلك يقول القدّوس بمن تشبّهونني..."	40	25	175
" تحيا موتاك وتقوم أشلاؤهم..."	26	19	184
" ويل للنازلين إلى مصر..."	31	01	191
"يا لتشامخ بنات صهيون..."	03	16	201
"كيف صارت المدينة الأمينة زانية..."	01	21	202

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

سفر ارميا

طرف النص	الإصحاح	الفقرة	الصفحة
"وقال الرّب القدير..."	23	16	152
"وستأتي أيام أعاهد فيها بيت إسرائيل..."	31	31	183
"فستأتي أيام أعيد فيها أمجاد شعبي..."	30	03	187
"ويل للرعاة الذين يبيدون..."	23	01	191
" الذي يقيم في هذه المدينة..."	21	09	194
"لا تسمعوا لهم..."	27	17	194
" والأنبياء تنبّأوا باسم البعل..."	02	08	198
" يا بيت داود: أحكموا بالعدل..."	21	12	202
" وقال الرّب: كيف أسامحك..."	05	07	214
"ولكنّكم تتّكلون على كلام لا فائدة فيه..."	07	08	224

سفر حزقيال

طرف النص	الإصحاح	الفقرة	الصفحة
"فقال لي: يا ابن البشر قف..."	02	01	56
"فأخلّص غنمي ولا تكون من بعد نهبا..."	34	22	188
"ويل للأنبياء الحمقى..."	13	03	197

سفر صفنيا

طرف النص	الإصحاح	الفقرة	الصفحة
" وأزال يوشيا السحرة..."	09	09	182

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

سفر نحميا

طرف النص	الإصحاح	الفقرة	الصفحة
"وسكن زعماء الشعب في أورشليم..."	11	01	58
" وقتلوا أنبياءك الذين أنذروهم..."	09	26	182
"ثمّ تحقّقت فوجدت أن شمعيا..."	06	12	197

سفر دانيال

طرف النص	الإصحاح	الفقرة	الصفحة
"وبينما كنت أرى هذا الحلم..."	04	10	54

سفر هوشع

طرف النص	الإصحاح	الفقرة	الصفحة
"لما بدأ الرّب يتكلّم..."	01	01	206،167
"إنه عندما يتعثّر الكاهن..."	04	05	179
"تعالوا نرجع إلى الرّب..."	06	01	183
" فبنو إسرائيل يقعدون أياما كثيرة..."	03	04	187
"اسمعوا كلمة الرّب..."	04	01	200
" لحق الدمار بشعبي لأنهم لا يعرفونني..."	04	06	200
"اختلط بيت أفرايم في الشعوب..."	07	08	200
"أعرف بيت أفرايم..."	05	03	224

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

سفر عاموس

طرف النص	الإصحاح	الفقرة	الصفحة
" لذلك هذا ما قال الرّب..."	17	07	168
"في ذلك اليوم أقيم مسكن داود..."	09	11	187
"فأرسل أمصيا كاهن بيت إيل..."	07	10	192
"لأنهم يبيعون الصدّيق بالفضة..."	02	06	201
" يبغضون القاضي بالعدل في المحاكم..."	05	10	201

سفر يونان

طرف النص	الإصحاح	الفقرة	الصفحة
" نزلت إلى أسس الجبال..."	02	06	184

سفر حبقوق

طرف النص	الإصحاح	الفقرة	الصفحة
"إلى متى يا رب أستغيث..."	01	02	205،160
"فكيف تصمت عندما يبتلع الشرّير...."	01	13	205

سفر زكريا

طرف النص	الإصحاح	الفقرة	الصفحة
" الرّب القدير غضب غضبا شديدا..."	01	01	176

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

سفر متى

طرف النص	الاصحاح	الفقرة	الصفحة
" وأما التجديف على الروح القدس..."	12	31	64
"ودعا يسوع تلاميذه الاثني عشر..."	10	01	240،67
"وها أنا معكم طوال الأيام..."	28	20	247،68
"قولوا لي: ماذا خرجتم تنظرون..."	11	09	235
"فإلى أن جاء يوحنا..."	11	13	235
"ودعا يسوع تلاميذه الاثني عشر..."	10	01	281،238
"الحقّ أقول لكم..."	18	18	246
"وقال له بطرس:ها نحن تركنا..."	19	26	256
"فدنا منهم يسوع..."	28	18	259
"وأرسل يسوع هؤلاء التلاميذ الاثني عشر..."	10	05	260
"فالتفت (الرّب يسوع) وقال لبطرس..."	16	23	280
"وفي ذلك الوقت ذهب أحد التلاميذ..."	26	14	281
"وأرسل يسوع هؤلاء التلاميذ الاثني عشر..."	10	05	282
"توبوا ، لأن ملكوت السماوات اقترب..."	04	17	283

سفر مرقس

طرف النص	الإصحاح	الفقرة	الصفحة
"وظهر آخر مرّة لتلاميذه..."	16	14	260،248
"وأما التلاميذ فذهبوا يبشّرون..."	16	20	261،252

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

سفر لوقا

طرف النص	الاصحاح	الفقرة	الصفحة
"فأجابها الملاك: الروح القدس يحلّ عليك..."	01	35	64
"من استحى بي وبكلامي..."	09	26	65
"فقال لهم الملاك: لا تخافوا..."	02	10	71
"وقال للجموع كلهم..."	09	23	74
"بقيت الشريعة وتعاليم الأنبياء ..."	16	16	235
"ولذلك قالت حكمة الله..."	11	49	255،237
"روح الرّب عليّ..."	04	18	238
"وبعد ذلك اختار الرّب يسوع..."	10	01	244،239
"وبينما التلميذان يتكلّمان..."	24	36	248
"ودعا يسوع تلاميذه الاثني عشر..."	09	01	252
"لا بدّ أن يتمّ لي كلّ ما جاء..."	24	44	258

سفر يوحنا

طرف النص	الإصحاح	الفقرة	الصفحة
"لن أبقى في العالم..."	17	11	64
"" قال لها: اذهبي وادعي زوجك..."	04	16	230
"سلام عليكم، كما أرسلني الآب..."	20	21	246
"أنا أصلي لأجلهم..."	17	09	247
"وفي مساء ذلك الأحد..."	20	19	249
"فقال لهم يسوع ثانية..."	20	21	254

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

سفر أعمال الرسل

طرف النص	الاصحاح	الفقرة	الصفحة
"جئتم بهذين الرجلين..."	19	37	03
"وفي تلك الأيام نزل بعض الأنبياء..."	11	27	230
"وألقى يهوذا وسيلا..."	15	32	230
"ولما جاء اليوم الخمسون كانوا مجتمعين..."	02	01	250،236
"قال لهم الروح القدس..."	13	02	239
"فلمّا سمع الرسولان..."	14	14	239
"جميع ما عمل يسوع وعلّم..."	01	01	249
"أيها الإخوة: دعوني أقول لكم..."	02	29	249
"ولكن الروح القدس يحلّ عليكم..."	01	08	251
"وأما أنتم فستتعمّدون بالروح القدس..."	01	05	251
"وتمّت عجائب وآيات كثيرة..."	02	43	252
"وجرى على أيدي الرسل..."	05	12	253
"وكان في يافا تلميذة..."	09	36	253
" وكان بطرس في الليلة..."	12	06	254
" فوقف بطرس مع التلاميذ الأحد عشر..."	02	14	261
"وبينما الرجل يلازم بطرس..."	03	11	262
"وأخذ المؤمنون الذين تشتّتوا..."	08	04	262
" وكان بطرس يناشدهم ويعظهم..."	02	40	262
"فقال بطرس: أرى أن الله في الحقيقة..."	10	34	263
"فلّما سمع الرسل في أورشليم..."	08	14	263
"وكلّمهم على ملكوت الله..."	01	03	264
"وفي ذلك الوقت أخذ الملك هيرودس..."	12	01	265
"واشتدّت نقمة رئيس الكهنة..."	05	17	265

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

"وبينما هو يقترب من دمشق..."	09	03	271،267
"وبينما أقترب من دمشق..."	22	06	272
"فسافرت إلى دمشق..."	26	12	272
" ولما وصل شاول إلى أورشليم..."	09	26	279،274
"وهكذا عمل يوسف..."	04	36	275
" فلمّا وصلا (برنابا وبولس) إلى سلاميس..."	13	05	276
" فقال بولس وبرنابا بجرأة..."	13	46	276
" ودخل بولس وبرنابا كعادتهما..."	14	01	276
"فاقترح الإخوة اثنين منهم هما..."	01	23	277
"وكان شاول (بولس) يسعى..."	08	03	278
" أما شاول فكان ينفث صدره..."	09	01	278
" فأجابه حنانيا: يا رب أخبرني..."	09	13	278
"... وسمع الرسل في أورشليم."	08	14	283
" وأما فيلبس فوجد نفسه في أشدود...."	08	40	283

رسالة رومة

طرف النص	الاصحاح	الفقرة	الصفحة
"إلى الذين قدّسهم..."	01	02	65
"إلى جميع أحبّاء الله في رومة..."	01	07	66
"من بولس عبد المسيح يسوع..."	01	01	237

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

رسالة كورنثوس الأولى

طرف النص	الاصحاح	الفقرة	الصفحة
" وإن كان لامرأة زوج غير مؤمن..."	07	14	41
"ولو وهبني الله النبوة..."	13	02	230
"أذكّركم أيها الإخوة بالبشارة..."	15	01	283

رسالة كورنثوس الثانية

طرف النص	الاصحاح	الفقرة	الصفحة
" وإن كان لامرأة زوج غير مؤمن..."	07	14	41
"فنحن نتصرّف بجرأة..."	03	12	255،237

رسالة غلاطية

طرف النص	الاصحاح	الفقرة	الصفحة
"مني أنا بولس..."	01	01	269
" فاعلموا أيها الإخوة..."	01	11	269
"ولكن الله بنعمته اختارني..."	01	15	270
" وبعد ثلاث سنوات صعدت إلى أورشليم..."	01	18	274

رسالة أفسس

طرف النص	الاصحاح	الفقرة	الصفحة
"لذلك أنا بولس سجين المسيح..."	03	01	231

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

"أنا أصغر المؤمنين جميعا..."	03	08	270

رسالة تيموثاوس الأولى

طرف النص	الاصحاح	الفقرة	الصفحة
" أنا الذي جدّف عليه..."	01	13	278

رسالة العبرانيين

طرف النص	الاصحاح	الفقرة	الصفحة
"اجعلوا هدفكم أن تسالموا جميع الناس..."	12	14	40
"كلّم الله آباءنا من قديم الزّمان..."	01	01	232
"فيا إخوتي القدّيسين المشتركين..."	03	01	234
"فيا إخوتي القدّيسين..."	03	01	238

رسالة بطرس الأولى

طرف النص	الاصحاح	الفقرة	الصفحة
" بل كونوا قدّيسين في كل ما تعملون..."	01	15	64

رسالة بطرس الثانية

طرف النص	الاصحاح	الفقرة	الصفحة
" بل كونوا قدّيسين في كل ما تعملون..."	01	15	64
"لأن ما من نبوءة على الإطلاق..."	01	21	230

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

رؤيا يوحنا

طرف النص	الاصحاح	الفقرة	الصفحة
"وكان سور المدينة قائما..."	21	14	240،67

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

رأس الحديث	مُخرج الحديث	الصفحة
"إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب..."	البخاري	21
"لا يصلينّ أحد الظهر إلا في بني قريظة"	مسلم	21
"من رأى منكم منكرا فليغيره بيده..."	مسلم	24
"ثكلتك أمّك، وهل يكبّ الناس على مناخرهم..."	أحمد	30
"إن العبد ليتكلّم بالكلمة..."	مسلم	30
"إذا قال الرجل لأخيه يا كافر..."	البخاري	32
"الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته..."	البخاري	76
"لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد..."	البخاري	78
"إن الزمان قد استدار كهيئته..."	البخاري	79
"لا تطلع الشمس ولا تغرب على يوم..."	ابن حبان	80
"أتاني جبريل بمثل المرآة البيضاء..."	أبو يعلى	81
"خير يوم طلعت فيه الشمس..."	ابن حبان	81
"بني الإسلام على خمس..."	البخاري	82
"أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادي..."	مسلم	100
"يامعشر المسلمين من يعذرني..."	البخاري	102
"كيف يفلح قوم شجّوا نبيّهم..."	مسلم	104
"مائة ألف وعشرون ألفا"	ابن حبان	292
"عرضت عليّ الأمم..."	البخاري	293
"كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء..."	البخاري	294
" أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي..."	البخاري	299
"لا تفضّلوا بين أنبياء الله..."	البخاري	301
"وهل من نبي إلا وقد رعاها..."	البخاري	305
"كان زكرياء نجارا..."	مسلم	305

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

"زملوني، زمّلوني"	البخاري	306
"كَمَل من الرجال كثير..."	البخاري	309
"بينما نحن جلوس عند رسول الله..."	مسلم	310
"إن موسى كان رجلا حييّا ستّيرا..."	البخاري	313
"إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم..."	البزار	315
"بعثت من خير قرون بني آدم..."	البخاري	316
" إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل...."	مسلم	316
"أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادي..."	مسلم	319
"...ونسي آدم فنسيت ذرّيته"	الترمذي	326
"ولكن إنما أنا بشر مثلكم أنسى كما تنسون"	البخاري	326
"كانت امرأتان معهما ابناهما..."	البخاري	328
" إنّما أنا بشر، وإنّه يأتيني الخصم..."	البخاري	328
"الله أفرح بتوبة العبد..."	البخاري	334
"أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم..."	البخاري	363،343
"إنما بعثت لأتمّم صالح الأخلاق"	أحمد	345
"إن مما أدرك الناس من كلام النبوّة الأولى..."	البخاري	345
"ما من شيء يوضع في الميزان..."	الترمذي	351
" أكثر ما يدخل الناس الجنة تقوى الله..."	الترمذي	351
" إن من أحبّكم إليّ...."	الترمذي	351
"من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه..."	البخاري	352
"الإيمان بضع وستّون شعبة..."	البخاري	352
"كم من قائم ليس له من قيامه..."	أحمد	352
"من لم يدع قول الزور والعمل به..."	البخاري	352
" كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء..."	البخاري	357
"إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي..."	البخاري	363

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

"من لكعب بن الأشرف..."	البخاري	374
"فأبطل النبي (صلى الله عليه وسلم) دمها..."	أبو داود	377

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

.أ.

اسم العلم	الصفحة
أبي بن خلف	99
أنس بن مالك	104
ادوارد سعيد	110
أخاب	147
إيليا	189
أوريا الحثّي	195
أوغسطين	232
أندره لومير	241
الألوسي	289
الآمدي	326

.ب.

اسم العلم	الصفحة
بلوطة مورة	58

.ت.

اسم العلم	الصفحة
توماس أرنولد	78
ابن تيمية	288

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ـ ث ـ

اسم العلم	الصفحة
ثيو فان خوج	123

ـ ج ـ

اسم العلم	الصفحة
الجرجاني	52
جيروم	70
أبو جهل (عمرو بن هشام)	98
أم جميل بنت حرب	103
جلوب باشا	137
جدعون	177
جرشوم شوليم	186
جعفر بن أبي طالب	350

ـ ح ـ

اسم العلم	الصفحة
ابن حزم	165
ابن حجر العسقلاني	345

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- خ -

اسم العلم	الصفحة
خولة بنت ثعلبة	23
خيرت فيلدرز	127

- د -

اسم العلم	الصفحة
دوركهايم	46
دانتي أليجييري	109

- ر -

اسم العلم	الصفحة
روجيه غارودي	222
رينان	274
الرازي	325
ابن راهويه	372

- ز -

اسم العلم	الصفحة
زيد بن حارثة	108
زينب بنت جحش	108

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الزمخشري	289

- س -

اسم العلم	الصفحة
سبينوزا	150
سجاح بنت المنذر	308

- ش -

اسم العلم	الصفحة
شيشرون	51
شنودة السرياني	242
الشهرستاني	302

- ط -

اسم العلم	الصفحة
الطبري	72،16
طعمة بن أبيرق	354

- ع -

اسم العلم	الصفحة
عبد الله دراز	50

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

العاص بن وائل	99
عمرو بن أمية	105
ابن عاشور	346

ـ غ ـ

اسم العلم	الصفحة
ابن غوريون	37

ـ ف ـ

اسم العلم	الصفحة
فهمي جدعان	47
فوليني	115

ـ ق ـ

اسم العلم	الصفحة
القرطبي	80
القاضي عياض	297
القاضي عبد الجبار	329
ابن القيّم	350

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ـك

اسم العلم	الصفحة
كارل بروكلمان	116
كيتاني	134
ابن كثير	367

ـل

اسم العلم	الصفحة
أبو لهب	100
اللقاني	316

ـم

اسم العلم	الصفحة
مرسيا إلياد	47
مابير	51
مكسيم رودنسون	118
مونتغمري وات	132
موسى بن ميمون	149
محمد خليفة حسن	184
موآب	210
محمد أبو زهرة	279
المراغي	335

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ابن المنذر	372
محمد بن سحنون	374
محمد بن مسلمة	375

- ن -

اسم العلم	الصفحة
نبوخذ نصر	60

- هـ -

اسم العلم	الصفحة
ابن الهمام	315

- و -

اسم العلم	الصفحة
ورقة بن نوفل	367

- ي -

اسم العلم	الصفحة
يوحنا الدمشقي	106
يوشافاط	197
يشوع	220

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

يوحنا فم الذهب	232
يوسابيوس القيصري	263

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم ـ رواية حفص عن عاصم.

الكتاب المقدس (العهد القديم، العهد الجديد)، دار الكتاب المقدس بالشرق الأوسط، 1988.

ـ أ ـ

* أثناسيوس، المقاري:

1 ـ معجم المصطلحات الكنسية، دار نوبار ـ مصر، ط1: 2004.

* ابن الأثير، عز الدين (ت637هـ):

2 ـ المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: محمد عبد الحميد، مطبعة مصطفى بابي الحلبي ـ القاهرة، 1939

3 ـ أسد الغابة في معرفة الصحابة، دار ابن حزم ـ بيروت، ط1: 2012.

* إرسالية كنيسة الله:

4 ـ إيمان الكنيسة الأولى، مطبعة رعمسيس ـ مصر.

* الأزهري، محمّد:

5 ـ **تهذيب اللغة**، تحقيق: أحمد مخيمر، دار الكتب العلمية ـ بيروت، ط1: 2004.

* أستاورو، زكريا:

6 ـ أساسيات مسيحية، الخدمة العربية للكرازة بالإنجيل.

* الأشعري، أبو الحسن (ت 324هـ):

7 ـ مقالات الإسلاميين، المكتبة العصرية ـ بيروت، 1990.

* الأشقر، عمر سليمان (ت 2012م):

8 ـ الرسل والرسالات، دار النفائس ـ الأردن، ط12: 2004.

* الأصبهاني، أبو الثناء (749هـ):

9 ـ شرح طوالع الأنوار، القاهرة، ط1: 1323.

* الأصفهاني، أبو نعيم (430هـ):

10 ـ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الكتب العلمية ـ بيروت، ط1: 1988.

* الأصفهاني، الراغب أبو القاسم (ت 502هـ):

11 ـ المفردات في غريب القرآن، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة ـ بيروت.

* أفلاطون، مطران موسكو:

12 ـ الخلاصة الشهية في أخص العقائد والتعاليم الأرثوذكسية، ترجمة: يوحنا خربون منشورات النور ـ بيروت.

* ألارو، عبد الرزاق:

13 ـ مصادر النصرانية، دار التوحيد ـ الرياض، ط1: 2007.

* الألباني، محمد ناصر الدين (ت 1999م):

14 ـ السلسلة الصحيحة، مكتبة المعارف ـ الرياض، ط1: 2002.

15 ـ إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، المكتب الإسلامي ـ بيروت، ط1: 1979.

* الألوسي، أبو الفضل شهاب الدين (ت 1270هـ):

16 ـ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث ـ بيروت.

* إلياس، بولس:

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

17 ـ المدعوون في الكتاب المقدّس، دار المشرق ـ بيروت.

* أليجييري، دانتي (ت1321م):

18 ـ الكوميديا الإلهية (الجحيم)، ترجمة: حسن عثمان، دار المعارف ـ مصر، ط3: 1988.

* الآمدي، سيف الدين (ت631هـ):

19 ـ الإحكام في أصول الأحكام، مطبعة الحلبي ـ مصر، 1378.

* أندروملر:

20 ـ مختصر تاريخ الكنيسة، شركة الطباعة المصرية ـ القاهرة، ط4: 2003.

* بن أنس، مالك الأصبحي (ت179هـ):

21 ـ المدونة الكبرى (رواية سحنون)، دار الفكر ـ بيروت، 1978.

* أنس، جيمس:

22 ـ علم اللاهوت النظامي، الكنيسة الإنجيلية ـ القاهرة.

* الإيجي، عضد الدين (ت756هـ):

23 ـ المواقف، دار عالم الكتب ـ بيروت.

* أيرنسايد، هنري:

24 ـ القداسة الوهمية والحقيقية، ترجمة: رشدي فيلبس، مكتبة الإخوة شيرا ـ مصر، ط2: 1998.

ـ ب ـ

* البخاري، محمد بن إسماعيل (ت 256هـ):

25 ـ صحيح البخاري، دار الحديث ـ القاهرة، 1425 . 2004.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

* بدوي، عبد الرحمن:

26 ـ دفاع عن محمد (صلى الله عليه وسلم) ضد مطاعن المنتقصين من قدره، ترجمة: كمال جاد الله، الدار العالمية للكتب والنشر ـ القاهرة.

27 ـ موسوعة الفلسفة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ بيروت،ط1: 1984.

* البرموسي، روفائيل:

28 ـ الحياة اليهودية بحسب التلمود، دار نوبار، ط1: 2003.

*برنجل، صموئيل:

29 ـ الطريق إلى القداسة، ترجمة: بشاي مسعد، لجنة خلاص النفوس للنشر ـ مصر، ط2: 1999.

*بروكلمان، كارل (ت1956م):

30 ـ تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة: نبيه فارس، منير البعلبكي، دار العلم ـ بيروت، ط5: 1973.

* بسترس، كيرلس سليم:

31 ـ القدس في الفكر المسيحي، المؤتمر الدولي الثاني"حماية المقدسات الإسلامية والمسيحية في فلسطين"، الأردن.

* البعلبكي، منير:

32 ـ معجم أعلام المورد، دار العلم للملايين ـ بيروت، ط1: 1992.

* البغدادي، عبد القاهر (ت429هـ):

33 ـ الفرق بين الفرق، دار المعرفة ـ بيروت، ط4: 2008

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

* البغدادي، محمد بن أبي يعلى (ت526هـ):

34 ـ طبقات الحنابلة، تحقيق: محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية ـ القاهرة، ط1: 1370.

* البغوي، أبو محمد الحسين (ت516هـ) :

35 ـ معالم التنزيل، تحقيق: محمد النمر، عثمان ضميرية، سليمان الحرش، دار طيبة للنشر ـ الرياض، ط4: 1997.

* البقاعي، برهان الدين (ت885هـ):

36 ـ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي ـ القاهرة.

* البلاذري، أبو الحسن (ت279هـ):

37 ـ فتوح البلدان، مطبعة الموسوعات ـ القاهرة، ط1: 1901.

* ابن بلبان، علاء الدين (ت1083هـ):

38 ـ صحيح ابن حبان، مؤسسة الرسالة ـ بيروت، ط2: 1993.

* بهجت، محمد:

39 ـ أعلام العراق، المطبعة السلفية ـ العراق.

* البناوي، محمد:

40 ـ حاشية ابن الأثير على إتحاف المريد شرح جوهرة التوحيد (للشيخ عبد السلام اللقاني المالكي)، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية ـ بيروت، ط1: 2001.

* البهوتي، منصور بن يونس (ت1051هـ):

41 ـ كشف القناع على متن الإقناع، مطبعة أنصار السنة المحمدية ـ مصر، 1947.

* بوست، جورج:

42 ـ فهرس الكتاب المقدّس، دار مكتبة العائلة ـ بيروت، 2000 .

* البوطي، محمد سعيد رمضان:

43 ـ فقه السيرة النبوية، دار الفكر ـ دمشق، ط1: 1991.

44 ـ كبرى اليقينيات الكونية، دار الفكر ـ دمشق، ط35: 2015.

* بينتون، رولاند:

45 ـ مواقف من تاريخ الكنيسة، ترجمة: عبد النور ميخائيل، ط2: 1978.

* البيهقي، أحمد بن الحسين (458هـ) :

46 ـ دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، تحقيق: عبد المعطي قلعجي، دار الكتب الجامعية ـ بيروت، 1985.

ـ ت ـ

* الترمذي، محمد بن عيسى (ت 279هـ):

47 ـ الجامع، تحقيق: أحمد شاكر وفؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة عوض، مكتبة الحلبي . القاهرة، ط2، 1398 . 1977.

* التفتازاني، سعد الدين (ت792هـ):

48 ـ شرح العقائد النسفية، مكتبة المدينة ـ باكستان، ط2: 2012.

* التهانوي، محمد علي (ت1158هـ):

49 ـ كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق: علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون ـ بيروت، ط1: 1996.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

* ابن تيمية، تقي الدين أحمد (ت728هـ) :

50 ـ الصارم المسلول على شاتم الرسول(صلى الله عليه وسلم)، تحقيق: محمد الحلواني، محمد شودري، دار رمادي ـ السعودية، ط1: 1997.

51 ـ النبوات، تحقيق: عبد العزيز الطويان، مكتبة أضواء السلف ـ الرياض، ط1: 2000.

52 ـ منهاج السنة النبوية، تحقيق: محمد رشاد، دار الكتب العلمية ـ بيروت، ط1: 1986.

53 ـ مجموع الفتاوى، دار الوفاء ـ مصر، ط3: 2005.

* تاوضاروس، موريس:

54 ـ عالم الملائكة، دار الجيل للطباعة ـ القاهرة، ط2: 1995.

ـ ث ـ

*الثعلبي، أبو إسحاق أحمد (ت427هـ) :

55 ـ الكشف والبيان، تحقيق: علي بن عاشور، نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، ط1: 2002.

ـ ج ـ

* جدعان، فهمي:

56 ـ المقدس والحرية، دار فارس ـ بيروت، ط1: 2009.

* الجرجاني، عبد القاهر (ت471هـ) :

57 ـ التعريفات، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي ـ بيروت، ط1: 1405هـ.

* الجرجاني، علي بن محمد (ت816هـ):

58 ـ شرح المواقف، دار الكتب العلمية ـ بيروت، ط1: 1419.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

* جرجس، حبيب:

59 ـ أسرار الكنيسة السبعة، مكتبة المحبة ـ مصر، ط6: 1979.

* الجزيري، عبد الرحمن:

60 ـ أدلة اليقين في الرّد على كتاب ميزان الحق وغيره من مطاعن المبشّرين المسيحيين في الإسلام، مطبة رشاد ـ القاهرة، ط1: 1934.

* الجصاصّ، أبو بكر (ت370هـ):

61 ـ أحكام القرآن، تحقيق: محمد الصادق قحماوي، دار إحياء التراث ـ بيروت، 1992.

* شارل جنيبير:

62 ـ المسيحية، ترجمة: عبد الحليم محمود، المكتبة العصرية ـ بيروت.

* جورافسكي، أليكسي:

63 ـ الإسلام والمسيحية، ترجمة: خلف محمد الجرّاد، سلسلة عالم المعرفة ـ الكويت، 1990.

* ابن الجوزي، أبو الفرج جمال الدين (ت 597هـ):

64 ـ زاد المسير في علم التفسير، المكتب الإسلامي ـ بيروت، ط3، 1404 . 1984.

* ابن الجوزي، شمس الدين أبو المظفر (ت654هـ):

65 ـ مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، تحقيق: كامل الجبوري، دار الكتب العلمية ـ بيروت.

* جوزف، نصر الله:

66 ـ منصور بن سرجون (عصره، حياته، مؤلفاته)، ترجمة: أنطون هبي، منشورات المكتبة البولسية ـ بيروت، ط1: 1991.

* الجوهري، إسماعيل بن حماد (ت393هـ):

67 ـ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين ـ بيروت، ط3: 1984.

* الجويني، أبو المعالي (ت478هـ):

68 ـ غياث الأمم في التياث الظلم، تحقيق: فؤاد عبد المنعم، مصطفى حلمي دار الدعوة ـ الاسكندرية.

ـ ح ـ

* الحارثي، محمد:

69 ـ الحدود بين حرية التعبير والإساءة إلى الآخر، منشورات مركز السلطان قابوس العالي للثقافة والعلوم ـ مسقط، 2014.

* حبيب، صموئيل:

70 ـ دائرة المعارف الكتابية، دار الثقافة ـ القاهرة، ط1: 1991.

* الحداد، يوسف:

71 ـ مصادر الوحي الإنجيلي (تاريخ المسيحية)، منشورات المكتبة البولسية ـ لبنان، ط2: 1990.

* ابن حزم، أحمد بن سعيد (ت456هـ):

72 ـ الفصل في الملل والأهواء والنحل، تحقيق: محمد إبراهيم نصر، دار الجيل ـ بيروت.

73 ـ المحلى، تحقيق: أحمد شاكر، مطبعة النهضة ـ مصر.

* حسن، محمد خليفة:

74 ـ تاريخ النبوة الإسرائيلية، دار الثقافة ـ القاهرة، 1985.

75 ـ دراسات في تاريخ وحضارة الشعوب السامية القديمة، دار الثقافة ـ القاهرة، 1985

* حسين، عماد عبد السميع:

76 ـ الإسلام واليهودية، دار الكتب العلمية ــ بيروت، ط1: 2004.

* حلواني، ياسين:

77 ـ الموسوعة العربية الميسرة والموسعة، مؤسسة التاريخ العربي ـ بيروت، ط1: 2001.

* الحميدي، عبد العزيز:

78 ـ التاريخ الإسلامي مواقف وعبر، دار الدعوة ـ الاسكندرية، ط1: 1997.

* الحنبلي، ابن رجب (ت795هـ):

79 ـ ذيل طبقات الحنابلة، مكتبة العبيكان ـ السعودية، ط1: 2005.

* ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد (ت241هـ):

80 ـ مسند أحمد، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة ـ بيروت.

*ابن أبي العز الحنفي (ت792هـ):

81 ـ شرح العقيدة الطحاوية، المكتب الإسلامي ـ بيروت، ط8: 1984.

-خ-

* الخالدي، صلاح عبد الفتاح:

82 ـ الشخصية اليهودية من خلال القرآن الكريم، دار القلم ــ دمشق، ط1: 1998.

83 ـ سفر التكوين في ميزان القرآن الكريم، ط1: 2004، دار العلوم ـ عمان.

84 ـ جذور الإرهاب اليهودي في أسفار العهد القديم،

* خالدي، مصطفى:

85 ـ التبشير والاستعمار، منشورات المكتبة العصرية ـ بيروت، 1986.

* خفاجي، باسم:

86 ـ لماذا يكرهونه؟ الأصول الفكرية لموقف الغرب من نبي الإسلام (صلى الله عليه وسلم)، المركز العربي للدراسات الإنسانية ـ السعودية، ط1: 2006.

* الخلف، سعود:

87 ـ دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، ط1: 1997، مكتبة أضواء السلف ـ الرياض 1946.

* ابن خلكان، أحمد بن محمد (ت681هـ):

88 ـ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر ـ بيروت.

* الخولي، محمد:

89 ـ اليهود من كتابهم، ط1: 1998، دار الفلاح ـ عمان.

* الخون، مسعود:

90 ـ الموسوعة العربية العالمية، بيروت.

ـ د ـ

* أبي داود، سليمان بن الأشعث (ت275هـ):

91 ـ سنن أبي داود، تحقيق: ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف ـ الرياض.

* دراز، محمد عبد الله (ت1958م):

92 ـ الدين، دار القلم ـ الكويت، 1980.

93 ـ القانون الدولي العام والإسلام، المجلة المصرية للقانون الدولي، 1949.

* درويش، عادل:

94 ـ الكنيسة أسرارها وطقوسها، دار ابن حزم ـ القاهرة، ط1: 2012.

* الدكالي، عبد العلي:

95 ـ المقدّس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ـ جامعة ابن زهر ـ أغادير، ط1: 2016.

* الديب، عبد العظيم:

96 ـ المنهج في كتابات الغربيين عن التاريخ الإسلامي، سلسلة كتاب الأمة ـ قطر، ط1: 1989.

* ديورانت، ول (ت1981م):

97 ـ قصة الحضارة، ترتيب: محمد عبد الرحيم، دار الجيل ـ بيروت، ط1: 1992.

ـ ذ ـ

* الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد (ت748هـ):

98 ـ سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة ـ بيروت، ط2: 1982.

99 ـ ميزان الاعتدال، دار المعرفة ـ بيروت.

100 ـ العبر في خبر من غبر، تحقيق: محمد زغلول، دار الكتب العلمية ـ بيروت.

ـ ر ـ

* الرازي، فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر القرشي (ت 606هـ):

101 ـ التفسير الكبير ومفاتح الغيب، دار الفكر . بيروت، ط3، 1405 . 1985.

102 ـ المحصول في علم الأصول، دار الكتب العلمية ـ بيروت، 1988.

103 ـ عصمة الأنبياء، منشورات الكتبي ـ العراق، 1406.

* الرازي، محمد بن أبي بكر (ت666هـ):

104 ـ مختار الصحاح، دار الفكر . بيروت، 1981.

* راوسن، إليزابيث:

105 ـ شيشرون (صورة شخصية)، مطبعة كريستول للكلاسيكيات، 1994.

* الراوي، جابر إبراهيم:

106 ـ حقوق الإنسان والحريات الأساسية في القانون الدولي والشريعة الإسلامية، دار وائل ـ عمان، 1999.

* ربيع، أحمد:

107 ـ أرض الميعاد بين الحقيقة والمغالطة، منشورات جامعة قطر.

* رضا، محمد رشيد (ت1935م):

108 ـ تفسير المنار، دار المعرفة . بيروت، ط2، 1366 . 1947.

* الرفاعي، أحمد:

109 ـ المسؤولية الجنائية الولية للمساس بالمعتقدات والمقدسات الدينية، دار النهضة العربية ـ القاهرة، 2007.

* رنسيمان، ستيفن:

110 ـ تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة: الباز العريني، دار الثقافة ـ بيروت، ط1: 1967.

* روهلنج، شارل لوران:

111 ـ الكنز المرصود في قواعد التلمود، ترجمة: يوسف نصر الله، دار القلم ـ دمشق، ط2: 1999.

ـ ز ـ

* الزبيدي، المرتضى (ت1205هـ):

112 ـ تاج العروس، تحقيق: إبراهيم الترزي، المجلس الوطني للفنون والآداب ـ الكويت، ط1: 2000.

* الزحيلي، وهبة:

113 ـ نظام الإسلام، دار ابن قتيبة ـ بيروت، ط2: 1993.

* الزرقاني، محمد (1367هـ):

114 ـ مناهل العرفان في علوم القرآن، تحقيق: أحمد المعصراوي، دار السلام ـ مصر، ط4: 2015

* الزركشي، بدر الدين (ت794هـ):

115 ـ البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية ـ بيروت، ط1: 1957.

* الزركلي، خير الدين (ت1976م):

116 ـ الأعلام، دار العلم للملايين ـ بيروت، ط15 : 2002.

* زرمان، محمد:

117 ـ النبي (صلى الله عليه وسلم) في الفكر الغربي بين الإنصاف والإجحاف، دار الأعلام ـ الأردن، ط1: 2012 .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

* الزغبي، فتحي:

118 ـ عصمة النبي سليمان ابن داوود ممّا رماه به اليهود في العهد القديم والإسرائيليات، دار البشائر الإسلامية ـ بيروت، ط1: 2011 .

* الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الخوارزمي (ت 538هـ):

119 ـ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق: عادل عبد الموجود، مكتبة العبيكان ـ الرياض، ط1: 1998.

120 ـ الفائق في غريب الحديث، تحقيق: علي البجاوي وزميله، دار الفكر ـ بيروت، 1993.

* أبو زهرة، محمد بن أحمد:

121 ـ الجريمة والعقوبة في الفقه الإسلامي، دار الفكر العربي . القاهرة. محمد أبو زهرة: الجريمة والعقوبة في الفقه الإسلامي، دار الفكر العربي . القاهرة.

122 ـ العلاقات الدولية في الإسلام، دار الفكر العربي ـ القاهرة، 1995.

* زهو، محمد:

123 ـ الحديث والمحدّثون، شركة الطباعة العربية ـ الرياض، ط2: 1984.

* زيادة، رضوان:

124 ـ الأديان وحرّية التعبير، مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان، سلسلة مناظرات حقوق الإنسان (10).

* زيدان، عبد الكريم:

125 ـ أحكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام، مؤسسة الرسالة ـ بيروت، 1982

ـ س ـ

* السبايلة، عامر:

126 ـ إدارة الحوار بين الثقافات، دار عالم الكتب الحديث ـ الأردن، ط1: 2011.

*سبينوزا، باروخ:

127 ـ رسالة في اللاهوت والسياسة، ترجمة: حسن حنفي، فؤاد زكريا، دار التنوير ـ بيروت، ط1: 2005

* السعدي، عبد الرحمن:

128 ـ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق، مؤسسة الرسالة ـ بيروت، ط1: 2000.

* ابن سعد:

129 ـ الطبقات الكبرى، دار صادر ـ بيروت، 1957.

* سعيد، إدوارد:

130 ـ الاستشراق، ترجمة: كمال أوديب، مؤسسة الأبحاث العربية ـ بيروت، ط3: 1991.

* سعيد، جودت:

131 ـ لم هذا الرعب كله من الإسلام، دار الفكر ـ دمشق، ط1: 2006.

* سعيد، عبد الستار:

132 ـ معركة الوجود بين التوراة والتلمود، ط2: 1402، مكتبة المنار ـ الأردن.

* السفاريني، محمد بن أحمد (ت1188هـ):

133 ـ لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، مؤسسة الخافقين ـ دمشق، 1982.

*سلامة، يوحنا:

134 ـ اللآلئ النفيسة في شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة، مطبعة قاصد خير ـ مصر، ط3: 1965.

*سليمان، خالد:

135 ـ ظاهرة الإسلاموفوبيا، بحث مقدّم إلى مؤتمر فيلادلفيا الدولي الحادي عشر (ثقافة الخوف)، جامعة فيلادلفيا ـ الأردن، 24 ـ 26 أبريل 2006.

* السمالوطي، نبيل:

136 ـ نحو استراتيجية علمية لنصرة الرسول (صلى الله عليه وسلم)، بحث مقدّم للملتقى الدولي "نصرة النبي صلى الله عليه وسلم"، رابطة العالم الإسلامي ـ مكة المكرّمة.

* السمرقندي، أبو منصور (333هـ):

137 ـ شرح الفقه الأكبر، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ـ قطر.

* سمعان، عوض:

138 ـ الكهنوت، دار الإيمان المسيحية ـ القاهرة، ط2: 1985.

* السنوسي، محمد بن يوسف (ت895هـ):

139 ـ شرح السنوسية، مطبعة جريدة الإسلام ـ مصر، 1316هـ.

* السهيلي، عبد الرحمن (ت581هـ):

140 ـ الروض الأنف في شرح السيرة النبوية، تحقيق: عبد الرحمن الوكيل، دار الكتب الإسلامية ـ بيروت، 1967.

* م.ص. سيجال :

141 ـ حول تاريخ الأنبياء عند بني إسرائيل، ترجمة: حسن ظاظا، منشورات جامعة بيروت العربية ـ بيروت، 1967.

* السيد صالح، سعد الدين:

142 ـ العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية، مكتبة الصحابة ـ الإمارات.

* السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (ت 911هـ):

143 ـ الدرر المنثور في التفسير بالمأثور، دار الفكر ـ بيروت، ط1: 1993.

ـ ش ـ

* الشامي، رشاد:

144 ـ الوصايا العشر في اليهودية (دراسة مقارنة في المسيحية والإسلام)، دار الزهراء ـ القاهرة، 1993.

* الشرقاوي، محمد:

145 ـ دراسات في الملل والنحل، دار الفكر العربي ـ بيروت، ط1: 1993.

146 ـ الأنبياء في القرآن الكريم، دار الشعب ـ القاهرة، 1970.

* شعبان، محمد عطا الله:

147 ـ حرية الإعلام في القانون الدولي، مركز الإسكندرية للكتاب،الإسكندرية:2007.

* الشعراوي، محمد متولي:

148 ـ تفسير الشعراوي، أخبار اليوم. 1991.

* شلبي، أحمد:

149 ـ اليهودية، مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة، ط8: 1988.

الشهرستاني، أبو الفتح (ت548هـ):

150 ـ نهاية الأقدام في علم الكلام، مكتبة الثقافة الدينية ـ القاهرة، ط1: 2009

151 ـ الملل والنحل، دار الكتب العلمية ـ بيروت، ط2: 1992.

* شنودة، زكي:

152 ـ المجتمع اليهودي، مكتبة الخانجي ـ القاهرة.

* شوقار، إبراهيم:

153 ـ منهج القرآن في تقرير حرية الرأي، دار الفكر المعاصر ـ بيروت، ط1: 2002.

*شيبة، الحمد عبد القادر:

154 ـ الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة، شركة المدينة للطباعة ـ السعودية.

ـ ص ـ

* الصابوني، محمد علي:

155 ـ النبوة والأنبياء، مؤسسة مناهل العرفان ـ بيروت، ط3: 1985.

* الصلابي، علي محمد محمد:

156 ـ السيرة النبوية، دار اليقين ـ المنصورة، ط1: 2004.

ـ ط ـ

* الطّبّاع، إيّاد:

157 ـ محمد الطاهر ابن عاشور، علّامة الفقه وأصوله والتفسير وعلومه (سلسلة علماء ومفكّرون معاصرون، لمحات من حياتهم وتعريف بمؤلّفاتهم)، دار القلم ـ دمشق، ط1: 2005.

* الطبرسي، أبو علي الفضل (ت548هـ):

158 ـ مجمع البيان في تفسير القرآن، دار المعرفة ـ بيروت، 1986.

* الطبري، ابن جرير (ت 310هـ):

159 ـ جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: عبد الله التركي، دار هجر ـ القاهرة، ط1: 2000.

160 ـ تاريخ الأمم والملوك، دار الكتب العلمية ـ بيروت، ط3: 1991.

* طرابيشي، جورج:

161 ـ معجم الفلاسفة، دار الطليعة ـ بيروت، ط3: 2006.

* طعيمة، صابر:

162 ـ التراث الإسرائيلي في العهد القديم، دار الجيل ـ بيروت، 1979.

163 ـ التاريخ اليهودي العام، دار الجيل ـ بيروت، ط3: 19991.

* الطهطاوي، محمد عزت:

164 ـ الميزان في مقارنة الأديان، دار القلم ـ دمشق، 1994.

* طويلة، عبد الوهاب:

165 ـ توراة اليهود والإمام ابن حزم الأندلسي، دار القلم ـ دمشق.

ـ ظ ـ

* ظاظا، حسن:

166ـ أبحاث في الفكر اليهودي، دار القلم ـ دمشق، ط1: 1987.

ـ ع ـ

* بن عاشور، محمد الطاهر:

167 ـ التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر . تونس، 1984.

* العامري، محمد:

168 ـ بواعث التطاول على النبي (صلى الله عليه وسلم)، بحث مقدّم للمؤتمر الدولي (التطاول على النبي صلى الله عليه وسلم وواجبات الأمة)، الرياض، 2007 .

* عائشة، عبد الرحمن:

169 ـ القرآن وقضايا الإنسان، دار المعارف . القاهرة.

* عبد الباقي، محمد فؤاد:

170 ـ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الفكر ـ بيروت، ط2: 1981.

* عبد الجبار، القاضي (ت415هـ):

171 ـ شرح الأصول الخمسة، تحقيق: عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة ـ القاهرة، ط3: 1996.

172 ـ المغني في أبواب التوحيد والعدل، دار الكتب العلمية ـ بيروت، 2000.

* عبد الراضي، عبد المحسن:

173 ـ المعتقدات الدينية لدى الغرب، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات ـ الرياض، ط2: 2007.

* عبد العظيم، شريف:

174 ـ حرية التعبير في الغرب من سلمان رشدي إلى روجيه غارودي، دار نهضة مصر ـ القاهرة، ط1: 1991.

* عبده، محمد:

175 ـ الأعمال الكاملة، دراسة وتحقيق: محمد عمارة، دار الشروق ـ القاهرة، 2006.

* ابن العربي، القاضي أبو بكر (ت543هـ):

176 ـ أحكام القرآن، تحقيق: عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية ـ بيروت، ط2: 2003.

* عز الدين، توفيق:

177 ـ دليل الأنفس بين القرآن الكريم والعلم الحديث ، دار السلام ـ القاهرة، ط3: 2004.

* العسقلاني، ابن حجر شهاب الدين (ت 852هـ):

178 ـ فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق: ابن باز، دار الفيحاء . دمشق، ط3، 1421 . 2000.

179 ـ الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عادل عبد الموجود، علي معوّض، دار الكتب العلمية ـ بيروت، ط1: 1995.

* عصفور، محمد:

180 ـ أزمة الحريات في المعسكرين الشرقي والغربي، مطبعة لجنة البيان العربي ـ القاهرة، 1961.

* ابن العطار، أبو الحسن علاء الدين (ت728هـ):

181 ـ تحفة الطالبين في ترجمة الإمام محي الدين، الدار الأثرية ـ الأردن، ط1: 2007

* ابن عطية، عبد الحق الأندلسي (ت542هـ):

182 ـ المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام محمّد، دار الكتب العلمية ـ بيروت، ط1: 2001.

* العقيقي، نجيب:

183 ـ المستشرقون، دار المعارف ـ القاهرة، ط4: 1981.

* عمارة، محمد:

184 ـ الإسلام في عيون غربية، دار الشروق ـ القاهرة، ط1: 2005.

185 ـ استراتيجية التنصير في العالم الإسلامي، مركز دراسات العالم الإسلامي ـ مالطا، ط1: 1992.

186 ـ بين العصمة والازدراء الأنبياء في القرآن الكريم والكتاب المقدّس، مكتبة الشروق الدولية ـ القاهرة.

187 ـ معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام، دار نهضة مصر . مصر

* عمر، أحمد مختار:

188 ـ معجم اللغة العربية، دار عالم الكتب ـ القاهرة، ط1: 2008.

* العميري، سلطان:

189 ـ فضاءات الحرية، المركز العربي للدراسات الإنسانية، 2013.

* العوني، الشريف حاتم:

190 ـ اختلاف المفتين، دار الصميعي ـ الرياض، ط1: 2008

* عياض، أبو الفضل القاضي (ت544هـ):

191 ـ الشفا بتعريف حقوق المصطفى، تحقيق: حسين نبيل، دار الأرقم ـ بيروت:

* العيلي، عبد الحكيم:

192 ـ الحريات العامة، دار الفكر العربي ـ بيروت، 1983.

ـ غ ـ

* غارودي، روجيه:

193 ـ الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية، دار الغد العربي ـ القاهرة، ط1: 1996.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ـ ف ـ

* ابن فارس، أبو الحسين أحمد (ت395هـ):

194ـ معجم مقاييس اللغة، دار الفكر ـ بيروت.

* الفراهيدي، الخليل بن أحمد (ت 170هـ):

195 ـ كتاب العين مرتّبا على حروف المعجم، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية ـ بيروت، ط1: 2003.

* الفيومي، محمد:

196 ـ الاستشراق رسالة استعمار، دار الفكر العربي ـ القاهرة، 1993.

ـ ق ـ

* القاري، الملّا علي (ت1014هـ):

197 ـ منح الروض الأزهر في شرح الفقه الأكبر، دار البشائر الإسلامية ـ بيروت، ط1: 1998.

* القرافي، شهاب الدين (ت684هـ):

198 ـ الذخيرة، تحقيق: محمد بوخبزة، دار الغرب الإسلامي ـ بيروت، ط1: 1994.

* القرضاوي، يوسف:

199 ـ كيف نتعامل مع القرآن، مؤسسة الرسالة ـ بيروت، ط1: 2001.

200 ـ أخلاق الإسلام، مركز دراسات التشريع الإسلامي والأخلاق ـ الدوحة، ط1: 2017.

201 ـ فتاوى معاصرة، المكتب الإسلامي ـ بيروت، ط1: 2000.

* القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت 671هـ):

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

202 ـ الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة ـ بيروت، ط1: 2006.

* قطب، سيد:

203 ـ في ظلال القرآن، دار الشروق . بيروت، ط12، 1407 . 1986.

* قطب، محمد:

204 ـ منهج التربية الإسلامية، دار الشروق ـ بيروت، ط10: 1987.

* القيصري، يوسابيوس:

205 ـ تاريخ الكنيسة، ترجمة: مرقص داوود، مكتبة المحبة ـ القاهرة، ط3: 1998.

* ابن القيم، شمس الدين محمد بن أبي بكر(ت 751هـ):

206 ـ زاد المعاد، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعبد القادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة ـ بيروت، ط27: 1994.

207 ـ بدائع الفوائد، تحقيق: علي العمران، دار عالم الفوائد ـ السعودية.

208 ـ مدارج السالكين، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي ـ بيروت، ط3: 1996.

209 ـ أحكام أهل الذّمة، دار رمادي للنشر ـ السعودية، ط1: 1997.

ـ ك ـ

* الكاساني، علاء الدين (ت587هـ):

210 ـ بدائع الصنائع، تحقيق: علي معوض، دار الكتب العلمية ـ بيروت، ط2: 1997.

* ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل الدمشقي (ت 744هـ):

211 ـ تفسير القرآن العظيم، تحقيق: نخبة من العلماء، مؤسسة قرطبة ـ القاهرة، ط1: 2000.

212 ـ البداية والنهاية، مكتبة المعارف ـ بيروت، 1990.

* الكنيسة القبطية:

213 ـ الديداخي (أي تعليم الرسل)، مكتبة المنار ـ القاهرة، ط1: 2000.

* كونتنو:

214 ـ الحضارة الفينيقية، ترجمة: محمد عبد الهادي شعيرة، شركة مركب كتب الشرق الأوسط ـ القاهرة.

ـ ل ـ

* لالاند، أندريه:

215 ـ موسوعة لالاند الفلسفية، تعريب: خليل أحمد خليل، منشورات عويدات ـ بيروت، ط2: 2001.

* لجنة التاريخ القبطي:

216 ـ تاريخ الأمة القبطية، وزارة المعارف العمومية ـ القاهرة، 1932.

* أبو ليلة، محمد:

217 ـ محمد صلى الله عليه وسلم بين الحقيقة والافتراء، دار النشر للجامعات ـ مصر، ط1: 1999.

ـ م ـ

* ابن ماجة، محمد بن يزيد (ت273):

218 ـ سنن ابن ماجة، تحقيق: بشار معروف، دار الجيل ـ بيروت، ط1: 1998.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

*مارش، وليم :

219 ـ السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم، المكتبة المسيحية ـ القاهرة.

* مارشال، هوارد:

220 ـ التفسير الحديث للكتاب المقدّس (العهد الجديد: سفر أعمال الرسل)، ترجمة:نجيب جرجور، جوزيف صابر، دار نوبار ـ القاهرة، ط1: 1992.

* الماوردي، أبو الحسن:

221 ـ النكت والعيون، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية ـ بيروت.

222 ـ أعلام النبوة، دار الكتب العلمية ـ بيروت،ط1: 1986.

* مبروك، علي:

223 ـ النبوة من علم العقائد إلى فلسفة التاريخ، دار التنوير ـ بيروت، ط1: 2007.

* مجمع اللغة العربية:

224 ـ المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية ـ القاهرة، ط4: 2004.

* مجموعة من العلماء:

225 ـ الموسوعة الفلسفية، ترجمة: سمير كرم، دار الطليعة ـ بيروت، ط5: 1983.

* مجموعة من العلماء:

226 ـ الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة ـ السعودية، ط2: 1999.

* مجموعة من المؤلفين:

227 ـ موسوعة الكتاب المقدّس، دار منهل الحياة ـ بيروت،1993.

* مجموعة من المؤلفين:

228 ـ **تاريخ الكنيسة المفصّل**، ترجمة: صبحي اليسوعي، دار المشرق ـ بيروت،ط1: 2002.

* مجموعة من المختصين:

229 ـ **موسوعة نضرة النعيم في أخلاق الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم**، دار الوسيلة ـ مكة المكرمة، ط1: 1998.

مجموعة من المؤلفين:

230 ـ **التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية**، الكنيسة الكلدانية ـ لندن، 2012.

* محمود، عبد الحليم:

231 ـ **أوروبا والإسلام**، دار المعارف ـ القاهرة، ط4: 1993.

* المخلصي، إلياس كويتر:

232 ـ **خطيب الكنيسة الأعظم القديس يوحنا الذهبي الفم**، منشورات المكتبة البولسية ـ بيروت، ط2: 2002.

* مذكور، محمد سلام:

233 ـ **المدخل للفقه الإسلامي**، دار النهضة ـ القاهرة.

* المراغي، أحمد:

234 ـ **تفسير المراغي**، مطبعة مصطفى البابي ـ مصر، ط1: 1946.

*المسكين، متى:

235 ـ **النبوة والأنبياء في العهد القديم**، دار مجلة مرقس ـ القاهرة، ط3: 2014.

* المسلاتي، مصطفى:

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

236 ـ الاستشراق السياسي في النصف الأول من القرن العشرين، دار إقرأ ـ ليبيا، 1986

* مسلم، الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري (ت 261هـ) :

237 ـ صحيح مسلم، تحقيق: فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث . بيروت.

* المسيري، عبد الوهاب:

238 ـ موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، دار الشروق ـ القاهرة، 1999.

239 ـ الصهيونية والعنف، دار الشروق . القاهرة، ط3: 2009.

* المشرقي، أحمد:

240 ـ النبوة في الأديان الكتابية، دار الجيل ـ بيروت، ط1: 2004.

*المظفر، محمد رضا:

241 ـ عقائد الإمامية، دار الزهراء ـ العراق، ط3: 1980.

* معين، محمود:

242 ـ تاريخ مدينة القدس، دار الأندلس ـ بيروت، 1979.

* المقدسي، منير:

243 ـ كنيستي عبر العصور، دار القدس ـ القاهرة، ط2: 1935.

* المقريزي، تقي الدين (ت845هـ):

244 ـ إمتاع الأسماع بما للنبي صلى الله عليه وسلم من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، تحقيق: محمد النفيسي، دار الكتب العلمية ـ بيروت.

245 ـ تاريخ الأقباط، تحقيق: عبد المجيد دياب، دار الفضيلة ـ القاهرة.

* ملطي، تادرس يعقوب:

246 ـ تفسير سفر اللاويين، مطبعة الأنباراويس ـ مصر، 1984.

247 ـ القديسة مريم في المفهوم الأرثوذكسي، كنيسة مار جرجس.

248 ـ قاموس آباء الكنيسة وقدّيسيها، كنيسة الشهيد مارجرجس ـ مصر، 2001.

* المناوي، عبد الرؤوف (ت1032هـ):

249 ـ التوقيف على مهمّات التعاريف، تحقيق: عبد الحميد حمدان، دار عالم الكتب ـ القاهرة، ط1: 1990.

* ابن المنذر، محمد بن إبراهيم (ت318هـ):

250 ـ الإقناع، تحقيق: عبد الله الجبرين، مطابع الفرزدق ـ الرياض، ط1: 1988.

* ابن منظور، محمد بن مكرم:

251 ـ لسان العرب، تحقيق: نخبة من العلماء، دار المعارف ـ القاهرة.

* المنفلوطي، جاد:

252 ـ المسيحية في العصور الوسطى، دار الجيل ـ بيروت، 1973.

253 ـ تأريخ المسيحية (المسيحية في العصور الوسطى)، دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية ـ القاهرة.

* منيس، عبد النور:

254 ـ أسماء الله في الكتاب المقدّس، دار الثقافة المسيحية ـ القاهرة.

* مهران، محمد:

255 ـ بنو إسرائيل، دار المعرفة ـ الاسكندرية، ط1: 2008.

* موسكاتي، سباتينو:

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

256 ـ الحضارات السامية القديمة، ترجمة وتحقيق: السيد يعقوب بكر، دار الكتاب العربي ـ القاهرة.

* مينا، ميخائيل:

257 ـ موسوعة علم اللاهوت، مطبعة الأمانة ـ القاهرة، ط4: 1948.

* ابن ميمون، موسى (ت603هـ):

258 ـ دلالة الحائرين، ترجمة وتحقيق: حسين أتاي، مكتبة الثقافة الدينية ـ أنقرة، 1964.

- ن -

* النجار، حسين:

259 ـ أرض الميعاد، دار المعارف ـ القاهرة.

* نخبة من العلماء:

260 ـ الموسوعة الفقهية الكويتية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ـ الكويت، 1427

* نخبة من اللاهوتيين:

261 ـ دائرة المعارف الكتابية، دار الثقافة ـ مصر.

* نخبة من علماء اللاهوت:

262 ـ معجم اللاهوت الكتابي، دار المشرق ـ القاهرة، ط2: 1988

* نخبة من اللاهوتيين:

263 ـ التفسير التطبيقي للكتاب المقدّس، شركة ماستر ميديا . القاهرة.

* ندا، محمد:

264 ـ جنايات بني إسرائيل على الدين والمجتمع، دار اللواء ـ الرياض، ط1: 1984.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

* الندوي، أبو الحسن:

265 ـ النبوة والأنبياء في ضوء القرآن، الدار السعودية للنشر ـ السعودية، ط3: 1387.

* النعيم، عبد الله:

266 ـ الاستشراق في السيرة النبوية، منشورات المعهد العالمي للفكر الإسلامي ـ الولايات المتحدة الأمريكية، ط1: 1997.

* النسفي، أبو البركات (ت710هـ):

267 ـ مدارك التنزيل وحقائق التأويل، دار الفكر ـ بيروت.

*النشار، علي سامي:

268 ـ نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، دار المعارف ـ القاهرة، ط5: 1971

* النووي، محي الدين:

269 ـ شرح صحيح مسلم، دار إحياء التراث ـ بيروت، ط3: 1984.

* النيسابوري، سعيد:

270 ـ مناحل الشفا ومناهل الصفا بتحقيق كتاب شرف المصطفى، تحقيق: نبيل الغمري، دار البشائر الإسلامية ـ مكة المكرّمة، ط1: 2003.

ـ هـ ـ

* ابن هشام، أبو محمد عبد الملك (ت218هـ):

271 ـ السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، دار الكتب العلمية ـ بيروت.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

* ابن الهمام، كمال الدين (ت861هـ):

272 ـ المسامرة في شرح المسايرة، المكتبة الأزهرية ـ القاهرة، ط1: 2006.

* هنري، متى:

273 ـ التفسير الكامل للكتاب المقدّس، مطبعة إيجلز ـ القاهرة، ط1: 2002.

* هيكل، محمد حسين:

274 ـ حياة محمد، مؤسسة هنداوي ـ مصر، 2012.

ـ و ـ

* الواحدي، أبو الحسن علي بن محمد (ت468هـ):

275 ـ أسباب النزول، تحقيق: كمال زغلول، دار الكتب العلمية ـ بيروت، ط1: 1991.

* الواقدي، أبو عبد الله محمد (ت207هـ) :

276 ـ المغازي، تحقيق: مارسدن جونس، دار عالم الكتب ـ بيروت، ط3: 1984.

*وات، مونتغمري:

277 ـ تأثير الإسلام في أوروبا العصور الوسطى، ترجمة: سارة الذيب، دار جسور للترجمة والنشر ـ بيروت، ط1: 2016.

ـ ي ـ

*اليسوعي، خليل أده:

278 ـ الكنيسة أو مملكة المسيح، المطبعة الكاثوليكية ـ بيروت.

* يوأنس، الأنبا:

279 ـ **الكنيسة المسيحية في عصر الرسل**، دار الأنبا رويس ـ القاهرة، ط3: 1987

* يوحنا، منصور بن سرجون:

280 ـ **الهرقطة المئة**، منشورات النور، ط1: 1997.

المجلات والدوريات

281 ـ **مجلة إسلامية المعرفة**، السنة الثامنة، عدد(31،32)،2002 ـ2003.

282 ـ **مجلة البيان**، العدد (222)، صفر 1427هـ/مارس 2006م.

283 ـ **مجلة دعوة الحق**، عدد 2، 1993.

284 ـ **مجلة الاجتهاد**، عدد (22)، سنة (1994).

285 ـ **المجلة العربية**، عدد 63، حزيران ـ يونيو 2002.

286 ـ **مجلة دراسات علوم الشريعة والقانون** ـ الجامعة الأردنية، المجلّد (27)، العدد (2)، 2000.

287 ـ **جريدة الأهرام**، العدد 43777، السنة 131: 2006/10/15.

288 ـ **مجلة (الشرق الأوسط)**، عدد (235)، سنة 2002.

289 ـ **مجلة المستقبل العربي**، العدد 315، آذار:2006.

الرسائل الجامعية

* الراجحي، سليمان:

290 ـ **الأبعاد العقدية والأخلاقية لموقف اليهود من النبوة والأنبياء في أسفار العهد القديم**، رسالة دكتوراة (غير منشورة)، كلية التربية ـ جامعة الملك سعود، السعودية، 1430هـ.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

* شتيوي، سفيان:

291 ـ منهج القرآن في بناء الإيمان عند الإنسان، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة الجنان ـ لبنان، 2010.

* الشيخي، موسى:

292 ـ تقديس الأشخاص عند النصارى وآثاره، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة أم القرى ـ السعودية، 1429.

* الغامدي، صالح:

293 ـ إسهام وسائل الإعلام في الإساءة لشخص الرسول (صلى الله عليه وسلم)، رسالة ماجستير، كلية التربية الإسلامية والمقارنة، جامعة أم القرى ـ السعودية.

* نعمان، صالح:

294 ـ منهج البحث في علم العقيدة في ضوء التطور العلمي المعاصر، أطروحة دكتوراة (غير منشورة)، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية ـ قسنطينة، 2003.

المراجع باللغات الأجنبية

295 _ Dictionnaire Hachette, sacré

296_ J.J.Wuneburger, le sacré, Que sais-je éd puf,1990

297_ Dictionnaire de la langue philosophique;éd puf 1962: Sacré .

298_ M.M.Thiollier,Dic des religions.Larousse 3éd 1980.

299_ Emile Durkheim:Les formes élémentaires de la vie religieuse, 2éd.Paris1925

300_ Emile Durkheim:Sociologie et philosophie

301_ M..Eliade: Le sacré et le profane, Gallimard 1965.

302_ Francois Burgat:Lislam au Maghreb—ed Karthala,1988

303_A.Lords,Israel from its begining to the middle of the Eight century.

304 _Claude Sauerbrei, The Holy many in Israel, A Study in the Development of prophecy, in JNES, b, 1947.

305 _Gershom Scholem: The Messianic Idea in Judaism and Other Essays on Jewwish Spirituality.Schoken Books.N.Y..1971.

306 _Theologisches Worterbuch zum Neuen Testament, Hrsg-von: Gerhard Frie- drich, Band V1:829

307_ Lexikon der katholishen Dogmatik, Hrsg.von: Wolfgang Beinnert, S:426

المواقع الالكترونية

308_ http://data.bnf.fr/ark:/12148/cb119016520

309_ www.balagh.co/islam

فهرس المحتويات

إهداء ..... ـ أ ـ

شكر وتقدير ..... ـ ب ـ

المقدمـــة ..... ـ ج ـ

الباب الأول: جذور الإساءة للمقدسات الدينية ..... ـ 01 ـ

الفصل الأول: مفهوم الإساءة للمقدّسات الدينية ..... ـ 01 ـ

المبحث الأول: مفهوم الإساءة ..... ـ 01 ـ

المطلب الأول: الإساءة لغة ..... ـ 01 ـ

المطلب الثاني: اصطلاحا ..... ـ 02 ـ

الفرع الأول: في الموسوعات الكتابية ..... ـ 02 ـ

الفرع الثاني: في الموسوعات الإسلامية ..... ـ 04 ـ

المطلب الثالث: الفرق بين الإساءة وحرية التعبير عن الرأي ..... ـ 08 ـ

الفرع الأول: مفهوم حرية التعبير عن الرأي ..... ـ 08 ـ

الفرع الثاني: السند القانوني لحرية التعبير عن الرأي ..... ـ 09 ـ

أولا: منظمة الأمم المتحدة ..... ـ 10 ـ

ثانيا: العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية ..... ـ 11 ـ

ثالثا: الاتّفاقية الأوروبية لحقوق الإنسان ..... ـ 12 ـ

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس المحتويات

الفرع الثالث: موقف الإسلام من حرية التعبير عن الرأي..... ـ 14 ـ

أولا : المستوى النظري..... ـ 14 ـ

ثانيا : المستوى العملي..... ـ 20 ـ

الفرع الرابع: ضوابط حرية التعبير عن الرأي..... ـ 27 ـ

أولا: في العهود والمواثيق الدولية..... ـ 27 ـ

ثانيا: في التشريع الإسلامي..... ـ 29 ـ

الفرع الخامس: الحدود الفاصلة بين حرية التعبير والمساس بالآخرين..... ـ 33 ـ

المبحث الثاني: ماهية المقدسات الدينية..... ـ 37 ـ

المطلب الأول: تعريف المقدس..... ـ 37 ـ

الفرع الأول: المقدس لغة..... ـ 37 ـ

الفرع الثاني: المقدس اصطلاحا..... ـ 38 ـ

أولا: في الكتب السماوية..... ـ 38 ـ

ثانيا: في الموسوعات والقواميس..... ـ 45 ـ

ثالثا: في اصطلاحات المفكّرين والفلاسفة..... ـ 45 ـ

المطلب الثاني: تعريف الدين..... ـ 49 ـ

الفرع الأول: الدين لغة..... ـ 49 ـ

الفرع الثاني: الدين اصطلاحا..... ـ 51 ـ

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس المحتويات

أولا: في الفكر الغربي..... ـ 51 ـ

ثانيا: في الفكر الإسلامي..... ـ 52 ـ

المطلب الثالث: المقدسات في الأديان السماوية..... ـ 52 ـ

الفرع الأول: مجالات المقدس في اليهودية..... ـ 53 ـ

الفرع الثاني: مجالات المقدس في المسيحية..... ـ 64 ـ

الفرع الثالث: مجالات المقدس في الإسلام..... ـ 74 ـ

الفصل الثاني: جذور ودوافع الإساءة للأنبياء (عليهم السلام)..... ـ 84 ـ

المبحث الأول: مظاهر الإساءة للأنبياء..... ـ 85 ـ

المطلب الأول: الإساءة القولية..... ـ 86 ـ

أولا: الترهيب والتخويف..... ـ 86 ـ

ثانيا: تشويه الصورة..... ـ 88ـ

المطلب الثاني: الإساءة الفعلية..... ـ 90 ـ

أولا: القتل..... ـ 90 ـ

ثانيا: الإخراج من الديار..... ـ 91 ـ

ثالثا: الاعتداء على معجزات الأنبياء..... ـ 92 ـ

رابعا: الاعتداء على ضيوف الأنبياء..... ـ 94 ـ

المبحث الثاني: مظاهر الإساءة للنبي (صلى الله عليه وسلم)..... ـ 96 ـ

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس المحتويات

المطلب الأول: مظاهر الإساءة القديمة..... ـ 97 ـ

الفرع الأول: الإساءة إليه في حياته..... ـ 98 ـ

أولا: الأذى النفسي..... ـ 98 ـ

ثانيا: الأذى الحسّي..... ـ 103 ـ

الفرع الثاني: الإساءة إليه بعد مماته..... ـ 105 ـ

أولا: كتابات يوحنا الدمشقي..... ـ 106 ـ

ثانيا: أعمال دانتي أليجييري..... ـ 109 ـ

المطلب الثاني: مظاهر الإساءة الحديثة والمعاصرة..... ـ 112 ـ

الفرع الأول: كتابات المستشرقين..... ـ 112 ـ

أولا: فرانسوا فولني..... ـ 115 ـ

ثانيا: كارل بروكلمان..... ـ 116 ـ

ثالثا: مكسيم رودنسون..... ـ 118 ـ

الفرع الثاني: وسائل الإعلام..... ـ 121 ـ

أولا: الإعلام المكتوب..... ـ 122 ـ

ثانيا: الإعلام المرئي..... ـ 127 ـ

المبحث الثالث: أسباب ودوافع الإساءة لمقام الأنبياء (عليهم السلام) ..... ـ 129 ـ

المطلب الأول: الدوافع الذاتية..... ـ 129 ـ

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس المحتويات

الفرع الأول: الحقد العقدي..... ـ 129 ـ

الفرع الثاني: الخوف من انتشار الإسلام..... ـ 133 ـ

المطلب الثاني: الدوافع الخارجية..... ـ 137 ـ

الفرع الأول: الجهل بحقيقة النبي (صلى الله عليه وسلم) ..... ـ 137 ـ

الفرع الثاني: التنافس الحضاري..... ـ 140 ـ

الباب الثاني: نظرة الأديان السماوية للإساءة للأنبياء..... ـ 144 ـ

الفصل الأول: نظرة اليهودية للإساءة للأنبياء..... ـ 144 ـ

المبحث الأول: مفهوم النبوة في اليهودية..... ـ 145 ـ

المطلب الأول: مفهوم النبي لغة..... ـ 145 ـ

المطلب الثاني: مفهوم النبي في العهد القديم..... ـ 147 ـ

المطلب الثالث: مفهوم النبي اصطلاحا..... ـ 148 ـ

المبحث الثاني: صفات الأنبياء..... ـ 154 ـ

المطلب الأول: صفات الأنبياء في علاقتهم بالله..... ـ 154 ـ

الفرع الأول: عبادة الأوثان..... ـ 154 ـ

الفرع الثاني: سوء الأدب مع الله..... ـ 158 ـ

المطلب الثاني: صفات الأنبياء في علاقتهم مع الناس..... ـ 161 ـ

الفرع الأول: الكذب..... ـ 161 ـ

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس المحتويات

الفرع الثاني: الزنا..... ـ 164 ـ

الفرع الثالث: شرب الخمر..... ـ 170 ـ

الفرع الرابع: الخداع..... ـ 170 ـ

الفرع الخامس: السرقة..... ـ 171 ـ

المبحث الثالث: وظائف الأنبياء..... ـ 173 ـ

المطلب الأول: الوظيفة الدينية..... ـ 173 ـ

الفرع الأول: تبليغ وصايا الرّب..... ـ 174 ـ

الفرع الثاني: ممارسة الشعائر والطقوس..... ـ 176 ـ

الفرع الثالث: الدعوة إلى العودة إلى المثال الموسوي..... ـ 179 ـ

الفرع الرابع: الدعوة إلى الإيمان بالغيب..... ـ 183 ـ

المطلب الثاني: الوظيفة السياسية..... ـ 188 ـ

الفرع الأول: انتقاد الوضع السياسي القائم..... ـ 188 ـ

الفرع الثاني: حماية المجتمع من الأخطار الخارجية..... ـ 192 ـ

الفرع الثالث: التنبؤات والمشورة السياسية..... ـ 195 ـ

المطلب الثالث: الوظيفة الاجتماعية..... ـ 199 ـ

المبحث الرابع: الإساءة للأنبياء في اليهودية..... ـ 203 ـ

المطلب الأول: تجريد الأنبياء من صفة العصمة..... ـ 203 ـ

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس المحتويات

المطلب الثاني: مخالفة الأنبياء لرسالتهم..... ـ 214 ـ

الفصل الثاني: نظرة المسيحية للإساءة للأنبياء..... ـ 227 ـ

المبحث الأول: مفهوم النبوة في المسيحية..... ـ 228 ـ

المطلب الأول: النبوة لغة..... ـ 228 ـ

المطلب الثاني: النبوة اصطلاحا..... ـ 231 ـ

المطلب الثالث: تطور مفهوم النبوة في المسيحية..... ـ 236 ـ

الفرع الأول: مفهوم الرسل..... ـ 238 ـ

الفرع الثاني: عدد الرسل وأسماؤهم..... ـ 240 ـ

المبحث الثاني: صفات الرسل..... ـ 245 ـ

المطلب الأول: القداسة..... ـ 246 ـ

المطلب الثاني: رؤية قيامة المسيح..... ـ 248 ـ

المطلب الثالث: نزول الروح القدس عليهم..... ـ 250 ـ

المطلب الرابع: التأييد بالمعجزات..... ـ 251 ـ

المطلب الخامس: مغفرة الذنوب..... ـ 254 ـ

المبحث الثالث: وظائف الرسل..... ـ 257 ـ

المطلب الأول: مهام أنبياء العهد القديم..... ـ 257 ـ

المطلب الثاني: مهام الرسل..... ـ 203 ـ

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس المحتويات

المبحث الرابع: الإساءة إلى الرسل في المسيحية..... ـ 266 ـ

المطلب الأول: انتحال بعض الشخصيات صفة الرسولية..... ـ 266 ـ

المطلب الثاني: اتّصاف الرسل بالصفات الدنيئة..... ـ 277 ـ

المطلب الثالث: الانحراف عن الوظيفة..... ـ 282 ـ

الفصل الثالث: نظرة الإسلام للإساءة للأنبياء..... ـ 286 ـ

المبحث الأول: مفهوم النبوة في الإسلام..... ـ 287 ـ

المطلب الأول: النبوة لغة..... ـ 287 ـ

المطلب الثاني: النبوة اصطلاحا..... ـ 288 ـ

المبحث الثاني: صفات الأنبياء..... ـ 302 ـ

المطلب الأول: البشرية..... ـ 303 ـ

المطلب الثاني: الذكورة..... ـ 307 ـ

المطلب الثالث: السلامة من النقائص..... ـ 311 ـ

المطلب الرابع: الأمانة..... ـ 318 ـ

المطلب الخامس: العصمة..... ـ 321 ـ

الفرع الأول: مفهوم العصمة..... ـ 321 ـ

أولا: العصمة لغة..... ـ 321 ـ

ثانيا: العصمة اصطلاحا..... ـ 322 ـ

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس المحتويات

ثانيا: مستند العصمة..... ـ 322 ـ

ثالثا: حدود العصمة..... ـ 325 ـ

المبحث الثالث: وظائف الأنبياء ..... ـ 337 ـ

المطلب الأول: تصحيح التصورات الخاطئة..... ـ 338 ـ

المطلب الثاني: الدعوة إلى مكارم الأخلاق..... ـ 344 ـ

المطلب الثالث: سياسة الأمة..... ـ 353 ـ

المبحث الرابع: الإساءة للأنبياء في الإسلام..... ـ 359 ـ

المطلب الأول: مكانة الأنبياء في الإسلام..... ـ 359 ـ

المطلب الثاني: حكم الإساءة للأنبياء..... ـ 366 ـ

الخاتمة..... ـ 380 ـ

فهرس الآيات القرآنية..... ـ 389 ـ

فهرس فقرات العهد القديم..... ـ 413 ـ

فهرس فقرات العهد الجديد..... ـ 425 ـ

فهرس الأحاديث النبوية..... ـ 433 ـ

فهرس الأعلام..... ـ 437 ـ

قائمة المصادر والمراجع..... ـ 446 ـ

فهرس المحتويات..... ـ 483 ـ

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس المحتويات

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ملخص البحث

يعتبر موضوع الإساءة للمقدّسات الدينية من أبرز الظواهر القديمة المتجدّدة التي تظهر في كلّ عصر بمظهر جديد، مستخدمة أدوات ووسائل جديدة. وفي عصرنا الحالي تجدّدت ظاهرة الإساءة للأنبياء، وأخذت شكلا جديدا تمثّل هذه المرّة في تزعّم وسائل الإعلام الغربية لحركة الإساءة، تحت ذريعة حرّية التعبير عن الرأي، فانتقلت الإساءة بذلك من بطون الكتب والمؤلّفات إلى وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمكتوبة وبصور متعدّدة، كالرسوم الكاريكاتورية، والعروض المسرحية، والأفلام السينمائية...ونحو ذلك، وهو ما أدى إلى فتح النقاش والجدل حول الحدود الفاصلة بين حرّيّة التعبير عن الرأي والمساس بالمقدّسات الدينية.

وقد ارتأيت أن أتناول موضوع الإساءة للمقدّسات الدينية من وجهة نظر الأديان السماوية الثلاثة (اليهودية والمسيحية والإسلام)، واخترت موضوع الأنبياء نموذجا، لما لحقهم من تحديف وتطاول على مقامهم الشريف عبر التاريخ.

وقد جاءت هذه الدراسة في بابين، تحدّثت في الباب الأول منه عن مفهوم الإساءة، وماهية المقدّسات الدينية في اليهودية والمسيحية والإسلام، وعن جذور الإساءة لمقام الأنبياء، والعوامل الكامنة وراءها.

أما الباب الثاني فقد جعلته للحديث عن نظرة كلّ ديانة لمسألة الإساءة للأنبياء والرسل، منطلقا في ذلك من مفهوم النبوّة، وصفات الأنبياء، ووظائفهم، وصولا إلى تحرير موقف كلّ ديانة من الإساءة للأنبياء والرسل.

وقد خلصت هذه الدراسة إلى أن الكتاب المقدّس (بعهديه القديم والجديد) كان سبّاقا في التأسيس لثقافة ازدراء المقدّسات الدينية من خلال الأوصاف الذميمة، والأخلاق الدنيئة القبيحة التي حفلت بها نصوص أسفاره، والتي جرّدت الأنبياء والرسل من أهم صفاتهم (ألا وهي العصمة)، وطعنت في أهم دافع للاقتداء بهم، وهو ما أدى إلى تدنيس مقام النبوة والرسولية في اليهودية والمسيحية.

وهذا بخلاف الإسلام الذي كان حريصا أشدّ الحرص على احترام الرموز والمقدّسات الدينية من خلال وصفه الأنبياء والرسل بأسمى الصفات العالية، وأكمل الأوصاف السامية، وجعلها من الصفات الضرورية الواجبة، التي توجب لهم الإيمان والاحترام، وتحرّم في حقّهم الإساءة والتطاول، وهذا ما يؤهّل تشريعات الإسلام للعب دور فعّال في حلحلة الصراعات والتوتّرات التي تعيشها المجتمعات البشرية في أكثر من قطر، نتيجة التداخل بين حرية التعبير والمقدّس الديني.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

Résumé

La question de l'abus des sanctuaires religieux est l'un des phénomènes anciens les plus importants qui apparaissent à chaque époque avec une nouvelle apparence, avec de nouveaux outils et moyens. À cette époque, le phénomène des insultes envers les prophètes s'est renouvelé et une nouvelle forme a pris forme: cette fois-ci, les médias occidentaux ont dirigé le mouvement des abus sous le prétexte de la liberté d'expression. , Films, etc., qui ont ouvert le débat et celui sur les limites entre la liberté d'expression et la violation des sanctuaires religieux.

J'ai vu la question des insultes religieuses insultantes du point de vue des trois religions célestes (judaïsme, christianisme et islam) et j'ai choisi le thème des prophètes comme modèle pour leur blasphème et leur abus de place tout au long de l'histoire. Cette étude a été présentée à Babin. La première partie de cette étude traite du concept d'abus, des sanctalités religieuses du judaïsme, du christianisme et de l'islam, ainsi que des racines de l'abus des prophètes et des facteurs qui les ont motivées .

Le deuxième chapitre lui a fait parler du point de vue de chaque religion sur la question d'insulter les prophètes et les messagers, en partant du concept de prophétie, des prescriptions des prophètes et de leurs fonctions, afin de libérer la position de chaque religion d'injurier les prophètes et les messagers.

Cette étude a conclu que la Bible (à son époque et à son époque) constituait une course à l'édification d'une culture du mépris des sanctuaires religieux par le biais de descriptions obscènes et de l'éthique méprisable et laide des textes de ses voyages, privant ainsi les prophètes et les apôtres de leurs qualités les plus importantes (l'infidélité). Le motif le plus important pour les suivre, qui a conduit à la profanation de la position de prophétie et apostolique dans le judaïsme et le christianisme.

Cela est contraire à l'islam, qui tenait à respecter les symboles et les sanctuaires religieux en décrivant les prophètes et les messagers avec les qualités les plus élevées et les descriptions les plus élevées des nobles, et en les rendant nécessaires, ce qui les obligeait à la foi et au respect, et déniait le droit de maltraiter et de maltraiter, Jouera un rôle efficace dans la résolution des conflits et des tensions vécus par les sociétés humaines dans plus d'un pays, en raison du chevauchement entre liberté d'expression et sainteté religieuse.

Research Summary

The issue of the abuse of religious sanctities is one of the most prominent old phenomena that emerge in every age under a new appearance or cover, using new tools and means. In this era, the phenomenon of insulting the prophets has been renewed and a new form has taken shape. This time, the Western media led the abuse movement behind the excuse of freedom of expression. The abuse has spread from the depths of books and literature to the audio-visual media, , Movies, etc., which led to the ignition of debate about the boundaries and limits between freedom of expression and the violation of religious sanctities.

I have dealt with this particular issue of insulting religious sanctities from the point of view of the three heavenly religions (Judaism, Christianity and Islam), and chose the theme of the prophets as a model for their blasphemy and abuse of their status throughout history.

This study was presented in two chapters, which discussed the concept of abuse, the religious sanctities of Judaism, Christianity and Islam, the roots of the abuse of the prophets, and the factors behind it.

The second chapter talks about the view of each religion on the matter of insulting the prophets and messengers, starting from the concept of prophecy, the prescriptions of the prophets, and their functions, to purify the position of each religion from insulting the prophets and messengers.

This study concluded that the Bible (in its old and new testimony) was the pioneer in the establishment of a culture of contempt for religious sanctities through obscene descriptions, and the despicable and ugly ethics of its texts, which stripped the prophets and apostles of their most important qualities (the infallibility) the most important motive to be followed, which led to the desecration of the position of prophecy and apostolic in Judaism and Christianity

This is in contrary to Islam, which was keen on respecting religious symbols and sanctities by describing the prophets and messengers with the highest and most noble qualities, which bestowed on them faith and respect, and protect them from abuse in all its shapes and forms. Thus, Islam will play an effective role in resolving the conflicts and tensions experienced by human societies in more than one country.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ALGERIAN DEMOCRATIC POPULAR REPUBLIC

MINISTRY OF HIGHER EDICQTION QND SCIENTIFIC RESEARCH

AMIR ABD- EL -KEDER UNIVERSITY OF ISLAMIC SCIENCES

CONSTANTINE

FACULTY OF USUL AL –DIN

DEPARTMENT OF AKIDA AND COMPARATIVE RELIGIONS

SERIAL NUMBER……..

REGISTRATION NUMBER……

THE ABUSE OF RELIGIOUS SANCTITIES AND THE POSITION OF HEAVENLY RELIGIONS

– THE ABUSE OF THE PROPHRTS AS A MODEL –

A MEMOIR ELABORATED TO OBTAIN THE DOCTORATE DEGREE IN ISLAMIC SCIENCES

SPECIALITY OF HEAVENLY RELIGIONS AND SCIENCE

Set up by student

CHETIOUI SOFIANE

Supervised by doctor

LAIEB YOUCEF

The discution jury members

Name and surname	Scientifique Rank	Position	Original University
Dr.LAIEB YOUCEF	Doctor	Supervisor	Amir Abdelkader University

Année universitaire: 1440-1441 / 2018-2019